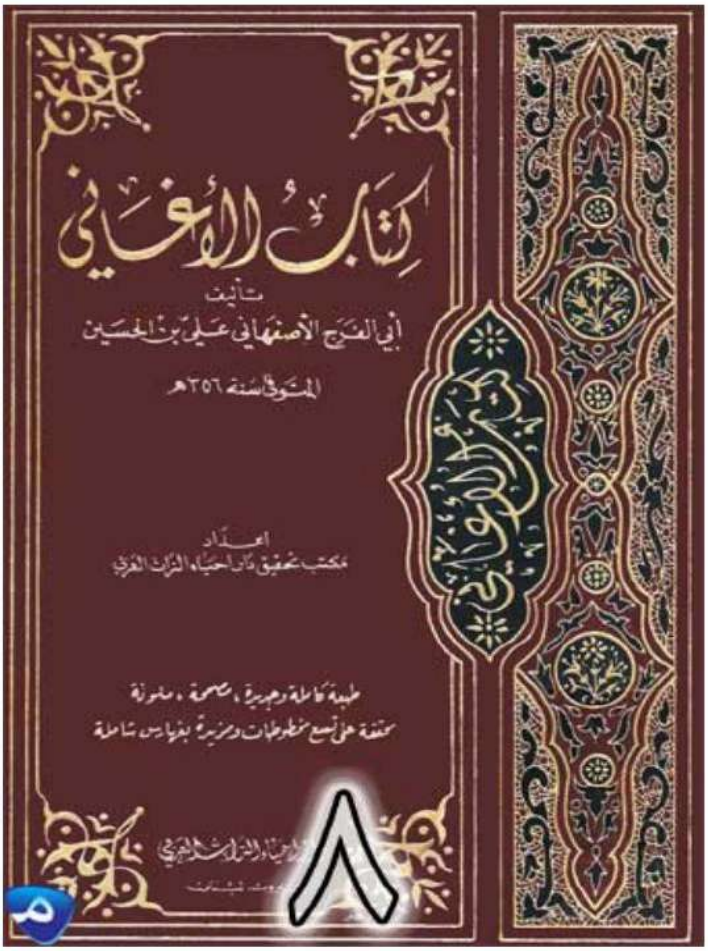

http://www.masaha.org

الأغاني

الجزء الثامن

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة

http://www.masaha.org

الجزء الثامن

تتمة التراجم

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ* <الجزء الثامن من كتاب الأغاني>

1-نسب جرير و أخباره

نسبه من قبل أبويه

:

جرير بن عطيّة بن الخطفى. و الخطفى لقب، و اسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. و يكنى أبا حزرة. و لقّب الخطفى لقوله:

يرفعن للّيل[1]إذا ما أسدفا[2] # أعناق جنّان و هاما رجّفا

و عنقا[3]بعد الكلال خيطفا

و يروى: خطفى.

/و هو و الفرزدق و الأخطل المقدّمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا. و مختلف في أيّهم المتقدّم؛ و لم يبق أحد من شعراء عصرهم إلاّ تعرّض لهم فافتضح و سقط و بقوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير و الفرزدق في آخر أمرهما و قد أسنّ و نفد أكثر عمره. و هو و إن كان له فضله و تقدّمه فليس[4]نجره[5] من نجار هذين في شيء؛ و له أخبار مفردة عنهما ستذكر بعد هذا مع ما يغنّى من شعره.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحيّ قال حدّثنا محمد بن سلاّم الجمحيّ، و أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ و عليّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ عن محمد بن حبيب و أبي غسّان دماذ [1]في «اللسان» و «شرح القاموس» (مادتي خطف و سدف) و «الاشتقاق» لابن دريد و «المؤتلف و المختلف» للآمدي: «بالليل» .

[2]أسدف الليل: أظلم. و الجنان: جنس من الحيات إذا مشت رفعت رءوسها، واحدها جان. و الهام: الرءوس.

[3]العنق: السير المنبسط. و الخيطف و الخيطفي: سرعة انجذاب السير، كأنه يختطف في مشيه عنقه، أي يجتذبه. و رواية هذا الشطر في «الشعر و الشعراء» (ص 283 طبع أوروبا) :

و عنقا باقي الرسيم خيطفا و قد ذكر صاحب «اللسان» (مادة خطف) رواية الأصل كما أورد رواية أخرى هي:

و عنقا بعد الرسيم خيطفا و الرسيم: ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض.

[4]كذا في جميع الأصول. و ليس لهذه الفاء، موقع في الكلام.

[5]النجر و النجار: الأصل و الحسب. يريد أنه ليس من معدنهما.

و إبراهيم بن سعدان عن أبيه جميعا عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى، بنسب جرير على ما ذكرته و سائر ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سلاّم. قالوا جميعا: و أمّ جرير أمّ قيس بنت معيد[1]ابن عمير[2]بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع. و أمّ عطيّة النّوار بنت يزيد بن عبد العزّى بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب.

قال أبو عبيدة و محمد بن سلاّم و وافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عنه[3]: /اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جرير و الفرزدق و الأخطل، و اختلفوا في تقديم بعضهم على بعض. قال محمد بن سلاّم: و الراعي معهم في طبقتهم و لكنّه آخرهم، و المخالف في ذلك قليل. و قد سمعت يونس يقول: ما شهدت مشهدا قط قد ذكر فيه جرير و الفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما. و كان يونس فرزدقيّا.

قال ابن سلاّم: و قال ابن دأب: الفرزدق أشعر عامّة و جرير أشعر خاصّة. و قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو يشبّه جريرا بالأعشى، و الفرزدق بزهير، و الأخطل بالنابغة. قال أبو عبيدة: يحتجّ من قدّم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر، و أسهلهم ألفاظا، و أقلّهم تكلّفا، و أرقّهم نسيبا، و كان ديّنا عفيفا. و قال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشبههما[4]و أنسبهما.

و نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ: قال خالد بن كلثوم: ما رأيت أشعر من جرير و الفرزدق؛ قال الفرزدق بيتا مدح فيه قبيلتين و هجا قبيلتين، قال: عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها # كما آل يربوع هجوا آل دارم[5]

/يعني بعبيدها بني حنيفة. و قال جرير بيتا هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق و البعيث و أمّه # و أبا البعيث لشرّ ما إستار[6]

قال: و قال جرير: لقد هجوت التّيم في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعرا قبلي، قلت: من الأصلاب ينزل لؤم تيم # و في الأرحام يخلق و المشيم

[1]كذا في «النقائض» (ص 7 طبع أوروبا) عند الكلام على شرح بيت غسان بن ذهيل في هجاء جرير و هو: ستعلم ما يغني معيد و معرض # إذا

ما سليط غرّقتك بحورها

و في الأصول: «سعد» .

[2]في «النقائض» : «بن عثيم بن حارثة... إلخ» .

[3]في ب، س: «... عن عمر بن شبة أنه اتفقت إلخ» .

[4]كذا في م، أ، ء، و في ب، س: «كان أسنهما... » . و لعل الصواب فيه: «كان أسبهما» كما سيأتي في ص 9 من هذا الجزء.

[5]آل دارم: قوم الفرزدق. و آل يربوع: قوم جرير.

[6]الإستار (بكسر الهمزة) من العدد: الأربعة. و ما زائدة. يريد أن هؤلاء المذكورين في البيت شرّ أربعة.

جرير و طبقته من الشعراء

/و قال محمد بن سلاّم: قال العلاء بن جرير العنبريّ و كان شيخا و قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطل سابقا فهو سكّيت[1]، و الفرزدق لا يجيء سابقا و لا سكّيتا، و جرير يجيء سابقا و مصلّيا[2]و سكّيتا. قال محمد بن سلاّم: و رأيت أعرابيّا من بني أسد أعجبني ظرفه و روايته، فقلت له: أيّهما عندكم أشعر؟قال: بيوت الشعر أربعة: فخر و مديح و هجاء و نسيب، و في كلّها غلب جرير؛ قال في الفخر: إذا غضبت عليك بنو تميم # حسبت الناس كلّهم غضابا

و المديح:

أ لستم خير من ركب المطايا # و أندى العالمين بطون راح

و الهجاء:

فغضّ الطّرف إنك من نمير # فلا كعبا بلغت و لا كلابا

و النّسيب:

إنّ العيون التي في طرفها حور # قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال أبو عبد اللّه محمد بن سلاّم: و بيت النّسيب عندي:

فلما التقى الحيّان ألقيت العصا # و مات الهوى لما أصيبت مقاتله

قال كيسان[3]: أما و اللّه لقد أوجعكم (يعني في الهجاء) . فقال: يا أحمق!أ و ذاك يمنعه أن يكون شاعرا!.

تفضيله عبيدة بن هلال على الفرزدق

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة، و أخبرنا أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ قال حدّثني أبان بن عثمان البلخيّ قال: /تنازع في جرير و الفرزدق رجلان[4]في عسكر المهلّب، فارتفعا إليه و سألاه؛ فقال: لا أقول بينهما شيئا و لكنّي أدلّكما على من يهون عليه سخطهما: عبيدة[5]بن هلال اليشكريّ-و كان بإزائه مع قطريّ[6]و بينهما نهر.

و قال عمر بن شبّة: في هؤلاء الخوارج من تهون عليه سبال[7]كلّ واحد منهما-فأمّا أنا فما كنت لأعرّض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين و قد تراضيا بحكم الخوارج؛ فبدر من الصفّ ثم دعا بعبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه.

[1]السكيت (بتشديد الكاف و تخفيفها) : الذي يجيء آخر الخيل في السباق.

[2]المصلى: الذي يجيء بعد الأوّل في السباق.

[3]لم يتقدّم لهذا الاسم ذكر في هذا الخبر.

[4]في ب، س: «من» .

[5]هو عبيدة بن هلال اليشكري أحد زعماء الخوارج و قوّادهم و فصحائهم. (انظر فقرا عليه في «الطبري» ق 2 ص 391، 515، 585، 586، 762 طبع أوروبا) .

[6]هو قطري بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج و متقدميها، و كان شاعرا.

[7]كذا في أ، حـ. و السبال: جمع سبلة و هي طرف الشارب و مقدّم اللحية. يريد أن في هؤلاء الخوارج من لا يباليهما. و في ب، س: «يهون عليه أن يسأل كل واحد إلخ» . و في م، ء: «يهون عليه يسأل إلخ» .

فقال: إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه؛ فقال: و ما هو؟عليكما لعنة اللّه. قال: فأيّ الرجلين عندك أشعر: أ جرير أم الفرزدق؟فقال: لعنكما اللّه و لعن جريرا و الفرزدق!أ مثلى يسأل عن هذين الكلبين!قالا: لا بدّ من حكمك. قال: فإنّي سائلكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سل. قال: ما تقولون في إمامكم إذا فجر؟قالوا: نطيعه و إن عصى اللّه عزّ و جلّ. قال: قبحكم اللّه!فما تقولون في كتاب اللّه و أحكامه؟قالوا: ننبذه وراء ظهورنا و نعطّل أحكامه. /قال: لعنكم اللّه إذا!فما تقولون في اليتيم؟قالوا: نأكل ماله و ننيك أمّه. قال: أخزاكم اللّه إذا!و اللّه لقد زدتموني فيكم[1]بصيرة. ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له: إن الوفاء يلزمك، و قد سألتنا فأخبرناك و لم تخبرنا؛ فرجع فقال: من الذي يقول: /

إنّا لنذعر يا قفير[2]عدوّنا # بالخيل لاحقة[3]الاباطيل قودا

و تحوط حوزتنا و تحمي سرحنا # جرد ترى لمغارها[4]أخدودا

أجرى قلائدها و قدّد لحمها # ألاّ يذقن مع الشّكائم عودا

و طوى القياد مع الطّراد متونها # طيّ التّجار بحضرموت برودا

قالا: جرير، قال: فهو ذاك، فانصرفا.

حديث الأصمعيّ و غيره عنه

:

أخبرني عمّ أبي عبد العزيز بن أحمد قال حدّثنا الرّياشيّ قال قال الأصمعيّ و ذكر جريرا فقال[5]: كان ينهشه ثلاثة أو ربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره و يرمي بهم واحدا واحدا، و منهم من كان ينفحه[6]فيرمي به، و ثبت له الفرزدق و الأخطل. و قال جرير: و اللّه ما يهجوني الأخطل وحده و إنه ليهجوني معه خمسون شاعرا كلّهم عزيز[7]ليس بدون الأخطل، و ذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتا و هذا بيتا، و ينتحل هو القصيدة بعد أن يتمّموها.

قال ابن سلاّم: و حدّثني أبو البيداء الرّياحيّ قال قال الفرزدق: إنّي و إيّاه لنغترف من بحر واحد و تضطرب دلاؤه عند طول النهر.

/أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني زيرك بن هبيرة المنانيّ قال: كان جرير ميدان الشعر، من لم يجر فيه لم يرو شيئا، و

كان من هاجى جريرا فغلبه جرير أرجح عندهم ممّن هاجى شاعرا آخر غير جرير فغلب.

[1]العل الصواب: «... بكم بصيرة» .

[2]كذا في «ديوانه» المخطوط بقلم المرحوم الأستاذ الشنقيطي (المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 1 أدب ش) و «شرح القاموس» (مادة قفر) . و هي أم الفرزدق الشاعر. و في الأصول: «فقير» بتقديم الفاء على القاف، و هو تصحيف.

[3]الأياطل: جمع أيطل و هي الخاصرة. و لاحقة: ضامرة. و القود: جمع أقود و قوداء. و الأقود من الخيل: الطويل العنق العظيمة.

[4]المغار: الإغارة. و الأخدود. الشبق، يريد أثر حوافرها في الأرض.

[5]كذا في الأصول، و الكلام مستغن عنها.

[6]كذا في حـ، يقال: نفحه (بالحاء المهملة) بالسيف أي ضربه به ضربة خفيفة. و في سائر الأصول: «ينفخه» بالخاء المعجمة.

[7]في ب، س: «عربيّ» .

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: تذاكروا جريرا و الفرزدق في حلقة يونس[1]بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء و خلف الأحمر و مسمع و عامر ابنا عبد الملك المسمعيّان، فسمعت عامرا و هو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير و اللّه أنسبهما و أسبّهما و أشبههما.

سمع الراعي شعره فأقرّ بأنه جدير بالسبق

:

قال ابن سلاّم: و حدّثني أبو البيداء قال: مرّ راكب بالراعي و هو يغنّي بيتين لجرير، و هما: و عاو عوى من غير شيء رميته # بقارعة أنفاذها تقطر الدّما

خروج بأفواه الرّواة كأنّها # قرا هندوانيّ[2]إذا هزّ صمّما

فأتبعه الراعي رسولا يسأله لمن البيتان؟قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجنّ و الإنس ما أغنوا فيه شيئا. ثم قال لمن حضر: ويحكم أ ألام على أن يغلبني مثل هذا!.

رأي بشار فيه و في صاحبيه و رثاؤه ابنه

:

قال ابن سلاّم: و سألت بشّارا المرعّث: أيّ الثلاثة أشعر؟فقال: لم يكن الأخطل مثلهما و لكنّ ربيعة تعصّبت له و أفرطت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق، و لقد ماتت النّوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلت لبشّار: و أيّ شيء لجرير من المراثي إلاّ التي رثى بها امرأته!فأنشدني لجرير يرثي ابنه سوادة و مات بالشأم: قالوا نصيبك من أجر لهم # كيف العزاء و قد فارقت أشبالي

/فارقتني حين كفّ الدهر من بصري # و حين صرت كعظم الرّمة البالي

أمسى سوادة يجلو مقلتي لحم[3] # باز يصرصر فوق المربأ العالي

قد كنت أعرفه منّي إذا غلقت # رهن الجياد و مدّ الغاية الغالي[4]

إنّ الثّويّ[5]بذي الزّيتون فاحتسبي # قد أسرع اليوم[6]في عقلي و في حالي

إلاّ تكنّ لك بالدّيرين معولة # فربّ باكية بالرّمل معوال

[1]وردت هذه العبارة هكذا في جميع الأصول. و لعل الصواب فيها: في حلقة يونس بن حبيب و فيها أبو عمرو بن العلاء... إلخ» لأن الذي كانت له حلقة بالبصرة هو يونس بن حبيب و كان يقصده طلبة العربية و فصحاء

الأعراب و البادية. و كان من معاصري أبي عمرو بن العلاء و خلف الأحمر و المسمعيين المذكورين هنا، و هم الذين تكررت رواية محمد بن سلام عنهم في «طبقاته» ، و كانوا يتزاورون و يتذاكرون في المسائل العربية و غيرها و لهم مجالس معروفة في ذلك. (راجع «الأمالي» لأبي علي القالي ج 1 ص 48 طبعة دار الكتب المصرية و «طبقات ابن سلام» طبعة أوروبا و «نزهة الألبا في طبقات الأدبا» لابن الأنباري) .

[2]الهندواني (بكسر الهاء و تضم) : المنسوب للهند، و هي نسبة شاذة.

[3]اللحم: البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيه. و صرصر: صوّت و صاح أشد الصياح. و المربأ: المرقب.

[4]الغالي: الرامي بالسهام.

[5]الثويّ المقيم.

[6]كذا في أكثر الأصول و «تجريد الأغاني» و «ديوانه» . و في ب، س: «الموت» .

كأمّ بوّ عجول عند معهده # حنّت إلى جلد[1]منه و أوصال

حتى إذا عرفت أن لا حياة به # ردّت هماهم[2]حرّى الجوف مثكال

زادت على وجدها وجدا و إن رجعت[3] # في الصدر منها خطوب ذات بلبال

أخبرني عبد الواحد بن عبيد عن قعنب بن المحرز الباهليّ عن المغيرة بن حجناء و عمارة بن عقيل قالا: /خرج جرير إلى دمشق يؤمّ الوليد، فمرض ابن له يقال له سوادة، و كان به معجبا، فمات بالشأم، فجزع عليه و رثاه جرير فقال: أودى سوادة يجلو مقلتي لحم # باز يصرصر فوق المربأ العالي

حديث الفرزدق عنه

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثني أبو نصر اليشكريّ عن مولى لبني هاشم قال: امترى[4]أهل المجلس في جرير و الفرزدق أيّهما أشعر، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال: يا نوار، أدركت برنيّتك؟قالت: قد فعلت أو كادت. قال: فابعثي بدرهم فاشتري لحما، ففعلت و جعلت تشرّحه و تلقيه على النار و يأكل. ثم قال: هاني برنيّتك، فشرب قدحا ثم ناولني، و شرب آخر ثم ناولني. ثم قال: هات حاجتك يا ابن أخي، فأخبرته؛ قال: أ عن ابن الخطفى تسألني!ثم تنفّس حتى قلت: انشقّت حيازيمه[5]، ثم قال: قاتله اللّه!فما أخشن ناحيته و أشرد قافيته!و اللّه لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها، و الشابّة على أحبابها، و لكنهم هرّوه[6]فوجدوه عند الهراش نابجا و عند الجراء[7]قارحا، و قد قال بيتا لأن أكون قلته أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس: إذا غضبت عليك بنو تميم # حسبت الناس كلّهم غضابا

أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة، قالا: /نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة. فقال الأحوص: ما تشتهي؟قال: شواء و طلاء[8]و غناء.

قال: ذلك لك؛ و مضى به إلى قينة بالمدينة؛ فغنّته:

[1]الجلد محركة لغة في الجلد.

[2]الهماهم: جمع همهمة و هي ترديد الزئير في الصدر من الهمّ.

[3]كذا في «ديوانه» . و في الأصول:

..... فلو رجعت # في الصدر منها خطوبا ذات بلبال

[4]أي تجادلوا.

[5]الحيازيم: جمع حيزوم و هو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر و البطن.

[6]كذا في «شرح شواهد التلخيص» ص 304 طبع بلاق. و في الأصول «هزوه» بالزاي المعجمة.

[7]جاراه مجاراة و جراء: جرى معه و سابقه.

[8]الطلاء: من أسماء الخمر.

صوت

ألا حيّ الديار بسعد[1]إنّي # أحبّ لحبّ فاطمة الدّيارا

إذا ما حلّ أهلك يا سليمى # بدارة صلصل[2]شحطوا مزارا

أراد الظاعنون ليحزنوني # فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

-/غنّاه ابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر-فقال الفرزدق: ما أرقّ أشعاركم يأهل الحجاز و أملحها!قال: أ و ما تدري لمن هذا الشعر؟قال: لا و اللّه. قال: فهو و اللّه لجرير يهجوك به. فقال: ويل ابن المراغة!ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، و أحوجني مع شهواتي إلى رقّة شعره!.

قدم المدينة و تحدث مع الأحوص حتى أخزاه و أقبل على أشعب و أجازه

:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق الموصليّ، و أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه قال [قال][3]إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له، فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، و جاء الأحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفا، ما تريد منه؟قال: أخزيه، و اللّه إن الفرزدق لأشعر منه و أشرف. فأقبل جرير علينا و قال: من الرجل؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. قال: هذا الخبيث بن الطيّب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلت: يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها # و أحسن شيء ما به العين قرّت

/فإنه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أ فيقرّ ذلك بعينك؟-قال: و كان الأحوص يرمى بالأبنة-فانصرف و أرسل إليه بتمر و فاكهة. و أقبلنا نسأل جريرا و هو في مؤخّر البيت و أشعب عند الباب؛ فأقبل أشعب يسأله؛ فقال له جرير: و اللّه إنك لأقبحهم وجها و لكنّي أراك أطولهم حسبا، و قد أبرمتني. فقال: أنا و اللّه أنفعهم لك. فانتبه جرير فقال: كيف؟قال: إني لأملّح شعرك؛ و اندفع يغنّيه قوله:

صوت

يا أخت ناجية السلام عليكم # قبل الفراق و قيل لوم العذّل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم # يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

قال: فأدناه جرير منه حتى ألصق ركبته بركبته و جعله قريبا منه؛ ثم قال: أجل!و اللّه إنك لأنفعهم لي و أحسنهم تزيينا[4]لشعري، أعد؛ فأعاده عليه و جرير يبكي حتى اخضلّت لحيته، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه و كساه حلّة من حلل الملوك. و كان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنّيه أشعب و يعطيه جرير شعره فيغنّي فيه قال: [1]سعد: ذكر البكري في «معجم ما استعجم» أنه موضع بنجد، و استشهد بهذا البيت.

[2]دارة صلصل: لعمرو بن كلاب و هي بأعلى دارها بنجد، كذا ذكر ياقوت في «معجمه» .

[3]الزيادة عن حـ.

[4]في الأصول: «ترتيبا لشعري» و هو تصحيف.

و كان أشعب من أحسن الناس صوتا. قال حماد: و الغناء الذي غنّاه فيه أشعب لابن سريج.

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال و ذكر المغيرة بن حجناء مسعود بن خالد بن مالك بن ربعيّ بن سلمى بن جندل قال حدّثني مسحل بن كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطفى، /و أمّه الرّبداء بنت جرير-و هذا الخبر و إن كان فيه طول محتو على سائر أخبار من ناقض جريرا أو اعتنّ[2]بينه و بين الفرزدق و غيره فذكرته هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ و اختصار-: أنّ جريرا قدم على الحكم بن أيوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل، و هو خليفة للحجّاج يومئذ، فمدحه جرير فقال: أقبلت[3]من ثهلان أو جنبي خيم # على قلاص مثل خيطان[4]السّلم

/ثهلان: جبل كان لباهلة ثم غلبت عليه نمير. وخيم: جبل يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى و بين مطلع الشمس، به ماء و نخل-

قد طويت بطونها طيّ الأدم # يبحثن بحثا كمضلاّت الخدم[5]

إذا قطعن علما بدا علم # حتى تناهين[6]إلى باب الحكم

خليفة الحجّاج غير المتّهم # في معقد[7]العزّ و بؤبؤ الكرم

بعد انفضاج[8]البدن و اللحم زيم فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه و شعره؛ فكتب إلى الحجّاج: إنه قدم عليّ أعرابيّ شيطان من الشياطين. فكتب إليه أن أبعث به إليّ، ففعل. فقدم/عليه فأكرمه الحجّاج و كساه جبّة صبريّة[9]و أنزله فمكث أياما. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أجب الأمير؛ فقال: ألبس ثيابي؛ فقالوا: لا!و اللّه لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها؛ ففزع جرير و عليه قميص غليظ و ملاءة صفراء. فلما رأى ما به رجل من الرّسل دنا منه و قال: لا بأس عليك، إنما دعاك للحديث. قال جرير: فلما دخلت عليه قال: إيه يا عدوّ اللّه!علام تشتم الناس و تظلمهم؟فقلت: جعلني اللّه فداء الأمير، و اللّه إني ما أظلمهم و لكنّهم يظلمونني فأنتصر. ما لي و لابن أمّ غسّان!و ما لي و للبعيث!و ما لي [1]هكذا بالأصول.

[2]اعتن بينه و بينه: اعترض.

[3]في «ديوانه» : «أقبلن» و قد وردت هذه الأرجوزة في «ديوانه» باختلاف عما هنا فانظرها في ص 188 من نسخة الشنقيطي.

[4]الخيطان: جمع خوط و هو الغصن.

[5]الخدم: جمع خدمة و هي الخلخال. يريد أنهنّ يبحثن بمناسمهنّ الأرض كما تبحث النساء المعضلات خلاخلهنّ عنها في التراب.

[6]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «تناهينا» .

[7]كذا في س. و المعقد: موضع العقد. و في حديث الدعاء: «أسألك بمعاقد العز من عرشك» . و في سائر الأصول: «في مقعد العز» .

و في «ديوانه» : «في ضئضئ المجد» .

[8]كذا في «ديوانه» . و الانفضاج: السمن و الضخم. و في الأصول: «انفضاخ» بالخاء المعجمة و هو تصحيف. و البدن: النوق. و الزيم: المتفرق على رءوس الأعضاء.

[9]صبرية: نسبة إلى صبر (بفتح فكسر) و هو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز (بفتح أوّله و كسر ثانيه و تشديد الزاي المعجمة) ، فيه عدّة حصون و قرى باليمن. ـ

و للفرزدق!و ما لي و للأخطل!و ما لي و للتّيميّ!حتى عدّدهم واحدا واحدا. فقال الحجاج: ما أدري مالك و لهم! قال: أخبر الأمير أعزّه اللّه: أمّا غسّان بن ذهيل فإنه رجل من قومي هجاني و هجا عشيرتي و كان شاعرا. قال: فقال لك ما ذا؟قال قال لي: لعمري لئن كانت بجيلة زانها # جرير[1]لقد أخزي كليبا جريرها

رميت نضالا عن كليب فقصّرت # مراميك حتى عاد صفرا جفيرها[2]

و لا يذبحون الشاة إلا بميسر[3] # طويل تناجيها صغار قدورها

قال: فما قلت له؟قال قلت:

ألا ليت شعري عن سليط[4]أ لم تجد # سليط سوى غسّان جارا يجيرها

فقد ضمّنوا الأحساب صاحب سوأة # يناجي بها نفسا خبيثا ضميرها

/كأنّ سليطا في جواشنها الخصى # إذا حلّ بين الأملحين وقيرها[5]

أضجّوا الرّوايا بالمزاد فإنّكم # ستكفون ركض الخيل تدمى نحورها[6]

كأنّ السّليطيّات مجناة كمأة # لأوّل جان بالعصا يستشيرها[7]

عضاريط يشوون الفراسن بالضّحى # إذا ما السّرايا حثّ ركضا مغيرها[8]

فما في سليط فارس ذو حفيظة # و معقلها يوم الهياج جعورها[9]

عجبت من الدّاعي جحيشا و صائدا # و عيساء يسعى بالعلاب نفيرها[10]

[1]يريد جرير بن عبد اللّه البجلي، كان من أفاضل أهل الكوفة، قيل: إنه أسلم في السنة التي قبض فيها النبي صلّى اللّه عليه و سلّم و مات في سنة 51 هجرية، و هو الذي هدم الصنم المسمى بذي الخلصة.

[2]الجفير: جعبة السهام.

[3]الميسر: اللعب بالقداح.

[4]سليط: قبيلة غسان بن ذهيل.

[5]الجواشن: الصدور. و في جواشنها الخصي أي هي عظام الصدور. يريد أن أبدانهم معضلة كخلق العبيد قد اكتنزت من العمل فتعضلت ليست سبطة كسبوطة الأحرار. و الأملحان: ماءان، و يقال: هما جبلان لبني سليط. و الوقير: الغنم فيها حماران أو أحمرة، و لا تسمى الغنم وقيرا إلاّ بحمرها. «النقائض بين جرير و الفرزدق» ص 11 طبع أوروبا) .

[6]كذا في «النقائض» . و في الأصول: «أضحوا» بالحاء المهملة و هو تصحيف. و أضجوا الروايا أي ألحوا عليها بالاستقاء حتى تضج و ترغو. و الروايا: الإبل يستقي عليها: و المزاد: جمع مزادة و هي القربة. يقول: اخدموا أنتم و استقوا فإن الحرب يكفيكموها غيركم.

[7]رواية «النقائض» : «كأن السليطيين أنقاض كمأة» . و الأنقاض: جمع نقض و هو هنا ما خرج من رأس الكمأة إذا انشقت عنها الأرض.

يصفهم بالذل و أنهم لا يمتنعون كما لا يمتنع هذه الكمأة إذا استثيرت بالعصا.

[8]العضاريط: الأتباع، و الواحد عضروط. و الفراسن: أخفاف الإبل واحدها فرسن. يقول: ذلك حظهم من الجزور، و هو شر ما فيه.

و يريد بقوله: «إذا ما السرايا حث ركضا مغيرها» أنه إذا ركب الناس لغارة أو فزع لم يركبوا معهم لأنهم ليسوا بأصحاب حرب و لا خيل.

[9]الجعر: ما يبس من العذرة في الدبر. يقول: إذا تهايج الناس أحدثوا هم من الفزع و الجبن.

[10]هذه رواية «النقائض» . و في الأصول: «و عيساء يدعى بالفلاة نصيرها» . و جحيش هو جحيش بن زياد أحد بني زبيد بن سليط.

قال: ثم منّ؟قال: البعيث. قال: مالك و له؟قال: اعترض دونه ابن أمّ غسّان يفضّله عليّ و يعينه. قال: فما قال لك؟قال قال لي: /

كليب لئام الناس قد تعلمونه # و أنت إذا عدّت كليب لئيمها

أ ترجو كليب أن يجيء حديثها # بخير و قد أعيا كليبا قديمها

/قال: فما قلت له؟قال قلت:

أ لم تر أنّي قد رميت ابن فرتنى # بصمّاء لا يرجو الحياة أميمها[1]

له أمّ سوء بئس ما قدّمت له # إذا فرط[2]الأحساب عدّ قديمها

قال: ثم من؟قلت: الفرزدق. قال: و ما لك و له؟قلت: أعان البعيث عليّ.

قال: فما قلت له؟قال قلت:

تمنّى رجال من تميم لي الرّدى # و ما ذاد عن أحسابهم ذائد مثلي

كأنّهم لا يعلمون مواطني # و قد جرّبوا أنّي أنا السابق المبلى[3]

فلو شاء قومي كان حلمي فيهم # و كان على جهّال أعدائهم جهلي

و قد زعموا أنّ الفرزدق حيّة # و ما قتل الحيّات من أحد قبلي

قال: ثم من؟قلت: الأخطل. قال: مالك و له؟قلت: رشاه محمد بن عمير ابن عطارد زقّا من خمر و كساه حلّة على أن يفضّل عليّ الفرزدق و يهجوني. قال: فما قال لك؟قال قال: إخسأ إليك كليب إنّ مجاشعا # و أبا الفوارس نهشلا أخوان

و إذا وردت الماء كان لدارم # جمّاته و سهولة الأعطان[4]

و إذا قذفت أباك في ميزانهم # رجحوا و شال أبوك في الميزان

قال: فما قلت له؟قال قلت:

يا ذا العباءة[5]إنّ بشرا قد قضى # ألاّ تجوز حكومة النّشوان[6]

/فدعوا الحكومة لستم من أهلها # إنّ لحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكم بلقحة جارهم # يا خزر تغلب لستم بهجان[7]

() و صائد: سليطي. و عيساء: جدّة غسان بن ذهيل. و العلاب: جمع علبة و هي التي يحلب فيها، و هي تعمل من جلود الإبل.

و نفيرها: قومها.

[1]الفرتنى: الزانية. و الأميم: المشجوج الرأس.

[2]فرط الأحساب: ما مضى و سبق منها: يعني أوائلها.

[3]في ب، س: «المجلى» بالجيم.

[4]الجمة: مجتمع الماء و معظمه. و الأعطان: جمع عطن و هو مناخ الإبل حول وردها. و في «ديوانه» : «صفواته» بدل «جماته» .

[5]كذا في جـ و «النقائض» . و العباءة: الكساء. يعيره لبسها. و في سائر الأصول: «يا ذا الغباوة» .

[6]كذا في «النقائض» . و في الأصول: «النسوان» . بالسين المهملة و هو تصحيف. و بشر هو بشر بن مروان بن الحكم.

[7]اللقحة: الناقة الحلوب. و الخزر: جمع أخزر، و الخزر: حول إحدى العينين. و الهجان: البيض الكرام. يشير إلى حادثة كليب بن

قال: ثم من؟قلت: عمر بن لجأ التّيميّ. قال: مالك و له؟قال: قلت بيتا من شعر فقبّحه و قاله على غير ما قلته؟قلت: لقومي أحمى للحقيقة منكم # و أضرب للجبّار و النّقع ساطع

و أوثق عند المرهفات عشيّة # لحاقا إذا ما جرّد السيف لامع[1]

فزعم أنّي قلت:

و أوثق عند المردفات عشيّة # لحاقا إذا ما جرّد السيف لامع

فقال: لحقتهنّ عند العشيّ و قد أخذن غدوة، و اللّه ما يمسين حتى يفضحن.

قال: فما قلت له؟قال قلت:

يا تيم تيم عديّ لا أبا لكم # لا يوقعنّكم في سوأة عمر

خلّ الطريق لمن يبني المنار به # و ابرز ببرزة[2]حيث اضطرّك القدر

حتى أتى على الشعر. قال: ثم من؟قلت: سراقة بن مرداس البارقيّ. قال: مالك و له؟قال قلت: لا شيء، حمله بشر بن مروان و أكرهه على هجائي، ثم بعث إليّ رسولا و أمرني أن أجيبه. قال: فما/قال لك؟قال قال: إنّ الفرزدق برّزت أعراقه # عفوا و غودر في الغبار جرير

ما كنت أوّل محمر[3]قعدت به # مسعاته إنّ اللئيم[4]عثور

هذا قضاء البارقيّ و إنه # بالميل في ميزانكم لبصير

/قال: فما قلت له؟قال قلت:

يا بشر حقّ لوجهك التبشير # هلاّ غضبت لنا و أنت أمير

بشر أبو مروان إن عاسرته # عسر و عند يساره ميسور

إنّ الكريمة ينصر الكرم ابنها # و ابن اللئيمة للّئام نصور

قد كان حقّك أن تقول لبارق # يا آل بارق فيم سبّ جرير

و كسحت باستك للفخار و بارق # شيخان أعمى مقعد و كسير

قال: ثم من؟قلت: البلتع و هو المستنير[5]بن سبرة العنبريّ. قال: مالك و له؟قلت: أعان عليّ ابن لجأ.

قال: فما قال لك؟قلت قال:

() ربيعة و مقتله.

[1]اللامع: المشير بالسيف منذرا.

[2]برزة: اسم أم عمر بن لجأ.

[3]المحمر: اللئيم.

[4]كذا في حـ و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و في سائر الأصول: «اللئام» و هو تحريف.

[5]قد ورد في هذا الاسم اختلاف (انظر «النقائض» و «ديوانه» المخطوط ص 184) .

إنّ التي ربّتك[1]لما طلّقت # قعدت على جحش المراغة[2]تمرغ

أ تعيب من رضيت قريش صهره # و أبوك عبد بالخورنق أذلغ[3]

قال: فما قلت له؟قال قلت:

فما مستنير الخبث إلا فراشة # هوت بين مؤتجّ[4]الحريقين ساطع

نهيت بنات المستنير[5]عن الرّقى # و عن مشيهنّ الليل بين المزارع

و يروى ... بين مؤتجّ من النار ساطع /قال: ثم من؟قلت: راعي الإبل. قال: مالك و له؟قلت: قدمت البصرة و كان بلغني أنه قال لي: يا صاحبيّ دنا الرّواح فسيرا # غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

و قال أيضا:

رأيت الجحش جحش بني كليب # تيمّم حوض دجلة ثم هابا

فقلت: يا أبا جندل، إنك شيخ مضر و شاعرها، و قد بلغني أنك تفضّل عليّ الفرزدق، و أنت يسمع قولك، و هو ابن عمّي دونك؛ فإن كان لا بدّ من تفضيل فأنا أحقّ به لمدحي قومك و ذكري إيّاهم. قال: و ابنه جندل على فرس له، فأقبل يسير بفرسه حتى ضرب عجز دابّتي و أنا قائم فكاد يقطع أصبع رجلي و قال: لا أراك واقفا على هذا الكلب من بني كليب؛ فمضى، و ناديته: [6]أنا ابن يربوع!إنّ أهلك بعثوك مائرا من هبّود[7]و بئس المائر، و إنما بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد فلا يسبّهم أحد إلاّ سببته، و إنّ عليّ نذرا إن جعلت في عيني غمضا حتى أخزيك. قال: فما أصبحت حتى هجوته فقلت:

فغضّ الطّرف إنك من نمير # فلا كعبا بلغت و لا كلابا

قال فغدوت عليه من الغد فأخذت بعنانه، فما فارقته حتى أنشدته إيّاها. فلما مررت على قولي: /

أ جندل ما تقول بنو نمير # إذا ما الأير في است أبيك غابا

[1]في ب، س: «زينت» و هو تحريف.

[2]المراغة في الأصل: الأتان التي لا تمتنع عن الفحول، و به لقب الأخطل أم جرير.

[3]في الأصول: «أولغ» بالواو و هو تحريف. و الأذلغ: الغليظ الشفتين، و هو أيضا الأقلف.

[4]كذا في ب و ديوانه، و اللجاج النار: التهابها. يريد أنه في تعرضه لي دون عمر بن لجأ كالفراشة نظرت إلى نار فألقت نفسها فيها.

و في سائر الأصول: «مرتج» و هو تحريف.

[5]قال في «شرح ديوانه» : «كانت تميمة بنت المستنير بن سبرة و هو البلتع العنبري جارية شابة جميلة و كانت تزعم أنها ترقى، فطبن لها فتى فأتاها يسترقيها، فلما خلا معها قال: ليس بي حاجة إلى الرقية و لكن قد قتلني حبك؛ فأمكنته من نفسها؛ فلم يرعهم إلا و هي في رابعها فهجاه جرير بذلك» .

[6]كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي مصححة بقلمه، و يربوع من أجداده كما تقدّم. و في الأصول: «أ يا ابن يربوع» بالياء المثناة من تحت و هو تصحيف.

[7]هبود: اسم موضع ببلاد بني نمير.

قال: فأرسل يدي و قال: يقولون و اللّه شرّا.

قال: ثم من؟قلت: العباس بن يزيد الكنديّ قال: مالك و له؟قال لمّا قلت: /

إذا غضبت عليك بنو تميم # حسبت الناس كلّهم غضابا

قال:

ألا رغمت أنوف بني تميم # فساة التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبت عليك بنو تميم # فما نكأت بغضبتها ذبابا

لو اطّلع الغراب على تميم # و ما فيها من السّوءات شابا

قال: فتركته خمس سنين لا أهجوه، ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة، فطلبت إليهم أن يكفّوه عنّي؛ فقالوا: ما نكفّه و إنه لشاعر و أوعدوني؛ فقلت: ألا أبلغ بني حجر بن وهب # بأنّ التمر حلو في الشتاء

فعودوا للنّخيل فأبّروها[1] # و عيثوا بالمشقّر فالصّفاء

قال: فمكثت قليلا، ثم بعثوا إليّ راكبا فأخبروني بمثالبه و جواره في طيّ ء حيث جاور عتّابا، و حبّل أخته هضيبة حيث حبلت. قال: فقلت ما ذا؟ قال قلت: إذا جهل الشّقيّ و لم يقدّر # لبعض الأمر أو شك أن يصابا

أ عبدا حلّ في شعبى[2]غريبا # أ لؤما لا أبا لك و اغترابا

فما خفيت هضيبة حين جرّت[3] # و لا إطعام سخلتها الكلابا

تخرّق بالمشاقص[4]حالبيها # و قد بلّت مشيمتها الترابا

فقد حملت ثمانية و أوفت # بتاسعها و تحسبها كعابا

/قال: ثم من؟قلت: جفنة الهزّانيّ بن جعفر بن عباية بن شكس من عنزة. قال: و مالك و له؟قال: أقبل سائلا حتى أتاني و أنا أمدر[5]حوضا لي، فقال: يا جرير، قم إليّ هاهنا؛ قلت نعم. ثم أتيته فقلت: ما حاجتك؟ قال: مدحتك فاستمع منّي. قلت: أنشدني فأنشد؛ فقلت: قد و اللّه أحسنت و أجملت؛ فما حاجتك؟قال: تكسوني الحلّة التي كساكها الوليد بن عبد الملك العام. فقلت: أنّي لم أقف فيها بالموسم، و لا بدّ من أن أقف فيها العام، [1]أبر النخل: أصلحه. و المشقر: حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصفاء قبل مدينة هجر.

[2]شعبي: موضع في جبل طيء. («عن شرح القاموس») .

[3]كذا في «ديوانه» . و قد جاء فيه في شرح هذا البيت أن العباس قتل ولدها فرمى به و قتلها؛ (الرماة بها جرير و عيره ذلك. و في الأصول: فما تخفى هضيبة حيث تمسى

[4]المشقص من النصال: ما طال و عرض و قد جاء هذا البيت في «الديوان» هكذا: يقطع بالمعابل حالبيها # و قد بلت مشيمتها الثيابا

و المعابل: المشاقص.

[5]المدر: تطييننك وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء.

و لكنّي أكسوك حلّة خيرا منها كان كسانيها الوليد عاما أوّل. فقال: ما أقبل غيرها بعينها. فقلت: بلى، فاقبل و أزيدك معها دنانير نفقة. فقال: ما أفعل؛ و مضى فأتى المرّار بن منقذ أحد بني العدويّة، فحمله على ناقة له يقال لها القصواء. فقال جفنة: لعمرك للمرّار يوم لقيته # على الشّحط خير من جرير و أكرم

قال: فما قلت له؟قال قلت:

لقد بعثت هزّان جفنة مائرا # فآب و أحذى[1]قومه شرّ مغنم

فيا راكب القصواء ما أنت قائل # لهزّان إذ أسلمتها شرّ مسلم

أظنّ عجان[2]التّيس هزّان طالبا # علالة[3]سبّاق الأضاميم مرجم

/كأنّ بني هزّان حين رديتهم # وبار[4]تضاغت تحت غار مهدّم

بني عبد عمرو قد فرغت إليكم # و قد طال زجري لو نهاكم تقدّمي

/و رصعاء هزّانيّة قد تحفّشت[5] # على مثل حرباء الفلاة المعمّم

قال: ثم من؟قلت: المرّار بن منقذ. قال: مالك و له؟قلت: أعان عليّ الفرزدق. قال: فما قلت له؟قال قلت: بني منقذ لا صلح حتى تضمّكم # من الحرب صمّاء القناة زبون[6]

و حتى تذوقوا كأس من كان قبلكم # و يسلح[7]منكم في الحبال قرين

فإن كنتم كلبى[8]فعندي شفاؤكم # و للجنّ إن كان اعتراك جنون

قال: ثم من؟قلت: حكيم بن معيّة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. قال: و مالك و له؟قلت: بلغني أنه أعان عليّ غسّان السّليطيّ. قال: فما قلت له؟قال قلت:

[1]كذا في أ، ء، م و «ديوانه» . و أحذاه: أعطاه مما أصاب. و في سائر الأصول: «أجدى» بالجيم.

[2]كذا في «ديوانه» . و العجان: الدبر. و في الأصول: «نحاف التيس» و لا معنى لها.

[3]العلالة: الجري بعد الجري. و الأضاميم: الجماعات، واحده إضمامة. و المرجم: الشديد.

[4]الوبار: مفرده وبر، و هي دويبة على قدر السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت. و تضاغت: صوّتت.

[5]هذا البيت ساقط في الأصول عدا ب، س. و رواية «الديوان» :

و رصعاء هزانية يخلق ابنها # لئيما إذا ما ماص في اللحم و الدم

غليظة جلد الكاذتين تحفشت # على مثل حرباء الفلاة المعمم

الرصعاء: الزلاء التي لا عجيزة لها. و ماص: اغتسل. و الكاذتان: ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذين. و تحفشت المرأة على زوجها: أقامت عليه و لزمته و أكبت عليه.

[6]حرب زبون: يدفع بعضها بعضا من الكثرة.

[7]في جـ: «و يصبح» .

[8]الكلبي: الذين أصابهم مرض الكلب، جمع كلب (بفتح فكسر) .

إذا طلع الرّكبان نجدا و غوّروا # بها فارجزا[1]يا بني معيّة أو دعا

أ تسمن أستاه المجرّ[2]و قد رأوا # مجرّا بوعساوي[3]رماح مصرعا

ألا إنّما كانت غضوب[4]محاميا # غداة اللّوى لم تدفع الضّيم مدفعا

/قال: ثم من؟قلت[ثور بن][5]الأشهب بن رميلة النّهشليّ. قال: و مالك و له؟قلت: أعان عليّ الفرزدق.

قال: فما قلت له؟قال قلت:

سيخزى إذا ضنّت[6]حلائب مالك # ثوير[7]و يخزى عاصم و جميع[8]

و قبلك ما أعيا الرّماة إذا رموا # صفا ليس في قاراتهنّ[9]صدوع

قال: ثم من؟قلت: الدّلهمس أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة. قال: مالك و له؟قلت: أعان عليّ الفرزدق. قال: فما قلت له؟قال قلت: لقد نفخت منك الوريدين[10]علجة # خبيثة ريح المنكبين[11]قبوع

و لو أنجبت أمّ الدّلهمس لم يعب[12] # فوارسنا لا عاش[13]و هو جميع

أ ليس ابن حمراء العجان كأنّما # ثلاثة غربان عليه وقوع

فلا تدنيا رحل[14]الدّلهمس إنه # بصير بما يأتي اللئام سميع[15]

هو النّخبة[16]الخوّار ما دون قلبه # حجاب و لا حول الحجاب ضلوع

[1]كذا في «الديوان» ، و هو الصواب؛ لأن حكيم بن معية و المرّار بن حكيم بن معية كانا راجزين و هما اللذان يعنيهما جرير. و في الأصول: «فازجرا» و هو تصحيف.

[2]بنو المجرّ: من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة.

[3]الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل. و في «ديوانه» : «بعبلاي رماح» . و العبلاء: الأرض ذات الحجارة البيض ليست بسود و لا حمر.

و رماح: موضع بالدهناء. و قد ورد في الأصول: «رماح و مصرعا» بزيادة الواو و هو تحريف.

[4]غضوب: امرأة من بني المجرّ كانت شاعرة بذية، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به.

[5]التكملة عن «ديوانه» .

[6]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «إذا ضمت جلابيب مالك» و هو تحريف. و مالك هو مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل.

[7]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «نوير» بالنون و هو تصحيف.

[8]عاصم و جميع: رجلان من بني عامر.

[9]القارة: الصخرة العظيمة. و في «ديوانه» : «عاديهنّ» .

[10]كذا في «ديوانه» و أكثر الأصول. و في ب، س: «لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة» . و هو تحريف.

[11]في «ديوانه» : «المنخرين» . يريد أن يصفها بأنها راعية. و القبوع: التي تقبع السقاء و هو أن تثنى رأس السقاء إلى داخله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه.

[12]كذا في أ، ء، م و «ديوانه» . و في سائر الأصول: «لم تعب» و هو تصحيف.

[13]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «لا مات» .

[14]كذا في أ، ء و «ديوانه» ، و في سائر الأصول: «رجل» بالجيم و هو تصحيف.

[15]يريد أنه محكم في اللؤم.

[16]النخبة: الجبان.

قال: ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت إليهم فلم يقبلوا عذري، و أنشدوني شعرا لم يخبروني من قاله: /

غضبت علينا أن علاك ابن غالب[1] # فهلاّ على جدّيك في ذاك تغضب

هما إذ علا بالمرء مسعاة قومه # أناخا فشدّاك العقال المؤرّب[2]

قال: فعلمت أنه شعر قبضة[3]الكلب. قال: فجمعتهم في شعري فقلت:

[و][4]أكثر ما كانت ربيعة أنها # خباءان[5]شتّى لا أنيس و لا قفر

محالفهم فقر شديد و ذلّة # و بئس الحليفان المذلّة و الفقر

فصبرا على ذلّ ربيع بن مالك # و كلّ ذليل خير عادته الصبر

/قال: ثم من؟قلت: هبيرة بن الضّلت الرّبعيّ من ربيعة بن مالك أيضا، كان يروي شعر الفرزدق. قال: فما قلت له؟قال قلت: يمشي هبيرة بعد مقتل شيخه # مشي المراسل[6] أوذنت بطلاق

ما ذا أردت إليّ حين تحرّقت # ناري و شمّر مئزري عن ساقي

إنّ القراف[7]بمنخريك لبيّن # و سواد وجهك يا ابن أمّ عفاق[8]

/سيروا فربّ مسبّحين و قائل # هذا شقا[9]لبني ربيعة باقي

أ بني ربيعة قد أخسّ بحظّكم # لؤم الجدود و دقّة[10]الأخلاق

قال: ثم من؟قلت: علقة[11]و السّرندى من بني الرّباب كانا يعينان ابن لجأ. قال: فما قلت لهما؟قال قلت: [1]ابن غالب: الفرزدق.

[2]المؤرب: المحكم.

[3]في أ، ء، م: «قضية الكلب» بالياء المثناة من تحت.

[4]التكملة عن «ديوانه» (ص 62) . و هذه الأبيات من قصيدة مطلعها: طربت و هاج الشوق منزلة قفر # تراوحها عصر خلا دونه عصر

[5]كذا في حـ و «ديوانه» . و في سائر الأصول: «حيان» و هو تحريف.

[6]المراسل: التي أحسنت من زوجها أنه يريد تطليقها فهي تزين لآخر، و هي أيضا التي مات عنها زوجها. يقول: هو لا يطلب بثأره و إنما همته التصنع كالمطلقة التي تخطب فهي تتهيأ و تتزين. فلو كان حرّا لأنصبه طلب ثأره. أو المراسل: التي طلقت مرات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه. يقول:

فهبيرة قد اعتاد أن يقتل له قتيل و لا يطلب بثأره فأصبح لا يبالي ذلك، مثل المراسل التي اعتادت الطلاق فلا تباليه.

[7]يريد قرفة أنفه أي قشرته و هي المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف، و منه الحديث: «ما على أحدكم إذا أتى المسجد أن يخرج قرفة أنفه» أي ينقى أنقه.

[8]عفاق: اسم رجل، و لعله أخو هبيرة بن الصلت هذا.

[9]كذا في «ديوانه» . و الشقا يمد و يقصر. و في الأصول: «شفا» بالفاء و هو تصحيف.

[10]الدقة: الخسة. و رواية «الديوان» :

«.... إنما أزرى بكم # نكد الجدود.... »

[11]كذا في «ديوانه» و نسخة الأستاذ الشنقيطي. و في الأصول: «علفة» . بالفاء و هو تصحيف.

عضّ السّرندي على تثليم ناجذه # من أمّ علقة بظرا غمّه[1]الشّعر

و عضّ علقة لا يألو بعرعرة[2] # من بظر أم السّرندى و هو منتصر

قال: ثم من؟قلت: الطّهويّ، كان يروي شعر الفرزدق. قال: ما قلت له؟قال قلت: أ تنسون وهبا يا بني زبد استها # و قد كنتم جيران وهب بن أبجرا[3]

فما تتّقون الشرّ حتّى يصيبكم # و لا تعرفون الأمر إلا تدبّرا

ألا ربّ أعشى ظالم متخمّط[4] # جعلت لعينيه جلاء[5]فأبصرا

قال: ثم من؟قلت: عقبة بن السّنيع[6]الطّهويّ و كان نذر دمي. قال: فما قلت له: قال قلت: يا عقب يا ابن سنيع ليس عندكم # مأوى الرّفاق و لا ذو الراية الغادي[7]

/يا عقب يا ابن سنيع بعض قولكم # إن الوثاب لكم عندي بمرصاد

ما ظنّكم بيني ميثاء إن فزعوا # ليلا و شدّ عليهم حيّة الوادي

يغدو عليّ أبو ليلى ليقتلني # جهلا عليّ و لم يثأر بشدّاد[8]!

ارووا[9]عليّ و أرضوا بي صديقكم # و استسمعوا يا بني ميثاء إنشادي

ميثاء هي بنت زهير بن شدّاد الطّهويّ و هي أم عوف بن أبي سود بن مالك ابن حنظلة.

و قال أيضا لبني ميثاء:

نبّئت عقبة خصّافا[10]توعّدني # يا ربّ آدر من ميثاء مأفون

لو في طهيّة أحلام لما اعترضوا # دون الذي كنت أرميه و يرميني

قال: ثم من؟قلت: سحمة[11]الأعور النّبهانيّ، كانت له امرأة من طيّىء ولدت في بني سليط فأعطوه و حملوه عليّ. فسألني فاشتطّ، و لم يكن عندي فحرمته، فقال: [1]غمه: غطاه. و في ب، س: «عمه» بالعين المهملة.

[2]العرعرة: رأس كل شيء و أعلاه.

[3]هو وهب بن أبجر بن جابر العجلي، و كان خرج مع يزيد بن المهلب، فلما هزم آل المهلب لحق بأخواله بني طهية، فبعث مسلمة بن عبد الملك قميرا المازني فأخذ وهبا فقتله. و في «ديوانه» : «أ تنعون وهبا... » .

[4]المتخمط: المتكبر الشديد الغضب و الجلبة.

[5]الجلاء: الكحل.

[6]كذا في «ديوانه» و «شرح القاموس» مادة «سنع» . و في الأصول: «السميع» و هو تحريف.

[7]كذا في أكثر الأصول و «ديوانه» . و في ب، س: «العادي» بالعين المهملة.

[8]هو شدّاد الميثاوي، كان يتحدّث إلى امرأة من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة، فألقاه أهلها في بئر.

[9]كذا في «ديوانه» . و في ب، س: «ردوا» و في أ، ء: «أردوا» . و في جـ: «أرزوا» و هو تحريف. و لعله يريد: اروا شعر الفرزدق في هجائي و أرضوه بذلك.

[10]الخصاف: الكذاب. و الآدر: الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه.

[11]كذا في «اللسان» و «شرح القاموس» (مادة «قرن») و هو أحد الأقوال في اسم الأعور النبهاني. قال ابن الكلبي: اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة، و قال أبو عبيدة في «النقائض» : يقال له العناب و اسمه سحيم بن شريك. ـ

أقول لأصحابي النّجاء فإنه # كفى الذّم أن يأتي الضيوف جرير[1]

جرير ابن ذات البظر هل أنت زائل # لقدرك[2]دون النازلين ستور

/و هل يكرم الأضياف كلب لكلبة[3] # لها عند أطناب البيوت هرير

فلو عند غسّان السّليطيّ عرّست[4] # رغا[5]قرن منها و كاس عقير

/فتى هو خير منك نفسا و والدا # عليك إذا كان الجوار يجير

فقال[6]جرير:

وجدنا بني نبهان أذناب طيّ ء # و للناس أذناب ترى و صدور

تغنّى[7]ابن نبهانيّة طال بظرها # و باع ابنها عند الهياج قصير

و أعور من نبهان أمّا نهاره # فأعمى و أمّا ليلة فبصير[8]

ستأتي بني نبهان منّي قصائد # تطلع[9]من سلمى[10]و هنّ وعور

ترى قزم المعزى مهور نسائهم # و في قزم المعزى لهنّ مهور[11]

قال: و طلع الصبح فنهض و نهضت. قال: فأخبرني من كان قاعدا معه أنه قال: قاتله اللّه أعرابيّا!إنه لجرو هراش.

قصته مع الراعي و ابنه جندل

:

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال و ذكر المغيرة بن حجناء قال حدّثني أبي عن أبيه قال: كان راعي[12]الإبل يقضي للفرزدق على جرير و يفضّله، و كان راعي الإبل قد ضخم أمره و كان من شعراء [1]قد وردت هذه القصيدة هكذا في الأصول. و الرويّ فيها مرفوع؛ على أنه يلاحظ أن البيت الأوّل و الثاني منها يجب فيها نصب الروي؛ فأما البيت الأوّل فذلك فيه ظاهر. و أما الثاني فإن زال يتعدّى، يقال: زال الشيء يزوله و يزيله أي نحاه. يريد هل أنت كاشف ستور قدرك لمن ينزل و يفد عليك؟

[2]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «لقد زل» و هو تحريف.

[3]روايته في «النقائض» : «و أنت كليبي لكلب و كلبة» . شبهه في قلة خيره بالكلب.

[4]الضمير في عرست يفهم من البيت السابق لهذا البيت، و هو كما في «اللسان» و «النقائض» : أقول لها أمى سليطا بأرضها # فبئس مناخ

النازلين جرير

[5]كذا في «اللسان» و «شرح القاموس» (مادة «قرن») و «النقائض» . و القرن: البعير المقرون بآخر. و كأس عقير، يريد أنه عقر له بعير فقام على ثلاث. يقول: لو نزلت بغسان لأعطاني جملا يرغو و عقر لي آخر. و قد ورد هذا الشطر في ب، س «لعاقرن منها و هي كأس عقير» . و في سائر الأصول: «لها قرن منها و كأس عقير» و هما تحريف.

[6]المناسب لسياق القصة «فقلت» .

[7]كذا في «النقائض» . و في الأصول: «تعني» بالعين المهملة.

[8]هذا البيت ورد في جـ و سقط من سائر النسخ. يريد أنه أعمى النهار عن الخيرات بصير الليل بالسوءات يسرق و يزني.

[9]كذا في «النقائض» . و في الأصول: «تطلع» .

[10]سلمى: اسم جبل لطيئ، و هو لبني نبهان خاصة. و وعور: خشنة غلاظ، يعني القصائد.

[11]القزم: الصغار العليلة واحدتها قزمة. و روى «ترى شرط المعزى» ، و شرط المال: أخسه و شراره: يقول: ليس تبلغ أقدارهم أن تمهر نساؤهم الإبل إنما يمهرن خسيس المعزى.

[12]هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، و يكنى أبا جندل، و الراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل و جودة نعته إياها، و هو شاعر

الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هلاّ تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ و هو يهجو قومه و أنا أمدحهم!قال جرير: فضربت[1]رأيي فيه. ثم خرج جرير ذات يوم يمشي و لم يركب دابّته، و قال: و اللّه ما يسرّني أن يعلم[2]أحد. و كان لراعي الإبل و الفرزدق و جلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجت أتعرّض له لألقاه من حيال حيث كنت أراه يمرّ إذا انصرف من مجلسه، و ما يسرّني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مرّ على بغلة له و ابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى[3]محذوف الذّنب و إنسان يمشي معه يسأله عن بعض السّبب، فلما استقبلته قلت: مرحبا بك يا أبا جندل!و ضربت بشمالي على معرفة بغلته، ثم قلت: يا أبا جندل!إن قولك يستمع و إنك تفضّل الفرزدق عليّ تفضيلا قبيحا و أنا أمدح قومك و هو يهجوهم و هو ابن عمي، و يكفيك من ذاك هيّن[4]: إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم، و لا تحتمل مني و لا منه لائمة. قال: فبينا أنا و هو كذاك واقفا عليّ. و ما ردّ عليّ بذلك شيئا حتى/لحق ابنه جندل، فرفع كرمانيّة[5]معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال: لا أراك واقفا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شرّا أو ترجو منه خيرا!و ضرب البغلة ضربة، فرمحتني[6]رمحة وقعت منها قلنسوتي، فو اللّه لو يعرّج عليّ الراعي لقلت سفيه غوى-يعني جندلا ابنه-و لكن لا و اللّه ما عاج عليّ، فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت: أ جندل ما تقول بنو نمير # إذا ما الأير في است أبيك غابا

فسمعت الرّاعي قال لابنه: أما و اللّه لقد طرحت قلنسوته طرحة مشئومة. قال جرير: و لا و اللّه ما القلنسوة بأغيظ أمره إليّ لو كان عاج عليّ. فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلّى العشاء بمنزله في علّيّة[7]له قال: ارفعوا إليّ باطية من نبيذ و أسرجوا لي، فأسرجوا له و أتوه بباطية من نبيذ. قال: فجعل يهمهم[8]؛ فسمعت صوته عجوز في الدار فاطّلعت في الدّرجة/حتى نظرت إليه، فإذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون!رأيت منه كذا و كذا!فقالوا لها: اذهبي لطيّتك، نحن أعلم به و بما يمارس. فما زال كذلك حتى كان السّحر، ثم إذا هو يكبّر قد قالها ثمانين بيتا في بني نمير. فلما ختمها بقوله: فغضّ الطّرف إنّك من نمير # فلا كعبا بلغت و لا كلابا

كبّر ثم قال: أخزيته و ربّ الكعبة. ثم أصبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، و كان يعرف فحل من شعراء الإسلام، و

كان مقدّما مفضلا حتى اعترض بين جرير و الفرزدق. (انظر ترجمته في «الأغاني» جـ 20 ص 168 طبع بلاق) .

[1]في جـ: «فصوّبت» .

[2]كذا في جـ. و في سائر الأصول: «أن أعلم أحدا» .

[3]الأحوى: الذي يضرب إلى السواد من شدّة خضرته. و الحذف: قطف الشيء من الطرف، يقال: حذف شعره و ذنب فرسه إذا قطع طرفه.

[4]هذه الكلمة «هين» ساقطة من ب، س.

[5]كذا في الأصول و «الأغاني» (جـ 20 ص 169 طبع بلاق) في ترجمة الراعي. و ظاهر أنها ضرب من السياط. و قد جاءت هذه القصة في «النقائض» (ص 431) و فيها: «فأقبل يشتد به فرسه حتى يهوى بالسوط لمؤخر بغلة أبيه.. إلخ» .

[6]في «النقائض» : «فزحمتني و اللّه زحمة وقعت منها على كفى في الأرض» .

[7]العلية: الغرفة.

[8]في جـ: «يهينم» . و الهمهمة و الهينمة: الصوت الخفيّ.

مجلسه و مجلس الفرزدق، دعا بدهن/فادّهن و كفّ[1]رأسه، و كان حسن الشّعر، ثم قال: يا غلام، أسرج لي، فأسرج له حصانا، ثم قصد مجلسهم؛ حتى إذا كان بموضع[2]السلام قال: يا غلام-و لم يسلّم-قل لعبيد: أبعثك نسوتك تكسبهنّ المال بالعراق!أما و الذي نفس جرير بيده لترجعنّ إليهنّ بمير يسوؤهن و لا يسرّهنّ!ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكس الفرزدق و راعى الإبل و أرمّ[3]القوم، حتى إذا فرغ منها سار[4]، و ثبت راعي الإبل ساعة ثم ركب بغلته بشرّ و عرّ و خلّى المجلس حتى ترقّى إلى منزله[5]الذي ينزله ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم هاهنا مقام، فضحكم و اللّه جرير!فقال له بعض القوم: ذاك شؤمك و شؤم ابنك. قال: فما كان إلا ترحّلهم. قال فسرنا إلى أهلنا سيرا ما ساره أحد، و هم بالشّريف و هو أعلى دار بني نمير. فيحلف باللّه راعي الإبل إنّا وجدنا في أهلنا: فغضّ الطّرف إنك من نمير و أقسم باللّه ما بلّغه إنسيّ قطّ، و إنّ لجرير لأشياعا من الجنّ. فتشاءمت به بنو نمير و سبّوه و ابنه، فهم يتشاءمون به إلى الآن.

قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره

:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ عن أبيه قال حدّثني مولى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرّطب بالبصرة أنسيت اسمه قال: /كنت أجمع شعر جرير و أشتهي أن أحفظه و أرويه. فجاءني ليلة فقال: إن راعي الإبل النّميريّ قد هجاني، و إنّي آتيك الليلة فأعدّ لي شواء رشراشا[6]و نبيذا مخفسا[7]؛ فأعددت له ذلك. فلما أعتم جاءني فقال: هلمّ عشاءك، فأتيته به، فأكل ثم قال: هلمّ نبيذك، فأتيته به، فشرب أقداحا ثم قال: هات دواة و كتفا[8]؛ فأتيته بهما، فجعل يملي عليّ قوله: أقلّي اللوم عاذل و العتابا # و قولي إن أصبت لقد أصابا

حتى بلغ إلى قوله:

فغضّ الطّرف إنك من نمير فجعل يردّده و لا يزيد عليه حتى حملتني عيني، فضربت بذقني صدري نائما، فإذا به قد وثب حتى أصاب السّقف رأسه و كبّر ثم صاح: أخزيته و اللّه!أكتب: فلا كعبا بلغت و لا كلابا [1]كف شعره: جمعه و ضم أطرافه.

[2]كذا فيما سيأتي في «الأغاني» (ج 20 ص 170) طبع بلاق. و في باقي الأصول هنا: «موقع السلام» .

[3]كذا في حـ. و أرمّ القوم: سكنوا. و في سائر الأصول: «أزم بالزاي و هو تصحيف.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «... سار و ثبت راعى الإبل ساعتئذ فركب بغلته... إلخ» .

[5]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «حتى أتى إلى المنزل الذي ينزله» .

[6]شواء رشراش: خضل ند يقطر دسما.

[7]كذا في جـ. و المخفس: السريع الإسكار. و في سائر الأصول: «محفشا» و هو تصحيف.

[8]كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلة القراطيس عندهم.

غضضته[1]و قدّمت إخوته عليه!و اللّه لا يفلح بعدها[أبدا]. فكان و اللّه كما قال ما أفلح هو و لا نميريّ بعدها.

أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال: أقبل راكب من اليمامة؛ فمرّ بالفرزدق و هو جالس في المربد؛ فقال له: من أين أقبلت؟قال: من اليمامة.

فقال: هل رأيت ابن المراغة؟قال نعم؟قال: فأيّ شيء أحدث بعدي؟ فأنشده: هاج الهوى لفؤادك المهتاج /فقال الفرزدق: فانظر بتوضح[2]باكر الأحداج فأنشده الرجل: /هذا هوى شغف الفؤاد مبرّح فقال الفرزدق: و نوّى تقاذف غير ذات خلاج[3]

فأنشده الرجل:

إن الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق:

بنوى الأحبّة دائم النّشحاج[4]

فقال الرجل: هكذا و اللّه، قال أ فسمعتها من غيري؟قال: لا!و لكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أ و ما علمت أن شيطاننا واحد!ثم قال: أمدح بها الحجّاج؟قال نعم. قال: إياه أراد.

أجاب الفرزدق في الحج جوابا حسنا

:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني أبو عبيدة قال: التقى جرير و الفرزدق بمنى و هما حاجّان؛ فقال الفرزدق لجرير: فإنك لاق بالمنازل من منى # فخارا فخبّرني بمن أنت فاخر

[1]في ب، س: «غصصته» بالصاد.

[2]توضح: كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة. و الأحداج: مراكب النساء.

[3]غير ذات خلاج أي نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشك و الريب. يقال: خلجه و خالجه في الأمر شيء إذا شك فيه. و في «لسان العرب» : «و نوى خلوج بينة الخلاج: مشكوك فيها» ثم استشهد بهذا البيت.

[4]تشحاج الغراب: صوته.

/فقال له جرير: بلبّيك اللهم[1]لبيك. قال إسحاق: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير و يعجبون[2] منه.

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم

:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم، و أخبرني وكيع عن محمد بن إسماعيل[عن ابن[3]سلاّم]قال حدّثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوما قطّ إلاّ أفسدتهم سوى التّيم. فقال: إنّي لم أجد حسبا أضعه، و لا بناء أهدمه.

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء

:

قال ابن سلاّم أخبرني أبو قيس[4]عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، من أشعر الناس؟فقال: الجاهلية تريد أم الإسلام؟قلت: أخبرني عن الجاهلية. قال: شاعر الجاهلية زهير. قلت: فالإسلام؟قال: نبعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟قال: يجيد صفة الملوك و يصيب نعت الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟قال: دعني فإني نحرت[5]الشعر نحرا.

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظن

:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الحسن بن عليل قال حدّثني محمد بن عبد اللّه العبديّ عن عمارة بن عقيل عن جدّه قال: وقف الفرزدق على أبي بمربد البصرة و هو ينشد قصيدته التي هجا بها الرّاعي؛ فلما بلغ إلى قوله: فغضّ الطّرف إنك من نمير # فلا كعبا بلغت و لا كلابا

أقبل الفرزدق على روايته فقال: غضّه[6]و اللّه فلا يجيبه أبدا و لا يفلح بعدها. فلما بلغ إلى قوله: /بها برص بجانب إسكتيها[7] وضع الفرزدق يده على فيه و غطّى عنفقته[8]؛ فقال أبي: كعنفقة الفرزدق حين شابا فانصرف الفرزدق و هو يقول: اللهم أخزه!و اللّه لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا، و لكن طمعت ألاّ

[1]في جـ: «لبيك اللهم لبيك» .

[2]في جـ: «و يعجبون به» .

[3]زيادة عن جـ.

[4]كذا في ابن سلام و هو أبو قيس العنبري، قال عنه ابن سلام: و لم أر بدويا يزيد عليه. و في أكثر الأصول: «أبو الدقيش» . و في جـ: «أبو الدلهمس» و كلاهما تحريف.

[5]في ب، س: «بحرت الشعر بحرا» .

[6]في ب، س: «غصه» بالصاد المهملة.

[7]الإسكتان: جانبا الفرج.

[8]العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى و الذقن.

يأبه فغطّيت وجهي، فما أغناني ذلك شيئا. قال العنزيّ حدّثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال قال يونس: ما أرى جريرا قال هذا المصراع إلا حين غطّى الفرزدق عنفقته، فإنه نبّهه عليه بتغطيته إيّاها.

سئل الفرزدق عمن يجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال: قال رجل من بني دارم للفرزدق و هو بالبصرة: يا أبا فراس، هل تعلم اليوم أحدا يرمي معك؟فقال: لا!و اللّه ما أعرف نابحا إلا و قد استكان و لا ناهشا إلا و قد انجحر إلا القائل: /

فإن لم أجد في القرب و البعد حاجتي # تشأمت أو حوّلت وجهي يمانيا

فردّي جمال الحيّ ثم تحمّلى # فمالك فيهم من مقام و لا ليا

فإنّي لمغرور أعلّل بالمنى # ليالي أرجو أنّ مالك ماليا

و قائلة و الدمع يحدر كحلها # أبعد جرير تكرمون الموماليا

بأيّ نجاد تحمل السيف بعد ما # قطعت القوى من محمل كان باقيا

بأيّ سنان تطعن القرم[1]بعد ما # نزعت سنانا من قناتك ماضيا

/لساني و سيفي صارمان كلاهما # و للسّيف أشوى[2]وقعة من لسانيا

قال: و هذا الشعر لجرير.

وفد على يزيد بن معاوية و أخذ جائزته

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال: قال جرير: وفدت إلى يزيد بن معاوية و أنا شابّ[يومئذ][3]؛ فاستؤذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليّ و قال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه و لا نسمع بشيء من شعره، و ما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة. فقلت له: تقول لأمير المؤمنين: أنا القائل: و إنّي لعفّ الفقر مشترك الغنى # سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

جريء الجنان لا أهاب من الردى # إذا ما جعلت السيف قبض بنانيا

و ليس لسيفي في العظام بقيّة # و للسّيف أشوى وقعة من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات؛ ثم خرج إليّ و أذن لي، فدخلت و أنشدته و أخذت الجائزة مع الشعراء؛ فكانت أوّل جائزة أخذتها من خليفة، و قال لي: لقد فارق أبي الدنيا و ما يظنّ أبياتك التي توسّلت بها إليّ إلاّ لي.

[1]كذا في جـ. و في سائر الأصول: «القوم» بالواو.

[2]يقال: رماه فأشواه إذا أصاب شواه و لم يصب مقتله. و الشوى: الأطراف.

[3]زيادة عن جـ.

موازنة حماد الراوية بينه و بين الفرزدق

:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: أتيت الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيت الكلب جريرا؟قلت نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟فقلت: أنت في بعض الأمر و هو في بعض. /فقال: لم تناصحني. فقلت: هو أشعر إذا أرخى من خناقه، و أنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت. فقال: و هل الشعر إلا في الخوف و الرجاء و عند الخير و الشرّ!.

حكم له بشر بن مروان و قد تفاخر هو و الفرزدق بحضرته

:

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ عن يحيى بن عنبسة القرشيّ و عوانة بن الحكم: أنّ جريرا و الفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان؛ فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتما الأشعار و تطالبتما الآثار و تقاولتما الفخر و تهاجيتما. فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة، فجدّدا بين يديّ فخرا و دعاني مما مضى. فقال الفرزدق: نحن السّنام و المناسم[1]غيرنا # فمن ذا يساوي بالسّنام المناسما!

فقال جرير:

على موضع الأستاه أنتم زعمتم # و كلّ سنام تابع للغلاصم[2]

فقال الفرزدق:

على محرث[3]للفرث أنتم زعمتم # ألا إنّ فوق الغلصمات الجماجما

/فقال جرير:

و أنبأتمونا أنكم هام قومكم # و لا هام إلا تابع للخراطم

فقال الفرزدق:

فنحن الزّمام القائد المقتدى به # من الناس، ما زلنا و لسنا لهازما[4]

فقال جرير:

فنحن بني زيد قطعنا زمامها # فتاهت كسار طائش الرأس عارم[5]

/فقال بشر: غلبته يا جرير بقطعك الزّمام و ذهابك بالناقة. و أحسن الجائزة لهما و فضّل جريرا.

[1]المنسم: طرف خف البعير.

[2]الغلصمة: رأس الحلقوم.

[3]في ب، س: «محرض» و هو تحريف.

[4]اللهازم: جمع لهزمة. و اللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين و الخدين. يريد أنه من الذين يقودون الناس لا ممن يقادون.

[5]العرام: الشدّة و القوّة و الشراسة.

جرير و سكينة بنت الحسين:

قال المدائنيّ و حدّثني عوانة بن الحكم قال:

جاء جرير إلى باب سكينة بنت الحسين عليه السّلام يستأذن عليها فلم تأذن له، و خرجت إليه جارية لها فقالت: تقول لك سيّدتي: أنت القائل: طرقتك صائدة القلوب و ليس ذا # حين الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم. قالت: فألاّ أخذت بيدها فرحّبت بها و أدنيت مجلسها و قلت لها ما يقال لمثلها!أنت عفيف و فيك ضعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحق بأهلك.

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق

:

قال المدائنيّ في خبره هذا و حدّثني أبو يعقوب الثّقفيّ عن الشّعبيّ: أنّ الفرزدق خرج حاجّا؛ فلما قضى حجّه عدل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين عليهما السلام فسلّم. فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت!أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنّبه عزيز # عليّ و من زيارته لمام

و من أمسي و أصبح لا أراه # و يطرقني إذا هجع النّيام

فقال: و اللّه لو أذنت لي لأسمعتك أحسس منه. قالت: أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس. قال: أنا. قالت: كذبت!صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول: لو لا الحياء لعادني استعبار # و لزرت قبرك و الحبيب يزار

كانت إذا هجر الضّجيع فراشها # كتم الحديث و عفّت الأسرار[1]

/لا يلبث القرناء أن يتفرّقوا # ليل يكرّ عليهم و نهار

/فقال: و اللّه لئن أذنت لي لأسمعنّك أحسن منه، فأمرت به فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث و حولها مولّدات لها كأنهنّ التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ فأعجب بها و بهت ينظر إليها. فقالت له سكينة: يا فرزدق، من أشعر الناس؟قال: أنا. قالت: كذبت!صاحبك أشعر منك حيث يقول: إنّ العيون التي في طرفها مرض # قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللّبّ حتى لا حراك به # و هنّ أضعف خلق اللّه أركانا

فقال: و اللّه لئن تركتني لأسمعنّك أحسن منه؛ فأمرت بإخراجه. فالتفت إليها و قال: يا بنت رسول اللّه-صلى اللّه عليه و سلّم-إنّ لي [1]الضجيع: الحليل، و هجره هاهنا أن يغيب عنها فيهجر فراشها، فأما إذا أقربت فهي أكرم عليه من أن يهجر فراشها. و كتم الحديث أي لا تحدث أحدا بريبة. و السر هو النكاح، و منه قوله تعالى: **وَ لَكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** . يصفها بأن ليس عندها إلا العفاف.

(عن «النقائض») . ـ

عليك حقّا عظيما. [قالت: و ما[1]هو؟قال:]ضربت إليك[آباط الإبل] [1]من مكة إرادة التسليم عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيبي و طردي و تفضيل جرير عليّ و منعك إيّاي أن أنشدك شيئا من شعري، و بي ما قد عيل منه صبري، و هذه المنايا تغدو و تروح، و لعلّي لا أفارق المدينة حتى أموت؛ فإذا أنا متّ فمري بي أن أدرج في كفني و أدفن في حر هذه (يعني الجارية التي أعجبته) . فضحكت سكينة و أمرت له بالجارية، فخرج بها آخذا بريطتها[2]؛ و أمرت الجواري فدفعن في أقفيتهما، و نادته. يا فرزدق احتفظ بها و أحسن صحبتها فإني آثرتك بها على نفسي.

حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان و وصف له طعاما أشهى من طعامه ثم سأله عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جرير

:

قال المدائنيّ في خبره هذا و حدّثني أبو عمران بن عبد الملك بن عمير عن أبيه، و حدّثنيه عوانة أيضا قالا: /صنع عبد الملك بن مروان طعاما فأكثر و أطاب و دعا إليه الناس فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيب هذا الطعام! ما نرى أن أحدا رأى أكثر منه و لا أكل أطيب منه. فقال أعرابيّ من ناحية القوم: أمّا أكثر فلا، و أمّا أطيب فقد و اللّه أكلت أطيب منه، فطفقوا[3]يضحكون من قوله. فأشار إليه عبد الملك فأدني منه؛ فقال: ما أنت بمحقّ فيما تقول إلّا أن تخبرني بما يبين به صدقك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ بينا أنا بهجر[4]في برث[5]أحمر في أقصى حجر[6]، إذ توفّي أبي و ترك كلاّ[7]و عيالا، و كان له نخل، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها، كأن تمرها أخفاف الرّباع[8]لم ير تمر قطّ أغلظ و لا أصلب و لا أصغر نوّى و لا أحلى حلاوة منه[9]. و كانت تطرقها أتان وحشيّة قد ألفتها تأوي الليل تحتها، فكانت تثبت رجليها في أصلها و ترفع يديها و تعطو[10]بفيها فلا تترك فيها إلا النّبيذ[11] و المتفرّق؛ فأعظمني ذلك و وقع منّي كلّ موقع، فانطلقت بقوسي و أسهمي و أنا أظنّ أنّي أرجع من ساعتي؛ فمكثت يوما و ليلة لا أراها، حتى إذا كان السّحر أقبلت، فتهيأت لها فرشقتها فأصبتها و أجهزت عليها، ثم عمدت إلى سرّتها فاقتددتها[12]، ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعته إلى رضف[13]و عمدت إلى زندي فقدحت و أضرمت النار في ذلك الحطب، و ألقيت/سرّتها فيه؛ و أدركني نوم

الشّباب[14]فلم يوقظني إلاّ حرّ الشمس في ظهري؛ فانطلقت إليها [1]زيادة عن جـ.

[2]الريطة: الملاءة.

[3]في الأصول: «و طفقوا» .

[4]هجر: مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر.

[5]كذا في «البخلاء» طبع أوروبا ص 243، و البرث: الأرض اللينة السهلة، و منه في الحديث: «بين الزيتون إلى كذا برث أحمر» . و في الأصول: «ترب أحمر» و هو تصحيف.

[6]في أقصى حجر أي في أبعد ناحية. و في «البخلاء» : «في طلوع القمر» .

[7]الكل: الثقل و العيال، الذكر و الأنثى في ذلك سواء، و ربما جمع على الكلول في الرجال و النساء.

[8]الرباع: جمع ربع (كمضر) و هو الفصيل ينتج في الربيع و هو أوّل النتاج، و الذي ينتج في آخر النتاج يسمى هبع (بضم ففتح) .

[9]في الأصول: «منها» .

[10]تعطو: تتناول.

[11]كذا في أ، ء، م. و النبيذ: المنبوذ. و في سائر الأصول: «النبذ» و النبذ: الشيء القليل اليسير.

[12]كذا في جـ. و اقتدّ الشي ء: قطعه. و في سائر الأصول: «فافترتها» و هو تحريف.

[13]الرضف: الحجارة المحماة بالشمس أو النار.

[14]كذا في جـ و «البخلاء» . و في سائر الأصول: «السبات» .

فكشفتها و ألقيت ما عليها من قذى و سواد و رماد، ثم قلبت[منها[1]]مثل الملاءة البيضاء، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزّعة[2]و المنصّفة، فسمعت لها أطيطا[3]كتداعي عامر و غطفان، ثم أقبلت أتناول الشّحمة و اللحمة فأضعها بين التمرتين و أهوي إلى فمي، فبما أحلف إنّي[4]ما أكلت طعاما مثله قطّ. فقال له عبد الملك: لقد أكلت طعاما طيّبا، فمن أنت؟قال: أنا رجل جانبتني عنعنة[5]تميم و أسد و كشكشة[6]ربيعة و حوشيّ[7]أهل اليمن و إن كنت منهم. فقال: من أيّهم أنت؟قال: من أخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس؛ فهل لك علم بالشعر؟ قال: سلني عمّا بدا لك يا أمير المؤمنين. قال: أيّ بيت قالته العرب أمدح؟قال: قول جرير: أ لستم خير من ركب المطايا # و أندى العالمين بطون راح

/قال: و كان جرير في القوم، فرفع رأسه و تطاول لها. ثم قال: فأيّ بيت قالته العرب أفخر؟قال: قول جرير: إذا غضبت عليك بنو تميم # حسبت الناس كلّهم غضابا

/قال: فتحرّك[لها[8]جرير]. ثم قال له: فأيّ بيت أهجى؟قال: قول جرير: فغضّ الطّرف إنك من نمير # فلا كعبا بلغت و لا كلابا

قال: فاستشرف لها جرير. قال: فأيّ بيت أغزل؟قال: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها مرض # قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال: فاهتزّ جرير و طرب. ثم قال له: فأيّ بيت قالته العرب أحسن تشبيها؟قال: قول جرير: سرى نحوهم ليل كأنّ نجومه # قناديل فيهنّ الذّبالى[9]المفتّل

فقال جرير: جائزتي للعذريّ يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: و له مثلها من بيت المال، و لك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئا. و كانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم و توابعها من الحملان و الكسوة. فخرج العذريّ و في يده اليمنى ثمانية آلاف درهم و في اليسرى رزمة ثياب.

[1]زيادة عن جـ.

[2]جزع البسر: بلغ الإرطاب نصفه، و قيل: بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه و قيل: إلى ثلثيه و قيل: بلغ بعضه من غير أن يحدّ.

و اختلف في المجزعة أ هي بفتح الزاي أم بكسرها. و نصف البسر: أرطب نصفه.

[3]أطيط كل شيء : صوته. و عامر و غطفان: قبيلتان.

[4]في ب، س: «فيما أحلف... إلخ» . و في جـ: «فما أحلف أكلت... إلخ» أي فأحلف ما أكلت. فوقع فعل القسم معترضا بين «ما» النافية و منفيها.

[5]عنعنة تميم: إبدالهم العين من الهمزة فيقولون «عنّ» يريدون «أن» .

[6]كذا في جـ. و الكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف و ذلك في المؤنث خاصة فيقولون: عليش مكان عليك. و في سائر الأصول: «كسكسة ربيعة» و هو تصحيف لأن الكسكسة لغة هوازن. (انظر «اللسان» مادة كسس و كشش) .

[7]الحوشيّ من الكلام: الغامض.

[8]زيادة يقتضيها سياق الكلام.

[9]الذبالة: الفتيلة التي توضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به.

تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق

:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن[1]عن عبد اللّه بن عيّاش الهمدانيّ قال:

بينا المهلّب ذات يوم[أو ليلة[2]]بفارس و هو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبة و صياحا؛ فقال: ما هذا؟قالوا: جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء. فأذن لهم فقالوا: إنّا اختلفنا في جرير و الفرزدق؛ فكلّ فريق منّا يزعم أنّ أحدهما أشعر من الآخر، و قد رضينا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم[أن[2]]تعرّضوني/لهذين الكلبين فيمزّقا جلدتي!لا أحكم بينهما، و لكنّي أدلّكم على من يهون عليه سبال جرير و سبال[3]الفرزدق، عليكم بالأزارقة، فإنّهم قوم عرب يبصرون بالشعر[4]. و يقولون فيه بالحق. فلما كان الغد خرج عبيدة بن هلال اليشكريّ و دعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر المهلّب كان لقطريّ صديقا؛ فقال له: يا عبيدة، سألتك اللّه إلاّ أخبرتني عن شيء أسألك عنه. قال: سل. قال: أو تخبرني؟قال: نعم إن كنت أعلمه. قال: أ جرير أشعر أم الفرزدق؟قال: قبحك اللّه!أ تركت القرآن و الفقه و سألتني عن الشعر!إنا تشاجرنا في ذلك و رضينا بك. فقال من الذي يقول:

و طوى الطّراد[5]-مع القياد بطونها # طيّ التّجار بحضر موت برودا

فقال: جرير. قال: هذا أشعر الرجلين.

لم ينزع في شعره إلى الغزل و لا إلى الرجز

:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرّياشيّ عن العتبيّ قال:

قال جرير: ما عشقت قطّ، و لو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، و إني لأرى من الرّجز أمثال آثار الخيل في الثّرى، و لو لا أنّي أخاف أن يستفرغني[6]لأكثرت منه.

جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ و عمّي قالا حدّثنا ابن الأعرابيّ قال حدّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بيهس بن صهيب الجرميّ[عن عامر[7]بن

شبل الجرميّ]قال:

[1]أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عدي، و قد تقدّم مرارا أنه يروى عن عبد اللّه بن عياش الهمداني، و قد صححنا هذا السند بناء على ذلك. و في أكثر الأصول: «عن أبي عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عباس الهذلي» . و في ب، س مثل ذلك، غير أن فيهما «الهمداني» بدل «الهذلي» و كلاهما تحريف.

[2]زيادة عن حـ.

[3]السبال: الشوارب. و في ب، س: «سؤال» و هو تحريف.

[4]في الأصول: «يبصرون الشعر» و الأفصح تعديته بالباء.

[5]كذا في حـ هنا و جميع الأصول فيما تقدّم. و في سائر الأصول هنا: «و طوى الطراد بطونهن كأنها» .

[6]كذا في حـ. و هو محرّف في سائر النسخ.

[7]ما بين هاتين القوسين ساقط من ب، س.

/قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك و هو نازل بدير مرّان[1]؛ فكنا نغدو إليه بكرا[2]، فيخرج إلينا و يجلس في برنس خزّ له لا يكلّمنا كلمة حتى يجيء طبّاخ عبد العزيز إليه بقدح من طلاء مسخّن/يفور، و بكتلة من سمن كأنها هامة رجل فيخوضها فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه، و يقبل علينا و يحدّثنا في كل فنّ، و ينشدنا لنفسه و لغيره؛ حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم إليه جميعا. و كان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل. فقال له رجل: ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات!فتبسّم و قال: يا ابن أخي (خلطوا عملا صالحا و آخر سيّئا عسى اللّه أن يتوب عليهم) إنهم و اللّه يا ابن أخي يبدءوني ثم لا أحلم.

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة فأسمعته هجو جرير لهم و قصة عشقها لابن عم محمد: أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى[3]قال حدّثني الأخفش عن أبي محذورة الورّاق عن أبي مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول: و أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني إبراهيم بن محمد الطائفيّ قال حدّثني محمد بن مسعدة[4]الأخفش عن أبي محذورة الورّاق عن أبي مالك الراوية قال: سمعت الفرزدق يقول: أبق غلامان لرجل منا يقال له الخضر، فحدّثني قال: خرجت في طلبهما و أنا على ناقة لي عيساء[5]كوماء أريد اليمامة؛ فلما صرت في ماء لبني حنيفة يقال له الصّرصران ارتفعت سحابة فرعدت و برقت و أرخت عزاليها[6]؛ /فعدلت إلى بعض ديارهم و سألت القرى فأجابوا (فدخلت دارا لهم و أنخت الناقة و جلست تحت ظلّة لهم من جريد النخل، و في الدار جويرية لهم سوداء، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة و كأن عينيها كوكبان درّيان؛ فسألت الجارية: لمن هذه العيساء؟ (تعني ناقتي) فقالت: لضيفكم هذا. فعدلت إليّ فقالت: السلام عليكم، فرددت عليها السلام. فقالت لي: ممّن الرجل؟فقلت: من بني حنظلة. فقالت: من أيّهم؟فقلت: من بني نهشل. فتبسّمت و قالت: أنت إذا ممّن عناه الفرزدق بقوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنا # بيتا دعائمه أعزّ و أطول

بيتا بناه لنا المليك و ما بنى # ملك السماء فإنه لا ينقل

بيتا زرارة محتب بفنائه # و مجاشع و أبو الفوارس نهشل

قال: فقلت: نعم جعلت فداك!و أعجبني ما سمعت منها. فضحكت و قالت: فإن ابن الخطفى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث

يقول: [1]دير مرّان: قرب دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران و رياض حسنة، و بناؤه بالجص و أكثر فرشه بالبلاط الملون. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عليه) .

[2]البكر (بالتحريك) : البكرة.

[3]ورد هذا الاسم هكذا في جميع الأصول.

[4]الأخافش كثيرون و ليس منهم من له هذا الاسم، غير أن أحدهم يسمى سعيد بن مسعدة.

[5]العيساء من النوق: التي يضرب لونها إلى الأدمة، و قيل: هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة. و كوماء: عظيمة السنام طويلته.

[6]العزالي: جمع عزلاء، و العزلاء في الأصل: مصب الماء من الراوية و القربة. شبه اتساع المطر و اندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة.

أخزى الذي رفع السماء مجاشعا # و بنى بناءك[1]بالحضيض الأسفل

بيتا يحمّم[2]قينكم بفنائه # دنسا مقاعده خبيث المدخل

قال: فوجمت. فلما رأت ذلك في وجهي قالت: لا عليك؛ فإن الناس يقال فيهم و يقولون. ثم قالت: أين تؤمّ؟ قلت: اليمامة. فتنفّست الصّعداء ثم قالت: ها هي تلك أمامك؛ ثم أنشأت تقول: تذكّرني بلادا خير أهلي # بها أهل المروءة و الكرامة

/ألا فسقى الإله أجشّ صوبا # يسحّ بدرّه بلد اليمامه

و حيّا بالسلام أبا نجيد # فأهل للتحيّة و السلامه

/قال: فأنست بها و قلت لها: أ ذات خدن أم ذات بعل؟فأنشأت تقول: إذا رقد النّيام فإن عمرا # تؤرّقه الهموم إلى الصباح

تقطّع قلبه الذّكرى و قلبي # فلا هو بالخليّ و لا بصاح

سقى اللّه اليمامة دار قوم # بها عمرو و يحنّ إلى الرّواح

فقلت لها: من عمرو هذا؟فأنشأت تقول:

سألت و لو علمت كففت عنه # و من لك بالجواب سوى الخبير

فإن تك ذا قبول إن عمرا # هو القمر المضيء المستنير[3]

و مالي بالتبعّل مستراح # و لو ردّ التبعّل لي أسيري

قال: ثم سكتت سكتة كأنها تتسمّع[4]إلى كلام، ثم تهافتت[5]و أنشأت تقول: يخيّل لي هيا عمرو بن كعب # كأنك قد حملت على سرير

يسير بك الهوينى القوم لما # رماك الحبّ بالعلق[6]العسير

فإن تك هكذا يا عمرو إنّي # مبكّرة عليك إلى القبور

ثم شهقت شهقة فخرّت ميّتة. فقلت لهم: من هذه؟فقالوا: هذه عقيلة بنت الضحّاك بن عمرو بن محرّق بن النّعمان بن المنذر بن ماء السماء. فقلت لهم: فمن عمرو هذا؟قالوا: ابن عمّها عمرو بن كعب بن محرّق بن

[1]في أكثر الأصول: «و بنى بناء» و التصويب عن و «النقائض» ص 413.

[2]يحمم: يسخن. و القين: الحداد، يشير إلى أن مجاشعا قبيلة الفرزدق كانت قيونا لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيرا فنسب جرير غالبا أبا الفرزدق إلى القين و لذلك يقول جرير: وجدنا جبيرا أبا غالب # بعيد القرابة من معبد

[3]في هذا البيت أقواء، و هو اختلاف حركة الروي.

[4]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «تستمع إلى كلام» .

[5]يريد أنها تساقطت من ضعفها و خورها.

[6]العلق: الهوى يكون للرجل في المرأة.

النعمان بن المنذر؛ فارتحلت من عندهم. فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت.

قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه

:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو الهيثم بدر بن سعيد العطّار قال حدّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لمّا استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه؛ فجاء عون بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود و عليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل؛ فصاح به جرير: يا أيّها القارئ[1]المرخى عمامته # هذا زمانك إنّي قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه # أنّي لدى الباب كالمصفود في قرن

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. و قد كان هيأ له شعرا، فلما دخل عليه غيّره و قال: إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا # من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة إذ كانت له قدرا # كما أتى ربّه موسى على قدر

أ أذكر الجهد و البلوى التي نزلت # أم تكتفي بالذي بلّغت من خبري

ما زلت بعدك في دار تعرّفني[2] # قد طال بعدك إصعادي و منحدري

لا ينفع الحاضر المجهود بادينا # و لا يجود لنا باد على حضر

كم بالمواسم من شعثاء أرملة # و من يتيم ضعيف الصوت و البصر

يدعوك دعوة ملهوف كأنّ به # خبلا من الجنّ أو مسّا من النّشر[3]

/ممّن يعدّك تكفي فقد والده # كالفرخ في العشّ لم ينهض و لم يطر

/قال: فبكى عمر ثم قال: يا ابن الخطفى، أ من أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقّهم، أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحد من هؤلاء، و إني لمن أكثر قومي مالا، و أحسنهم حالا، و لكنّي أسألك ما عوّدتنيه الخلفاء: أربعة آلاف درهم و ما يتبعها من كسوة و حملان. فقال له عمر: كلّ امرئ يلقى فعله، و أمّا أنا فما أرى لك في مال اللّه حقّا، و لكن انتظر، يخرج عطائي، فأنظر ما يكفي

عيالي سنة منه فادّخره لهم، ثم إن فضل فضل صرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يوفّر أمير المؤمنين و يحمد و أخرج راضيا؛ قال: فذلك أحبّ إليّ؛ فخرج. فلما ولّى قال عمر: إن شرّ هذا ليتّقى؛ ردّوه إليّ، فردّوه فقال: إن عندي أربعين دينارا و خلعتين إذا غسلت إحداهما [1]في ديوان جرير المخطوط: «يا أيها الرجل» .

[2]أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشا بالأسنان. يريد أنها تفقره و لا تدع له شيئا.

[3]كذا في ديوانه. و في الأصول: «من البشر» بالباء و هو تصحيف. و النشر: جمع نشر و هي رقية يعالج بها المجنون و المريض.

لبست الأخرى، و أنا مقاسمك ذلك، على أن اللّه جلّ و عزّ يعلم أن عمر أحوج إلى ذلك منك. فقال له: قد وفّرك اللّه يا أمير المؤمنين و أنا و اللّه راض. قال: أمّا و قد حلفت فإن ما وفّرته عليّ و لم تضيّق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح، فامض مصاحبا؛ فخرج. فقال له أصحابه و فيهم الفرزدق: ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة؟قال:

خرجت من عند رجل يقرّب الفقراء و يباعد الشعراء و أنا مع ذلك عنه راض ثم وضع رجله في غرز راحلته و أتى قومه. فقالوا له: ما صنع بك أمير المؤمنين أبا حرزة؟فقال:

تركت لكم بالشأم حبل جماعة # أمين القوى مستحصد[1]العقد باقيا

وجدت رقى الشيطان لا تستفزّه # و قد كان شيطاني من الجنّ راقيا

هذه رواية عمر بن شبّة. و أما اليزيديّ فإنه قال في خبره: فقال له جرير يا أمير المؤمنين، فإنّي ابن سبيل. قال: لك ما لأبناء السبيل، زادك و نفقة تبلّغك/و تبدّل راحلتك إن لم تحملك. فألحّ عليه؛ فقالت له بنو أميّة: يا أبا حزرة، مهلا عن أمير المؤمنين، و نحن نرضيك من أموالنا عنه، فخرج. و جمعت له بنو أميّة مالا عظيما؛ فما خرج من عند خليفة بأكثر ممّا خرج من عند عمر.

رؤيا أمه و هي حامل به

:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال:

رأت أمّ جرير و هي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير، فانتبهت فزعة فأوّلت الرّؤيا فقيل لها: تلدين غلاما شاعرا ذا شرّ و شدّة شكيمة و بلاء على الناس. فلما ولدته جريرا باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: و الجرير: الحبل.

قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه و هو دني ء

:

قال إسحاق و قال الأصمعيّ حدّثني بلال بن جرير-أو حدّثت عنه- أنّ رجلا قال لجرير: من أشعر الناس؟قال له: قم حتى أعرّفك الجواب؛ فأخذ

بيده و جاء به إلى أبيه عطيّة و قد أخذ عنزا له فاعتقلها و جعل يمصّ ضرعها، فصاح به: اخرج يا أبت؛ فخرج شيخ دميم رثّ الهيئة و قد سال لبن العنز على لحيته؛ فقال: أ لا[2]ترى هذا؟قال نعم. قال: أو تعرفه؟قال لا. هذا أبي، أ فتدري لم كان يشرب من ضرع العنز؟قلت لا. قال: مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن. ثم قال: أشعر الناس/من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا و قارعهم به فغلبهم جميعا.

إخوته

:

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني عبد اللّه بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدّثني عمّارة بن عقيل عن المغيرة بن حجناء عن أبيه قال:

/ولد جرير لسبعة أشهر؛ فكان الفرزدق يعيّره ذلك[3]، و فيه يقول:

و أنت ابن صغرى لم تتمّ شهورها [1]المستحصد: المستحكم.

[2]في حـ: «أ ترى هذا؟» .

[3]في الأصول: «يعيره بذلك» و الفصيح الكثير تعديه بنفسه حتى أنكر بعضهم تعديه بالباء.

قال و ولد عطيّة جريرا-و أمّه أمّ قيس بنت معيد من بني كليب-و عمرا و أبا الورد. فأمّا أبو الورد فكان يحسد جريرا؛ فذهبت لجرير إبل فشمت به أبو الورد فقال له جرير: أبا الورد أبقى اللّه منها بقيّة # كفت كلّ لوّام خذول و حاسد

و أما عمرو فكان أكبر من جرير، و كان يقارضه الشعر. فقال له جرير:

و عمرو[1]قد كرهت عتاب عمرو # و قد كثر المعاتب و الذّنوب

و قد صدّعت صخرة من رماكم # و قد يرمى بي الحجر الصّليب

و قد قطع الحديد فلا تماروا # فرند لا يفلّ و لا يذوب

شعر قاله ليزيد ابن معاوية يعاتب به أباه

:

قال: و أوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه:

فردّي جمال البين ثم تحمّلي # فما لك فيهم من مقام و لا ليا

لقد قادني الجيران يوما و قدتهم # و فارقت حتّى ما تصبّ[2]جماليا

و إنّي لمغرور أعلّل بالمنى # ليالي أرجو أن مالك ماليا

بأيّ سنان تطعن القرم بعد ما # نزعت سنانا من قناتك ماضيا

بأيّ نجاد تحمل السيف بعد ما # قطعت القوى من محمل كان باقيا

قال: و كان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات و نسبها إلى نفسه؛ لأن جريرا لم يكن شعره شهر حينئذ. فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستؤذن له/مع الشعراء، فأمر يزيد ألاّ يدخل عليه شاعر إلاّ من عرف شعره؛ فقال جرير: قولوا له: أنا القائل: فردّيي جمال الحيّ ثم تحمّلي # فما لك فيهم من مقام و لا ليا

فأمر بإدخاله. فلمّا أنشده قال يزيد: لقد فارق أبي الدنيا و ما يحسب إلاّ أنّي قائلها، و أمر له بجائزة و كسوة.

استعار من أبيه فحلا و لما استردّه منه عرّض به

:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عبيدة قال أبو عمرو: استعار جرير من أبيه فحلا يطرقه في إبله، فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بتّ[3]خلق يستردّه؛ فدفعه إليه و قال: يا

أبت، هذا «تردّ إلى عطيّة تعتل» . يعرّض بقول الفرزدق فيه: ليس الكرام بناحليك أباهم # حتى تردّ عطيّة تعتل[4]

[1]في ب، س: «أعمر» و في حـ: «و عمرا» . و قيل هذا البيت كما في ديوانه: رأيتك يا حكيم علاك شيب # و لكن ما لحملك لا يثوب

[2]يقال: صب في الوادي إذا انحدر.

[3]البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، قيل: هو من وبر و صوف.

[4]نحل: أعطى. و تعتل: تساق قسرا. و يقال: تعتل: تقاد بين اثنين. (عن النقائض) .

اتعاظه بجنازة مرّت عليه

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ و عمر بن شبّة قالا حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: جلس جرير يملي على رجل قوله:

ودّع أمامة حان منك رحيل # إنّ الوداع لمن تحبّ قليل

فمرّوا عليه بجنازة؛ فقطع الإنشاد و جعل يبكي، ثم قال: شيّبتني هذه الجنازة. قال أبو عمرو: /فقلت له: فعلام تقذف المحصنات منذ كذا و كذا! فقال: إنهم يبدءونني ثم لا أعفو.

قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق

:

أخبرني عمّي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال حدّثنا عبد اللّه بن المعذّل قال: كان أبي و جماعة من علمائنا يقولون: إنما فضّل جرير لمقاومته الفرزدق، و أفضل[1]شعر قاله جرير: حيّ الهدملة من ذات المواعيس[2]

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم

:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا أبو الغرّاف قال: أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم[3]في مسجدهم فأنشدهم؛ و بلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتّق اللّه!فإنّ هذا المسجد إنما بني لذكر اللّه و الصلاة. فقال جرير: أقررتم للفرزدق و منعتموني!و خرج مغضبا و هو يقول:

إنّ الهجيم قبيلة ملعونة # حصّ[4]اللّحى متشابهو الألوان

هم يتركون بنيهم و بناتهم # صعر الأنوف لريح كلّ دخان

لو يسمعون بأكلة أو شربة # بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال: و خفّة اللّحى في بني هجيم ظاهرة. و قيل لرجل منهم: ما بالكم يا بني الهجيم حصّ اللحى؟قال: إن الفحل واحد.

حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء و عن نفسه

:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن آدم قال سمعت عمارة بن عقيل يحدّث عن أبيه عن جدّه قال: [1]في ب، س: «و أقوم شعر» .

[2]الهدملة: موضع بعينه، هكذا ذكره ياقوت و استشهد بقول جرير هذا. و المواعيس: موضع، كما جاء في «شرح القاموس» .

[3]بنو الهجيم: بطنان من العرب: أحدهما الهجيم بن عمرو بن تميم، و الثاني الهجيم بن علي بن سود من الأزد.

[4]حص: جمع أحص و أحص اللحية: قليل شعرها.

/قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: من أشعر الناس؟قال فقال: ابن العشرين[1]. قال: فما رأيك في ابنيّ[2]أبي سلمى؟قال: كان شعرهما نيّرا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرئ القيس؟قال: اتّخذ الخبيث الشعر نعلين، و أقسم باللّه لو أدركته لرفعت ذلاذله[3]. قال: فما تقول في ذي الرّمّة؟قال: قدر من ظريف الشعر و غريبه و حسنه[على][4]ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟قال: ما أخرج لسان ابن النّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟قال: في يده و اللّه يا أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئا!قال: بلى و اللّه يا أمير المؤمنين!إنّي لمدينة الشعر التي منها يخرج و إليها يعود، نسبت فأطربت، و هجوت فأرديت، و مدحت فسنّيت[5]، و أرملت فأغزرت، و رجزت[6]فأبحرت؛ فأنا قلت ضروب الشعر كلّها، و كلّ واحد منهم قال نوعا منها. قال: صدقت.

طلبت جاريه له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال: كانت لجرير أمة و كان بها معجبا، فاستخفّت المطعم و الملبس و الغشيان و استقلّت ما عنده، و كانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهل خصب و نعمة، فسامته أن يبيعها و ألحّت في ذلك؛ فقال فيها: /

تكلّفني معيشة آل زيد # و من لي بالمرقّق و الصّناب[7]

تقول أ لا تضمّ كضمّ زيد # و ما ضمّي و ليس معي شبابي

فقال الفرزدق يعيّر ذلك[8]:

فإن تفقرك علجة آل زيد # و يعجزك المرقّق و الصّناب[9]

/فقدما كان عيش أبيك مرّا # يعيش بما تعيش به الكلاب[10]

[1]يعني به طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات، قتل و هو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين: قتله عمرو بن هند بيد أبي الربيع بن حوثرة عامله على البحرين. (انظر «الشعر و الشعراء» ص 91) .

[2]يعني زهير بن أبي سلمى و ابنه كعب بن زهير.

[3]ذلاذل القميص: ما يلي الأرض من أسافله. و لعله يريد أنه كان يلزمه و يخدمه.

[4]الزيادة عن حـ.

[5]كذا في الأصول. و سنى الشي ء: سهله و فتحه، و الأحرى بهذه الكلمة أن تكون «فأسنيت» . و أسني: رفع و أعلى.

[6]كذا في أ، ء، م. و في ب، س، حـ: «و زجرت» و هو تصحيف.

[7]المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة. و الصناب: أدم يتخذ من الخردل و الزبيب.

[8]في الأصول: «بذلك» راجع الحاشية رقم 1 ص 50 من هذا الجزء.

[9]قد ورد هذا البيت في حـ هكذا:

فإن تعدم معيشة آل زيد # و يعوزك المرقق و الصناب

و في «النقائض» :

«إن تفركك علجة آل زيد # و يعوزك...

إلخ» و فركت المرأة زوجها تفركه فركا إذا أبغضته.

[10]في ب، س: «كريها لا يعيش به الكلاب» .

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبد اللّه

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا العباس بن ميمون قال حدّثنا التّوّزيّ عن أبي عبيدة عن أيّوب بن كسيب قال: دخل جرير على المهاجر بن عبد اللّه و هو والي اليمامة و عنده ذو الرّمّة ينشده. فقال المهاجر بن عبد اللّه لجرير: كيف ترى؟قال: لقد قال و ما أنعم. فغضب ذو الرّمّة و نهض و هو يقول: أنا أبو الحارث و اسمي غيلان فنهض جرير و قال.

إنّي[1]امرأ خلقت شكسا أشوسا # إن تضرساني تضرسا مضرسا[2]

قد لبس الدهر و أبقى ملبسا # من شاء من نار الجحيم اقتبسا

قال: فجلس ذو الرّمّة و حاد عنه فلم يجبه.

/أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا ابن النّطّاح عن أبي عبيدة قال: كان ذو الرّمّة ممّن أعان على جرير و لم يصحر[3]له؛ فقال جرير فيه: أقول نصاحة لبني عديّ # ثيابكم و نضح دم القتيل

و هي قصيدة. قال: و كانوا يتعاونون عليه و لا يصحرون له.

حديثه مع ذي الرمة و هشام المرئيّ

:

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو الغرّاف قال: قال الفرزدق لذي الرّمّة: ألهاك البكاء في الديار و هذا العبد يرجز بك (يعني هشاما المرئيّ) بمقبرة بني حصن.

قال: و كان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة و هشام أن ذا الرمّة نزل بقرية لبني امرئ القيس يقال لها: مرأة[4]، فلم يقروه و لم يعلفوا له، فارتحل و هو يقول: نزلنا و قد طال[5]النهار و أوقدت # علينا حصى المعزاء[6]شمس تنالها

أنخنا فظلّلنا بأبراد يمنة[7] # رقاق و أسياف قديم صقالها

[1]وردت هذه الأبيات في «ديوانه» المخطوط (صفحة 208) باختلاف عما هنا.

[2]الشكس: الصعب الخلق. و الأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا و الجريء على القتال الشديد. و ضرسه: عضه و عجمه ليختبره.

[3]لم يصحر له: لم يبرز له، من قولهم: أصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء.

[4]مرأة: قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، كما ذكر أبو الفرج، و هي باليمامة. سميت بشطر اسم امرئ القيس، بينها و بين ذات غسل مرحلة على طريق النباج.

[5]رواية «الديوان» : «غار» . و غار النهار: انتصف. راجع هذا الشعر في «الديوان» ففيه اختلاف في الرواية عما هنا.

[6]المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى.

[7]الأبراد: جمع برد و هو الثوب. و اليمنة: ضرب من برود اليمن.

فلمّا رآنا أهل مرأة أغلقوا # مخادع[1]لم ترفع لخير ظلالها

و قد سمّيت باسم امرئ القيس قرية # كرام صواديها[2]لئام رجالها

يظلّ الكرام المرملون بجوّها # سواء عليهم حملها و حيالها[3]/

و لو وضعت أكوارها عند بيهس # على ذات غسل لم تشمّس رحالها[4]

فقال جرير لهشام، و كان ينّهم ذا الرّمة بهجائه التّيم و هم إخوة عديّ: عليك العبد (يعني ذا الرّمة) . قال: فما أصنع يا أبا حزرة و هو يقول القصيد و أنا أقول الرّجز، و الرجز لا يقوم للقصيد؟فلو رفدتني!قال: قل له: عجبت لرجل من عديّ مشمّس # و في أيّ يوم لم تشمّس رحالها

و فيم عديّ عند تيم من العلا # و أيّامنا اللاّتي يعدّ فعالها

مددت بكفّ من عديّ قصيرة # لتدرك من زيد يدا لا تنالها

و ضبّة عمّي يا ابن جلّ[5]فلا ترم # مساعي قوم ليس منك سجالها

يماشي عديّا لؤمها ما تجنّه # من الناس ما ماشت عديّا ظلالها

فقل لعديّ تستعن بنسائها # عليّ فقد أعيا عديّا رجالها

أ ذا الرّمّ قد قلّدت[6]قومك رمّة # بطيئا بأيدي المطلقين انحلالها/

ترى اللّؤم ما عاشت عديّ مخلّدا # سرابيلها منه و منه نعالها

قال: فلجّ الهجاء بين ذي الرمّة و هشام. فلما أنشد المرئيّ هذه الأبيات و سمعها ذو الرّمّة قال: كذب العبد السّوء! ليس هذا الكلام له، هذا كلام نجديّ حنظليّ، /هذا كلام ابن[7]الأتان. قال: و لم يزل ذو الرمّة مستعليا على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات.

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدنان قال حدّثني أبو صخر[8]من ولد حجناء بن نوح بن جرير قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال: أتى هشام بن قيس المرئيّ أبي (يعني جريرا) فاسترفده على ذي الرمّة، و قد كانا تهاجيا دهرا، و كان سبب ذلك

[1]المخادع: البيوت.

[2]الصوادي: النخل التي لا تسقى و إنما تشرب بعروقها، الواحدة صادية.

[3]أرمل القوم: فني زادهم. يقول: سواء عليهم أحالت نخيلهم أم حملت، فهم لا ينالهم منها شيء.

[4]بيهس و ذات غسل: سيذكرهما المؤلف بعد قليل. لم تشمّس رحالها: لم تعرّض للشمس. يريد أنها لا تهمل بل تكرم بإدخالها البيوت.

[5]كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه، و هو جل بن عدي، رجل من مضر رهط ذي الرمة العدوي. و في الأصول: «خل» بالخاء المعجمة، و هو تصحيف.

[6]كذا في جـ و نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه و ترجمة ذي الرمة (ص 117 ج 16 من «الأغاني» طبع بلاق) . و في سائر الأصول: «قد قلدن» بالنون و هو تصحيف. و الرمة: الحبل يقلد به البعير.

[7]ابن الأتان: لقب كان ينبز به جرير.

[8]في ب، س: «أبو صخرة» .

أن ذا الرّمّة نزل على أهل قرية لبني امرئ القيس فلم يدخلوا رحله، فذمّهم في القرى، و مدح بيهسا صاحب ذات غسل-و هو مرئيّ. و ذات غسل: قرية له-فقال ذو الرّمّة: و لمّا وردنا مرأة اللّؤم أغلقت # دساكر لم تفتح لخير ظلالها

و لو عرّيت أصلابها[1]عند بيهس # على ذات غسل لم تشمّس رحالها

إذا ما امرؤ القيس ابن لؤم تطعّمت # بكأس الندامى خبّثتها[2]سبالها

فقال جرير للمرئيّ: قل له:

غضبت لرحل من عديّ مشمّس # و في أيّ يوم لم تشمّس رحالها

و ذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة. قال: فلقى ذو الرّمّة جريرا فقال له: تعصّبت للمرئيّ و أنا خالك!. قال: حين قلت ما ذا؟ قال: حين قلت له أن يقول لي: عجبت لرحل من عديّ مشمّس /فقال له جرير: لا!بل ألهاك البكاء في دارميّة حتى أبيحت محارمك. قال: و كان قد بلغ جريرا ميل ذي الرّمة عليه، فجعل يعتذر إليه و يحلف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمرئيّ: يعدّ الناسبون إلى تميم # بيوت المجد أربعة كبارا

يعدّون الرّباب و آل سعد # و عمرا ثم حنظلة الخيارا

و يهلك بينها المرئيّ لغوا # كما ألغيت في الدّية الحوارا[3]

فقال ذو الرمّة قصيدته التي أوّلها:

نبت عيناك عن طلل بجزوى[4] # عفته الرّيح و امتنح القطارا

و ألحق فيها هذه الأبيات. فلما أنشدها و سمعها المرئيّ جعل يلطم رأسه و وجهه و يدعو بويله و حربه و يقول: ما لي و لجرير!فقيل له: و أين جرير منك!هذا رجل يهاجيك و تهاجيه!فقال: هيهات!لا و اللّه ما يحسن ذو الرّمّة أن يقول: و يذهب بينها المرئيّ لغوا # كما ألغيت في الدّية الحوارا

هذا و اللّه كلام جرير ما تعدّاه قطّ. قال: و مرّ الفرزدق بذي الرّمّة و هو ينشد هذه القصيدة؛ فلما أنشد الأبيات الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أعد يا غيلان، فأعاد؛ فقال له: أ أنت/تقول هذا؟قال: نعم يا أبا فراس. قال: كذب فوك! و اللّه لقد نحلكها أشدّ لحيين منك، هذا شعر ابن الأتان. قال: و جاء المرثيّون إلى جرير فقالوا: يا أبا حزرة، قد [1]الأصلاب: جمع صلب و هو عظم من لدن الكاهل إلى العجب. يريد: لو وضعت رحالها عن ظهورها عند بيهس لأكرمها و لم يتركها. و في ب، س: «غرست» و هو تحريف.

[2]كذا في أ، ء، م (و «ديوان» ذي الرمة طبع أوروبا ص 544) . و في سائر الأصول: «ما خبتها» و هو تحريف.

[3]الحوار: ولد الناقة، و قيل: هو الفصيل أوّل ما ينتج. يريد أن المرئي لا يؤبه له كما لا يؤبه لولد الناقة إذا تبع أمه و قد سيقت في دية القتيل.

[4]حزوي: موضع في ديار تميم.

استعلى علينا ذو الرمّة، فأعنّا على عادتك الجميلة. فقال: هيهات!قد و اللّه ظلمت خالي لكم مرّة و جاءني فاعتذر و حلف، و ما كنت لأعينكم عليه بعدها. قال: و مات ذو الرّمّة في تلك الأيام.

أقرّ له نصيب بالسبق عليه و على جميل

:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثني العمريّ عن لقيط قال حدّثني أبو بكر بن نوفل قال حدّثني من سأل النّصيب قال: قلت له: يا أبا محجن، بيت قلته نازعك فيه جرير و جميل، فأحبّ أن تخبرني أيّكم فيه أشعر؟ قال: و ما هو؟قلت قولك: أضرّ بها التهجير حتى كأنها # أكبّ عليها جازر متعرّق[1]

و قال جميل:

أضرّ بها التهجير حتى كأنها # بقايا سلال[2]لم يدعها سلالها

و قال جرير:

إذا بلغوا المنازل لم تقيّد # و في طول الكلال لها قيود

فقال نصيب: قاتل اللّه ابن الخطفى!ما أشعره!. قال: فقال له الرجل: أمّا أنت فقد فضلته؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني عبد الرحمن بن القاسم العجليّ قال حدّثني الحسن بن علي المنقريّ قال قال مسعود بن بشر: قلت لابن مناذر بمكة: من أشعر الناس؟قال: من إذا شئت[3]لعب، و إذا شئت جدّ؛ فإذا لعب أطعمك لعبه فيه، و إذا رمته بعد عليك؛ و إذا جدّ فيما قصد له أيأسك من نفسه. قلت: مثل من؟قال: مثل جرير حين يقول إذا لعب: إنّ الّذين غدوا بلبّك غادروا # وشلا بعينك ما يزال معينا

/ثم قال حين جدّ:

إنّ الذي حرم المكارم تغلبا # جعل الخلافة و النبوّة فينا

مضر أبي و أبو الملوك فهل لكم # يا آل تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمّي في دمشق خليفة # لو شئت ساقكم إليّ قطينا[4]

[1]التعرّق: إزالة ما على العظم من اللحم.

[2]السلال: مثل السل، و هو داء معروف. يهزل و يضني و يقتل.

[3]في ب، س: «قال من إذا لعب شبب فإذا لعب أطمعك... إلخ» .

[4]القطين: الخدم و الحشم.

اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر

:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: لمّا بلغ عبد الملك قول جرير:

هذا ابن عمّي في دمشق خليفة # لو شئت ساقكم إليّ قطينا

قال: ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيّا!أما إنّه لو قال: لو شاء ساقكم إليّ قطينا لسقتهم إليه كما قال.

فضله بشار على الأخطل و على الفرزدق

:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال: سألت بشّارا العقيّليّ عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، و لكنّ ربيعة تعصّبت له و أفرطت فيه. قلت: فجرير و الفرزدق؟قال: كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق، و فضّل جريرا عليه.

مقارنة بينه و بين الأخطل و الفرزدق

:

و قال ابن سلاّم: قال العلاء بن جرير-و كان قد أدرك الناس و سمع-: كان يقال: الأخطل إذا لم يجيء سابقا فهو سكّيت، و الفرزدق لا[1]يجيء سابقا و لا سكّيتا فهو بمنزلة المصلّى/أبدا، و جرير يجيء سابقا و مصلّيا و سكّيتا. قال ابن سلاّم: و تأويل قوله: إن للأخطل خمسا أو ستّا أو سبعا طوالا روائع غررا جيادا هو بهنّ سابق، و سائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السّكّيت-و السكّيت: آخر الخيل/في الرّهان-و الفرزدق دونه في هذه الروائع و فوقه في بقيّة شعره، فهو كالمصلّي أبدا-و هو الذي يجيء بعد السابق و قبل السكّيت-و جرير له روائع هو بهنّ سابق، و أوساط هو بهنّ مصلّ، و سفسافات[2]هو بهنّ سكّيت.

مناقضة بينه و بين الفرزدق

:

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني حاجب بن زيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة قال: قال جرير بالكوفة:

لقد قادني من حبّ ماويّة الهوى # و ما كنت تلقاني الجنيبة أقودا[3]

أحبّ ثرى نجد و بالغور حاجة # فغار الهوى يا عبد قيس و أنجدا

أقول له يا عبد قيس صبابة # بأيّ ترى مستوقد النار أوقدا

فقال أرى نارا يشبّ وقودها # بحيث استفاض الجزع شيحا و غرقدا[4]

[1]في ب، س: «إذا لم يجيء » و هو تحريف.

[2]سفساف الشعر: رديئه.

[3]كذا في «النقائض» رواية أشار إليها الشارح. و في الصلب: «و ما كان يلقاني الجنيبة... » . و في الأصول: «و ما كنت ألقى للجنيبة» بالقاف و لعلها «ألفى» بالفاء. و الجنيبة: التي تجنب معه. و الأقود: المنقاد المطيع.

[4]الغرقد: كبار العوسج.

فأعجبت الناس و تناشدوها. قال: فحدّثني جابر بن جندل قال: فقال لنا جرير: أعجبتكم هذه الأبيات؟قالوا: نعم.

قال: كأنكم بابن القين[1]و قد قال:

أعد نظرا يا عبد قيس لعلّما # أضاءت لك النار الحمار[2]المقيّدا

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت و بعده:

حمار بمرّوت السّحامة قاربت # وظيفيه حول البيت حتى تردّدا[3]

كليبيّة لم يجعل اللّه وجهها # كريما و لم يسنح بها الطير أسعدا/

قال: فتناشدها الناس. فقال الفرزدق: كأنكم بابن المراغة قد قال:

و ما عبت من نار أضاء وقودها # فراسا و بسطام بن قيس[4]مقيّدا

قال فإذا بالبيت قد جاء لجرير و معه:

و أوقدت بالسّيدان نارا ذليلة # و أشهدت من سوءات جعثن[5]مشهدا

جرير و الأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان

:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن آدم بن جشم عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال: وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان و الأخطل داخل عنده، و قد كانا تهاجيا و لم ير أحد منهما صاحبه، فلما استأذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلّم ثم جلس و قد عرفه الأخطل، فطمح طرف جرير إلى الأخطل و قد رآه ينظر إليه نظرا شديدا فقال له: من أنت؟فقال: أنا الذي منعت نومك و تهضّمت قومك. فقال له جرير: ذلك أشقى لك كائنا من كنت. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟جعلني اللّه فداءك!فضحك ثم قال: هذا الأخطل يا أبا حرزة. فردّ عليه بصره ثم قال: فلا حيّاك اللّه يا ابن النصرانية!أمّا منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيرا لك. و أما تهضّمك قومي فكيف تهضّمهم و أنت ممن ضربت عليه الذّلّة و باء بغضب من اللّه و أدّى الجزية عن يد و هو صاغر. و كيف تتهضّم لا أمّ لك فيهم/النبوّة و الخلافة و أنت لهم عبد مأمور و محكوم عليه/لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النّصرانية؛ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي.

[1]ابن القين: لقب كان ينبز به الفرزدق، و راجع الحاشية رقم 2 ص 45.

[2]يريد حمارا من حمير بني كليب و ذلك أنهم أصحاب حمير، يهجوهم بذلك و يؤنبه و يضع من قدره، نسبه إلى رعية الحمير. (راجع «النقائض» ص 491) .

[3]المروت: لبني حمان بن عبد العزي بن كعب بن سعد. و السحامة: ماءة لبني كليب باليمامة. و ورد الشطر الأخير من هذا البيت في «النقائض» هكذا: «كليبية قينية حتى ترددا» . و القينان: الوظيفان أو موضع القيد منهما.

[4]يريد فراس بن عبد اللّه بن عامر بن سلمة بن قشير و كان أسيرا مع بسطام بن قيس بن مسعود (عن «النقائض») .

[5]قال أبو عبيدة: السيدان: موضع. و جعثن: أخت الفرزدق يريد بهذا البيت تعريضا بالفرزدق و بأخته («النقائض» ص 482) .

تحاكم هو و بنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له :

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال: نازع جرير بني حمّان[1]في ركيّة لهم؛ فصاروا إلى إبراهيم[2]بن عديّ باليمامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير: أعوذ[3]بالأمير غير الجبّار # من ظلم حمّان و تحويل الدار

ما كان قبل حفرنا من محفار # و ضربي المنقار[4]بعد المنقار

في جبل أصمّ غير خوّار # يصيح بالجبّ[5]صياح الصّرّار[6]

له صهيل كصهيل الأمهار[7] # فاسأل بني صحب[8]و رهط الجرّار

و السّلميّين[9]العظام الأخطار # و الجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحمّانيّ[10]:

ما لكليب من حمى و لا دار # غير مقام أتن و أعيار[11]

قعس الظهور داميات الأثفار[12] /قال فقال جرير: فعن مقامهنّ، جعلت فداك، أجادل. فقال ابن عديّ للحمّانيّ: قد أقررت لخصمك؛ و حكم بها لجرير.

نزل ببني مازن و بني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم :

قال ابن سلاّم و أخبرني أبو يحيى الضّبّيّ قال: بينا جرير يسير على راحلته إذ هجم على أبيات من مازن و هلال-و هما بطنان من ضبّة-فخافهم، لسوء أثره في ضبّة، فقال: فلا خوف عليك و لن تراعي # بعقوة[13]مازن و بني هلال

[1]بنو حمان: حي من تميم أحد حبي بني سعد بن زيد مناة.

[2]في «ديوان جرير» المخطوط: «المهاجر بن عبد اللّه الكلابي» .

[3]راجع «الديوان» فبينه و بين ما هنا اختلاف كثير.

[4]المنقار: حديدة يحفر بها.

[5]كذا في «ديوانه» : و الجب: البئر. و في الأصول: «الحب» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

[6]الصرّار: ضرب من الخنافس يصوّت في الصحاري من أوّل الليل إلى الصبح.

[7]في الأصول:

«له صليل كصليل الأمهار»

. و في «الديوان» :

«يصهلن في الجب صهيل الأمهار»

.

[8]كذا في «ديوانه» . و بنو صحب: قبيلة من باهلة. و في الأصول: «أبا عصم» .

[9]السلميون: أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[10]في «ديوانه» :

«فقال عبد لبني حمان»

.

[11]الأتن: جمع أتان، و هي الحمارة. و الأعيار: جمع عير، و هو الحمار.

[12]القعس: جمع أقعس و قعساء. و القعس: خروج الصدر و دخول الظهر خلقة. و الثفر (بالضم و الفتح) لجميع ضروب السباع و لكل ذات مخلب: كالحياء للناقة، و قد يستعار لغير ذلك.

[13]العقوة: ساحة الدار. ـ

هما الحيّان إن فزعا يطيرا # إلى جرد كأمثال السّعالي[1]

أ مازن يا ابن كعب إنّ قلبي # لكم طول الحياة لغير قالي

غطاريف يبيت الجار فيهم # قرير العين في أهل و مال

قال[2]: أجل يا أبا حزرة فلا خوف عليك.

وفد على عبد الملك في دمشق فالتف الناس حوله في المسجد دون الفرزدق

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال شعيب بن صخر حدّثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريرا و الفرزدق في مسجد دمشق و قد قدماها على الوليد بن عبد الملك و الناس عنق[3]واحد على جرير: [قيس[4]و موالي بني أمية]يسلّمون عليه و يسألونه كيف كنت يا أبا حزرة في مسيرك، و كيف أهلك و أسبابك. و ما يطيف بالفرزدق/إلاّ نفر من خندف جلوس معه. قال شعيب: فقلت لهارون: و لم ذلك؟قال: لمدحه قيسا و قوله في العجم:

فيجمعنا و الغرّ أولاد سارة[5] # أب لا نبالي بعده من تعذّرا

قال شعيب: بلغني أنه أهديت له يومئذ مائة حلّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم، و أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن شعيب بن صخر، فذكر نحوا من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتمّ من حكاية ابن سلاّم. و قال أبو خليفة في خبره: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال يقول: وافته في يومه ذلك مائة حلّة من بني الأحرار[6].

رأي الأحوص في قباء فعرّض به لئلا يعين عليه

:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال: بينا جرير بقباء إذ طلع الأحوص/و جرير ينشد قوله: لو لا الحياء لعادني استعبار # و لزرت قبرك و الحبيب يزار

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعر و رفع صوته يقول: [1]السعالي: جمع سعلاة، و هي الغول، و قيل: هي ساحرة الجن.

[2]كذا في الأصول: و لعل الصواب: «قالوا أجل... إلخ» .

[3]العنق: الجماعة الكثيرة.

[4]الذي بين القوسين هو عبارة ابن سلام في «الطبقات» و هو الذي يناسب ما يأتي من قوله: «لمدحه قيسا و قوله في العجم إلخ» . و في ب، س: «... على جرير و كلهم من قريش و موالي قريش يسلمون عليه... إلخ» . و في سائر الأصول: «و الناس عنق واحدة يسألونه كيف كنت يا أبا حزرة إلخ» .

[5]كذا في «ديوانه» ، و هو الصحيح. و هي سارة زوجة إبراهيم الخليل صلوات اللّه عليه. و قد جاء عقب هذا البيت قوله: أبونا خليل اللّه و اللّه ربنا # رضينا بما أعطى الإله و قدّرا

و في الأصول: «سادة» بالدال المهملة، و هو تحريف.

[6]بنو الأحرار: أبناء الموالي من الفرس.

عوى[1]

الشعراء بعضهم لبعض # عليّ فقد أصابهم انتقام

إذا أرسلت قافية شرودا # رأوا أخرى تحرّق فاستداموا[2]

/فمصطلم[3]المسامع أو خصيّ # و آخر عظم هامته حطام

ثم عاد من حيث قطع. فلما فرغ قيل له: و لم قلت هذا؟قال: قد نهيت الأحوص أن يعين عليّ الفرزدق، فأنا و اللّه يا بني عمرو بن عوف ما تعوّذت من شاعر قطّ، و لو لا حقّكم ما تعوّذت منه.

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد و أوصاه به

:

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السّكّريّ قال: قال عمارة بن عقيل حدّثني أبي عن أبيه:

أن الحجّاج أوفد ابنه محمّد بن الحجّاج إلى عبد الملك و أوفد إليه جريرا معه و وصّاه به و أمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه و معاونته عليه. فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذن له، و كان لا يسمع من شعراء مضر و لا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيريّة. فلما استأذن له محمد على عبد الملك و لم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره و يقول: إنه لم يكن ممّن والى ابن الزبير و لا نصره بيده و لا لسانه، و قال له محمد: يا أمير المؤمنين، إنّ العرب لتحدّث أنّ عبدك و سيفك الحجّاج شفع في شاعر قد لاذ به و جعله وسيلته ثم رددته؛ فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: و ما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجّاج!أ لست القائل:

من سدّ مطّلع النّفاق عليكم # أم من يصول كصولة الحجاج

إن اللّه لم ينصرني بالحجّاج و إنما نصر دينه و خليفته. أ و لست القائل:

أم من يغار على النساء حفيظة # إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

يا عاضّ كذا و كذا من أمّه!و اللّه لهممت أن أطير بك طيرة بطيئا سقوطها، أخرج عنّي، فأخرج بشرّ. فلما كان بعد ثلاث شفع إليه محمد لجرير و قال له: /يا أمير المؤمنين، إني أدّيت رسالة عبدك الحجّاج و شفاعته في جرير، فلما أذنت له خاطبته بما أطار لبّه منه و أشمت به عدوّه،

و لو لم تأذن له لكان خيرا له مما سمع. فإن رأيت أن تهب كلّ ذنب له لعبدك الحجّاج و لي فافعل، فإذن له. فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لا تنشدني إلاّ في الحجاج فإنما أنت للحجاج خاصّة. فسأله أن ينشده مديحه فيه، فأبى و أقسم ألاّ ينشده إلاّ من قوله في الحجّاج؛ فأنشده و خرج بغير جائزة. فلما أزف الرّحيل قال جرير لمحمد: إن رحلت عن أمير المؤمنين و لم يسمع منّي و لم آخذ له جائزة سقطت آخر الدهر، و لست بارحا بابه أو يأذن لي في الإنشاد. و أمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير: ارحل أنت و أقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير و استأذنه له و سأله أن يسمع منه و قبّل يده و رجله، فإذن [1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «غوى» بالغين المعجمة و هو تصحيف. و عواؤهم: المراد به تناصرهم و تعاونهم، كما يعوي الذئب لأصحابه لتجتمع حوله.

[2]رواية «الديوان» و «لسان العرب» (مادة دوم) : «إذا أوقعت صاعقة عليهم» . و معنى استداموا: انتظروا، كقول الشاعر:

ترى الشعراء من صعق مصاب # بصكته و آخر مستديم

[3]الاصطلام: القطع.

له. فدخل فاستأذن في الإنشاد، فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشد ويحك!فأنشده قصيدته/التي يقول فيها: أ لستم خير من ركب المطايا # و أندى العالمين بطون راح

فتبسّم عبد الملك و قال: كذلك نحن و ما زلنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزّبير فقال: دعوت الملحدين أبا خبيب[1] # جماحا هل شفيت من الجماح

و قد وجدوا الخليفة هبرزيّا[2] # ألفّ[3]العيص ليس من النّواحي

و ما شجرات عيصك في قريش # بعشّات[4]الفروع و لا ضواحي

/قال: ثم أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

تعزّت أمّ حزرة ثم قالت # رأيت الموردين ذوي لقاح

تعلّل و هي ساغبة بنيها # بأنفاس[5]من الشّبم القراح

فقال عبد الملك: هل ترويها مائة لقحة؟فقال: إن لم يروها ذلك فلا أرواها اللّه!فهل إليها-جعلني اللّه فداك يا أمير المؤمنين-من سبيل؟فأمر له بمائة لقحة و ثمانية من الرّعاء. و كانت بين يديه جامات من ذهب؛ فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، تأمر لي بواحدة منهنّ تكون محلبا؟فضحك و ندس[6]إليه واحدة منهنّ بالقضيب و قال: خذها لا نفعتك!فأخذها و قال: بلى و اللّه يا أمير المؤمنين لينفعنّي كلّ ما منحتنيه، و خرج من عنده. قال: و قد ذكر ذلك جرير في شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك.

أعطوا هنيدة[7]يحدوها ثمانية # ما في عطائهم منّ و لا سرف

هجا سراقة البارقي بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا دماذ أبو غسّان عن أبي عبيدة قال: بذل محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة أربعة آلاف درهم و فرسا لمن فضّل من الشعراء الفرزدق على جرير، فلم يقدم عليه أحد منهم إلا سراقة البارقيّ فإنه قال يفضل الفرزدق: [1]أبو خبيب: هو عبد اللّه بن الزبير، و خبيب ابنه، و به كان يدعى.

[2]الهبرزي: الخالص.

[3]الألف: الملتف. و العيص: الأصل، و هو أيضا الشجر. يريد أنه من وسط العز لا من نواحيه.

[4]العشة: الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت. و الضواحي: البادية العيدان لا ورق عليها. و في اللسان (مادة ضحى) بعد أن أورد هذا البيت «قال أبو منصور: أراد جرير بالضواحي في بيته قريش الظواهر، و هم الذين لا ينزلون شعب مكة و بطحاءها. أراد جرير أن عبد الملك من قريش الأباطح لا من قريش الظواهر، و قريش الأباطح أشرف و أكرم من قريش الظواهر؛ لأن البطحاويين من قريش حاضرة و هم قطان الحرم، و الظواهر أعراب بادية» .

[5]الأنفاس: جمع نفس (كسبب) و هو جرعة الماء. و الشيم: البارد. و القراح: الخالص. يريد أنها تعلمهم بالماء عند افتقاد اللبن.

[6]كذا في ديوانه المخطوط ص 20 و الندس في الأصل: القطن الخفيف. يريد أنه دفع إليه جاما منها بعصا كانت في يده. و في بعض الأصول: «و دحس» . و في بعضها: «و دس» و كلاهما تحريف.

[7]هنيدة: اسم من الإبل و غيرها.

أبلغ تميما غثّها و سمينها # و الحكم يقصد مرّة و يجور

أنّ الفرزدق برّزت أعراقه # سبقا و خلّف في الغبار جرير

/ذهب الفرزدق بالفضائل[1]و العلا # و ابن المراغة مخلف محسور

هذا قضاء البارقيّ و إنني # بالميل في ميزانهم لبصير

قال أبو عبيدة فحدّثني أيّوب بن كسيب قال حدّثني أبي قال: كنت مع جرير، فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه، و قال له: إنه قد أمرني أن أوصله إليك و لا أبرح حتى تجيب عن العشر في يومك إن لقيتك نهارا أو ليلتك إن لقيتك ليلا، و أخرج إليه كتاب بشر و قد نسخ له القصيدة و أمره بأن يجيب عنها. فأخذها و مكث ليلته يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه؛ فهتف به صاحبه من الجنّ من زاوية البيت فقال له: أ زعمت أنك تقول الشعر!ما هو إلاّ أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا[2]!فهلاّ قلت: يا بشر حقّ لوجهك التبشير # هلاّ قضيت لنا و أنت أمير

/فقال له جرير: حسبك كفيتك. قال: و سمع قائلا يقول لآخر: قد أنار الصبح؛ فقال جرير: يا صاحبيّ هل الصباح منير # أم هل للوم عواذلي تفتير[3]

إلى أن فرغ منها. و فيها يقول:

قد كان حقّك أن تقول لبارق # يا آل بارق فيم سبّ جرير

يعطى النساء مهورهنّ كرامة # و نساء بارق ما لهنّ مهور

فأخذها الرسول و مضى بها إلى بشر، فقرئت بالعراق و أفحم سراقة فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته.

مناقضته عمر بن لجأ و سبب ذلك

:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم حدّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال: كان الذي هاج الهجاء بين جرير و عمر بن لجأ أن عمر كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله و جرير حاضر، فقال فيها: قد وردت قبل إنا ضحائها # تفرّس الحيّات في خرشائها[4]

[جرّ العجوز الثّني من ردائها[5]] فقال له جرير: أخفقت. فقال: كيف أقول؟قال تقول: جرّ العروس الثّني من ردائها [1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «بالقصائد» .

[2]في جـ: «حتى لم تحسن أن تجيب عنها» .

[3]الفتور و التفتير: السكون بعد الحدة و اللين بعد الشدّة. و فتر (بالتضعيف) يتعدى و يلزم.

[4]الأنا (بفتح الهمزة و كسرها) : الوقت. و الضحاء: الضحى. و تفرس: تقتل. و الخرشاء: جلد الحية.

[5]التكملة عن ابن سلام ص 101 طبع أوربا.

فقال له التّيميّ أنت أسوأ قولا منّي حيث تقول:

و أوثق عند المردفات عشيّة # لحاقا إذا ما جرّد السيف لامع

فجعلتهنّ مردفات غدوة ثم تداركتهنّ عشيّة. فقال: كيف أقول؟قال تقول: و أوثق عند المرهفات عشيّة

فقال جرير: و اللّه لهذا البيت أحبّ إليّ من بكري حزرة، و لكنك مجلب[1]للفرزدق[2]. و قال فيه جرير: هلاّ سوانا ادّرأتم يا بني لجأ # شيئا يقارب أو وحشا لها غرر[3]

أ حين كنت سماما يا بني لجأ # و خاطرت بي عن أحسابها مضر!

/خلّ الطريق لمن يبني المنار به # و ابرز ببرزة[4]حيث اضطرّك القدر

أنت ابن برزة منسوبا إلى لجأ # عند العصارة و العيدان تعتصر

و يروي:

أ لست نزوة خوّار على أمة # عند العصارة و العيدان تعتصر

فقال ابن لجأ يردّ عليه:

لقد كذبت و شرّ القول أكذبه # ما خاطرت بك عن أحسابها مضر

بل أنت[5]نزوة خوّار على أمة # لا يسبق الحلبات اللؤم و الخور

ما قلت من هذه إلا سأنقضها # يا ابن الأتان بمثلى تنقض المرر

و قال عمر بن لجأ[6]:

عجبت لما لاقت رياح[7]من الأذى # و ما اقتبسوا منّي و للشّر قابس

غضابا لكلب من كليب فرسته # هوى و لشدّات الأسود فرائس

إذا ما ابن يربوع أتاك لمأكل # على مجلس إن الأكيل مجالس

فقل لابن يربوع أ لست براحض # سبالك عنّا إنهنّ نجائس

[1]كذا في حـ و المجلب: المعين. و في سائر الأصول: «محلب» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

[2]يلاحظ أن في هذا تنافيا مع ما تقدم في حديثه مع الحجاج؛ إذ صرح فيما تقدّم بأن عمر بن لجأ هو الذي عمد إلى هذا التغيير تقبيحا للشعر. (راجع ص 18 من هذا الجزء) .

[3]ادرأتم: ختلتم: و غرر: غفلات، واحدها غرة.

[4]برزة: أم عمر بن لجأ.

[5]في الأصول: «أ لست نزوة إلخ» و التصحيح عن «النقائض» ص 488.

[6]في جميع الأصول: «و قال جرير» و هو خطأ إذ أن هذا الشعر قاله ابن لجأ يهجو به جريرا. (انظر في ترجمة الأخطل صفحة 181- 182 طبع بلاق) .

[7]رياح هو ابن يربوع و هو أحد أجداد جرير.

تمسّح يربوع سبالا لئيمة # بها من منيّ العبد رطب و يابس[1]

قال: ثم اجتمع جرير و ابن لجأ بالمدينة و قد وردها الوليد بن عبد الملك، و كان يتألّه[2]في نفسه، فقال: أ تقذفان المحصنات و تغضبانهنّ!ثم أمر أبا بكر محمد بن حزم/الأنصاريّ-و كان واليا له بالمدينة-بضربهما، فضربهما و أقامهما على البلس[3]مقرونين، و التّيميّ يومئذ أشبّ من جرير، فجعل يشول[4]بجرير و جرير يقول و هو المشول به: فلست مفارقا قرنيّ حتى # يطول تصعّدي بك و انحداري

فقال ابن لجأ:

و لمّا أن قرنت إلى جرير # أبى ذو بطنه[5]إلاّ انحدارا

فقال له قدامة بن إبراهيم الجمحيّ: و بئسما قلت!جعلت نفسك المقرون إليه!قال: فكيف أقول؟قال تقول: و لمّا لزّ في قرني جرير فقال: جزيت خيرا، لا أقوله و اللّه أبدا إلا هكذا.

هو و الأخطل في حضرة عبد الملك ابن مروان

:

حدّثني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه العبديّ قال حدّثني عمارة بن عقيل عن أبيه قال: وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان و الأخطل داخل عنده، و قد كانا تهاجيا و لم يلق أحدهما صاحبه.

فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلّم و جلس، و قد عرفه الأخطل، فطمح بصر جرير إليه فقال له: من أنت؟فقال: أنا الذي منعت نومك و هضمت قومك. فقال له جرير: ذاك أشقى لك كائنا من كنت. ثم أقبل على عبد الملك فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟فضحك و قال: هذا الأخطل يا أبا حزرة. فردّ بصره إليه و قال: فلا حيّاك اللّه يا ابن النصرانية!أمّا/منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيرا لك. و أما تهضّمك قومي فكيف تهضّمهم و أنت ممن ضربت عليهم الذّلّة و المسكنة و باءوا بغضب من اللّه!. ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانيّة. فقال: لا يكون ذلك بين يديّ. فوثب جرير مغضبا. فقال عبد الملك: قم يا أخطل و اتبع صاحبك؛ فإنما قام غضبا علينا فيك؛ فنهض الأخطل. فقال عبد الملك لخادم له: انظر ما يصنعان إذا برز له

الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حصانا له أدهم فركبه و هدر و الفرس يهتزّ من تحته، و خرج الأخطل فلاذ بالباب و توارى خلفه، و لم يزل واقفا حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره؛ فضحك و قال: قاتل اللّه جريرا!ما أفحله!أما و اللّه لو كان النصرانيّ برز إليه لأكله.

[1]لهذا قصة بسطها أبو الفرج في ترجمة الأخطل في الصفحتين السابقتين.

[2]التأله: التنسك و التعبد.

[3]البلس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين و يشهر عليها من ينكل به و ينادى عليه.

[4]يشول به: يرتفع به.

[5]ذو البطن: الرجيع.

سئل عن نفسه و عن الفرزدق و الأخطل فأجاب

:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: سئل جرير أيّ الثلاثة أشعر؟فقال: أمّا الفرزدق فيتكلّف منّي ما لا يطيقه؛ و أمّا الأخطل فأشدّنا اجتراء و أرمانا للغرض؛ و أما أنا فمدينة الشعر. و قد حدّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرّياشيّ، و قال في خبره: و أما الأخطل فأنعتنا للخمر و أمدحنا للملوك.

فضله أبو مهدي على جميع الشعراء

:

أخبرنا عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن عطاء بن مصعب قال: قلت لأبي مهديّ الباهليّ و كان من علماء العرب: أيّما أشعر أ جرير أم الفرزدق؟فغضب ثم قال: جرير أشعر العرب كلّها؛ ثم قال: /لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم.

لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا

:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول: /قال جرير: هجوت بني طهيّة أنواع الهجاء، فلم يحفلوا بقولي حتى قلت في قصيدة الراعي: كأنّ بني طهيّة رهط سلمى # حجارة خارئ يرمي كلابا

فجزعوا حينئذ و لا ذوا بي.

كان عاقا لأبيه و ابنه عاق له:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ قال: كان جرير من أعقّ الناس بأبيه[1]، و كان بلال ابنه أعقّ الناس به. فراجع جرير بلالا الكلام يوما؛ فقال له بلال: الكاذب منّي و منك ناك أمّه. فأقبلت أمّه عليه و قالت له: يا عدوّ اللّه!أ تقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه، فو اللّه لكأنه سمعها[2]منّي و أنا أقولها لأبي.

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه

:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العمريّ عن لقيط قال: كان عمر بن يزيد بن عمير الأسديّ يتعصّب للفرزدق على جرير. فتزوّج امرأة من بني عدس بن زيد بن عبد اللّه بن دارم؛ فقال جرير: نكحت إلى بني عدس بن زيد # فقد هجّنت خيلهم العرابا

أ تنسى يوم مسكن[3]إذ تنادي # و قد أخطأت بالقدم الرّكابا

[1]كذا في الأصول و لعله: «أعق الناس لأبيه.. أعق الناس له» .

[2]كذا في حـ: و في سائر الأصول: «لكأني أسمعها مني... » .

[3]مسكن: موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير في سنة 71 هـ، و فيها قتل مصعب.

و هي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بن يزيد. و لم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه.

استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجاج ثم أنشده فأجازه :

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني محمد بن الهيثم قال حدّثني عمّي أبو فراس قال حدّثني ودقة بن معروف قال: نزل جرير على عنبسة[1]بن سعيد بواسط، و لم يكن أحد يدخلها إلا بإذن الحجّاج. فلما دخل على عنبسة، قال له: ويحك!لقد غرّرت بنفسك!فما حملك على ما فعلت؟قال: شعر قلته اعتلج في صدري و جاشت به نفسي و أحببت أن يسمعه الأمير. قال: فعنّفه و أدخله بيتا في جانب داره و قال: لا تطلعنّ رأسك حتى ننظر كيف تكون الحيلة لك. قال: فأتاه رسول الحجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ، و هو قاعد في الخضراء[2]و قد صبّ فيها ماء استنقع[3]في أسفلها و هو قاعد على سرير و كرسيّ موضوع ناحية. قال عنبسة: فقعدت على الكرسيّ، و أقبل عليّ الحجّاج يحدّثني. فلما رأيت تطلّقه و طيب نفسه قلت: أصلح اللّه الأمير!رجل من شعراء العرب قال فيك شعرا أجاد فيه، فاستخفّه عجبه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك و دخل مدينتك من غير أن يستأذن له. قال: و من هو؟ قلت: ابن الخطفى. قال: و أين هو؟قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغلمان يتسارعون. قال: صف لهم موضعه من دارك؛ فوصفت لهم البيت الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأدخل عليه و هو مأخوذ بضبعيه حتى رمي به في الخضراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفّش كما يتنفش الفرخ. فقال له: هيه!ما أقدمك علينا بغير إذننا/لا أمّ لك؟قال: اصلح اللّه الأمير!قلت في الأمير شعرا لم يقل مثله أحد، فجاش به صدري و أحببت أن يسمعه منّي الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلّق الحجّاج و سكن، و استنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام!فجاءوا يسعون. فقال: عليّ بالجارية/ التي بعث بها إلينا عامل اليمامة؛ فأتي بجارية بيضاء مديدة القامة. فقال: إن أصبت صفتها فهي لك. فقال: ما اسمها؟قال: أمامة؛ فأنشأ يقول: ودّع أمامة حان منك رحيل # إنّ الوداع لمن تحبّ قليل

مثل الكثيب تهيّلت أعطافه # فالريح تجبر متنه و تهيل

تلك القلوب صواديا تيّمتها # و أرى الشفاء و ما إليه سبيل

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية و انتحبت. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها و بغلها و رحالها.

أمره الحجاج و أمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما في الجاهلية

:

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام قال حدّثني أبو الغرّاف قال: قال الحجّاج لجرير و الفرزدق و هو في قصره بجزيز[4]البصرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهليّة. فلبس [1]هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أمية، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق. (انظر الطبري ق 2 ص 792، 869، 871 طبع أوربا) .

[2]المراد بها خضراء واسط، و تعرف بالقبة الخضراء، بناها الحجاج مع قصره و المسجد الجامع بهذه المدينة. (راجع المجلد السابع من المكتبة الجغرافية ص 322 طبع أوربا) .

[3]استنقع الماء: اجتمع.

[4]كذا في جـ و «معجم ما استعجم» للبكري و معجم ياقوت. و حزيز: موضع بالبصرة بين العقيق و أعلى المربد. و قد ورد محرّفا في جميع الأصول. ـ

الفرزدق الدّيباج و الخزّ و قعد في قبّة. و شاور جرير دهاة بني يربوع فقالوا له: ما لباس آبائنا إلاّ الحديد؛ فلبس جرير درعا و تقلّد سيفا و أخذ رمحا و ركب فرسا لعبّاد بن الحصين يقال له المنحاز[1]و أقبل في أربعين فارسا من بني يربوع، و جاء الفرزدق في هيئته؛ فقال جرير: لبست سلاحي و الفرزدق لعبة # عليه وشاحا كرّج[2]و جلاجله[3]

/أعدّوا مع الحلي[4]الملاب[5]فإنما # جرير لكم بعل و أنتم حلائله

ثم رجعا، فوقف جرير في مقبرة بني حصن و وقف الفرزدق في المربد. قال: فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال: كنت أختلف إلى جرير و الفرزدق، و كان جرير يومئذ كأنه أصغرهما في عيني.

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك :

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: قدم الفرزدق اليمامة و عليها المهاجر بن عبد اللّه الكلابيّ فقال: لو دخلت على هذا فأصبت منه شيئا و لم يعلم بي جرير!فلم تستقرّ به الدار حتى قال جرير: رأيتك إذ لم يغنك اللّه بالغنى # رجعت إلى قيس و خدّك ضارع

و ما ذاك إن أعطى الفرزدق باسته # بأوّل ثغر ضيّعته مجاشع

فلما بلغ ذلك الفرزدق قال: لا جرم و اللّه لا أدخل عليه و لا أرزؤه شيئا و لا أقيم باليمامة، ثم رحل.

انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي :

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال أبو البيداء: لقي الفرزدق عمر بن عطيّة أخا جرير، و هو حينئذ يهاجي ابن لجأ، فقال له: ويلك!قل لأخيك: ثكلتك أمّك!ائت التّيميّ من عل كما أصنع أنا بك. و كان الفرزدق قد أنف لجرير و حمي من أن يتعلّق به التيميّ. قال ابن سلاّم. فأنشدني له خلف الأحمر يقوله للتّيميّ: و ما أنت إن قرما تميم تساميا # أخا التّيم إلا كالوشيظة[6]في العظم

/فلو كنت مولى العزّ أو في ظلاله # ظلمت و لكن لا يدي لك بالظلم

فقال له التّيميّ:

كذبت أنا القرم الذي دقّ مالكا # و أفناء يربوع و ما أنت بالقرم

قال ابن سلاّم فحدّثني أبو الغرّاف: أن رجال تميم مشت بين جرير و التّيميّ و قالوا: و اللّه ما شعراؤنا إلا بلاء علينا [1]كذا في «شرح القاموس» (مادة نحز) . و في ب، س: «المنجاز» . و في سائر الأصول: «المنحار» ، و هما تصحيف.

[2]الكرج: شيء يتخذ بهيئة المهر يلعب عليه.

[3]كذا في اللسان (مادة كرج) و النقائض (ص 650) و في الأصول: «و خلاخله» .

[4]كذا في أكثر الأصول و «النقائض» . و في ب، س: «الخز» .

[5]كذا في جـ و النقائض. و الملاب. ضرب من الطيب. و في ب، س: «الملاء» . و في سائر الأصول: «الملاة» و هما تحريف.

[6]الوشيظة: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم.

ينشرون مساوينا و يهجون أحياءنا و موتانا؛ فلم يزالوا بهما حتى/ أصلحوا بينهما بالعهود و المواثيق المغلّظة ألاّ يعودا في هجاء. فكفّ التّيميّ، و كان جرير لا يزال يسلّ[1]الواحدة بعد الواحدة فيه؛ فيقول التّيميّ: و اللّه ما نقضت هذه و لا سمعتها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ابن سلاّم فحدّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرملة قال: لمّا ورد علينا هجاء جرير و التّيميّ، قال[لي][2]سعيد بن المسيّب تروّ[3]شيئا مما قالا؛ فأتيته و قد استقبل القبلة يريد أن يكبّر، فقال لي: أرويت؟قلت نعم. فأقبل عليّ بوجهه فأنشدته للتّيميّ و هو يقول: هيه هيه!ثم أنشدته لجرير، فقال: أكله أكله!.

لم يؤثر هجاؤه في التيم للؤمهم

:

قال ابن سلاّم و حدّثني الرازيّ عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوما قطّ إلا فضحتهم إلاّ التّيم. فقال: يا بنيّ، لم أجد بناء أهدمه و لا شرفا أضعه و كانت تيم رعاء غنم يغدون في غنمهم ثم يروحون، و قد جاء كلّ رجل منهم بأبيات فينتحلها ابن لجأ. فقيل لجرير: ما صنعت في التّيم شيئا؛ فقال: إنهم شعراء لئام.

هو أشعر عند العامة و الفرزدق عند الخاصة

:

أخبرنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني ابن النطّاح قال حدّثني أبو اليقظان قال:

قال جرير لرجل من بني طهيّة: أيّما أشعر أنا أم الفرزدق؟فقال له: أنت عند العامة و الفرزدق عند العلماء.

فصاح جرير: أنا أبو حرزة!غلبته و ربّ الكعبة!و اللّه ما في كل مائة رجل عالم واحد.

هو و عديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك

:

حدّثنا أحمد بن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن النطّاح قال؛ و حدّثني أبو الأخضر لمخارق بن الأخضر القيسيّ

قال[4]: إنّي كنت و اللّه الذي لا إله إلا هو أخصّ الناس بجرير، و كان ينزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد، و كان عديّ بن الرقاع خاصّا بالوليد مدّاحا له؛ فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يجالس أحدا من النّزاريّة و لا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس بن الرّقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل. فقلت له: يا أبا حزرة، اختصصت عدوّك بمجلسك!فقال: إني و اللّه ما أجلس إليه إلا لأنشده أشعارا تخزيه و تخزي قومه. قال: و لم يكن ينشده شيئا من شعره، و إنما كان ينشده شعر غيره ليذلّه و يخوّفه نفسه. فأذن الوليد للناس ذات عشيّة فدخلوا و دخلنا، فأخذ الناس مجالسهم، و تخلّف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس و أخذوا مجالسهم و اطمأنّوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السّماطين يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة اللّه، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرّقاع المتفرّقة أؤلّف [1]في الأصول «يسأل» . و التصويب عن «طبقات ابن سلام» (ص 62 نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 37 أدب ش) و يريد بذلك أنه يرسل القصيدة تلو القصيدة خفية.

[2]التكملة عن ابن سلام.

[3]في الأصول: «تروي» و التصحيح عن ابن سلام؛ يقال: تروي الحديث إذا نقله.

[4]في ب، س: «قال قال» .

بعضها إلى بعض!-قال: و أنا جالس أسمع-فقال الوليد: و اللّه لهممت أن أخرجه على ظهرك إلى الناس. فقال جرير و هو قائم كما هو: /

فإن تنهني عنه فسمعا و طاعة # و إلا فإنّي عرضة للمراجم[1]

قال فقال له الوليد: لا كثّر اللّه في الناس أمثالك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحد قد سعرت[2] الأمّة، فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلا. قال: فنظرت و اللّه إلى الوليد تبسّم حتى بدت ثناياه تعجّبا من جرير و جلده. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا ابن النّطاح عن أبي عبيدة قال: كان/جرير عند الوليد و عديّ بن الرّقاع ينشده. فقال الوليد لجرير: كيف تسمع؟قال: و من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عديّ بن الرّقاع. قال: فإن شر الثياب الرّقاع، ثم قال جرير: **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ `تَصْلىَ نَاراً حَامِيَةً** [3]؛ فغضب الوليد و قال: يا ابن اللّخناء!ما بقى لك إلا أن[4]تتناول كتاب اللّه!و اللّه ليركبنّك!يا غلام أوكفه[5]حتى يركبه. فغمز عمر بن الوليد الغلام الذي أمره الوليد فأبطأ بالإكاف. فلما سكن غضب الوليد قام إليه عمر فكلّمه و طلب إليه و قال: هذا شاعر مضر و لسانها، فإن رأى أمير المؤمنين ألاّ يغضّ منه!و لم يزل به حتى أعفاه، و قال له: و اللّه لئن هجوته أو عرّضت به لأفعلنّ بك و لأفعلنّ!. فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها: أقصر فإن نزارا لن يفاخرها # فرع لئيم و أصل غير مغروس

و ذكر وقائع نزار في اليمن؛ فعلمنا أنّه عناه. و لم يجبه الآخر بشيء.

وصف شبة بن عقال و خالد بن صفوان له و للفرزدق و الأخطل :

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ قال: / قال هشام بن عبد الملك لشبّة بن عقال و عنده جرير و الفرزدق و الأخطل، و هو يومئذ أمير أ لا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضهم و هتكوا أستارهم و أغروا بين عشائرهم في غير خير و لا برّ و لا نفع أيّهم أشعر؟ فقال شبّة: أما جرير فيغرف من بحر، و أما الفرزدق فينحت من صخر، و أما الأخطل فيجيد المدح و الفخر. فقال هشام: ما فسّرت لنا شيئا نحصّله. فقال ما عندي غير ما قلت. فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا ابن الأهتم؛ فقال: أما أعظمهم فخرا، و أبعدهم ذكرا، و أحسنهم عذرا؛ و

أسيرهم[6]مثلا، و أقلّهم غزلا، و أحلاهم عللا؛ الطامي إذا زخر، و الحامي إذا زأر، و السامي إذا خطر؛ الذي إن هدر قال، و إن خطر صال؛ الفصيح اللسان، الطويل العنان؛ فالفرزدق. و أما أحسنهم نعتا، و أمدحهم بيتا، و أقلّهم فوتا؛ الذي إن هجا وضع، و إن مدح رفع، فالأخطل. و أما أغزرهم بحرا، و أرقّهم شعرا، و أهتكهم لعدوّه سترا؛ الأغرّ الأبلق، الذي أن طلب لم يسبق، و إن طلب لم يلحق؛ [1]يقال: فلان عرضة للكلام إذا كان كثيرا ما يعترضه كلام الناس و يقذف به. و المراجم: الكلم القبيحة.

[2]سعرت الأمة، يريد أوقدت فيها الشر.

[3]يريد التعريض بعاملة قبيلة عديّ بن الرقاع.

[4]و يحتمل أن تكون العبارة: «... إلا أن تتأوّل كتاب اللّه» .

[5]أوكف الدابة: وضع عليها الإكاف، و هو البرذعة.

[6]في الأصول: «و أشدّهم مثلا» .

فجرير. و كلّهم ذكيّ الفؤاد، رفيع العماد، واري الزّناد. فقال له مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأوّلين و لا رأينا في الآخرين؛ و أشهد أنك أحسنهم وصفا، و ألينهم عطفا؛ و أعفّهم مقالا، و أكرمهم فعالا. فقال خالد: أتمّ اللّه عليكم نعمه، و أجزل لديكم قسمه؛ و آنس بكم الغربة، و فرّج بكم الكربة. و أنت، و اللّه ما علمت أيّها الأمير، كريم الغراس، عالم بالناس؛ جواد في المحل، بسّام عند البذل؛ حليم عند الطّيش، في ذروة قريش؛ و لباب عبد شمس، و يومك خير من أمس. فضحك هشام و قال: ما رأيت كتخلّصك يا ابن صفوان في مدح هؤلاء و وصفهم حتى أرضيتهم جميعا و سلمت منهم[1].

جرير و ابن لجأ و قد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني مصعب الزّبيريّ قال حدّثني إبراهيم بن عبد اللّه مولى بني زهرة قال:

حضرت عمر بن لجأ و جرير بن الخطفى موقوفين للناس بسوق المدينة لمّا تهاجيا و تقاذفا و قد أمر بهما عمر بن عبد العزيز فقرنا و أقيما. قال: و عمر بن لجأ شابّ كأنه حصان، و جرير شيخ قد أسنّ و ضعف. قال فيقول ابن لجأ:

/

رأوا قمرا بساحتهم منيرا # و كيف يقارن القمر الحمارا

قال: ثم ينزو به و هما مقرونان في حبل فيسقطان إلى الأرض، فأمّا ابن لجأ فيقع قائما، و أمّا جرير فيخرّ لركبتيه و وجهه، فإذا قام نفض الغبار عنه. ثم قال بغنّته قولا يخرج الكلام به من أنفه-و كان كلامه كأنّ فيه نونا-:

فلست مفارقا قرنيّ حتّى # يطول تصعّدي بك و انحداري

قال فقال رجل من جلساء عمر له حين حضر غداؤه: لو دعا الأمير بأسيريه فغدّاهما معه!ففعل ذلك عمر. و إنما فعله بهما لأنهما تقاذفا، و كان جرير قال له:

تقول و العبد مسكين يجرّرها # أرفق فديتك أنت الناكح الذّكر

قال: و هذه قصيدته التي يقول فيها:

يا تيم تيم عديّ لا أبا لكم # لا يوقعنّكم في سوأة عمر

قال ابنه: أجود شعره قصيدته الدالية

:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني على بن محمد النّوفليّ قال حدّثني أبي قال:

كنت باليمامة و أنا واليها فكان ابن لجرير يكثر عندي[الدخول[2]]و كنت أوثره فلم أقل له قطّ أنشدني أجود شعر لأبيك إلا أنشدني الداليّة:

/

أهوى أراك برامتين وقودا[3] # أم بالجنينة من مدافع أودا[4]

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «عليهم» .

[2]التكملة عن حـ.

[3]في ب، س: «وفودا» بالفاء و هو تصحيف.

[4]الجنينة: روضة نجدية بين ضربة و حزن بني يربوع. و المدافع: مجاري السيول. و أود: موضع في ديار تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن.

فأقول له: ويحك!لا تزيدني على هذه!فيقول سألتني عن أجود شعر أبي و هذه أجود شعره، و قد كان يقدّمها على جميعه.

ذهب إلى الشأم و نزل على نميري فأكرمه

:

حدّثني ابن عمّار قال حدّثني النّوفليّ قال حدّثني علي بن عبد الملك الكعبيّ من ولد كعب مولى الحجّاج قال حدّثني فلان العلاّمة التّميميّ يرويه عن جرير قال:

ما ندمت على هجائي بني نمير قطّ إلا مرّة واحدة، فإنّي خرجت إلى الشأم فنزلت بقوم نزول في قصر لهم في ضيعة من ضياعهم، و قد نظرت إليه من بين القصور مشيّدا حسنا و سألت عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نمير. فقلت: هذا شآم و أنا بدويّ لا يعرفني، فجئت فاستضفت. فلما أذن لي و دخلت عليه عرفني فقراني أحسن القرى ليلتين، فلما أصبحت جلست، و دعا بنيّة له فضمّها إليه و ترشّفها، فإذا هي أحسن الناس وجها و لها نشر لم أشمّ أطيب منه. فنظرت إلى عينيها فقلت: تاللّه ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبيّة و لا من حورها قطّ، و عوّذتها:

فقال لي: يا أبا حزرة، أ سوداء المحاجر[1]هي؟فذهبت أصف طيب رائحتها. فقال: أصنّ وبر هي[1]؟فقلت:

يرحمك اللّه!إنّ الشاعر ليقول، /و و اللّه لقد ساءني ما قلته، و لكن صاحبكم بدأني فانتصرت، و ذهبت أعتذر.

فقال: دع ذا عنك أبا حزرة، فو اللّه ما لك عندي إلا ما تحبّ. قال: و أحسن و اللّه إليّ و زوّدني و كساني، فانصرفت و أنا أندم الناس على ما سلف منّي إلى قومه.

كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه محاج بقصيدته السينية

:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن يعقوب بن داود قال حدّثني ابن أبي علقمة الثّقفيّ قال:

كان المفضّل يقدّم الفرزدق، فأنشدته قول جرير:

حيّ الهدملة من ذات المواعيس # فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس[2]

/و قلت أنشدني لغيره مثلها فسكت. قال: و كان الفرزدق إذا أنشدها يقول: مثلها فليقل ابن اللّخناء.

رثاء الفرزدق ابن أخيه و جرير ابنه

:

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدّثنا محمد بن سلام قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد بن سليمان المساحقيّ عن المحرّر[3]بن أبي هريرة قال:

[1]يشير إلى قول جرير في القصيدة البائية التي هجا بها الراعي و ذكر فيها نساء بني نمير:

و خضراء المغابن من نمير # يشين سواد محجرها النقابا

و يشير بقوله «أصن وبر هي» إلى قول جرير في هذه القصيدة أيضا:

تطلى و هي سيئة المعرّى # بصنّ الوبر تحسبه ملابا

و الوبر: دويبة على قدر السنور. و صنه بوله، و هو منتن جدّا. و الملاب: الطيب.

[2]الهدملة و المواعيس و الحنو مواضع.

[3]كذا في حـ و «شرح القاموس» و الخلاصة في أسماء الرجال، و هو المحرر بن أبي هريرة الدوسي، تابعي. و في الأصول: «المحرز» بالزاي و هو تصحيف.

إنّي لفي عسكر سليمان بن عبد الملك و فيه جرير و الفرزدق في غزاة، إذ أتانا الفرزدق في غداة، ثم قال، اشهدوا أنّ محمد ابن أخي[1]، ثم أنشأ يقول: فبتّ[2]بديري أريحاء[3]بليلة # خداريّة يزداد طولا تمامها

/أكابد فيها نفس أقرب من مشى # أبوه بأمّ غاب عنها نيامها[4]

و كنّا نرى من غالب في محمد # شمائل تعلو الفاعلين كرامها

و كان ذا ما حلّ أرضا تزيّنت # بزينتها صحراؤها و إكامها

سقى أريحاء الغيث و هي بغيضة # إلينا و لكن بي لتسقاه هامها[5]

قال: ثم انصرف. و جاء جرير فقال: قد رأيت هذا و سمعت ما قال في ابن أخيه؛ و ما ابن أخيه فعل اللّه به و فعل! قال: و مضى جرير، فو اللّه ما لبثنا إلا جمعا حتى جاءنا جرير فقام مقامه و نعى ابنه سوادة فقال: أودى سوادة يجلو مقلتي لحم # باز يصرصر فوق المربأ العالي

فارقتني حين كفّ الدهر من بصري # و حين صرت كعظم الرّمّة البالي

إلاّ تكن لك بالدّيرين باكية # فربّ باكية بالرّمل معوال

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم # كيف العزاء و قد فارقت أشبالي

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق و جواب الفرزدق له :

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني حاجب بن زيد و أبو الغرّاف قالا: تزوّج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس على حكم أبيها، فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحجّاج يسأله ذلك؛ فعذله و قال له: أ تتزوّج امرأة على حكمها!. فقال عنبسة بن سعيد و أراد نفعه: إنما هي من حواشي إبل الصّدقة، فأمر له الحجّاج بها. فوثب جرير فقال: يا زيق قد كنت من شيبان في حسب # يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق

/أنكحت ويحك قينا باسته حمم # يا زيق ويحك هل بارت بك السّوق

[1]هكذا في الأصول. و هنا يشعر القارئ بنقص في الكلام لم نوفق لتكملته.

[2]كذا في ديوان الفرزدق «طبع أوربا» . و في الأصول: «بتنا» . و هذه الأبيات من قصيدة يرثي بها الفرزدق محمدا ابن أخيه الذي مات بالشام. و مطلع القصيدة في الديوان: البيت الآتي.

سقى أريحاء الغيث و هي بغيضة

[3]أريحا: (بفتح أوله و كسر ثانيه و سكون الياء مقصورا، و قد تحرك ياؤه و يمدّ في الشعر) : مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري) . و خدارية: شديدة الظلمة.

[4]يريد أكابد فيها نفس عزيز عليّ أبوه أقرب الناس إليّ. و ورد هذا الشطر في الديوان: أبوه لنفسي مات عني نيامها

[5]كذا في حـ و «الديوان» . و في سائر الأصول: «بي لتسقاه هامها» و هو تحريف.

غاب المثنّى[1]فلم يشهد نجيّكما[2] # و الحوفزان[3]و لم يشهدك مفروق[4]

يا رب قائلة بعد البناء بها # لا الصّهر راض و لا ابن القين معشوق

أين الألى استنزلوا النّعمان ضاحية # أم أين أبناء شيبان الغرانيق[5]

قال: فلم يجبه الفرزدق عنها. فقال جرير أيضا:

فلا أنا معطي الحكم عن شفّ[6]منصب # و لا عن بنات الحنظليّين راغب

و هنّ[7]كماء المزن يشفى به الصّدى # و كانت ملاحا[8]غيرهنّ[9]المشارب

فلو كنت حرّا كان عشرا سياقكم[9] # إلى آل زيق و الوصيف المقارب[10]

/فقال الفرزدق:

فنل مثلها[11]من مثلهم ثم لمهم # على دارميّ بين ليلى و غالب

/هم زوّجوا قبلي لقيطا و أنكحوا # ضرارا و هم أكفاؤنا في المناسب

و لو قبلوا منّي عطيّة سقته # إلى آل زيق من وصيف مقارب

و لو تنكح الشمس النجوم بناتها # إذا لنكحناهنّ قبل الكواكب

قال ابن سلاّم فحدّثني الرّازيّ عن أبيه قال: ما كانت امرأة من بني حنظلة إلاّ ترفع لجرير اللّويّة في عظمها لتطرفه بها لقوله: و هنّ كماء يشفى به الصّدى # و كانت ملاحا غيرهنّ المشارب

فقلت للرّازيّ: ما اللّويّة؟قال: الشّريحة من اللحم، أو الفدرة[12]من التمر، أو الكبّة من الشحم، أو الحفنة من الأقط؛ فإذا ذهب الألبان و ضاقت المعيشة كانت طرفة عندهم.

[1]يريد المثنى بن حارثة الشيباني أحد قواد الإسلام و هو الذي فتح سواد العراق و قتل يوم الجسر في وقعة بين المسلمين و العجم في أيام عمر رضي اللّه عنه.

[2]كذا في حـ و «النقائض» . و في ب، س: «بحبكما» و في م، أ، ء: «محبكما» و كلاهما تحريف.

[3]الحوفزان: اسم الحارث بن شريك الشيباني، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه بأعجله. و قال ابن سيدة: سمي بذلك لأن قيسا التميميّ حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمي لحوفزان.

[4]مفروق: هو النعمان بن عمرو الشيباني.

[5]الغرانيق: جمع غرنوق-و فيه لغات أخرى-و هو الشاب الناعم الجميل.

[6]الشف هاهنا: النقصان، و قد يكون الشف الفضل و الزيادة.

[7]في «النقائض» : «أراهنّ ماء المزن» .

[8]ملاح: جمع ملح و هو ضد العذب. و في ب، س: «بينهن المشارب» و هو تحريف.

[9]السياق: المهر. سمي المهر بذلك لأن العرب كانوا إذا تزوّجوا ساقوا الإبل و الغنم مهرا لأنها كانت الغالبة على أموالهم.

[10]المقارب: الدون، و قيل: هو الوسط بين الجيد و الرديء.

[11]الشطر الأوّل من بيت و الشطر الثاني عجز بيت آخر. و البيتان كما في النقائض هما: فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم # على دارميّ بين ليلى و غالب

فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم # بمالك من مال مراح و عازب

[12]الفدرة: القطعة.

قال: و قال جرير أيضا في شأن حدراء:

أ ثائرة حدراء من جرّ بالنّقا # و هل لأبي حدراء في الوتر طالب

أ تثأر بسطاما إذا ابتلّت استها # و قد بوّلت في مسمعيه الثعالب[1]

قال ابن سلاّم: و النّقا الذي عناه جرير هو الموضع الذي قتلت فيه بنو ضبّة بسطاما، و هو بسطام بن قيس. قال: فكرهت بنو شيبان أن يهتك جرير أعراضهم. فلما أراد الفرزدق نقل حدراء اعتلّوا عليه و قالوا له إنها ماتت. فقال جرير: فأقسم ما ماتت و لكنّما التوى # بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

رأوا أنّ صهر القين عار عليهم # و أنّ لبسطام على غالب فضلا

مدح قوما عادوه في مرضه

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا محمد ابن إدريس اليماميّ قال حدّثنا عليّ بن عبد اللّه بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جدّه قال: دخلنا على جرير في نفر من قريش نعوده في علّته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال: أهلا و سهلا بقوم زيّنوا حسبي # و إن مرضت فهم أهلي و عوّادي

إن تجر طير بأمر فيه عافية # أو بالفراق فقد أحسنتم زادي

لو أن ليثا أبا شبلين أو عدني # لم يسلموني لليث الغابة العادي

نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه

:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثني أبو جناح أحد بني كعب بن عمرو بن تميم قال: نعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد اللّه و جرير عنده فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدّعته # ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمر اللّه ما قلت في ابن عمك!أ تهجو ميّتا!أما و اللّه لو رثيته لكنت أكرم العرب و أشعرها.

فقال: إن رأى الأمير أن يكتمها عليّ فإنها سوأة؛ ثم قال من وقته:

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل # و لا ذات بعل من نفاس تعلت[2]

/هو الوافد الميمون و الرائق الثأي[3] # إذا النعل يوما بالعشيرة زلّت

/قال: ثم بكى ثم قال: أما و اللّه إنّي لأعلم أنّي قليل البقاء بعده، و لقد كان نجمنا واحدا و كل واحد منا مشغول [1]كناية عن أنه قتل و رمى به فالثعالب تبول عليه.

[2]تعلت المرأة من نفاسها: برئت منه و خرجت.

[3]الثأي: الفتق و الفساد. ـ

بصاحبه، و قلّما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. و قد زاد الناس في بيتي جرير هذين أبياتا أخر، و لم يقل غيرهما و إنما أضيف إلى ما قاله.

صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رحل الخليط جمالهم بسواد # و حدا على إثر البخيلة حادي

ما إن شعرت و لا علمت بينهم # حتى سمعت به الغراب ينادي

الشعر لجميل. و الغناء لإبراهيم، و لحّنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

2-نسب جميل و أخباره

هو جميل بن عبد اللّه[1]بن معمر بن الحارث[2]بن ظبيان و قيل ابن معمر بن حزّ[3]بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنّة[4]بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد-و هو هذيم، و سمّي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه-ابن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. و النسّابون مختلفون في قضاعة، فمنهم من يزعم أن قضاعة ابن معدّ و هو أخو نزار بن معدّ لأبيه و أمّه، و هي معانة بنت جوسم[5]بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عديّ بن دبّ بن جرهم؛ و منهم من يزعم أنهم من حمير. و قد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معدّيّا فقال: أنا جميل في السّنام من معدّ # في الأسرة الحصداء[6]و العيص الأشدّ

و قال راجز من قضاعة ينسبهم إلى حمير:

قضاعة الأثرون خير معشر # قضاعة بن مالك بن حمير

و لهم في هذا أراجيز كثيرة. إلاّ أنّ قضاعة اليوم تنسب كلّها في حمير، فتزعم أن قضاعة ابن مالك بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب/بن قحطان. و قال القحذميّ: اسم سبأ عامر؛ و إنما قيل له سبأ لأنه أوّل من سبى النساء. و كان يقال له عب الشمس[7]، أي عديل الشمس؛ سمّي بذلك لحسنه. و من زعم من هؤلاء أنّ قضاعة ليس ابن معدّ ذكر أن أمّه عكبرة[8] (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها و هي حامل، فخلفه عليها معدّ بن عدنان، فولدت قضاعة على فراشه. و قال: مؤرّج بن عمرو: هذا قول أحدثوه بعد و صنعوا شعرا ألصقوه به ليصحّحوا هذا القول، و هو: يا أيّها الدّاعي ادعنا و أبشر # و كن قضاعيّا و لا تنزّر

[1]في «الشعر و الشعراء» : «و قد يقال فيه جميل بن معمر بن عبد اللّه» .

[2]في «تهذيب تاريخ ابن عساكر» و «ابن خلكان» و «شرح القاموس» (مادة صبح) : «صباح» بدل الحارث.

[3]كذا في ابن خلكان: و فيه «... ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة و تشديد النون ابن ربيعة بن حرام... إلخ» . و في حـ: «خيبرى» و يؤيده ما في «شرح القاموس» (مادة خبر) حيث قال: «و جميل بن معمر بن خيبري العذري الشاعر المشهور» . و هو محرف في سائر الأصول.

[4]كذا في «شرح القاموس» (مادة ضن) . و في الأصول «ضبة» بالباء الموحدة، و هو تصحيف.

[5]في «الطبري» ق 1 ص 675 طبع أوروبا: «جرشم» و في نسخة أشير إليها بهامشه: «جوشم» .

[6]الحصداء: القوية.

[7]عب الشمس (بالتخفيف و التشديد) : ضوأها.

[8]ورد في صبح الأعشى للقلقشندي (حـ 1 ص 315) بعد ما ذكر خلاف بعض النسابة في قضاعة ما نصه: «قال السهيلي: إن أم قضاعة (و هي جكرة) مات عنها مالك بن حمير و هي حامل فتزوجها بعده بعد معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب إليه» .

قضاعة الأثرون خير معشر # قضاعة بن مالك بن حمير

/النسب المعروف غير المنكر

قال مؤرّج: و هذا شيء قيل في آخر أيام بني أميّة. و شعراء قضاعة في الجاهليّة و الإسلام كلها تنتمي إلى معدّ. قال جميل:

و أيّ معدّ كان فيء[1]رماحهم # كما قد أفأنا و المفاخر منصف

و قال زيادة بن زيد يهجو بني عمّه بني عامر رهط هدبة بن خشرم:

و إذا معدّ أوقدت نيرانها # للمجد أغضت عامر و تضعضعوا

كان راوية هدبة بن خشرم و كان كثير راويته

:

و جميل شاعر فصيح مقدّم جامع للشعر و الرواية، كان راوية هدبة بن خشرم، و كان هدبة شاعرا راوية للحطيئة، و كان الحطيئة شاعرا راوية لزهير و ابنه. و قال أبو محلّم: آخر من اجتمع له الشعر و الرواية كثيّر، و كان راوية جميل، و جميل راوية هدبة، و هدبة راوية الحطيئة، و الحطيئة راوية زهير.

نسب بثينة عشيقته

:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال: كان جميل يهوى بثينة بنت حبإ بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحبّ بن حنّ بن ربيعة[تلتقي هي و جميل في حنّ من ربيعة[2]]في النسب.

كان كثير راويته يقدمه على نفسه

:

حدّثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ و هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قالا حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي الزّناد قال:

كان كثيّر راوية جميل، و كان يقدّمه على نفسه و يتّخذه إماما، و إذا سئل عنه قال: و هل علّم اللّه عزّ و جلّ ما تسمعون إلاّ منه!.

أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد اللّه بن معاوية الزّبيريّ قال:

كان كثيّر إذا ذكر له جميل قال: و هل علّم اللّه ما تسمعون إلا منه!.

مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن المسور بن عبد الملك عن نصيب مولى عبد العزيز بن مروان قال:

قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد بن أبي سنان الأسلميّ، فوجدته بشعب سلع[3]مع عبد الرحمن بن حسّان و عبد الرحمن بن أزهر. فإنّا لجلوس إذ طلع علينا رجل طويل بين المنكبين [1]الفي ء: الغنيمة.

[2]التكملة عن تجريد الأغاني.

[3]سلع: موضع بقرب المدينة.

طوال[1]يقود راحلة عليها بزّة حسنة. فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أزهر: يا أبا جبير[2]، هذا جميل، فادعه لعلّه أن ينشدنا. فصاح به عبد الرحمن: هيا جميل هيا جميل! /فالتفت فقال: من هذا؟فقال: أنا عبد الرحمن بن أزهر. فقال: قد علمت أنه لا يجترئ عليّ إلا مثلك.

فأتاه فقال له أنشدنا، فأنشدهم:

نحن منعنا يوم أول[3]نساءنا # و يوم أفيّ[4]و الأسنّة ترعف

و يوم ركايا ذي الجذاة[5]و وقعة # ببنيان[6]كانت بعض ما قد تسلّفوا

يحبّ الغواني البيض ظلّ لوائنا # إذا ما أتانا الصارخ المتلهّف

نسير أمام الناس و الناس خلفنا # فإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

فأيّ معدّ كان فيء رماحه # كما قد أفأنا و المفاخر ينصف

و كنّا إذا ما معشر نصبوا لنا[7] # و مرّت جواري طيرهم و تعيّفوا

وضعنا لهم صاع القصاص رهينة # بما سوف نوفيها إذ الناس طفّفوا

/إذا استبق[8]الأقوام مجدا وجدتنا # لنا مغرفا مجد و للناس مغرف

قال: ثم قال له: أنشدنا هزجا. قال: و ما الهزج؟لعله هذا القصير؟قال نعم، فأنشده-قال الزّبير: لم يذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين، و أنشدنا باقيها بهلول بن سليمان بن قرضاب البلويّ-.

صوت

رسم[9]دار وقفت في طلله # كدت أقضي الغداة[10]من جلّله

موحشا ما ترى به أحدا تنـ # تسج الريح ترب معتدله

و صريعا من الثّمام ترى # عارمات المدبّ في أسله[11]

[1]هذه الكلمة «طوال» ساقطة في ب، س.

[2]كذا في حـ و الخلاصة في أسماء الرجال. و في سائر الأصول: «يا أبا جبتر» و هو تصحيف.

[3]أول: واد بين الفيل و أكمة على طريق اليمامة إلى مكة (كما في «معجم البلدان» لياقوت) . و في ب، س: «يوم أرل» بالراء و هو تحريف.

[4]قال ياقوت: أفيّ: موضع في شعر نصيب، و استشهد بهذا البيت.

[5]كذا في «معجم ما استعجم» للبكري و نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. و ذو الجذاة: موضع. و في ب، س: «ذي الحداة» بالحاء و الدال المهملتين. و في سائر الأصول: «ذي الجداة» بالجيم، و كلاهما تصحيف. و ركايا: جمع ركية، و هي البئر ذات الماء.

[6]كذا في «معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على بيان و نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. و بنيان: موضع. و قد ورد محرفا في الأصول.

[7]في «منتهى الطلب في أشعار العرب» لمحمد بن المبارك (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم 53 أدب ش) : «جحفوا بنا» .

[8]في الكتاب السابق: «إذا انتهب الاقوام... إلخ» .

[9]رسم دار أي رب رسم دار إلخ.

[10]في ب، س: «أقضى الحياة» . و هي رواية في البيت. و من جلّله: من أجله، أو من عظمه في عيني.

[11]ورد هذا البيت في جميع الأصول بصور مختلفة و كلها محرفة، و قد صححناه عن شرح شواهد مغنى اللبيب للسيوطي طبع فارس.

بين علياء وابش فبليّ # فالغميم الذي إلى جبله[1]

واقفا في ديار أمّ جسير[2] # من ضحى يومه إلى أصله

يا خليليّ إن أمّ جسير[3] # حين يدنو الضجيع من علله

روضة ذات حنوة و خزامى # جاد فيها الربيع من سبله[4]

بينما هنّ بالأراك معا # إذ بدا راكب على جمله

فتأطّرن ثم قلن لها # أكرميه حيّيت في نزله[5]

فظللنا بنعمة و اتّكأنا[6] # و شربنا الحلال من قلله

/قد أصون الحديث دون خليل[7] # لا أخاف الأذاة من قبله

غير ما بغضة و لا لاجتناب # غير أنّي ألحت من وجله[8]

و خليل صاقبت[9]مرتضيا[10] # و خليل فارقت من مله

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولّيا. فقال ابن الأزهر: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حسّان: نعم و اللّه و أشعر أهل الجاهليّة، و اللّه ما لأحد منهم مثل هجائه و لا نسيبه. فقال عبد الرحمن بن الأزهر: صدقت.

قال نصيب: و أنشدت الوليد فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، و اللّه ما زاد عليها. فقلت: يا أبا محجن، أ فرضيت منه بأن تكون أشعر السّودان؟ قال: وددت و اللّه يا ابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، و لكنه لم يفعل، و لست بكاذبك.

كان صادق الصبابة و كان كثير يتقول

:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال:

كان لكثيّر في النّسيب حظّ وافر و جميل مقدّم عليه و على أصحاب النسيب في النسيب؛ و كان كثيّر راوية و الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص. و العارمات: القوية الشديدة. و المدب: مجرى السيل. و الأسل: نبات له أغصان كثيرة، واحده أسلة.

[1]كذا في حـ و «معجم ما استعجم» و «شرح شواهد المغني» . و وابش: واد أو جبل بين وادي القرى و الشام. و في سائر الأصول: «رائس» .

و بلى: تل قصير أسفل حاذة بينها و بين ذات عرق. و الغميم: موضع بالحجاز.

[2]كذا في حـ. و أم جسير: أخت بثينة صاحبة جميل. و في سائر الأصول: «أم حسين» و هو تحريف.

[3]قال في «خزانة الأدب» . و الغلل داء. و قال العيني: هو الماء بين الأشجار. و في «اللسان» أن من معاني الغلل العطش و حرارته.

[4]الحنوة: نبات سهلي طيب الريح. و السبل: المطر.

[5]التأطر: التثني. و النزل (بضمتين) : ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه.

[6]اتكأنا: قال ابن قتيبة: معناه طعمنا و أكلنا، من قوله تعالى: **وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً** أي طعاما أو مجلس طعام؛ فإنهم كانوا يتكئون للطعام و الشراب تترفا، و لذلك نهى عنه.

[7]في «خزانة الأدب» للبغدادي و «شرح شواهد المغني» : «دون أخ» .

[8]في «شرح شواهد المغني» و «خزانة الأدب» :

غير بغض له و لا ملق # غير أني أشحت من وجله

[9]كذا في حـ. و صاقبته: قاربته. و في سائر الأصول: «صافيت» .

[10]كذا في «شرح شواهد المغني» . و في الأصول: «مرتقبا» .

جميل، و كان جميل صادق الصّبابة و العشق، و لم يكن كثيّر بعاشق و لكنه كان يتقوّل. و كان الناس يستحسنون بيت كثيّر في النسيب: أريد لأنسى ذكرها فكأنّما # تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

قال: و رأيت من يفضّل عليه بيت جميل:

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

/قال ابن سلاّم: و هذا البيت الذي لكثيّر أخذه من جميل حيث يقول:

/

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما # تمثّل لي ليلى على كلّ مرقب

عرض الفرزدق لكثير بأنه سرق منه فردّ عليه بمثله

:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شهاب عن طلحة بن عبد اللّه بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيّرا بقارعة البلاط[1]و أنا و هو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، أنت أنسب العرب حين تقول: أريد لأنسى ذكرها فكأنما # تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

يعرّض له بسرقته من جميل. فقال له كثيّر: و أنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول: ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا # و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

-قال عبد العزيز: و هذا البيت أيضا لجميل سرقه الفرزدق-فقال الفرزدق لكثيّر: هل كانت أمّك مرّت بالبصرة؟ قال: لا!و لكن أبي، فكان نزيلا لأمّك[2]. قال طلحة بن عبد اللّه: فو الذي نفسي بيده لعجبت من كثيّر و جوابه، و ما رأيت أحدا قطّ أحمق منه، رأيتني دخلت عليه يوما في نفر من قريش و كنّا كثيرا ما نتهزّأ به، فقلنا: كيف تجدك يا أبا صخر؟قال: بخير، أ ما سمعتم الناس يقولون شيئا؟قلنا: نعم، يتحدّثون أنك الدجّال. فقال: و اللّه لئن قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضعفا منذ أيام.

كان كثيّر يفضله على نفسه و يبدأ بإنشاد شعره

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال كتب إليّ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم يقول حدّثني أبو عبيدة عن جويرية بن أسماء قال: كان أبو صخر كثيّر صديقا لي، و كان يأتيني كثيرا، فقلّما استنشدته إلاّ بدأ بجميل و أنشد له ثم أنشد لنفسه، و كان يفضّله و يتّخذه إماما.

قال الزبير و كتب إليّ إسحاق يقول حدّثني صباح بن خاقان عن عبد اللّه بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن الزّبير قال: [1]البلاط: موضع معروف بالمدينة.

[2]في حـ: «هل كانت أمك ترد البصرة؟قال لا، و لكن أبي كان كثيرا ما يردها» .

ذكر جميل لكثيّر، فقالوا: ما تقول فيه؟فقال: منه علّم اللّه عزّ و جلّ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو يحيى الزّهريّ عن إسحاق بن قبيصة الكوفيّ عن رجل سمّاه قال:

سألت نصيبا: أ جميل أنسب أم كثيّر؟فقال: أنا سألت كثيّرا عن ذاك فقال: و هل وطّأ لنا النّسيب إلاّ جميل!.

قال عمر بن شبّة و قال إسحاق حدّثني السّعيدي عن أبي مالك النّهديّ قال:

جلس إلينا نصيب فذكرنا جميلا، فقال: ذاك إمام المحبّين، و هل هدى اللّه عزّ و جلّ لما ترى إلاّ بجميل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة عن جويرية بن أسماء قال: ما استنشدت كثيّرا قطّ إلا بدأ بجميل و أنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، و كان يفضّله و يتخذه إماما.

أول عشقه بثينة

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلويّ قال:

/كان جميل ينسب بأمّ الجسير، و كان أوّل ما علق بثينة أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يقال له بغيض[1]، فاضطجع و أرسل إبله مصعدة، و أهل بثينة بذنب الوادي؛ فأقبلت بثينة و جارة لها واردتين الماء، فمرّتا على فصال له بروك فعرمتهنّ[2]بثينة-يقول: نفّرتهنّ-و هي إذ ذاك جويرية صغيرة؛ فسبّها جميل، فافترت عليه، فملح إليه سبابها/فقال:

و أوّل[3]ما قاد المودّة بيننا # بوادي بغيض يا بثين سباب

و قلنا لها قولا فجاءت بمثله # لكلّ كلام يا بثين جواب

قال الزّبير و حدّثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نبيه بن الأسود العذريّ-و كانت بثينة عند أبيه نبيه بن الأسود، و إياه يعني جميل بقوله:

لقد أنكحوا جهلا نبيها ظعينة # لطيفة طيّ الكشح ذات شوى خدل[4]

-قال الزّبير و حدّثني أيضا الأسباط بن عيسى بن عبد الجبّار العذريّ أن جميل بن معمر خرج في يوم عيد و النساء إذ ذاك يتزيّنّ و يبدو بعضهن لبعض و يبدون للرجال، و أن جميلا وقف على بثينة و أختها أمّ الجسير في نساء من بني الأحبّ و هنّ بنات عمّ عبيد اللّه بن قطبة أخي أبيه لحّا[5]، فرأى منهنّ منظرا و أعجبنه و عشق بثينة و قعد/معهنّ، ثم راح و قد كان معه فتيان من بني الأحبّ، فعلم انّ القوم قد عرفوا في نظره حبّ بثينة و وجدوا عليه، فراح و هو يقول:

[1]في حـ: «بعيض» بالعين المهملة.

[2]كذا في حـ. و عرمتهن: أصابتهن بشر و أذى. و في أ، ء، م: «فعرفتهن» . و في ب، س: «فعزفتهن» و كلاهما تحريف.

[3]في حـ: «لأوّل» و في ب هكذا: «الأول» و هو تحريف.

[4]كذا في أ، ء، م و الخدل: الممتلئ. و في سائر الأصول: «جذل» و هو تصحيف.

[5]لحا: لازقا. يقال: هو ابن عم لح بالكسر في النكرة على الاتباع، و هو ابن عمي لحا، بالنصب في المعرفة على الحال. و الواحد و الاثنان و الجمع و المذكر و المؤنث في ذلك سواء. و شرطه الاتحاد في الذكورة أو الأنوثة. فلا يقال: هما ابنا خال لح، و لا ابنا عمة لح لأنهما مفترقان إذ هما رجل و امرأة. و إذا لم يكن العم لحا و كان رجلا من العشيرة قلت: هو ابن عم الكلالة و ابن عم كلالة. (راجع «لسان العرب» مادّة لحح) .

عجل الفراق و ليته لم يعجل # و جرت بوادر دمعك المتهلّل

طربا و شاقك ما لقيت و لم تخف # بين الحبيب غداة برقة مجول[1]

و عرفت أنك حين رحت و لم يكن # بعد اليقين و ليس ذاك بمشكل

لن تستطيع إلى بثينة رجعة # بعد التفرّق دون عام مقبل

قال: و إنّ بثينة لمّا أخبرت أن جميلا قد نسب بها حلفت باللّه لا يأتيها على خلاء إلاّ خرجت إليه و لا تتوارى منه، فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدّث إليها و مع أخواتها، حتى نمي إلى رجالها أنه يتحدّث إليها إذا خلا منهم، و كانوا أصلافا غيرا-أو قال غيارى-فرصدوه بجماعة نحو من بضعة عشر رجلا و جاء على الصّهباء[2]ناقته حتى وقف على بثينة و أمّ الجسير و هما يحدّثانه و هو ينشدهما يومئذ: حلفت بربّ الراقصات إلى منّى # هويّ القطا يجتزن بطن دفين[3]

لقد ظنّ هذا القلب أن ليس لاقيا # سليمى و لا أمّ الجسير لحين

فليت رجالا فيك قد نذروا دمي # و همّوا بقتلي يا بثين لقوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به و هو يقول: إذا جمع الاثنان[4]جمعا رميتهم # بأركانها حتى تخلّى سبيلها

فكان هذا أوّل سبب المهاجاة بينه و بين عبيد اللّه بن قطبة.

واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرّعه نساء الحي، و شعره في ذلك :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا بهلول بن سليمان عن مشيخة من عذرة: أنّ بثينة[5]واعدت جميلا أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها. و جاء أعرابيّ يستضيف القوم فأنزلوه و قروه؛ فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرّقين متوارين في الشجر، و أنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم؛ فعرفوا أنه جميل و صاحباه، فحرسوا بثينة و منعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبح انصرف كئيبا سيئ الظنّ بها و رجع إلى/أهله؛ فجعل نساء الحيّ يقرّعنه بذلك و يقلن له: إنما حصلت منها على الباطل و الكذب و الغدر، و غيرها أولى بوصلك منها، كما أنّ غيرك يحظى بها. فقال في ذلك: [1]كذا في «معجم البلدان» لياقوت و «شرح القاموس» ، و ذكر شارح القاموس أنه موضع. و في الأصول: «برقة محول» بالحاء المهملة.

[2]في جـ: «الشهباء» .

[3]دفين: اسم موضع كما في «شرح القاموس» (مادة دفن) .

[4]وردت هذه الكلمة في الأصول، و لعلها محرفة عن الشنان و هو البغض و العداوة.

[5]ورد هذا الخبر في أ، ء، م، حـ هكذا: «... عن مشيخة من عذرة و بلى أن رهط بثينة نذروا دم جميل و سمعوا أنه قد أمسى بوادي القرى و هو يريد طريق مكة فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسند الوادي فأخذوا جانبي القرى بأخذه السيل و هو جهد ما يخرج منه الراحلة و الشق بعض إبلكم... إلخ» و هو غير واضح.

صوت

أ بثين إنّك قد ملكت فأسجحي # و خذي بحظك من كريم واصل

فأجبتها في القول بعد تستّر # حبّي بثينة عن وصالك شاغلي[1]

فلربّ عارضة علينا وصلها # بالجدّ تخلطه بقول الهازل

لو كان في صدري كقدر قلامة # فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي

-الغناء ليحيى المكّي ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه-:

صوت

و يقلن إنك قد رضيت بباطل # منها فهل لك في اجتناب الباطل

و لباطل ممّا أحبّ حديثه # أشهى إليّ من البغيض الباذل

ليزلن عنك هواي ثم يصلنني # و إذا هويت فما هواي بزائل

-الغناء لسليم رمل بالوسطى عن عمرو، و ذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوراء. و روى حمّاد عن أبيه في أخبار ابن سريج أنّ لابن سريج فيه لحنا و لم يجنّسه-: صادت فؤادي يا بثين حبالكم # يوم الحجون و أخطأتك حبائلي

منّيتني فلويت ما منّيتني # و جعلت عاجل ما وعدت كآجل

و تثاقلت لمّا رأت كلفي بها # أحبب إليّ بذاك من متثاقل

و أطعت فيّ عواذلا فهجرتني # و عصيت فيك و قد جهدن عواذلي

حاولنني لأبتّ حبل وصالكم # منّي، و لست و إن جهدن بفاعل

فرددتهن و قد سبعين بهجركم # لمّا سعين له بأفوق ناصل[2]

يعضضن من غيظ عليّ أناملا # و وددت لو يعضضن صمّ جنادل

و يقلن إنك يا بثين بخيلة # نفسي فداؤك من ضنين باخل

قالوا: و قال جميل في وعد بثينة بالتّلاقي و تأخّرها قصيدة أوّلها: يا صاح عن بعض الملامة أقصر # /إنّ المنى للقاء أمّ المسور

فمما يغنّى فيه منها قوله:

[1]كذا ورد ترتيب هذه الأبيات في أكثر الأصول. و ورد في ب، س تقديم البيت الثاني على الأول. على أن سياق الشعر يقتضي أن يكون البيت الثالث في الوضع مكان الثاني و البيت الثاني مكان الثالث.

[2]السهم الأفوق: الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه. و الفوق (بالضم) : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. و حرفاه زنمتاه. و ناصل: لا نصل له. و في الأصول: «ناضل» بالضاد المعجمة. و التصويب عن «تجريد الأغاني» .

صوت

و كأنّ طارقها على علل الكرى # و النجم وهنا قد دنا لتغوّر

يستاف[1]ريح مدامة معجونة # بذكيّ مسك أو سحيق العنبر

/الغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر من رواية الهشاميّ. و ذكر عمرو بن بانة أنه لابن المكيّ.

و مما يغني فيه منها قوله:

صوت

/

إنّي لأحفظ غيبكم و يسرّني # إذ تذكرين بصالح أن تذكري

و يكون يوم لا أرى لك مرسلا # أو نلتقي فيه عليّ كأشهر

يا ليتني ألقى المنيّة بغتة # إن كان يوم لقائكم لم يقدر

أو أستطيع تجلّدا عن ذكركم # فيفيق[2]بعض صبابتي و تفكّري

الغناء لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ. و فيه يقول: لو قد تجنّ كما أجنّ من الهوى # لعذرت أو لظلمت إن لم تعذر

و اللّه ما للقلب من علم بها # غير الظنون و غير قول المخبر

لا تحسبي أنّي هجرتك طائعا # حدث لعمرك رائع أن تهجري

فلتبكينّ الباكيات و إن أبح # يوما بسرّك معلنا لم أعذر

يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت # يتبع صداي صداك بين الأقبر

صوت

إنّي إليك بما وعدت لناظر # نظر الفقير إلى الغنيّ المكثر

يعد الديون و ليس ينجز موعدا # هذا الغريم لنا و ليس بمعسر

ما أنت و الوعد الذي تعديننني # إلاّ كبرق سحابة لم تمطر

قلبي نصحت له فردّ نصيحتي # فمتى هجرتيه فمنه تكثّري[3]

/الغناء في هذه الأبيات لسليم رمل عن الهشاميّ. و فيه قدح طنبوريّ أظنّه لجحظة أو لعليّ بن مودّة[4].

قالوا: و قال في إخلافها إياه هذا الموعد: [1]يستاف: يشم.

[2]في تزيين الأسواق (ص 46) : «فأفيق بعد صبابتي» .
[3]أي تكثري من الهجر و استزيدي.
[4]في أ، د، م: «سودة» .

صوت

ألا ليت ريعان الشباب جديد # و دهرا تولّى يا بثين يعود

فنغنى[1]كما كنّا نكون و أنتم # قريب و إذ ما تبذلين زهيد

و يروى.

و ممّا لا يزيد[2]بعيد

و هكذا يغنّى فيه:

الغناء لسليم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى. و مما يغنّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة # بوادي القرى إنّي إذا لسعيد

و هل ألقين فردا بثينة مرّة # تجود لنا من ودّها و نجود

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل # إلى اليوم ينمي حبّها و يزيد

و أفنيت عمري بانتظاري وعدها # و أبليت فيها الدهر و هو جديد

فلا أنا مردود بما جئت طالبا # و لا حبّها فيما يبيد يبيد

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى. و مما يغنّى فيه منها:

صوت

و ما أنس م الأشياء لا أنس قولها # و قد قربت بصرى[3]أ مصر تريد

/و لا قولها لو لا العيون التي ترى # لزرتك فاعذرني فدتك جدود

خليليّ ما ألقى من الوجد قاتلي # و دمعي بما قلت الغداة شهيد

يقولون جاهد يا جميل بغزوة # و أيّ جهاد غيرهنّ أريد

لكلّ حديث بينهنّ بشاشة # و كلّ قتيل عندهنّ شهيد

الغناء للغريض خفيف ثقيل من رواية حمّاد عن أبيه. و في هذه القصيدة يقول: إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي # من الحبّ قالت ثابت و يزيد

يا جميل بغزوة # و أيّ جهاد غيرهنّ أريد

و إن قلت ردّي بعض عقلي أعش به # مع الناس قالت ذاك منك بعيد

[1]في تزيين الأسواق: «فنبقى» .

[2]كذا في الأصول. و لعله «و مما لا نريد» ليستقيم المعنى.

[3]كذا في «الأمالي» لأبي علي القالي (جـ 1 ص 272 طبع مطبعة دار الكتب المصرية) . و في الأصول: «و قد قربت نضوى» . و قد وردت هذه القصيدة في «الأمالي» باختلاف في تقديم الأبيات و تأخيرها و في بعض الكلمات.

ألا قد أرى و اللّه أن ربّ عبرة # إذا الدّار شطّت بيننا ستزود[1]

إذا فكّرت قالت قد أدركت ودّه # و ما ضرّني بخلي فكيف أجود

فلو تكشف الأحشاء صودف تحتها # لبثنة حبّ طارف و تليد

تذكّرنيها كلّ ريح مريضة # لها بالتّلاع القاويات وئيد[2]

و قد تلتقي الأشتات بعد تفرّق # و قد تدرك الحاجات و هي بعيد

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها

:

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثني عمر بن شبّة عن إسحاق قال: لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدّته، فتعاتبا طويلا فقالت له: ويحك يا جميل!أ تزعم أنك تهواني و أنت الذي تقول: رمى اللّه في عيني بثينة بالقذى # و في الغرّ من أنيابها بالقوادح!

فأطرق طويلا يبكي ثم قال: بل أنا القائل:

ألا ليتني أعمى أصمّ تقودني # بثينة لا يخفى عليّ كلامها

/فقالت له: ويحك!ما حملك على هذه المنى!أ و ليس في سعة العافية ما كفانا جميعا!.

تجسس أبوهما و أخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة

:

قال إسحاق و حدّثني أيّوب بن عباية قال:

سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها و أخيها و قالت لهما: إن جميلا عندها الليلة؛ فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالسا حجرة منها يحدّثها و يشكو إليها بثّة، ثم قال لها: يا بثينة، أ رأيت ودّي إياك و شغفي بك أ لا تجزينيه؟قالت: بما ذا؟قال: بما يكون بين المتحابّين. فقالت له: يا جميل، أ هذا تبغي!و اللّه لقد كنت عندي بعيدا منه، و لئن عاودت تعريضا بريبة لا رأيت وجهي أبدا. فضحك و قال: و اللّه ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، و لو علمت أنك تجيبنني إليه لعلمت أنك تجيبين[3]غيري، و لو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، و لو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد؛ أ و ما سمعت قولي: و إنّي لأرضى من بثينة بالذي # لو أبصره الواشي لقرّت بلابله

بلا و بأن لا أستطيع و بالمنى # و بالأمل المرجوّ قد خاب آمله

و بالنّظرة العجلى و بالحول تنقضي # أواخره لا نلتقي و أوائله

قال فقال أبوها لأخيها: قم بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، /فانصرفا و تركاهما.

[1]ترود أي تذهب و تجيء، يريد تحير ماء العين فيها.

[2]القاويات: الخاليات. و الوئيد: الصوت العالي الشديد.

[3]كانت هذه الكلمة في الأصول: «تحبين غيري» .

قابلها مرة بسعي صديق له

:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية عن رجل من عذرة قال: كنت تربا لجميل و كان يألفني، فقال لي ذات يوم: هل تساعدني على لقاء بثينة؟فمضيت معه، فكمن لي في الوادي و بعث بي إلى راعي بثينة بخاتمه، فدفعته/إليه، فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه. فلما كان الليل جاءته فتحدّثا طويلا حتى أصبحا ثم ودّعها و ركب ناقته. فلما استوى في غرزها[1]و هي باركة قالت له: ادن منّي يا جميل[2].

صوت

إنّ المنازل هيّجت أطرابي # و استعجمت آياتها بجوابي

قفرا تلوح بذي اللّجين كأنها # أنضاء رسم أو سطور كتاب

لما وقفت بها القلوص تبادرت # منّي الدموع لفرقة الأحباب

و ذكرت عصرا يا بثينة شاقني # و ذكرت أيّامي و شرخ شبابي

الغناء في هذه الأبيات للهذليّ ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أرسل كثيرا إلى بثينة ليستجدّ منها موعدا

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ عن السّعيديّ، و أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حدّثنا أبو مالك النّهديّ قال: جلس إلينا كثيّر ذات يوم فتذاكرنا جميلا؛ فقال: لقيني مرّة فقال لي: من أين أقبلت؟قلت: من عند أبي الحبيبة (أعني بثينة) . فقال: و إلى أين تمضي؟قلت: إلى الحبيبة (أعني عزّة) . فقال: لا بدّ من أن ترجع عودك على بدئك فتستجدّ لي موعدا من بثينة. فقلت: عهدي بها الساعة و أنا أستحيي أن أرجع. فقال: لا بدّ من ذلك. فقلت له: فمتى عهدك ببثينة؟فقال: في أوّل الصيد و قد وقعت سحابة بأسفل وادي[3]الدّوم فخرجت و معها جارية لها تغسل ثيابها[4]؛ فلما أبصرتني/ أنكرتني، فضربت بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفت به، و عرفتني الجارية، فأعادت الثوب في الماء، و تحدّثنا حتى غابت الشمس. و سألتها الموعد

فقالت: أهلي سائرون؛ و ما وجدت أحدا آمنه فأرسله إليها. فقال له كثيّر: فهل لك في أن آتي الحيّ فأنزع[5]بأبيات من شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها؟. قال: ذلك الصواب، فأرسله إليها؛ فقال له: انتظرني ثم خرج كثيّر حتى أناخ بهم. فقال له أبوها: ما ردّك؟قال: ثلاثة أبيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك. قال: هاتها. قال كثيّر: فأنشدته و بثينة تسمع: [1]الغرز: ركاب الرحل من جلد، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب.

[2]الكلام هنا ناقص.

[3]وادي الدوم: واد معترض من شمالي خيبر إلى قبلها، و هو يفصل بين خيبر و العوارض.

[4]في جـ: «ثيابا» .

[5]نزع الشعر: تمثل به.

فقلت لها يا عزّ أرسل صاحبي # إليك[1]رسولا و الموكّل مرسل

بأن تجعلي بيني و بينك موعدا # و أن تأمريني ما الذي فيه أفعل

و آخر عهدي منك يوم لقيتني # بأسفل وادي الدّوم و الثوب يغسل

قال: فضربت بثينة جانب خدرها و قالت: إخسأ إخسأ!فقال أبوها: مهيم[2]يا بثينة؟قالت: كلب يأتينا إذا نوّم الناس من وراء الرّابية. ثم قالت للجارية: ابغينا من الدّومات حطبا/لنذبح لكثيّر شاة و نشويها له. فقال كثيّر: أنا أعجل من ذلك. و راح إلى جميل فأخبره. فقال له جميل: الموعد الدّومات. و قالت لأم الحسين و ليلى و نجيّا بنات خالتها و كانت قد أنست إليهنّ و اطمأنّت بهنّ: إني قد رأيت في نحو نشيد كثيّر أن جميلا معه. و خرج كثيّر و جميل حتى أتيا الدّومات، و جاءت بثينة و من معها، فما برحوا حتى برق الصبح. فكان كثيّر يقول: ما رأيت مجلسا قطّ أحسن من ذلك و لا مثل علم أحدهما بضمير الآخر!ما أدري أيّهما كان أفهم!

وصف صالح بن حسان بيتا من شعره

:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ، و أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال قال لي صالح بن حسّان: هل تعرف بيتا نصفه أعرابيّ[3]في شملة و آخره مخنّث من أهل العقيق يتقصف تقصّفا؟قلت: لا. قال: قد أجّلتك حولا. قلت: لا أدري ما هو!فقال قول جميل: ألا أيّها النّوّام ويحكم هبّوا

كأنه أعرابيّ في شملة. ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال: أسائلكم هل يقتل الرجل الحبّ

كأنه من كلام مخنّثي العقيق.

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها و ما كان منه بعد ذلك

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال أخبرنا عبد اللّه بن أبي كريم عن أبي عمرو و إسحاق بن مروان قال[4]: عشق جميل بثينة و هو غلام، فلما بلغ خطبها فمنع منها، فكان يقول فيها الأشعار، حتى اشتهر و طرد، فكان يأتيها سرّا ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت

زوجها[في الحين]خفية إلى أن استعمل دجاجة بن ربعيّ على وادي القرى فشكوه إليه فتقدّم إليه ألاّ يلمّ بأبياتها و أهدر دمه لهم إن عادوا زيارتها، فاحتبس حينئذ.

[1]رواية «الأمالي» لأبي علي القالي (ج 3 ص 231 طبع دار الكتب المصرية) : على نأي دار و الرسول موكل

[2]مهيم: كلمة يمانية و معناها: ما أمرك، و ما شأنك، و ما الذي أرى بك؟و نحو هذا من الكلام.

[3]كذا وردت هذه العبارة في «الأغاني» فيما يأتي في هذه الترجمة (ص 118) . و وردت في ب، س هنا: «هل تعرف نصف بيت أعرابي في شملة و نصف مخنث... إلخ» و في سائر الأصول: «... بيت أعرابي في شملة و نصفه مخنث... إلخ» .

[4]لعله «قالا» .

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنا أحمد بن أبي العلاء قال حدّثني إبراهيم الرّمّاح قال حدّثنا جابر أبو العلاء التّنوخيّ قال: /لما نذر أهل بثينة دم جميل و أهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يصعد بالليل على قور[1]رمل يتنسّم الريح من نحو حيّ بثينة و يقول: أيا ريح الشّمال أ ما تريني # أهيم و أنّني بادي النّحول

هبي لي نسمة من ريح بثن # و منّي بالهبوب إلى جميل

و قولي يا بثينة حسب نفسي # قليلك أو أقلّ من القليل

فإذا بدا وضح الصبح انصرف. و كانت بثينة تقول لجوار من الحيّ عندها: ويحكنّ!إني لأسمع أنين جميل من بعض القيران!فيقلن لها: اتّقي اللّه!فهذا شيء يخيّله لك الشيطان لا حقيقة له.

تذاكر هو و كثير شعريهما في العشق و بكيا

:

حدّثني أحمد بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثني أحمد بن يعلى قال حدّثني سويد بن عصام قال حدّثني روح أبو نعيم[2]قال: التقى جميل و كثيّر فتذاكرا النّسيب؛ فقال كثيّر: يا جميل، أ ترى بثينة لم تسمع بقولك: يقيك جميل كلّ سوء، أ ما له # لديك حديث أو إليك رسول

و قد قلت في حبّي لكم و صبابتي # محاسن شعر ذكرهنّ يطول

/فإن لم يكن قولي رضاك فعلّمي # هبوب الصّبايا بثن كيف أقول

فما غاب عن عيني خيالك لحظة # و لا زال عنها، و الخيال يزول

فقال جميل: أ ترى عزّة قد حال يا كثيّر لم تسمع بقولك: يقول العدا يا عزّ قد حال دونكم # شجاع على ظهر الطريق مصمّم

فقلت لها و اللّه لو كان دونكم # جهنّم ما راعت فؤادي جهنّم

/و كيف يروع القلب يا عزّ رائع # و وجهك في الظّلماء للسّفر معلم

و ما ظلمتك النفس يا عزّ في الهوى # فلا تنقمي حبّي فما فيه منقم

قال: فبكيا قطعة من الليل ثم انصرفا.

واعد بثينة و عرف ذلك أهلها فلم تذهب

:

و قال الهيثم بن عديّ و من ذكر روايته معه من أصحابه: زار جميل بثينة ذات يوم، فنزل قريبا من الماء يترصّد أمة لها أو راعية؛ فلم يكن نزوله بعيدا من ورود أمة حبشيّة معها قربة، و كانت به عارفة و بما[3]بينها و بينه. فسلّمت عليه و جلست معه، و جعل يحدّثها و يسألها عن [1]القور: الآكام العظيمة، واحدها قارة.

[2]في حـ: «روح بن نعيم» .

[3]في الأصول: «لما» بالام.

أخبار بثينة و يحدّثها بخبره بعدها و يحمّلها رسائله. ثم أعطاها خاتمه و سألها دفعه إلى بثينة و أخذ موعد عليها، ففعلت و انصرفت إلى أهلها و قد أبطأت عليهم. فلقيها أبو بثينة و زوجها و أخوها فسألوها عما أبطأ بها، فالتوت عليهم و لم تخبرهم و تعلّلت؛ فضربوها ضربا مبرّحا؛ فأعلمتهم حالها مع جميل و دفعت إليهم خاتمه. و مرّ بها في تلك الحال فتيان من بني عذرة فسمعا القصّة كلّها و عرفا الموضع الذي فيه جميل، فأحبّا أن يثبّطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتم جميلا و ليست بثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كلّ مكروه؛ و أهل بثينة[1]أعزّ عذرة، فدعوا الأمة توصّل خاتمه إلى بثينة، فإذا زارها بيّتموهما جميعا؛ قالوا: صدقتما لعمري إنّ هذا الرأي. فدفعوا الخاتم إلى الأمة و أمروها بإيصاله و حذّروها أن[2]تخبر بثينة بأنهم علموا القصّة، ففعلت. و لم تعلم بثينة بما جرى. و مضى الفتيان فأنذرا جميلا؛ فقال: و اللّه ما أرهبهم، و إن في كنانتي ثلاثين سهما و اللّه لا أخطأ كلّ واحد منها رجلا منهم، و هذا سيفي و اللّه ما أنا به رعش اليد و لا جبان الجنان. فناشداه اللّه و قالا: البقية[3]أصلح، فتقيم عندنا في بيوتنا حتى /يهدأ الطلب، ثم نبعث إليها فتزورك و تقضي من لقائها و طرا و تنصرف سليما غير مؤبّن[4]. فقال أمّا الآن فابعثا إليها من ينذرها؛ فأتياه براعية لهما و قالا له: قل بحاجتك؛ فقال: ادخلي إليها و قولي لها: إني أردت اقتناص ظبي فحذره ذلك جماعة اعتوروه من القنّاص ففاتني الليلة. فمضت فأعلمتها ما قال لها؛ فعرفت قصّته و بحثت عنها فعرفتها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلة و رصدوها فلم تبرح مكانها و مضوا يقتصّون أثره فرأوا بعر ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك: خليليّ عوجا اليوم حتى تسلّما # على عذبة الأنياب طيّبة النّشر

ألمّا بها ثم اشفعا لي و سلّما # عليها سقاها اللّه من سبل[5]القطر[6]

***

إذا ما دنت زدت اشتياقا و إن نأت # جرعت لنأي الدار منها و للبعد

/أبى القلب إلا حبّ بثنة لم يرد # سواها و حبّ القلب بثنة لا يجدي

قال: و قال أيضا: و من الناس من يضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة؛ و فيها أبيات معادة القوافي تدلّ على أنها مفردة عنها، و هي:

[1]كذا في جمع الأصول. و الأحرى بهذه الجملة أن تكون: «و أهل جميل إلخ» .

[2]في الأصول: «بأن» .

[3]البقية كالبقيا و هي أن تبقى على عدوّك و لا تستأصله.

[4]غير مؤبن: غير معيب. يريد لم تصب بمكروه. و في «مختصر الأغاني» : «غير موتور» .

[5]في ب، س «من سائغ القطر» .

[6]كذا في الأصول التي بين أيدينا. و يلاحظ أن الكلام هاهنا مقتضب، إذ لا اتصال بين الشعر الذي قافيته راء و الشعر الذي قافيته دال.

و ورد في مختصر الأغاني بعد هذين البيتين اللذين قافيتهما راء ثلاثة الأبيات الآتية، و هي من أبيات سيوردها المؤلف قريبا في ص 150.

و بوحا بذكري عند بثنة و انظرا # أترتاح يوما أم تهش إلى ذكرى

هي البدر حسنا و النساء كواكب # و شتان ما بين الكواكب و البدر

لقد فضلت ليلى على الناس مثل ما # على ألف شهر فضلت ليلة القدر

أ لم تسأل الدار القديمة هل لها # بأمّ جسير بعد عهدك من عهد

و فيها يقول:

صوت

سلي الرّكب هل عجنا لمغناك مرّة # صدور المطايا و هي موقرة تخدي

و هل فاضت العين الشّروق بمائها # من أجلك حتى اخضلّ من دمعها بردي

الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى: -

و إنّي لأستجري لك الطير جاهدا # لتجري بيمن من لقائك من[1]سعد

و إنّي لأستبكي إذا الركب غرّدوا # بذكراك أن يحيا بك الركب إذ يخدي[2]

فهل تجزينّي أمّ عمرو بودّها # فإنّ الذي أخفي بها فوق ما أبدي

و كلّ محبّ لم يزد فوق جهده # و قد زدتها في الحبّ منّي على الجهد

قصته مع أم منظور و قد أبت عليه أن تريه إياها

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم و غيره و بهلول بن سليمان البلويّ: أنّ رهط بثينة ائتمنوا عليها عجوزا منهم يثقون بها يقال لها أمّ منظور. فجاءها جميل فقال لها: يا أمّ منظور، أريني بثينة. فقالت: لا!و اللّه لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أما و اللّه لأضرّنّك؛ فقالت: المضرّة و اللّه في أن أريكها. فخرج من عندها و هو يقول: ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت # بالحجر[3]يوم جلتها أمّ منظور

و لا انسلابتها[4]خرسا جبائرها # إليّ من ساقط الأوراق[5]مستور

/قال: فما كان إلاّ قليل حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلّقوا بأمّ منظور فحلفت لهم بكلّ يمين فلم يقبلوا منها. هكذا ذكر الزّبير بن بكّار في خبر أمّ منظور، و قد ذكر فيه غير ذلك.

استدعى مصعب أم منظور و سألها عن قصتها مع جميل و بثينة

:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ، و أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ: [1]لعله «أو سعد» .

[2]في حـ: «إذ تخدّى» . و في م، ء: «أو تحدى» ، و في ب، س: «إذ تحدى» .

[3]الحجر: اسم موضع.

[4]كذا في حـ و «مختصر الأغاني» : و انسلب في الأصل: أسرع، كأنه لسرعته يخرج من جلده، و هو في الأصل أكثر ما يستعمل في الناقة.

و الجبائر: الأساور، يريد تسللها إليه خفية في سرعة. و في سائر الأصول: «استلابتها» .

[5]كذا في حـ. و الأرواق: الفساطيط. يقال: ضرب فلان روقه بموضع كذا إذا نزل له كما يقال: ضرب خيمته. و في سائر الأصول: «الأوراق» و هو تحريف.

أن رجلا أنشد مصعب بن الزّبير قول جميل: ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت # بالحجر يوم جلتها أمّ منظور

فقال: لوددت أنّي عرفت كيف جلتها. فقيل له: إن أم منظور هذه حيّة. فكتب في حملها إليه مكرّمة فحملت إليه.

فقال لها: أخبريني عن قول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت # بالحجر يوم جلتها أمّ منظور

كيف كانت هذه الجلوة؟قالت[1]: ألبستها قلادة بلح و مخنقة بلح واسطتها تفّاحة، و ضفرت شعرها و جعلت في فرقها شيئا من الخلوق. و مرّ بنا جميل راكبا ناقته فجعل ينظر إليها بمؤخّر عينه و يلتفت إليها حتى غاب عنا. فقال لها مصعب: فإنّي أقسم عليك/إلاّ جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة، ففعلت: و ركب مصعب ناقته و أقبل عليهما و جعل ينظر إلى عائشة بمؤخّر عينه و يسير حتى غاب عنهما ثم رجع.

زارها مرة متنكرا في زي سائل

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني بهلول عن بعض مشايخه: أنّ جميلا جاء إلى بثينة ليلة و قد أخذ ثياب راع لبعض الحيّ، فوجد عندها ضيفانا لها، فانتبذ ناحية، فسألته: من أنت؛ فقال: مسكين مكاتب[2]، فجلس/وحده، فعشّت ضيفانها و عشّته وحده. ثم جلست هي و جارية لها على صلائهما و اضطجع القوم منتحين. فقال جميل:

واعدته مرة و أحس أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعرا

:

هل البائس المقرور دان فمصطل # من النار أو معطى لحافا فلابس

فقالت لجاريتها: صوت جميل و اللّه!اذهبي فانظري!. فرجعت إليها فقالت: هو و اللّه جميل!فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون و قالوا مالك؟فطرحت بردا لها من حبرة في النار و قالت: احترق بردي، فرجع القوم. و أرسلت جاريتها إلى جميل، فجاءتها به، فحبسته عندها ثلاث ليال، ثم سلّم عليها و خرج.

و قال الهيثم و أصحابه في أخبارهم:

كانت بثينة قد واعدت جميلا للالتقاء في بعض المواضع، فأتى لوعدها. و جاء أعرابيّ يستضيف القوم فأنزلوه و قروه، فقال لهم: إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرّقين متوارين في الشجر و أنا خائف عليكم أن يسلّوا[3]بعض إبلكم. فعرفوا أنه جميل و صاحباه، فحرسوا بثينة و منعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبح انصرف كئيبا سيّئ الظنّ بها و رجع إلى أهله، فجعل نساء الحيّ يقرّعنه بذلك و يقلن له: إنما حصلت منها على الباطل و الكذب و الغدر، و غيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها. فقال في ذلك: أ بثين إنك قد ملكت فأسجحي # و خذي بحظّك من كريم واصل

[1]في الأصول: «قال» و هو تحريف.

[2]المكاتبة: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجما، فإذا أداه صار حرا.

[3]السل: انتزاع الشيء و اغتصابه. ـ

صوت

فلربّ عارضة علينا وصلها # بالجدّ تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستّر # حبّي بثينة عن وصالك شاغلي

/لو كان في قلبي كقدر قلامة # فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي

-الغناء ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية أحمد-

و يقلن أنك قد رضيت بباطل # منها فهل لك في اجتناب الباطل

و لباطل ممّن أحبّ حديثه # أشهى إليّ من البغيض الباذل

الغناء لسليم رمل بالوسطى عن عمرو. و ذكر عمر أنه ليزيد حوراء.

قصته مع بثينة و قد علم زوجها بمقامه معها و ما قيل في ذلك من الشعر

:

و ذكر الهيثم بن عديّ و أصحابه أن جماعة من بني عذرة حدّثوا أن جميلا رصد بثينة ذات ليلة في نجعة لهم، حتى إذا صادف منها خلوة سكر و دنا منها و ذلك في ليلة ظلماء ذات غيم و ريح و رعد، فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها، ففزعت و قالت: و اللّه ما حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجنّ!فقالت لها بثينة و قد فطنت: إن جميلا فعل ذلك فانصرفي ناحية إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت و بقيت مع بثينة أمّ الجسير و أمّ منظور، فقامت إلى جميل/فأدخلته الخباء معها و تحدّثا طويلا، ثم اضطجع و اضطجعت إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا و جاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمة مع جميل، فمضى لوجهه حتى خبّر سيّده. و رأته ليلى و الصّبوح معه و قد عرفت خبر جميل و بثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله و بعثت بجارية لها و قالت حذّري بثينة و جميلا، فجاءت الجارية فنبّهتهما. فلما تبيّنت بثينة الصبح قد أضاء و الناس منتشرين ارتاعت و قالت: يا جميل!نفسك نفسك!فقد جاءني غلام نبيه بصبوحي من اللبن فرآنا نائمين!فقال لها جميل و هو غير مكترث لما خوّفته منه: لعمرك ما خوّفتني من مخافة # بثين و لا حذّرتني موضع الحذر

فأقسم لا يلقى لي اليوم غرّة # و في الكفّ منّي صارم قاطع ذكر

/فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النّضد[1]و قالت: إنما أسألك ذلك خوفا على نفسي من الفضيحة لا خوفا عليك، ففعل ذلك و نامت كما كانت،

و اضطجعت أمّ الجسير إلى جانبها و ذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيّده فمضى و الصّبوح معه و قال له: إني رأيت بثينة مضطجعة و جميل إلى جنبها. فجاء نبيه إلى أخيها و أبيها فأخذ بأيديهما و عرّفهما الخبر و جاءوا بأجمعهم إلى بثينة و هي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أمّ الجسير إلى جانبها نائمة. فخجل زوجها و سبّ عبده و قالت ليلى لأخيها و أبيها: قبحكما اللّه!أ في كلّ يوم تفضحان فتاتكما و يلقاكما هذا الأعور فيها بكلّ قبيح!قبحه اللّه و إياكما!و جعلا يسبّان زوجها و يقولان له كلّ قول قبيح. و أقام جميل عند بثينة حتى أجنّه الليل ثم ودّعها و انصرف. و حذرتهم بثينة لما جرى من لقائه إيّاها فتحامته مدّة، فقال في ذلك:
[1]النضد: متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض.

صوت

أ أن هتفت ورقاء ظلت سفاهة # تبكّي على جمل لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقة # صرمت و لكنّي عن الصرم أضعف

للهذليّ في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقيل أوّل بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، و الآخر خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، و ذكر غيره لابن جامع. و فيه لبذل الكبرى خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المكّي. و مما يغنّى فيه من هذه القصيدة قوله:

صوت

لها في سواد القلب بالحبّ ميعة[1] # هي الموت أو كادت على الموت تشرف

و ما ذكرتك النفس يا بثن مرّة # من الدهر إلا كادت النفس تتلف

و إلاّ اعترتني زفرة و استكانة # و جاد لها سجل من الدمع يذرف

و ما استطرفت نفسي حديثا لخلّة # أسرّ به إلا حديثك أطرف

الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. و أوّل هذه القصيدة: /

أ من منزل قفر تعفّت رسومه # شمال تغاديه و نكباء[2]حرجف

فأصبح قفرا بعد ما كان آهلا # و جمل المنى تشتو به و تصيّف

ظللت و مستنّ[3]من الدمع هامل # من العين لما عجت بالدّار ينزف

أ منصفتي جمل فتعدل بيننا # إذا حكمت و الحاكم العدل ينصف

تعلّقتها و الجسم منّي مصحّح # فما زال ينمي حبّ جمل و أضعف

إلى اليوم حتى سلّ جسمي و شفني # و أنكرت من نفسي الذي كنت أعرف

قناة من المرّان[4]ما فوق حقوها # و ما تحته منها نقا يتقصّف

لها مقلتا ريم و جيد جداية[5] # و كشح كطيّ السابريّة[6]أهيف

و لست بناس أهلها حين أقبلوا # و جالوا علينا بالسيوف و طوّفوا

/و قالوا جميل بات في الحيّ عندها # و قد جرّدوا أسيافهم ثم وقّفوا

[1]كذا في «منتهى الطلب في أشعار العرب» نسخة مخطوطة محفوظة بالدار (تحت رقم 53 أدب ش) و في الأصول: «منعة» بالنون.

[2]النكباء: الريح التي انحرفت عن مهب الرياح القوم و وقعت بين مهب ريحين أو بين الصبا و الشمال. و الحرجف: الباردة الشديدة الهبوب.

[3]مستن: منصب.

[4]رواية «منتهى الطلب» : «صيود كغصن البان ما فوق حقوها» و المران. الرماح.

[5]الجداية: الذكر و الأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت ستة أشهر.

[6]السابري: الرفيق من الثياب، و هو أيضا الدرع الدقيقة النسج.

و في البيت ليث الغاب لو لا مخافة # على نفس جمل و الإله لأرعفوا[1]

هممت و قد كادت مرارا تطلّعت # إلى حربهم نفسي و في الكفّ مرهف

و ما سرّني غير الذي كان منهم # و منّي و قد جاءوا إليّ و أوجفوا

فكم مرتج أمرا أتيح له الرّدى # و من خائف لم ينتقصه التخوّف

له بيت كان نصفه أعرابي و نصفه مخنث

:

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ، و أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال، قال لي صالح بن حسان: هل تعرف بيتا نصفه أعرابيّ في شملة و آخره مخنّث يتفكّك من مخنّثي العقيق؟فقلت: لا أدري. قال: قد أجّلتك فيه حولا. فقلت: لو أجّلتني حولين ما علمت. قال: قول جميل: ألا أيّها النّوّام ويحكم هبّوا

هذا أعرابيّ في شملة. ثم قال:

نسائلكم هل يقتل الرجل الحبّ

كأنه و اللّه من مخنّثي العقيق. في هذا الشعر غناء، نسبته و شرحه:

صوت

ألا أيّها النّوّام ويحكم هبّوا # نسائلكم هل يقتل الرجل الحبّ

ألا ربّ ركب قد دفعت وجيفهم[2] # إليك و لو لا أنت لم يوجف الرّكب

/الغناء لابن محرز خفيف رمل بالسبّابة و الوسطى عن يحيى المكي، و ذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد. و فيه لسليم ما خوريّ عن الهشاميّ. و فيه لمالك ثاني ثقيل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و قيل: إنه لمعبد. و فيه لعريب هزج من رواية ابن المعتزّ. و ذكر عبد اللّه بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأوّل و أن خفيف الرّمل لابن سريج و أن الهزج لحمدونة بنت الرّشيد.

جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي

:

أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسيّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب ابن عباية المحرزيّ عن شيخ من رهط جميل من عذرة: أن

بثينة لما علقت حجنة الهلاليّ جفاها جميل. قال: و أنشدني لجميل في ذلك:
[1]أرعفه: أعجله.

[2]الوجيف: سرعة السير.

صوت

بينا حبال ذات عقد لبثنة # أتيح لها بعض الغواة فحلّها

فعدنا كأنّا لم يكن بيننا هوى # و صار الذي حلّ الحبال هوى لها

و قالوا نراها يا جميل تبدّلت # و غيّرها الواشي فقلت لعلّها

الغناء للهذليّ خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. و ذكره إسحاق في هذه الطريقة و الإصبع و لم ينسبه إلى أحد.

تمثل إفريقي بشعر له يعرّض فيه بفتى من آل عثمان

:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو عوف عن عبد الرحمن بن مقرّن قال: بعثني المنصور لأبتاع له جارية من المدينة و قال لي: اعمل برأي ابن نفيس؛ فكنت أفعل ذلك، و أغشى ابنه، و كانت له جارية مغنية قد كلف بها فتى من/آل عثمان بن عفّان، فكان يبيع عقدة[1]عقدة من ماله و ينفق ثمنها عليها. و ابتلي برجل من أهل إفريقيّة و معه ابن له، فغشي ابن الإفريقيّ بيت ابن نفيس فجعل يكسو الجارية و أهلها و يبرّهم حتى حظي عندهم و غلب عليهم و تثاقلوا العثمانيّ. فقضي أن اجتمعنا عشيّة عندها و حضر ابن الإفريقيّ و العثمانيّ؛ فنزع ابن الإفريقيّ خفّه فتناثر المسك منه، و أراد العثمانيّ أن يكيده بفعله. فجلسنا ساعة؛ فقال لها ابن الإفريقيّ: غنّي: بينا حبال ذات عقد لبثنة # أتيح لها بعض الغواة فحلّها

يعرّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، و لكن غنّي: و من يرع نجدا يلفني قد رعيته # بجنيته[2]الأولى و يورد على وردي

قال: فنكس ابن الإفريقيّ رأسه و خرج العثمانيّ فذهب، و خمد أهل البيت فما انتفعوا بقيّة يومهم.

شعره حين زوّجت بثينة نبيها

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي و بهلول بن سليمان البلويّ: أن جميلا قال لما زوّجت بثينة نبيها:

صوت

أ لا ناد عيرا[3]من بثينة ترتعي # نودّع على شحط النّوى و نودّع

و حثّوا على جمع الرّكاب و قرّبوا # جمالا و نوقا جلّة لم تضعضع

في هذين البيتين رمل لابن سريج عن الهشاميّ. و مما يغنّى فيه من هذه القصيدة: [1]العقدة: الضيعة.

[2]كذا في ب، س و في سائر الأصول: «بحبته» .

[3]العير: القافلة.

صوت

أعيذك بالرحمن من عيش شقوة # و أن تطمعي يوما إلى غير مطمع

إذا ما ابن ملعون تحدّر رشحه # عليك فموتي بعد ذلك أودعي

مللن و لم أملل و ما كنت سائما # لأجمال سعدى ما أ نحن بجعجع[1]

و حثّوا على جمع الرّكاب و قرّبوا # جمالا و نوقا جلّة لم تضعضع

ألا قد أرى إلاّ بثينة هاهنا # لنا بعد ذا المصطاف و المتربّع

لمعبد في الثالث و الرابع من هذه الأبيات ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن/إسحاق. و لابن سريج في الأوّل و الثاني و الخامس خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. و للأبجر في الأوّل و الخامس و الثالث و الرابع رمل بالبنصر.

و في الأول و الثاني خفيف ثقيل ينسب إلى معبد و غيره، و لم تعرف صحته من جهة يوثق بها.

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال أنشدنا بهلول بن سليمان لجميل لما بعد عن بثينة و خاف السلطان، و كان بهلول يعجب به، : ألا قد أرى إلا بثينة للقلب # بوادي بدا لا بحسمى و لا الشّغب[2]

و لا ببصاق[3]قد تيمّمت فاعترف # لما أنت لاق أو تنكّب عن الرّكب

أ في كلّ يوم أنت محدث صبوة # تموت لها بدّلت غيرك من قلب

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها

:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزّهريّ عن سليمان بن صخر الحرشيّ قال حدّثنا سليمان بن زياد الثّقفي: أن بثينة دخلت على عبد الملك بن مروان. فرأى امرأة خلفاء[4]مولّية؛ فقال لها: ما الذي رأى فيك جميل؟ قالت: الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك: فضحك عبد الملك حتى بدت له سنّ سوداء كان يسترها.

شعره في جمله «جديل»

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم العويثيّ: أن جمل جميل الذي كان يزور عليه بثينة يقال له «جديل» و فيه يقول:

[1]جعجع: موضع بثينة، و هو في الأصل المتطامن من الأرض، و هو أيضا المكان الخشن الغليظ.

[2]بدا: موضع بوادي عذرة قرب الشام. و حسمي (بكسر أصله) : موضع وراء وادي القرى بما يلي بلاد فلسطين من أرض الشام.

و شغب: ضيعة خلف وادي القرى.

[3]كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه و تقويم البلدان. و بصاق: موضع قريب من مكة، كما قال ابن دريد. و قال ابن حبيب: هو جبل بين أيلة و التيه. و في جميع النسخ: «براق» .

[4]الخلفاء: الحمقاء.

أنخت جديلا عند بثنة ليلة # و يوما أطال اللّه رغم جديل

أ ليس مناخ النّضو يوما و ليلة # لبثنة فيما بيننا بقليل؟

مهاجاته قومها بنى الأحب و إهدار السلطان لهم دمه

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى المكّي: أنّ جميلا لما اشتهرت بثينة بحبّه إياها اعترضه عبيد اللّه بن قطبة أحد بني الأحبّ و هو من رهطها الأدنين فهجاه؛ و بلغ ذلك جميلا فأجابه، و تطاولا فغلبه جميل و كفّ عنه ابن قطبة، و اعترضه عمير بن رمل (رجل من بني الأحبّ) فهجاه. و إياه عنى جميل بقوله: إذا الناس هابوا خزية ذهبت[1]بها # أحبّ المخازي كهلها و وليدها

لعمر عجوز طرّقت[2]بك إنني # عمير بن رمل لابن حرب أقودها

بنفسي فلا تقطع فؤادك ظلّة # كذلك حزني وعثها و صعودها

/قال: فاستعدوا عليه عامر بن ربعيّ بن دجاجة، و كانت إليه بلاد عذرة، و قالوا: يهجونا و يغشى بيوتنا و ينسب بنسائنا!فأباحهم دمه، و طلب فهرب منه. و غضبت بثينة لهجائه أهلها جميعا. فقال جميل: و ما صائب من نابل[3]قذفت به # يد و ممرّ[4]العقدتين وثيق

له من خوافي النّسر حمّ نظائر[5] # و نصل كنصل الزّاعبيّ[6]فتيق

على نبعة[7]زوراء أمّا خطامها # فمتن و أمّا عودها فعتيق

بأوشك قتلا منك يوم رميتني # نوافذ لم تظهر لهنّ خروق

تفرّق أهلانا بثين فمنهم # فريق أقاموا و استمرّ فريق

/فلو كنت خوّارا لقد باح مضمري[8] # و لكنّني صلب القناة عريق

كأن لم نحارب يا بثين لو انه # تكشّف غمّاها و أنت صديق

قال و يدلّ على طلب عامر بن ربعيّ إيّاه قوله:

[1]يريد: أخذتها و استمسكت بها.

[2]يريد: حملت بك. يقال: طرقت الناقة و المرأة و كل حامل بولدها إذا نشب في بطنها و لم يسهل خروجه.

[3]كذا في «الكامل» للمبرد ص 42 طبع أوروبا. و في الأصول: «نائل» .

[4]ممر العقدتين يعني وترا. و الممر: الشديد القتل.

[5]لعله يريد ريشات سودا متشابهة. و في حـ: «جم نظائر» . و في سائر الأصول: «جم تطاير» .

[6]الزاعبيّ من الرماح: الذي إذا هزّ تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمه. أو إلى زاعب رجل أو بلد. و الفتيق: الحاد الرقيق.

[7]النبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ؛ و أكرم القسيّ ما كان من النبع. و زوراء: معوجة، و كلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى. و خطام القوس: وترها. و متن: قوي. و عتيق: قديم.

[8]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «ميسمي» بالياء المثناة. و لعله «مبسمي» بالباء الموحدة.

أضرّ بأخفاف البغلية أنّها # حذار ابن ربعيّ بهنّ رجوم[1]

لما أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشأم :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن عبد اللّه الحزنبل الأصبهانيّ قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ عن أبيه قال حدّثني بعض رواة عذرة: /أن السلطان أهدر دم جميل لرهط بثينة إن وجدوه قد غشي دورهم. فحذرهم مدّة، ثم وجدوه عندها، فأعذروا إليه و توعّدوه و كرهوا أن ينشب بينهم و بين قومه حرب في دمه، و كان قومه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلبا شديدا، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدّة. و أنشدني له في ذلك: ألمّ خيال من بثينة طارق # على النّأي مشتاق إليّ و شائق

سرت من تلاع الحجر حتى تخلّصت # إليّ و دوني الأشعرون و غافق[2]

كأنّ فتيت المسك خالط نشرها # تغلّ[3]به أردانها و المرافق

تقوم إذا قامت به عن فراشها # و يغدو به من حضنها من تعانق

قال أبو عمرو و حدّثني هذا العذريّ:

أنّ جميلا لم يزل باليمن حتى عزل ذلك الوالي عنهم، و انتجعوا ناحية الشام فرحل إليهم. قال: فلقيته فسألته عما أحدث بعدي؛ فأنشدني: سقى منزلينا يا بثين بحاجر # على الهجر منّا صيّف و ربيع

و دورك يا ليلى و إن كنّ بعدنا # بلين بلى لم تبلهنّ ربوع

و خيماتك اللاّتي بمنعرج اللّوى # لقمريّها بالمشرقين سجيع[4]

تزعزع[5]منها الريح كلّ عشيّة # هزيم بسلاّف الرياح رجيع

/و إنّي أن يعلى بك اللّوم أو تري # بدار أذى من شامت لجزوع

و إنّي على الشيء الذي يلتوى به # و إن زجرتني زجرة لو ريع[6]

فقدتك من نفس شعاع فإنّني # نهيتك عن هذا و أنت جميع

[1]الرجوم: اضطرام العدو أي شدّة السير.

[2]الأشعرون: جمع أشعري، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، تخفف ياء النسب فتحذف في الجمع. (راجع «القاموس و شرحه» مادة شعر) . و غافق: قبيلة.

[3]غل الدهن في رأسه و في ثوبه: أدخله فيه.

[4]لم يرد هذا المصدر في معجمات اللغة التي بين أيدينا، مع أن «فعيلا» كثير وروده في الأصوات. و الموجود في كتب اللغة «سجوع» جمع «سجع» بالفتح، كما قال ابن جنى. (راجع «اللسان» مادة سجع) .

[5]زعزعت الريح الشجر و نحوه: حركته. و الهزيم: صوت الرعد، و المراد الصوت الشديد. و سلاف الرياح (كما وردت في ب، س) : متقدماتها، و الواحد سالف و سالفة. و قد وردت هذه الكلمة في بعض الأصول الخطية: «بسدوف الرياح» و في بعضها: «بسدف الرياح» . و رجيع: مردّد، و هو نعت لهزيم.

[6]و ريع: كاف.

فقرّبت لي غير القريب و أشرفت # هناك ثنايا ما لهنّ طلوع

يقولون صبّ بالغواني موكّل # و هل ذاك من فعل الرجال بديع!

و قالوا رعيت اللّهو و المال ضائع # فكالناس فيهم صالح و مضيع

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ و ابن خرداذبه و إبراهيم. و ذكر حبش أنّ في هذه الأبيات لإسحاق لحنا من الثقيل بالوسطى؛ و لم يذكر هذا أحد غيره و لا سمعناه و لا قرأناه إلا في كتابه. و من الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رويّ و قافية هذه القصيدة، و ليست له.

أنشد كثير من شعره و قال هو أشعر الناس

:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ[1]عن أبي عبيدة عن أبيه قال: دخل علينا كثيّر/يوما و قد أخذ بطرف ريطته و ألقى طرفها الآخر و هو يقول: هو و اللّه أشعر الناس حيث يقول: و خبّرتماني أنّ تيماء منزل # لليلى إذا ما الصّيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنّي قد انقضت # فما للنّوى ترمي بليلى المراميا

و يجرّ ربطته حتى يبلغ إلينا، ثم يولّي عنّا و يجرّها و يقول: هو و اللّه أشعر الناس حيث يقول: /

و أنت التي إن شئت كدّرت عيشتي # و إن شئت بعد اللّه أنعمت باليا

و أنت التي ما من صديق و لا عدا # يرى نضو ما أبقيت إلاّ رثى ليا

ثم يرجع إلينا و يقول: هو و اللّه أشعر الناس. فقلنا: من تعني يا أبا صخر؟فقال: و من أعني سوى جميل!هو و اللّه أشعر الناس حيث يقول هذا!. و تيماء خاصّة: منزل لبنى عذرة، و ليس من منازل عامر؛ و إنما يرويه عن المجنون من لا يعلمه.

و في هذه القصيدة يقول جميل:

و ما زلتم يا بثن حتّى لو أنّني # من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا

إذا خدرت رجلي و قيل شفاؤها # دعاء حبيب كنت أنت دعائيا

و ما زادني النّأي المفرّق بعدكم # سلوّا و لا طول التلاقي تقاليا[2]

و لا زادني الواشون إلاّ صبابة # و لا كثرة الناهين إلا تماديا

أ لم تعلمي يا عذبة الرّيق أنّني # أظلّ إذا لم ألق وجهك صاديا

[1]كذا فيما تقدم في جميع الأصول في الجزء الرابع ص 123 (راجع الحاشية رقم 1 في هذه الصفحة) . و في جميع الأصول هنا: «الموصلي» .

[2]في «منتهى الطلب» : «و لا طول اجتماع تقاليا» .

لقد خفت أن ألقى المنيّة بغتة # و في النفس حاجات إليك كما هيا

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن معن الغفاريّ عن الأصبغ بن عبد العزيز قال: كنت عند طلحة بن عبد اللّه بن عوف؛ فدخل عليه كثيّر؛ فلما دخل من الباب أخذ برجله فثناها ثم حجل حتى بلغ الفراش و هو يقول: جميل و اللّه أشعر العرب حيث يقول: و خبّرتماني أنّ تيماء منزل

ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن مزيد.

يوم ذي ضال

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم السّعديّ.

أنّ رهط بثينة قالوا إنما يتبع جميل أمة لنا. فواعد جميل بثينة حين لقيها ببرقاء ذي ضال، فتحادثا ليلا طويلا حتى أسحرا[1]. ثم قال لها: هل لك أن ترقدي؟قالت: ما شئت، و أنا خائفة أن نكون قد أصبحنا. فوسّدها جانبه ثم اضطجعا و نامت؛ فانسلّ و استوى على راحلته فذهب، و أصبحت في مضجعها، فلم يرع الحيّ إلاّ بها راقدة عند مناخ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك: فمن يك في حبّي بثينة يمتري # فبرقاء ذي عليّ شهيد

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن شبيب عن الحزامي عن فليح بن إسماعيل بمثل هذه القصة، و زاد فيها: فلما انتبهت بثينة علمت ما أراده جميل بها، فهجرته و آلت ألاّ تظهر له، فقال: /

ألا هل إلى إلمامة أن ألمّها # بثينة يوما في الحياة سبيل؟

فإن هي قالت لا سبيل فقل لها # عناء على العذريّ منك طويل

على حين يسلو الناس عن طلب الصّبا # و ينسى اتّباع الوصل منه خليل

شكاه أهلها إلى قومه فلاموه، و شعره في ذلك

:

و قال الهيثم و أصحابه في أخبارهم:

تشكّى زوج بثينة إلى أبيها و أخيها إلمام جميل بها. فوجّهوا إلى جميل و أعذروا إليه و شكوه إلى عشيرته و أعذروا إليهم فيه و توعّدوه، و أتاهم

فلامه أهله و عنّفوه و قالوا: إنّا نستحلف إليهم و نتبرّأ منك و من جريرتك. فأقام مدة لا يلمّ بها، ثم لقي ابني عمّه روقا و مسعودا، فشكا إليهما ما به و أنشدهما قوله: و إنّي على الشيء الذي يلتوى به # و إن زجرتني زجرة لوريع

/فقدتك من نفس شعاع فإنني # نهيتك عن هذا و أنت جميع

فقرّبت لي غير القريب و أشرفت # هناك ثنايا ما لهنّ طلوع

[1]في الأصول: «أسحر» بدون ألف التثنية. و الإسحار: الدخول في وقت السحر. ـ

يقولون صبّ بالغواني موكّل # و هل ذاك من فعل الرجال بديع

و قالوا رعيت اللّهو و المال ضائع # فكالنّاس فيهم صالح و مضيع

تمثل محمد بن عبد اللّه بن حسن بشعره لزوجته

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب بن عبد اللّه قال: كانت تحت محمد بن عبد اللّه بن حسن امرأة من ولد الزّبير يقال لها فليحة، و كانت لها صبيّة يقال لها رخيّة، قد ربّتها لغير رشدة، و كانت من أجمل النساء وجها. فرأت محمدا و قد نظر إليها ذات يوم نظرا شديدا، ثم تمثّل قول جميل: بثينة من صنف يقلّبن أيدي الرّمـ # اة و ما يحملن قوسا و لا نبلا

و لكنّما يظفرن بالصيد كلّما # جلون الثّنايا الغرّ و الأعين النّجلا

يخالسن ميعادا يرعن لقولها[1] # إذا نطقت كانت مقالتها فصلا

يرين قريبا بيتها و هي لا ترى # سوى بيتها بيتا قريبا و لا سهلا

فقالت له فليحة: كأنك تريد رخيّة!قال: إي و اللّه!قالت: إنّي أخشى أن تجيء منك بولد و هي لغير رشدة. فقال لها: إنّ الدّنس لا يلحق الأعقاب و لا يضرّ الأحساب. فقالت له: فما يضرّ إذا!و اللّه ما يضرّ إلا الأعقاب و الأحساب، و قد وهبتها لك. فسرّ بذلك و قال: أما و اللّه لقد أعطيتك خيرا منها. قالت: و ما هو؟قال: أبيات جميل التي أنشدتك إيّاها؛ لقد مكثت أسعى في طلبها حولين. فضحكت و قالت: مالي و لأبيات جميل!و اللّه ما ابتغيت إلا مسرّتك. /قال: فولدت منه غلاما. و كانت فليحة تدعو اللّه ألاّ يبقيه. فبينا محمد في بعض هربه من المنصور و الجارية و ابنها معه إذ رهقهما الطلب، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطّع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أجيب في هذا الصبي دعاء فليحة.

نصح أبوه له فردّ عليه ردا أبكاه و أبكى الحاضرين، و شعره في ذلك

:

و قال الهيثم بن عديّ و أصحابه في أخبارهم:

لمّا نذر أهل بثينة دم جميل و أباحهم السلطان قتله، أعذروا إلى أهله. و كانت منازلهم متجاورة، إنما هم بيوتات يفترقون كما يفترق البطون و

الأفخاذ و القبائل غير متباعدين؛ أ لم تر إلى/قول جميل: أبيت مع الهلاّك[2]ضيفا لأهلها # و أهلي قريب موسعون أولو فضل

فمشت مشيخة الحيّ إلى أبيه-و كان يلقّب صباحا و كان ذا مال و فضل و قدر في أهله-فشكوه إليه و ناشدوه اللّه و الرّحم و سألوه كفّ ابنه عمّا يتعرّض له و يفضحهم به في فتاتهم؛ فوعدهم كفّه و منعه ما استطاع، ثم انصرفوا. فدعا به فقال له: يا بنيّ!حتى متى أنت عمه في ضلالك، لا تأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها و ينكحها و أنت عنها بمعزل ثم تقوم من تحته إليك فتغرّك بخداعها و تريك الصفاء و المودّة و هي مضمرة لبعلها ما تضمره الحرّة لمن [1]هذا الشطر هكذا في الأصول.

الهلاك: الصعاليك.

ملكها، فيكون قولها لك تعليلا و غرورا، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا لذلّ و ضيم!ما أعرف أخيب سهما و لا أضيع عمرا منك. فأنشدك اللّه إلاّ كففت و تأملت أمرك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلته حقّ، و لو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها، و لكنّ هذا أمر قد فات و استبدّ به من قدّر له، و في النساء عوض.

فقال له جميل: الرأي ما رأيت، و القول كما قلت؛ فهل رأيت قبلي أحدا قدر أن يدفع عن/قلبه هواه، أو ملك أن يسلي نفسه، أو استطاع أن يدفع ما قضي عليه!و اللّه لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت، و لكن لا سبيل إلى ذلك، و إنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لي، و أنا أمتنع من طروق هذا الحيّ و الإلمام بهم و لو متّ كمدا؛ و هذا جهدي و مبلغ ما أقدر عليه. و قام و هو يبكي؛ فبكى أبوه و من حضر جزعا لما رأوا منه.

فذلك حين يقول جميل:

صوت

ألا من لقلب لا يملّ فيذهل # أفق فالتّعزي عن بثينة أجمل

سلا كلّ ذي ودّ علمت مكانه # و أنت بها حتى الممات موكّل

فما هكذا أحببت من كان قبلها # و لا هكذا فيما مضى كنت تفعل

-الغناء لمالك ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق-

فيا قلب دع ذكرى بثينة إنّها # و إن كنت تهواها تضنّ و تبخل

و قد أيأست من نيلها و تجهّمت # و لليأس إن لم يقدر النّيل أمثل

و إلاّ فسلها نائلا قبل بينها # و أبخل بها مسئولة حين تسأل

و كيف ترجّي وصلها بعد بعدها # و قد جدّ حبل الوصل ممن تؤمّل

و إنّ التي أحببت قد حيل دونها # فكن حازما، و الحازم المتحوّل

ففي اليأس ما يسلي و في الناس خلّة # و في الأرض عمّن لا يواتيك معزل

بدا كلف منّي بها فتثاقلت # و ما لا يرى من غائب الوجد أفضل

هبيني بريئا نلته بظلامة # عفاها لكم أو مذنبا يتنصّل

قناة[1]من المرّان ما فوق حقوها # و ما تحته منها نقًا يتهيّل

/قال و قال أيضا في هذه الحال:

صوت

أ عن ظعن الحيّ الألى كنت تسأل # بليل فردّوا عيرهم و تحمّلوا

فأمسوا و هم أهل الديار و أصبحوا # و من أهلها الغربان بالدار تحجل

-في هذين البيتين لسياط خفيف رمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو- [1]في أكثر الأصول: «فتاة» . و في حـ «قذاة» و هما تحريف.

على

حين ولّى الأمر عنّا و أسمحت[1] # عصا البين و انبتّ الرجاء المؤمّل

فما هو إلاّ أن أهيم بذكرها # و يحظى بجدواها سواي و يجذل

و قد أبقت الأيّام منّي على العدا # حساما إذا مسّ الصريبة يفصل

و لست كمن إن سيم ضيما أطاعه # و لا كامرئ إن عضّه الدهر ينكل

لعمري لقد أبدى لي البين صفحه[2] # و بيّن لي ما شئت لو كنت أعقل

و آخر عهدي من بثينة نظرة # على موقف كادت من البين تقتل

فللّه عينا من رأى مثل حاجة # كتمتكها و النفس منها تململ

و إني لأستبكي إذا ذكر الهوى # إليك و إنّي من هواك لأوجل

نظرت ببشر نظرة ظلت أمتري # بها عبرة و العين بالدمع تكحل

إذا ما كررت الطّرف نحوك ردّه # من البعد فيّاض من الدمع يهمل[3]

ودع بثينة حين خروجه إلى الشأم

:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال: /لمّا أراد جميل الخروج إلى الشأم، هجم ليلا على بثينة و قد وجد غفلة. فقالت له: أهلكتني و اللّه و أهلكت نفسك!ويحك!أ ما تخاف!. فقال لها: هذا وجهي إلى الشأم، إنما جئتك مودّعا. فحادثها طويلا ثم ودّعها، و قال: يا بثينة، ما أرانا نلتقي بعد هذا، و بكيا طويلا. ثم قال لها و هو يبكي: ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا # لنا منك رأي يا بثين جميل

و ما لم تطيعي كاشحا أو تبدّلي # بنا بدلا أو كان منك ذهول

و إنّي و تكراري الزيارة نحوكم # بثين بذي هجر بثين يطول[4]

و إن صباباتي بكم لكثيرة # بثين و نسيانيكم لقليل

أمره مروان و أمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعرا في الفخر

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثني شيوخ من عذرة: أنّ مروان بن الحكم خرج مسافرا في نفر من قريش و معه جميل بن معمر و جوّاس بن قطبة أخو عبيد اللّه بن قطبة. فقال مروان

لجوّاس: انزل فارجز بنا، و هو يريد أن يمدحه. فنزل جوّاس و قال: يقول أميري هل تسوق ركابنا # فقلت له حاد لهنّ سوائيا

[1]أسمحت: سهلت و ذلت.

[2]الصفح: الجانب.

[3]في الأصول «مهمل» . و الذي في «كتب اللغة» : همل الدمع إذا سال.

[4]كذا ورد هذا البيت في الأصول.

تكرّمت عن سوق المطيّ و لم يكن # سياق[1]المطيّ همّتي و رجائيا

/جعلت أبي رهنا و عرضي سادرا # إلى أهل بيت لم يكونوا كفائيا

إلى شرّ بيت من قضاعة منصبا # و في شرّ قوم منهم قد بدا ليا[2]

/فقال مروان: اركب لا ركبت!. ثم قال لجميل: انزل فارجز بنا، و هو يريد أن يمدحه. فنزل جميل فقال: أنا جميل في السّنام الأعظم # الفارع الناس الأعزّ الأكرم

أحمي ذماري و وجدت أقرمي # كانوا على غارب طود خضرم

أعيا على النّاس فلم يهدّم

فقال: عدّ عن هذا. فقال جميل:

لهفا على البيت المعدّي لهفا # من بعد ما كان قد استكفّا

و لو دعا اللّه و مدّ الكفّا # لرجفت منه الجبال رجفا

فقال له اركب لا ركبت!.

أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعرا في الفخر، و لم يمدح أحدا قط

:

قال الزّبير و حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال:

كان جميل مع الوليد بن عبد الملك في سفر و الوليد على نجيب؛ فرجز به مكين العذريّ فقال: يا بكر هل تعلم من علاكا # خليفة اللّه على ذراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارجز، و ظنّ الوليد أنه يمدحه. فنزل فقال: أنا جميل في السّنام من معدّ # في الذّروة العلياء و الرّكن الأشدّ

و البيت من سعد بن زيد و العدد # ما يبتغي الأعداء منّي و لقد

أضري[3]بالشّتم لساني و مرد # أقود من شئت و صعب لم أقد

فقال له الوليد: اركب لا حملك اللّه!. قال: و ما مدح جميل أحدا قطّ.

هدّده الحزين الديلي فهجاه

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا يونس بن عبد اللّه[4]بن سالم قال: /وقف جميل على الحزين الدّيليّ و الحزين ينشد الناس. فقال له الحزين و هو لا يعرفه: كيف تسمع شعري؟ [1]في حـ: «سياقي» .

[2]كذا في ترجمة جواس (في الجزء التاسع عشر من «الأغاني» طبع بلاق ص 113) . و في الأصول هنا: «إلى خير بيت فيهم قد بدا ليا» .

[3]في كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب» : «أغرم» . و في الأصول: «أضر» . و ضرى بالشيء (من باب فرح) لهج به، و أضراه بالشيء ألهجه به.

[4]في جـ: «عبيد اللّه» .

قال: صالح وسط. فغضب الحزين و قال له: ممّن أنت؟فو اللّه لأهجونّك و عشيرتك!. فقال جميل: إذا تندم. فأقبل الحزين يهمهم يريد هجاءه. فقال جميل: الدّيل أذناب بكر حين تنسبهم # و كلّ قوم لهم من قومهم ذنب

فقامت له بنو الدّيل و ناشدوه اللّه إلاّ كفّ عنهم، و لم يزالوا به حتى أمسك و انصرف.

راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه

:

أخبرني الحرميّ و محمد بن مزيد-و اللفظ له-قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال: لمّا هاجى عبيد اللّه بن قطبة جميلا و استعلى عليه جميل، أعرض عنه، و اعترضه أخوه جوّاس بن قطبة فهجاه و ذكر أختا لجميل. و كان جميل قبل ذلك يحتقره و لا ينصب[1]له، حتى هجا أخته فقال فيهما ذكرها به من شعره: إلى فخذيها العبلتين و كانتا # بعهدي لفّاوين[2]أردفتا ثقلا

فغضب جميل حينئذ فواعده للمراجزة. قال الزّبير فحدّثني بعض آل العبّاس بن سهل بن سعد عن عبّاس قال: قدمت من عند عبد الملك بن مروان و قد أجازني و كساني بردا، كان ذلك البرد أفضل جائزتي، فنزلت وادي القرى فوافقت الجمعة بها فاستخرجت بردي/الذي من عند عبد الملك و قلت أصلّي مع الناس؛ فلقيني جميل، و كان صديقا لي، فسلّم بعضنا على بعض و تساءلنا ثم افترقنا. فلما أمسيت إذا هو قد أتاني في رحلي/فقال: البرد الذي رأيته عليك تعيرنيه حتى أتجمّل به؛ فإنّ بيني و بين جوّاس مراجزة، و تحضر فتسمع. قال قلت: لا!بل هو لك كسوة، فكسوته إيّاه، و قلت لأصحابي: ما من شيء أحبّ إليّ من أن أسمع مراجزتهما. فلمّا أصبحنا جعل الأعاريب يأتون أرسالا حتى اجتمع منهم بشر كثير، و حضرت و أصحابي، فإذا بجميل قد جاء و عليه حلّتان ما رأيت مثلهما على أحد قطّ، و إذا بردي الذي كسوته إيّاه قد جعله جلاّ لجمله؛ فتراجزا فرجز جميل، و كانت بثينة تكنى أمّ عبد الملك، فقال: يا أمّ عبد الملك اصرميني # فبيني صرمى أو صليني

أبكي و ما يدريك ما يبكيني # أبكي حذار أن تفارقيني

و تجعلي أبعد منّي دوني # إنّ بني عمّك أوعدوني

أن يقطعوا رأسي إذا لقوني # و يقتلوني ثم لا يدوني[3]

كلاّ و ربّ البيت لو لقوني # شفعا و وترا لتواكلوني[4]

قد علم الأعداء أنّ دوني # ضربا كإيزاغ[5]المخاض الجون

[1]كذا فيء، أ، م. و نصب له: عاداه و تجرّد له. و في سائر الأصول: «و لا ينصت له» .

[2]لفاوان: ضخمتان مكتنزتا اللحم.

[3]وداه بديه: دفع ديته.

[4]أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفا مني وجبنا.

[5]الإيزاغ: إخراج البول دفعة واحدة. و الحوامل توزغ بأبوالها، و الطعنة توزغ بالدم.

ألا أسبّ القوم إذ سبّوني # بلى و ما مرّ على دفين[1]

و سابحات بلوي الحجون[2] # قد جرّبوني ثم جرّبوني

حتى إذا شابوا و شيّبوني # أخزاهم اللّه و لا يخزيني

أشباه أعيار على معين[3] # أحسن حسّ أسد حرون

فهنّ يضرطن من اليقين # أنا جميل فتعرّفوني

/و ما تقنّعت فتنكروني # و ما أعيّنكم لتسألوني

أنمى إلى عاديّة طحون # ينشقّ عنها السّيل ذو الشئون

غمر يدقّ رجح[4]السّفين # ذو حدب[5]إذا يرى حجون

تنحلّ أحقاد الرجال دوني

قال: و رجز جميل أيضا:

أنا جميل في السّنام من معدّ

و قد تقدّمت هذه الأرجوزة. ثم رجز بعده جوّاس فلم يصنع شيئا. قال: فما رأيت غلبة مثلها قطّ.

هجا خوّاتا العذريّ و بني الأحب

:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا بهلول بن سليمان عن العلاء بن سعيد البلويّ و جماعة غيره من قومه: أنّ رجلا من بني عذرة كان يقال له خوّات، أمّه بلويّة، و كان شاعرا، و كان جميل ابن جذاميّة. فخرج جميل إلى أخواله بجذام و هو يقول: جذام سيوف اللّه في كلّ موطن # إذا أزمت يوم اللّقاء أزام[6]

هم منعوا ما بين مصر فذي القرى # إلى الشأم من حلّ به و حرام

بضرب يزيل الهام عن سكناته[7] # و طعن كإيزاغ المخاض تؤام

/إذا قصرت يوما أكفّ قبيلة # عن المجد نالته أكفّ جذام

فأعطوه مائة بكرة. قال: و خرج خوّات إلى أخواله من بليّ و هو يقول: إنّ بليّا غرّة يهتدى بها # كما يهتدي الساري بمطلع النجم

هم ولدوا أمّي و كنت ابن أختهم # و لم أتخوّل[8]جذم قوم بلا علم

[1]دفين: موضع.

[2]الحجون: جبل بأعلى مكة.

[3]الأعيار: الحمر. و المعين: الماء العذب الغزير.

[4]الرجح من السفن: الثقيلة الموقرة.

[5]حدب السيل: ارتفاعه. و حجون: بعيد.

[6]أزام: شدّة، و هو مبني على الكسر.

[7]السكنة (بفتح فكسر) : مقر الرأس من العنق.

[8]تخوّل: اتخذ خالا. و في الأصول: «أتحوّل» بالحاء المهملة، و هو تصحيف. و الجذم: الأصل.

/قال: فأعطوه مائة غرّة ما بين فرس إلى وليدة؛ ففخر على صاحبه، و ذكر أن الغرّة الواحدة ممّا أتى به ممّا معه تعدل كلّ شيء أتى به جميل. فقال عبيد اللّه بن قطبة: ستقضي بيننا حكماء سعد # أ قطبة كان خيرا أم صباح

قال: و كان عبد اللّه بن معمر أبو جميل يلقّب صباحا. و كان عبيد اللّه بن قطبة يلقّب حماظا[1]. فقال النّخار العذريّ أحد بني الحارث بن سعد: قطبة[2]كان خيرا من صباح. فقال جميل يهجو بني الأحبّ رهط قطبة و يهجو النّخّار: إنّ أحبّ سفّل[3]أشرار # حثالة عودهم خوّار

أذلّ قوم حين يدعى الجار # كما أذلّ الحارث النّخّار

و قال الأبيرق العتبي[4]: قطبة كان خيرا من صباح. فقال جميل: يا بن الأبيرق و طب بتّ[5]مسنده # إلى وسادك من حمّ الذّرى جون

و أكلتان إذا ما شئت مرتفقا # بالسير من نغل الدفين مدهون[6]

أذكر[7]و أمّك منّي حين تنكبني[8] # جنّي فيغلب جنّي كلّ مجنون

/و قال جماعة من شعراء سعد في تفضيل قطبة على صباح أقوالا أجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له جعفر بن سراقة أحد بني قرّة: نحن منعنا ذا القرى من عدوّنا # و عذرة إذ نلقى يهودا و يعشرا[9]

منعناه من عليا معدّ و أنتم # سفاسيف روح بين قرح[10]و خيبرا

فريقان رهبان بأسفل ذي القرى # و بالشأم عرّافون فيمن تنصّرا

فلمّا بلغت جميلا اتّقاه و علم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل:

بنى عامر أنّى انتجعتم و كنتم # إذا حصّل الأقوام كالخصية الفرد

فأنتم و لأيّ موضع الذّلّ حجرة # و قرّة أولى بالعلاء و بالمجد

[1]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «حلماطا» . و ليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين.

[2]في الأصول «... الحارث بن سعد بن قطبة... إلخ» و هو تحريف.

[3]كذا في أكثر الأصول، و السفل: جمع سافل و هو الدنيء، و يقال لأسافل الناس و غوغائهم: سفلة (بفتح فكسر) و سفلة (بكسر فسكون) و العامة تقول رجل سفلة (بفتح فكسر) من قوم سفل (بفتح فكسر) قال ابن

الأثير و ليس بعربيّ. و في حـ: «قزم أشرار» و القزم (بفتحين أو بضمتين) : اللئام.

[4]في ب، س: «القيني» .

[5]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «أنت مسنده» .

[6]لم نهتد إلى وجه الصواب في هذا البيت و قد أثبتنا صورته كما وردت في الأصول، فهو هكذا في ب، س. و في حـ هكذا: «من نعل الدي فين» . و في م، أ، ء هكذا: «من بغل الذي فين» .

[7]في ب، س، حـ: «أزكى و أمك... » . و هو تحريف.

[8]في م، أ، ء: «تنكثني» .

[9]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «و بعثرا» . و لم نهتد إلى وجه الصواب فيه.

[10]السفساف: التراب الدقيق. و الروح: الريح. و قرح: سوق وادي القرى و قصبتها.

فأعرض عنه جعفر-قال الزبير: بنو عامر بن ثعلبة بن عبد اللّه بن ذبيان بن الحارث بن سعد رهط هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حيّة بن الكاهن و هو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد اللّه بن ذبيان بن سعد هذيم بن زيد. و زيادة ابن زيد بن مالك بن عامر بن قرّة بن خنبس بن عمرو بن ثعلبة بن عبد اللّه[1]بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم.

و لأي بن عبد مناة بن الحارث بن سعد هذيم-قال: فدخل جميل على هدبة بن خشرم السجن و هو محبوس بدم زيادة بن زيد، و أهدى له بردين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصي، و جاءه بنفقة؛ فلما دخل عليه عرض ذلك عليه؛ فقال هدبة: أنت يا بن قميئة[2]الذي تقول: بني عامر أنّى انتجعتم و كنتم # إذا عدّد الأقوام كالخصية الفرد

/أما و اللّه لئن خلّص اللّه لي ساقيّ لأمدّنّ لك مضامرك؛ خذ برديك و نفقتك. فخرج جميل؛ فلما بلغ باب السجن خارجا قال: اللهمّ أغن عنّي أجدع بني عامر!. و كانت بنو عامر قد قلّوا فحالفوا لأيا.

لقي عمر بن أبي ربيعة و تناشدا الشعر و فضله على نفسه :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء و محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزوميّ قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة: يا أبا الحارث قلبي طائر

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة و جميل بن عبد اللّه بن معمر و قد اجتمعا بالأبطح؛ فأنشد جميل قصيدته: لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي # بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

يقولون مهلا يا جميل و إنني # لأقسم ما بي من بثينة من مهل

أ حلما فقبل اليوم كان أوانه # أم أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل

لقد أنكحوا حربي نيبها ظعينة # لطيفة طيّ البطن ذات شوى خذل

و كم قد رأينا ساعيا بنميمة # لآخر لم يعمد بكفّ و لا رجل

ا إذ ما تراجعنا الذي كان بيننا # جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل

صوت

كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة # إلى إلفه و استعجلت عبرة قبلي

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها # و لكن طلابيها لما فات من عقلي

فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها # و يا ويح أهلي ما أصيب به أهلي

[1]في الأصول: «ابن عمرو بن عبد اللّه بن ثعلبة بن ذبيان إلخ» .

[2]القميئة: الذليلة.

و قالت لأتراب لها لا زعانف # قصار و لا كسّ الثّنايا و لا ثعل[1]

إذا حميت شمس النّهار اتقينها # بأكسية الدّيباج و الخزّ ذي الخمل

تداعين فاستعجمن مشيا بذي الغضا # دبيب القطا الكدريّ في الدّمث السّهل

إذا ارتعن أو فزّعن قمن حوالها # قيام بنات الماء في جانب الضّحل[2]

أجدّي لا ألقى بثينة مرّة # من الدهر إلا خائفا أو على رجل[3]

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

قال: و أنشده عمر قوله:

جرى ناصح بالودّ بيني و بينها # فقرّبني يوم الحصاب إلى قتلي

فما أنس م الأشياء أنس موقفي # و موقفها وهنا[4]بقارعة النخل

فلمّا تواقفنا عرفت الذي بها # كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فقلن لها هذا عشاء و أهلنا # قريب أ لمّا تسأمي مركب البغل

فقالت فما شئتنّ قلن لها انزلي # فللأرض خير من وقوف على رحل

فأقبلن أمثال الدّمى فاكتنفنها # و كلّ يفدّي بالمودّة و الأهل

نجوم درايّ تكنّفن صورة # من البدر وافت غير هوج و لا ثجل[5]

فسلّمت و استأنست خيفة أن يرى # عدوّ مكاني أو يرى كاشح فعلي/

فقالت و ألقت جانب السّتر إنما # معي فتحدّث غير ذي رقبة أهلي

فقلت لها ما بي لهم من ترقّب # و لكنّ سرّي ليس يحمله مثلي/

فلما اقتصرنا دونهن حديثنا # و هنّ طيبات بحاجة ذي التّبل[6]

عرفن الذي نهوى[7]فقلن ائذني لنا # نطف ساعة في برد ليل و في سهل

فقالت فلا تلبثن قلن تحدّثي # أتيناك و انسبن انسياب مها الرمل

و قمن و قد أفهمن ذا اللّبّ أنما # أتين الذي يأتين من ذاك من أجلي

[1]الزعانف: جمع زعنفة و هي القصيرة. و الكس: جمع كساء. و الكسس: قصر الأسنان و صغرها. و الثعل: جمع ثعلاء. و الثعل: زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى.

[2]بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء. و الضحل: الماء القليل.

[3]الرجل: الخوف أو الفزع من فوت الشيء، يقال أنا من أمرى على رجل أي على خوف من قوته. و في ب، س: «على رحل» بالحاء المهملة.

[4]كذا في أكثر الأصول و «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (طبع أوروبا) . و في ب، س: «يوما بفارغة النخل» .

[5]ثجل: جمع ثجلاء، وصف من الثجل و هو عظم البطن و استرخاؤه، و يروى: «و لا عجل» .

[6]كذا في «ديوانه» . و التبل: أن يسقم الهوى الإنسان. و في الأصول: «ذي الشكل» .

[7]في «ديوانه» : «تهوى» بالتاء.

فقال جميل: هيهات يا أبا الخطّاب: لا أقول و اللّه مثل هذا سجيس[1]الليالي!و ما خاطب النساء مخاطبتك أحد؛ و قام مشمّرا.

نسبة ما في هذا الخبر من «الأغاني»

صوت

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

أبيت مع الهلاّك ضيفا لأهلها # و أهلي قريب موسعون ذوو فضل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها # و لكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. و ذكر حمّاد و الهشاميّ أن فيه لنافع الخير مولى عبد اللّه بن جعفر لحنا من الثقيل الأوّل.

و منها:

صوت

ألا أيّها البيت الذي حيل دونه # بنا أنت من بيت[2]و أهلك من أهل

/ثلاثة أبيات فبيت أحبّه # و بيتان ليسا من هواي و لا شكلي

كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة # إلى إلفه و استعجلت عبرة قبلي

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل الثاني بالبنصر.

و منها:

صوت

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي # بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

يقولون مهلا يا جميل و إنني # لأقسم ما بي عن بثينة من مهل

الغناء لابن محرز من كتاب يونس و لم يجنّسه، و ذكر إسحاق أنه مما ينسب إلى ابن محرز و ابن مسجح، و لم يصحّ عنده لأيّهما هو و لا ذكر طريقته.

غنى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حسّان قال أخبرني نافع مولى عبد اللّه بن جعفر-و ما رأيت أحدا قطّ كان أشكل ظرفا و لا أزين في مجلسٍ و لا أحسن غناء منه-

قال: قدمنا مع عبد اللّه بن جعفر مرّة على معاوية؛ فأرسل إليّ يزيد يدعوني ليلا؛ فقلت: أكره أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكوني إلى ابن جعفر. قال فامهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفتقدك [1]سجيس الليالي: طول الليالي.

[2]في ب، س:

بنا أنت من بيتى و أهلك من أهلى

-

و نخلو نحن بما نريد قبل قيامهما. /فأتيته فغنّيته؛ فو اللّه ما رأيت فتى أشرف أريحيّة منه؛ و اللّه لألقى عليّ من الكسا الخزّ و الوشي و غيره ما لم أستطع حمله، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: و ذهب بنا الحديث و ما كنّا فيه، حتى قام معاوية و نهض ابن جعفر معه، و كان باب يزيد في سقيفة معاوية؛ فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا بن جعفر؟قال: هذا و اللّه صوت نافع. فدخل علينا؛ فلما أحسّ به يزيد تناوم. /فقال له معاوية: مالك يا بنيّ؟قال: صدعت فرجوت أن يسكن عنّي بصوت هذا. قال: فتبسّم معاوية و قال: يا نافع، ما كان أغنانا عن قدومك!. فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحايين يذكي[1]القلب. قال: فضحك معاوية و انصرف. فقال لي ابن جعفر: ويلك!هل شرب شيئا؟قلت: لا و اللّه. قال: و اللّه إنّي لأرجو أن يكون من فتيان بني عبد مناف الذين ينتفع بهم. قال نافع: ثم قدمنا على يزيد مع عبد اللّه بن جعفر بعد ما استخلف، فأجلسه معه على سريره و دخلت حاشيته تسلّم عليه و دخلت معهم. فلما نظر إليّ تبسّم. ثم نهض ابن جعفر و تبعناه. فقيل له: نظر إلى نافع و تبسم.

فقال ابن جعفر: هذا تأويل تلك الليلة. فقضى حوائج ابن جعفر و أضعف ما كان يصله به معاوية. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه و نحن معه؛ فأرسل إليّ يزيد فدخلت عليه. قال: ويحك يا نافع!ما أخّرتك إلا لأتفرّغ لك.

هات لحنك:

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

فأسمعته؛ فقال: أعد ويلك!فأعدته، ثم قال: أعد فأعدته ثلاثا. فقال: أحسنت؛ فسل حاجتك. فما سألته في ذلك اليوم شيئا إلا أعطانيه. ثم قال: إن يصلح لنا هذا الأمر من قبل ابن الزّبير فلعلّنا أن نحجّ فتلقانا بالمدينة!فإنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ هناك. قال نافع: فمنعنا و اللّه من ذلك شؤم ابن الزّبير.

سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها و حدثها :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفريّ قال حدّثنا القاسم بن أبي الزّناد قال: /خرج عمر بن أبي ربيعة يريد الشأم، فلما كان بالجناب[2]لقيه جميل؛ فقال له عمر: أنشدني، فأنشده: خليليّ فيما عشتما هل رأيتما # قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي

ثم قال جميل: أنشدني يا أبا الخطّاب، فأنشده: أ لم تسأل الأطلال و المتربّعا # ببطن حليّات دوارس بلقعا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما توافقنا و سلّمت أشرقت # وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعا

تبالهن بالعرفان لمّا عرفنني[3] # و قلن امرؤ باغ أكلّ و أوضعا

[1]في ب، س: «يذكر» .

[2]الجناب: موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق و الشام.

[3]في ب، س: «رأيننني» .

و قرّبن أسباب الهوى لمتيّم # بقيس ذراعا كلّما قسن إصبعا

قال: فصاح جميل و استخذى و قال: ألا إن النّسيب أخذ من هذا، و ما أنشده حرفا، فقال له عمر: اذهب بنا إلى بثينة حتى نسلّم عليها. فقال له جميل: قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها، و هاتيك أبياتها. فأتاها عمر حتى وقف على أبياتها و تأنّس حتى كلّم؛ فقال: /يا جارية، أنا عمر بن أبي ربيعة، فأعلمي بثينة مكاني. فخرجت إليه بثينة في مباذلها و قالت: و اللّه يا عمر لا أكون من نسائك اللاّتي يزعمن أن قد قتلهنّ الوجد بك؛ فانكسر عمر؛ قال و إذا امرأة أدماء طوالة.

و أخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن المسيّبيّ و الزّبير فذكر مثل ما ذكره الزبير و زاد فيه قال: فقال لها قول جميل: /

و هما قالتا لو أنّ جميلا # عرض اليوم نظرة فرآنا

بينما ذاك منهما و إذا بي[1] # أعمل النّصّ[2]سيرة زفيانا

نظرت نحو تربها ثم قالت # قد أتانا-و ما علمنا-منانا

فقالت: إنه استملى منك فما أفلح؛ و قد قيل: اربط الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلّم من جريه تعلّم من خلقه.

لقي بثينة و رصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة و شعره في ذلك

:

و ذكر الهيثم بن عديّ و أصحابه في أخبارهم: أن جميلا طال مقامه بالشأم ثم قدم، و بلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحيّ تذكر شوقها إليه و وجدها به و طلبها للحيلة في لقائه، و واعدته لموضع يلتقيان فيه؛ فسار إليها و حدّثها طويلا و أخبرها خبره بعدها. و قد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها و أخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميل فانتضى سيفه و شدّ عليهما فاتّقياه بالهرب؛ و ناشدته بثينة اللّه إلاّ انصرف، و قالت له: إن أقمت فضحتني، و لعل الحيّ أن يلحقوك. فأبى و قال: أنا مقيم و امضي أنت و ليصنعوا ما أحبّوا. فلم تزل تناشده حتى انصرف. و قال في ذلك و قد هجرته و انقطع التلاقي بينهما مدّة: أ لم تسأل الربع الخلاء فينطق # و هل تخبرنك اليوم بيداء سملق[3]

وقفت بها حتى تجلّت عمايتي # و ملّ الوقوف الأرحبيّ[4]المنوّق

تعزّ و إن كانت عليك كريمة # لعلّك من رقّ لبثنة تعتق

لعمركم إن البعاد لشائقي # و بعض بعاد البين و النأي أشوق

/لعلّك محزون و مبد صبابة # و مظهر شكوى من أناس تفرّقوا

و بيض غريرات تثنّي خصورها # إذا قمن أعجاز ثقال و أسؤق

[1]كذا في حـ و في سائر الأصول: «و أتاني» و هو تحريف.

[2]النص: السير الشديد. و زفيانا: سريعا.

[3]سملق: مقفرة لا نبات بها. و قد وردت هذه القصيدة. في «منتهى الطلب من أشعار العرب» مختلفة الألفاظ عما هنا.

[4]الأرحبيّ: النجيب من الإبل، ينسب إلى قبيلة بني أرحب. و المنوّق: الذلول.

غرائز لم يلقين بؤس معيشة # يجنّ بهنّ الناظر[1]المتنوّق

و غلغلت[2]من وجد إليهنّ بعد ما # سريت و أحشائي من الخوف تخفق

معي صارم قد أخلص القين صقله # له حين أغشيه الضّريبة رونق

فلو لا احتيالي ضقن ذرعا بزائر # به من صبابات إليهنّ أولق[3]

تسوك بقضبان الأراك مفلّجا # يشعشع فيه الفارسيّ[4]المروّق

أ بثنة للوصل الذي كان بيننا # نضا مثل ما ينضوا الخضاب فيخلق

أ بثنة ما تنأين إلا كأنّني # بنجم الثّريّا ما نأيت معلّق

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب

:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوما فقال لي: يا إسحاق، أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محبّ و هو ظالم متعتّب[5].

/فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رد الماء ما جاءت بصفو ذنائبه[6] # ودعه إذا خيضت بطرق[7]مشاربه

أعاتب من يحلو لديّ عتابه # و أترك من لا أشتهي و أجانبه

و من لذّة الدنيا و إن كنت ظالما # عناقك مظلوما و أنت تعاتبه

/فقال: أحسن و اللّه!أعدها عليّ؛ فأعدتها حتى حفظها، و أمر لي بثلاثين ألف درهم و تركني و قام فدخل إلى دار الحرم.

ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع

:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السّعيديّ[8]قال: حدّثني رجل كان يصحب جميلا من أهل تيماء قال: كنت يوما جالسا مع جميل و هو يحدّثني و أحدّثه، إذ ثار و تربّد وجهه، فأنكرته و رأيت منه غير ما كنت أرى، و وثب نافرا مقشعرّ الشعر متغيّر اللون، حتى أتي بناقة له قريبة من الأرض مجتمعة موثّقة الخلق فشدّ عليها رحله، ثم أتي بمحلب فيه لبن فشربه، ثم ثنّى فشربت حتى رويت؛ ثم قال لي: اشدد أداة رحلك و اشرب و اسق جملك [1]تنوّق في أموره: جوّد و بالغ.

[2]غلغل الرجل: دخل في تعب و شدّة. و في «ديوان منتهى الطلب من أشعار العرب» : «تنضيت» و معناها: هزلت.

[3]الأولق: الجنون.

[4]الفارسيّ: من أسماء الخمر.

[5]متعتب: متجنّ.

[6]الذنائب: جمع ذنوب و هي الدلو العظيمة.

[7]الطرق: أن تبول الإبل في الماء و تبعر فتكدره. و يقال للماء الذي خوّضته الإبل فبالت فيه و بعرت: مطروق و طرق.

[8]في ب، س: «السعدي» .

فإني ذاهب بك إلى بعض مذاهبي، ففعلت. فجال في ظهر ناقته و ركبت ناقتي، فسرنا بياض يومنا و سواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا كلّه، لا و اللّه ما نزلنا إلا للصّلاة، فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهنّ، و وجدنا الرجال خلوفا[1]، و إذا قدر لبن ثمّ و قد جهدت جوعا و عطشا. فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري و تركته جانبا، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يثنيني حرّها حتى رويت؛ فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت عليّ و إذا هي على رأسي قلنسية، فضحكن منّي و غسلن ما أصابني. و أتي جميل بقرى فو اللّه ما التفت إليه. فبينا هو يحدّثهنّ إذا رواعي[2]الإبل، و قد كان السلطان أحلّ لهم دمه إن وجدوه في بلادهم؛ و جاء الناس فقالوا له: ويحك!انج و تقدّم! فو اللّه ما أكبرهم كلّ الإكبار. و غشيه الرجال فجعلوا يرمونه و يطردونه، فإذا قربوا منه قاتلهم و رمى فيهم. و هام بي جملي، فقال لي يسّر: /لنفسك مركبا خلفي، فأردفني خلفه. و لا و اللّه ما انكسر و لا انحلّ عن فرصته[3]حتى رجع إلى أهله، و قد سار ستّ ليال و ستة أيّام و ما التفت إلى طعام.

لامه فيها روق ابن عمه و لما رأى ما به احتال في زيارته لها و شعره في ذلك

:

و شكا زوج بثينة إلى أبيها و أخيها إلمام جميل بها؛ فوجّهوا إلى جميل فأعذروا إليه و شكوه إلى عشيرته و أعذروا إليهم و توعّدوه و إيّاهم. فلامه أهله و عنّفوه و قالوا: استخلص إليهم و نبرأ منك و من جريرتك. فأقام مدّة لا يلمّ بها. ثم لقي ابني عمّه روقا و مسعدة، فشكا إليهما ما به و أنشدهما قوله:

صوت

زورا بثينة فالحبيب مزور # إن الزيارة للمحبّ يسير

إنّ الترحّل، إن تلبّس أمرنا # و اعتاقنا قدر أحمّ، بكور

-الغناء لعريب رمل بالوسطى-

صوت

إنّي عشيّة رحت و هي حزينة # تشكو إليّ صبابة لصبور

/و تقول بت عندي فديتك ليلة # أشكو إليك فإنّ ذاك يسير

-الغناء لسليم خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيه ثقيل أوّل بالبنصر ذكر الهشاميّ أنه لمخارق، و ذكر حبش أنه لإبراهيم. و ذكر حبش أن لحن مخارق خفيف رمل-

غرّاء مبسام كأنّ حديثها # درّ تحدّر نظمه منثور

محطوطة[4]المتنين مضمرة الحشى # ريّا الرّوادف خلقها ممكور

/لا حسنها حسن و لا كدلالها # دلّ و لا كوقارها توقير

[1]خلوفا: غيبا.

[2]المراد هنا الإبل الراعية لا الرعاة الذين يرعونها فإن جمع الراعي رعاة و رعاء و رعيان.

[3]الفرصة: القطعة من الصوف و القطن. و لعله يريد ما وضعه على رحل بعيره و جعله تحته.

[4]محطوطة المتنين: ممدوتهما. و في الأصول: «مخطوطة المتنين» بالخاء المعجمة، و هو تصحيف.

إنّ اللسان بذكرها لموكّل # و القلب صاد و الخواطر صور[1]

و لئن جزيت الودّ منّي مثله # إني بذلك يا بثين جدير

فقال له روق: إنك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة و تركك الاستبدال بها مع كثرة النساء و وجود من هو أجمل منها، و إنّك منها بين فجور أرفعك عنه، أو ذلّ لا أحبّه لك، أو كمد يؤدّيك إلى التّلف، أو مخاطرة بنفسك لقومها إن تعرّضت[2]لها بعد أعذارهم إليك. و إن صرفت نفسك عنها و غلبت هواك فيها و تجرّعت مرارة الحزم حتى تألفها و تصبر نفسك عليها طائعة أو كارهة ألفت ذلك و سلوت. فبكى جميل و قال: يا أخي، لو ملكت اختياري لكان ما قلت صوابا، و لكني لا أملك الاختيار و لا أنا إلاّ كالأسير لا يملك لنفسه نفعا، و قد جئتك لأمر أسألك ألاّ تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم، و أن تحمل على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنت لا بدّ مهلكا نفسك فاعمل على زيارتها ليلا؛ فإنها تخرج مع بنات عمّ لها إلى ملعب لهنّ، فأجيء معك حينئذ سرّا، و لي أخ من رهط بثينة من بني الأحبّ، نأوي عنده نهارا، و أسأله مساعدتك على هذا، فتقيم عنده أيّاما نهارك و تجتمع معها بالليل إلى أن تقضي أربك؛ فشكره. و مضى روق إلى الرجل الذي من رهط بثينة، فأخبره الخبر و استعهده كتمانه و سأله مساعدته فيه.

فقال له: لقد جئتني بإحدى العظائم؛ ويحك!إن في هذا معاداتي الحيّ جميعا إن فطن به. فقال: أنا أتحرّز في أمره من أن يظهر، فواعده في ذلك؛ و مضى إلى جميل فأخبره بالقصة، فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده. و أرسل إلى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته إليها؛ فلما رأته عرفت، فتبعتها و جاءته فتحدّثا ليلتهما. و أقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها، /و قال لها: عن غير قلى و اللّه و لا ملل يا بثينة كان وداعي لك، و لكنّي قد تذممت من هذا الرجل الكريم و تعريضه نفسه لقومه، و أقمت عنده ثلاثا و لا مزيد على ذلك، ثم انصرف. و قال في عذل روق ابن عمه إيّاه: لقد لامني فيها أخ ذو قرابة # حبيب إليه في ملامته رشدي

و قال أفق حتى متى أنت هائم # ببثنة فيها قد تعيد و قد تبدي

فقلت له فيها قضى اللّه ما ترى # عليّ و هل فيما قضى اللّه من ردّ

فإن بك رشدا حبّها أو غواية # فقد جئته ما كان منّي على عمد

صوت

لقد لجّ ميثاق من اللّه بيننا # و ليس لمن لم يوف اللّه من عهد

فلا و أبيها الخير ما خنت عهدها # و لا لي علم بالذي فعلت بعدي

و ما زادها الواشون إلا كرامة # عليّ و ما زالت مودّتها عندي

-الغناء لمتيّم ثقيل أوّل عن الهشاميّ، و ذكر ابن المعتزّ أنه لشارية، و ذكر ابن خرداذبه أنه لقلم الصالحيّة-

أ في الناس أمثالي أحبّ فحالهم # كحالي أم أحببت من بينهم و حدي

[1]صور: مائلات.

[2]في الأصول: «تعذرت» و ليس لها معنى مناسب.

و هل هكذا يلقى المحبّون مثل ما # لقيت بها أم لم يجد أحد وجدي

و قال جميل فيها:

خليليّ عوجا اليوم حتى تسلّما # على عذبة الأنياب طيّبة النّشر

ألمّا بها ثم اشفعا لي و سلّما # عليها سقاها اللّه من سائغ القطر

و بوحا بذكرى عند بثنة و انظرا # أترتاح يوما أم تهشّ إلى ذكرى

فإن لم تكن تقطع قوى الودّ بيننا # و لم تنس ما أسلفت في سالف الدهر

/فسوف[1]يرى منها اشتياق و لوعة # ببين و غرب من مدامعها يجري

و إن تك قد حالت عن العهد بعدنا # و أصغت إلى قول المؤنّب و المزري

فسوف يرى منها صدود و لم تكن # بنفسي من أهل الخيانة و الغدر

أعوذ بك اللّهمّ أن تشحط النّوى # ببثنة في أدنى حياتي و لا حشري

و جاور إذا ما متّ بيني و بينها # فيا حبّذا موتي إذا جاورت قبري

عدمتك من حبّ أ ما منك راحة # و ما بك عنّي من توان و لا فتر

ألا أيّها الحبّ المبرّح هل ترى # أخا كلف يغري بحبّ كما أغري

أجدّك لا تبلى و قد بلى الهوى # و لا ينتهي حبيّ بثينة للزجر

أغري أجدّك لا تبلى و قد بلي الهوى # و لا ينتهي حبّي بثيّنة للزّجر

صوت

هي البدر حسنا و النساء كواكب # و شتّان ما بين الكواكب و البدر

لقد فضّلت حسنا على الناس مثلما # على ألف شهر فضّلت ليلة القدر

غنّت شارية في هذين البيتين خفيف رمل من رواية ابن المعتزّ.

تهاجرا مدّة ثم اصطلحا

:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدّثني الرّحال بن سعد المازنيّ قال: وقع بين جميل و بثينة هجر في غيرة كان غارها عليها من فتى كان يتحدّث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدّث إلى غيرها، فيشقّ ذلك على بثينة و على جميل، و جعل كلّ واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه. فدخل جميل يوما و قد غلبه الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة. فلما رأته بثينة جاءت إلى البيت و

لم تبرز له؛ فجزع لذلك جميل؛ و جعل كلّ واحد منهما يطالع صاحبه؛ و قد بلغ الأمر من جميل كلّ مبلغ، /فأنشأ يقول: /

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة # و في النفس حاجات إليك كما هيا

و إني لتثنيني الحفيظة كلّما # لقيتك يوما أن أبثّك ما بيا

[1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فكيف» .

أ لم تعلمي يا عذبة الرّيق أنّني # أظلّ إذا لم أسق ريقك صاديا

قال: فرقّت له بثينة، و قالت لمولاة لها كانت معها: ما أحسن الصدق بأهله!ثم اصطلحا. فقالت له بثينة: أنشدني قولك: تظلّ وراء السّتر ترنو بلحظها # إذا مرّ من أترابها من يروقها

فأنشدها إيّاها؛ فبكت و قالت: كلاّ يا جميل!و من ترى أنه يروقني غيرك!.

نعي جميل و حزن بثينة عليه

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر أيوب بن عباية قال: خرجت من تيماء في أغباش[1]السّحر، فرأيت عجوزا على أتان، فتكلّمت فإذا أعرابية فصيحة. فقلت: ممن أنت؟فقالت: عذريّة. فأجريت ذكر جميل و بثينة؛ فقالت: و اللّه إنّا لعلى ماء لنا بالجناب و قد تنكّبنا الجادّة[2]لجيوش كانت تأتينا من قبل الشأم تريد الحجاز، و قد خرج رجالنا لسفر و خلّفوا معنا أحداثا؛ فانحدروا ذات عشيّة إلى صرم[3] قريب منا يتحدّثون إلى جوار منهم، فلم يبق غيري و غير بثينة، إذ انحدر علينا منحدر من هضبة تلقاءنا، فسلّم و نحن مستوحشون وجلون. فتأمّلته و رددت السلام فإذا جميل. فقلت: أ جميل؟ قال: إي و اللّه؛ و إذا به لا يتماسك جوعا، فقمت إلى قعب لنا فيه أقطّ[4]مطحون و إلى عكّة[5]فيها سمن و ربّ[6]، فعصرتها على الأقط/ثم أدنيتها منه و قلت: أصب من هذا، فأصاب منه؛ و قمت إلى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا فشرب منه و تراجعت نفسه. فقلت له: لقد بلغت و لقيت شرّا، فما أمرك؟قال: أنا و اللّه في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجة، فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودّعكم و أنا عامد إلى مصر. فتحدّثنا ساعة ثم ودّعنا و شخص، فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه. فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة: صدع[7]النّعيّ و ما كنى بجميل # و ثوى بمصر ثواء غير قفول

و لقد أجر الذّيل في وادي القرى # نشوان بين مزارع و نخيل

قومي بثينة فاندبي بعويل # و ابكي خليلك دون كلّ خليل

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني محمد بن القاسم عن الأصمعيّ قال: حدّثني رجل شهد جميلا لمّا حضرته الوفاة بمصر أنه دعاه فقال: هل

لك في أن أعطيك كلّ ما أخلّفه على أن تفعل شيئا أعهده إليك؟فقال قلت: اللهم نعم. قال: إذا أنا متّ فخذ حلّتي هذه التي في عيبتي فاعزلها جانبا ثم كلّ شيء سواها لك، و ارحل إلى رهط بني الأحبّ من عذرة-و هم رهط بثينة-فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه و اركبها، ثم البس حلّتي هذه و اشققها [1]الغبش: ظلمة آخر الليل.

[2]الجادة: الطريق.

[3]الصرم: الجماعة من الناس ليسوا بالكثير.

[4]الأقط (بفتح فكسر) ، و فيه لغات أخرى هذه أفصحها: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به.

[5]العكة: زقيق صغير للسمن.

[6]الرب: ما يطبخ من التمر.

[7]صدع: جاهر و صرح.

ثم اعل على شرف و صح بهذه الأبيات و خلاك ذمّ. ثم أنشدني هذه الأبيات: /

صدع النّعيّ و ما كنى بجميل # و ثوى بمصر ثواء غير قفول

-و ذكر الأبيات المتقدّمة-فلما قضى و واريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتممت الأبيات حتى برزت إليّ امرأة يتبعها نسوة قد فرعتهنّ/طولا و برزت أمامهن كأنها بدر قد برز في دجنّة و هي تتعثّر في مرطها[1]حتى أتتني، فقالت: يا هذا، و اللّه لئن كنت صادقا لقد قتلتني، و لئن كنت كاذبا لقد فضحتني. قلت: و اللّه ما أنا إلاّ صادق، و أخرجت حلّته. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها و صكّت وجهها، و اجتمع نساء الحيّ يبكين معها و يندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيّا عليها ساعة، ثم قامت و هي تقول: و إنّ سلوّي عن جميل لساعة # من الدّهر ما حانت و لا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر # إذا متّ بأساء الحياة و لينها

قال: فلم أر يوما كان أكثر باكيا و باكية منه يومئذ.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

أمسى الشباب مودّعا محمودا # و الشيب مؤتنف[2]المحلّ جديدا

و تغيّر البيض الأوانس بعد ما # حمّلتهنّ مواثقا و عهودا

عروضه من الكامل. الشعر ليزيد بن الطّثريّة، و الغناء لإسحاق، و لحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر.

و فيه لبابويه خفيف ثقيل بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

[1]المرط: كساء من صوف.

[2]ائتنف الشيء و استأنفه: استقبله، أو أخذ أوّله و ابتدأه.

3-ذكر يزيد بن الطّثريّة[1]و أخباره و نسبه

نسبه و نسب أمه

:

ذكر ابن الكلبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصّمّة أحد بني سلمة الخير بن قشير. و ذكر البصريّون أنه من ولد الأعور بن قشير. و قال أبو عمرو الشّيبانيّ: اسمه يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. و إنما قيل له سلمة الخير لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له سلمة الشّرّ. قال: و قد قيل: إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة. و الطّثرية أمّه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ عن محمد بن حبيب، امرأة من طثر، و هم حيّ من اليمن عدادهم في جرم. و قال غيره: إن طثرا من عنز[2]بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. و كان أبو جراد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسر طثرا فمكث عنده زمانا ثم خلّاه و أخذ عليه إصرا[3]ليبعثنّ إليه بفدائه أو ليأتينّه بنفسه و أهله فلم يجد فداء، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جراد فوسمه/سمة إبله، فهم حلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرّقين في بني عقيل يوالون[4]بني المنتفق، و هم يعيّرون ذلك[5]الوسم. و قال بعض من يهجوهم:

عليه الوسم و سم أبي جراد

و فيهم يقول يزيد بن الطّثريّة:

ألا بئسما أن تجرموني[6]و تغضبوا # عليّ إذا عاتبتكم يا بني طثر

/و زعم بعض البصريين: أن الطّثريّة أمّ يزيد كانت مولعة بإخراج زبد اللّبن، فسمّيت الطّثريّة. و طثرة اللبن:

زبدته.

[1]كذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال: «و الطّثريّة بفتح الطاء و إسكان الثاء و بعدها راء ثم ياء النسب و هاء و هي أمه ينسب يزيد المذكور إليها، و هي من بني طثر بن عنز بن وائل. و الطثر: الخصب و كثرة اللبن، يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن» . و في «القاموس» و «شرحه» (مادة طثر) : «و طثرية محركة أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري» . و قد ضبط بالقلم في الحماسة للتبريزي و «الأمالي» لأبي علي القالي و «الشعر و الشعراء» بإسكان الثاء.

[2]كذا في «تجريد الأغاني و ابن خلكان و المعارف» لابن قتيبة و «الاشتقاق» لابن دريد و «القاموس» (مادة عنز) . و عنز هذا و بكر و تغلب جميعا أبناء وائل بن قاسط و أمهم هند بنت تميم بن مر. و في الأصول: «عبد» و هو تحريف.

[3]الإصر: العهد.

[4]في أكثر الأصول «يولون بني المنتفق» . و والاه و تولاه: دخل في ولائه. و في ب، س: «يولون إلى بني المنتفق» .

[5]في الأصول: «يعيرون بذلك» . و الفصيح الكثير أن يقال: يعيرون ذلك، حتى قيل: إن تعدية «عير» إلى مفعوله الثاني بالباء ممنوعة.

[6]كذا في ب، س. و الجرم: القطع و الصرم. و في سائر الأصول: «تحرموني» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

كان يلقب مودّقا لجماله، و كان كثير التحدث إلى النساء
:

و يكنى يزيد أبا المكشوح[1]. و كان يلقّب مودّقا؛ سمّي بذلك لحسن وجهه و حسن شعره و حلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودّقهنّ[2].

أخبرني محمد بن خلف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان يزيد بن الطّثريّة يقول: من أفحم عند النساء فلينشد من شعري. قال: و كان كثيرا ما يتحدّث إلى النساء، و كان يقال: إنه عنّين.

ما جرى بين جرم و قشير و ما كان من مياد الجرمي و يزيد بن الطثرية
:

و روى عنه[3]عبد اللّه بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بني عمرو بن كلاب عن سعاد بنت يزيد بن زريق[4]امرأة منهم:

/أنّ يزيد بن الطّثريّة كان من أحسن من مضى وجها و أطيبه حديثا، و أنّ النساء كانت مفتونة به، و ذكر الناس أنه كان عنّينا، و ذلك أنه لا عقب له، و أنّ الناس أمحلوا[5]حتى ذهبت الدقيقة من المال و نهكت[6]الجليلة؛ فأقبل صرم[7]من جرم ساقته السّنة و الجدب من بلاده إلى بلاد بني قشير، و كان بينهم و بين بني قشير حرب عظيمة؛ فلم يجدوا بدّا من رمي قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب و المجاعة و دقّة الأموال و ما أشرفوا عليه من الهلكة.

و وقع الربيع في بلاد بني قشير فانتجعها الناس و طلبوها؛ فلم يعد أن لقيت جرم قشيرا، فنصبت قشير لهم الحرب.

فقالت جرم: إنما جئنا مستجيرين غير محاربين. قالوا: مما ذا؟قالوا: من السّنة و الجدب و الهلكة التي لا باقية لها.

فأجارتهم قشير و سالمتهم و أرعتهم طرفا من بلادها. و كان في جرم فتى يقال له ميّاد، و كان غزلا حسن الوجه تامّ القامة آخذا بقلوب النساء. و الغزل في جرم جائز حسن، و هو في قشير نائرة[8]. فلمّا نازلت جرم قشيرا و جاورتها أصبح ميّاد الجرميّ فغدا إلى القشيريّات يطلب منهنّ

الغزل و الصّبا و الحديث و استبراز الفتيات[9]عند غيبة الرّجال و اشتغالهم بالسّقي و الرّعية و ما أشبه ذلك؛ فدفعنه عنهنّ و أسمعنه ما يكره. و راحت رجالهنّ عليهنّ و هنّ مغضبات؛ فقال عجائز منهنّ: و اللّه ما ندري أرعيتم جرما المرعى أم أرعيتموهم نساءكم!فاشتدّ ذلك عليهم فقالوا: و ما إدراكنّه[10]؟قلن: رجل منذ اليوم ظلّ مججرا[11]لنا/ما يطلع منا[12]رأس واحدة، يدور بين بيوتنا. فقال بعضهم:

[1]كنى بذلك لأنه كان على كشحه (خاصرته) كي نار.

[2]كذا في أكثر الأصول. يريد أنه فتنهن بجماله و حلاوة حديثه. يقال: و دقت المرأة و استودقت و أودقت إذا مالت إلى الفحل. و الأصل فيه لذوات الحافر ثم نقل إلى الإنسان. و في ب، س: «أودق» .

[3]مرجع الضمير في «عنه» غير واضح، على أنه يحتمل أن تكون كلمة «عنه» زيدت سهوا.

[4]في م: «رزيق» بتقديم الزاي على الراء.

[5]في ب، س: «محلوا» ، و هو تحريف، إذ يقال: محلت الأرض (من باب كلام و منع) و أمحلت، و يقال: أمحل القوم ليس غير.

[6]كذا في جـ. و في «سائر الأصول» : «و تهتكت الحليلة» .

[7]الصرم (بالكسر) : الجماعة من الناس.

[8]كذا «في الأصول» . و النائرة: العداوة و الشحناء، أي أن الغزل في قشير سبب العداوة و التباغض. و في «تجريد الأغاني» : «مكروه» .

[10]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «الفتيان» بالنون، و هو تصحيف.

[11]في «تجريد الأغاني» : «... ما ذا كنه» .

[12]كذا في الأصول: «محجرا» (بحاء مهملة فجيم) و الأرجح أن تكون (بجيم معجمة بعدها حاء) و هو مأخوذ من أحجره إذا ألجأ إلى أن يدخل حجره. و مجاحر القوم: أماكنهم.

[13]كذا في «تجريد الأغاني» . و «في الأصول» : «ما يطلع بنا» .

بيّتوا جرما فاصطلموها[1]. و قال بعضهم: قبيح!قوم قد سقيتموهم مياهكم و أرعيتموهم مراعيكم و خلطتموهم بأنفسهم و أجرتموهم من القحط و السّنة تفتاتون عليهم هذا الافتيات!لا تفعلوا، و لكن تصبحوا[2]و تقدّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فإنه سفيه من سفهائهم فليأخذوا على يديه. فإن يفعلوا فأتمّوا لهم إحسانكم، و إن يمتنعوا و يقرّوا ما كان منه يحلّ لكم البسط عليهم و تخرجوا من ذمّتهم؛ فأجمعوا على ذلك. فلما أصبحوا غدا نفر منهم إلى جرم فقالوا: ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيّة لكم فليس لكم عندنا إرعاء و لا إسقاء، فبرّزوا عنّا أنفسكم و أذنوا بحرب. و إن كان افتتانا فغيّروا[3]على من فعله. و إنهم لم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك. فقام رجال من جرم و قالوا: ما هذا الذي نالكم؟قالوا: رجل منكم أمس ظلّ يجرّ أذياله بين أبياتنا ما ندري علام كان أمره!ففهقهت جرم من جفاء/القشيريّين و عجرفيّتها و قالوا: إنكم لتحسّون من نسائكم ببلاء؛ ألا فابعثوا إلى بيوتنا رجلا و رجلا. فقالوا: و اللّه ما نحسّ من نسائنا ببلاء، و ما نعرف منهنّ إلا العفّة و الكرم، و لكن فيكم الذي قلتم. قالوا: فإنّا نبعث رجلا إلى بيوتكم يا بني قشير إذا غدت الرجال و أخلف النساء، و تبعثون رجلا إلى البيوت، و نتحالف أنّه لا يتقدّم رجل منّا إلى زوجة و لا أخت و لا بنت و لا يعلمها بشيء مما دار بين القوم؛ فيظلّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشيّا الماء و تخلى لهما البيوت[4]، و لا تبرز عليهما امرأة و لا تصادق منهما واحدا فيقبل منهما صرف و لا[5]عدل إلا بموثق يأخذه عليها و علامة/تكون معه منها. قالوا: اللّهمّ نعم. فظلّوا يومهم ذلك و باتوا ليلتهم، حتى إذا كان من الغد غدوا[6]إلى الماء و تحالفوا أنّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل. و غدا ميّاد الجرميّ إلى القشيريّات، و غدا يزيد بن الطّثريّة القشيريّ إلى الجرميّات؛ فظل عندهنّ بأكرم مظلّ لا يصير إلى واحدة منهنّ إلا افتتنت به و تابعته إلى المودّة و الإخاء و قبض منها رهنا و سألته ألاّ يدخل من بيوت جرم إلاّ بيتها، فيقول لها: و أيّ شيء تخافين و قد أخذت منّي المواثيق و العهود و ليس لأحد في قلبي نصيب غيرك؛ حتى صلّيت العصر. فانصرف يزيد بفتخ[7]كثير[و ذبل][8]و براقع و انصرف مكحولا مدهونا شبعان ريّان مرجّل اللّمّة[9].

و ظلّ ميّاد الجرميّ يدور بين بيوت القشيريّات مرجوما مقصى لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلته الولائد بالعمد[10] و الجندل، فتهالك لهنّ و ظنّ أنه ارتياد[11]منهنّ له، حتى أخذه ضرب كثير بالجندل و رأى البأس[12]منهنّ و جهده العطش، فانصرف حتى جاء إلى سمرة[13]قريبا

إلى نصف النهار، فتوسّد يده و نام تحتها نويمة حتى أفرجت عنه [1]اصطلمه: استأصله.

[2]أي لتصبحوا، فالفعل مجزوم بلام محذوفة.

[3]أي ازجروه و أنكروا عليه ما فعله و اصرفوه عنه.

[4]هذه العبارة: «و تخلى لهما البيوت» ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب، س.

[5] «في الأصول» : «فيقبل منهما صرفا و لا عدلا» و قد جعلناها (صرف و لا عدل) بالرفع على أنه نائب الفاعل و هو الفصيح الكثير.

[6]كذا في ب، س. و في سائر الأصول و «تجريد الأغاني» : «تواعدوا الماء» .

[7]الفتخ (كسبب) : واحده فتخة، و هي حلقة من فضة لا فص لها، فإذا كان فيها فص فهي الخاتم.

[8]هذه الكلمة ساقطة من ب، س. و الذبل: جلد السلحفاة البرّية، و قيل: البحرية، و قيل: عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة و الأمشاط.

[9]في «تجريد الأغاني» : «الجمة» . و اللمة (بالكسر) : الشعر المجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهو الجمة.

[10]العمد (بفتحتين و بضمتين أيضا) : قضبان الحديد. و الجندل: الحجارة.

[11]الارتياد: الطلب.

[12]في حـ، ء، م: «اليأس» بالياء المثناة التحتية.

[13]السمرة: شجرة من العضاه.

الظّهيرة و فاءت الأظلال و سكن بعض ما به من ألم الضرب و برد عطشه قليلا، ثم قرب إلى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد، فوجد أمة تذود غنما في بعض الظّعن[1]، فأخذ برقعها فقال: هذا برقع واحدة من/ نسائكم، فطرحه بين يدي القوم؛ و جاءت الأمة تعدو فتعلّقت ببرقعها فردّ عليها و خجل ميّاد خجلا شديدا. و جاء يزيد ممسيا و قد كاد القوم أن يتفرّقوا، فنثر كمّه بين أيديهم ملآن براقع[و ذبلا]و فتخا، و قد حلف القوم ألاّ يعرف رجل شيئا إلاّ رفعه. فلمّا نثر ما معه اسودّت وجوه جرم و أمسكوا بأيديهم[2]إمساكة. فقالت[3]قشير: أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود و المواثيق و تحرّج الأموال و الأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده؛ فبسط كلّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه و تفرّقوا عن حرب؛ و قالوا: هذه مكيدة يا قشير. فقال في ذلك يزيد بن الطّثرية: فإن شئت يا ميّاد زرنا و زرتم # و لم ننفس[4]الدّنيا على من يصيبها

أ يذهب ميّاد بألباب نسوتي # و نسوة ميّاد صحيح قلوبها

و قال ميّاد الجرميّ:

لعمرك إنّ جمع بني قشير # لجرم في يزيد لظالمونا

/أ ليس الظلم أنّ أباك منّا # و أنك في كتيبة آخرينا

أ حالفة عليك بنو قشير # يمين الصّبر[5]أم متحرّجونا

أحب وحشية و مرض لبعدها فأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرئ :

قال: ويلي يزيد بعشق جارية من جرم في ذلك اليوم يقال لها وحشية، و كانت من أحسن النساء. و نافرتهم جرم فلم يجد إليها سبيلا، فصار من العشق إلى أن أشرف على الموت و اشتدّ به الجهد؛ فجاء إلى ابن عمّ له يقال له خليفة بن بوزل[6]، بعد اختلاف الأطبّاء إليه و يأسهم منه، فقال[له] [7]: يا ابن عمّ، قد تعلم أنه ليس إلي هذه المرأة سبيل، /و أنّ التعزّي أجمل، فما أربك في أن تقتل نفسك و تأثم بربّك!. قال: و ما همّي يا ابن عمّ بنفسي و ما لي فيها أمر و لا نهي، و لا همّي إلا نفس الجرميّة؛ فإن كنت تريد حياتي فأرنيها. قال: كيف الحيلة؟قال: تحملني إليها.

فحمله إليها و هو لا يطمع في الجرميّة، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وحشيّة أبلّ قليلا و راجع و طمع، و إذا أيس منها اشتدّ به الوجع. فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلّل به اليمن، حتى إذا دخل في قبيلة

انتسب إلى أخرى و يخبر أنه طالب حاجة. و أبلّ حتى صلح بعض الصّلاح، و طمع فيه ابن عمّه، و صارا[8]بعد زمان إلى حيّ [1]كذا في أكثر الأصول. و الظعن: سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحوّل من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. و في حـ، أو «تجريد الأغاني» «تذود غنما في العطن» . و العطن: المناخ حول الورد، فأما في مكان آخر فمراح و مأوى.

[2]يريد أنهم قبضوا أيديهم. و لم يمدوها إلى شيء مما نثر أمامهم.

[3]كذا في حـ و «تجريد الأغاني» . و في «سائر الأصول» : «فقال» .

[4]كذا في «تجريد الأغاني» . و نفس عليه الشيء (من باب علم) : لم يره أهلا له. و في «جميع الأصول» : «تنفس» بالتاء المثناة.

[5]يمين الصبر: هي التي يحبس المرء حتى يحلفها.

[6]في أ، و «تجريد الأغاني» : «خليفة بن بورك» .

[7]زيادة عن «تجريد الأغاني» .

[8]في الأصول: «و صار بعد زمان إلى حيّ وحشية فلقي... » بدون ألف التثنية في الفعلين.

وحشيّة فلقيا الرّعيان و كمنّا في جبل من الجبال. فجعل خليفة ينزل فيتعرّض لرعيان الشّاء فيسألهم عن راعي وحشيّة[1]، حتى لقي غلامها و غنمها؛ فواعدهم موعدا و سألهم ما حال وحشيّة؟فقال غلامها: هي و اللّه بشرّ!لا حفظ اللّه بني قشير و لا يوما رأيناهم فيه!فما زالت عليلة منذ رأيناهم-و كان بها طرف مما بابن الطّثريّة-فقال: ويحك!فإنّ هاهنا إنسانا يداويها، فلا تقل لأحد غيرها. قال: نعم إن شاء اللّه تعالى. فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها. فقالت له: ويحك!فجيء به. ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، و ظلّ عنده يرعى غنمه، و تأخّر عن الشاء حتى تقدمته الشاء و جنح الليل، و انحدر بين يدي غنمه حتى أراحها[2]. و مشى فيها يزيد حتى[3]قربت من البيت على أربع و تجلّل شملة سوداء بلون شاة من الغنم؛ فصار إلى وحشية، فسرّت به سرورا شديدا، و أدخلته سترا لها و جمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها و أترابها. و قد كان عهد إلى ابن عمّه أن يقيم/في الجبل ثلاث ليال، فإن لم يره فلينصرف. فأقام يزيد عندها ثلاث ليال و رجع إلى أصحّ ما كان عليه، ثم انصرف فصار إلى صاحبه. فقال: ما وراءك يا يزيد؟و رأى من سروره و طيب نفسه ما سرّه. فقال: لو أنّك شاهدت الصّبا يا ابن بوزل # بفرع الغضى إذ راجعتني غياطله[4]

لشاهدت لهوا بعد شحط من النّوى # على سخط الأعداء حلوا شمائله

صوت

و يوما كإبهام[5]القطاة مزيّنا # لعيني ضحاه غالبا لي باطله

غنى في البيت الثالث و بعده البيت الثاني، و روايته:

تشاهد لهوا بعد شحط من النوى مخارق ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال: قال أبو محضة[6]الأعرابيّ و أنشد هذه الأبيات ليزيد/بن الطّثرية، فلمّا بلغ إلى قوله: بنفسي من لو مرّ برد بنانه # على كبدي كانت شفاء أنامله

و من هابني في كل أمر و هبته # فلا هو يعطيني و لا أنا سائله

طرب[7]لذلك و قال: هذا و اللّه من مغنج الكلام.

[1]في ب، س، حـ: «عن راعى وحشية و حالها حتى لقي ألخ» .

[2]كذا في «تجريد الأغاني» . و في «الأصول» : «حتى أراحوا» .

[3]كذا «في الأصول» و لعله: «حين» .

[4]الغياطل: جمع غيطلة و هي الظلمة المتراكمة، استعار هاهنا لجهالات الصبا.

[5]يضرب المثل في القصر بإبهام القطا و كذلك بإبهام الحباري و الضب.

[6]في «تجريد الأغاني» : «أبو محيصة» .

[7]في «الأصول» : «فطرب» بالفاء.

كتب إلى وحشية شعرا فأجابته

:

و نسخت من كتاب الحسن بن عليّ: حدّثنا عبد اللّه بن عمرو قال حدّثني هشام بن محمد بن موسى قال حدّثنا عبد اللّه بن إبراهيم الطائيّ قال حدّثني عبد اللّه بن روح الغنويّ قال حدّثتني ظبية بنت وزير الباهليّة قالت[1]: كتب يزيد بن الطّثريّة إلى وحشيّة: أحبّك أطراف النهار بشاشة # و باللّيل يدعوني الهوى فأجيب

لئن أصبحت ريح المودّة بيننا # شمالا لقدما كنت و هي جنوب

فأجابته بقولها:

أحبّك حبّ اليأس إن نفع الحيا[2] # و إن لم يكن لي من هواك طبيب

يزيد بن الطثرية و ابن بوزل برملة حائل

:

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني هانئ بن سعد: أنّ ابن الطّثريّة و ابن بوزل، و هو قطريّ[3]بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برملة حائل[4]بين قفار الملح؛ فقال يزيد لابن بوزل: اذهب فاسق راحلتك و اسقنا. فلمّا جاوز أوفى يزيد على أجرع[5]، فرأى أشباحا فأتاها.

فقيل له: هذه و اللّه فلانة و أهلها عجيبة بها (أي معجبون بها) . فأتاها فظلّ عشيّته و بات ليلته و أقام الغد حتى راح عشيّا و قد لقي ابن بوزل كلّ شرّ و مات غيظا. فلما دنا منه قال: لو أنّك شاهدت الصّبا يا ابن بوزل # بجزع الغضى إذ راجعتني غياطله

/بأسفل خلّ[6]الملح إذ دين ذي الهوى # مؤدّى و إذ خير الوصال[7]أوائله

لشاهدت يوما بعد شحط من النّوى # و بعد تنائي الدار حلوا شمائله

-و قد روي:

و غيم[8]الصّبا إذ راجعتني غياطله فاخترط[9]سيفه ابن بوزل؛ و حاوطه[10]يزيد بعصاه[11]، ثم اعتذر إليه و أخبره خبره فقبل منه. و قد روى هذه الأبيات أبو عمرو الشّيبانيّ و غيره فزاد فيها على إسحاق هذه الأبيات: [1]في الأصول: «قال» و هو تحريف.

[2]كذا في الأصول. و لعله: «أحبك حب الناس أن يقع الحيا... إلخ» .

[3]الذي تقدم ذكره هو خليفة بن بوزل. و لعل قطريا هذا أخ لخليفة.

[4]حائل: موضع في أرض اليمامة لبني قشير.

[5]الأجرع: الكثيب جانب منه رمل و جانب حجارة.

[6]كذا في «معجم البلدان» لياقوت عند الكلام على «خل» و هو موضع. و في «الأصول» : «حل الملح» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

[7]في «معجم البلدان» : «و إذ خير القضاء» .

[8]في ب، س: «و غنم الصبا» .

[9]اخترط السيف: استله من غمده.

[10]حاوطه: داوره.

[11]كذا فيء، م. و في سائر الأصول: «بغضاة» و الغضاة: خشبة من أصلب الخشب.

ألا حبّذا عيناك يا أمّ شنبل # إذا الكحل في جفنيهما جال جائله

فداك من الخلاّن كلّ ممزّج[1] # تكون لأدنى من يلاقي و سائله[2]

فرحنا[3]تلقّانا به أمّ شنبل # ضحيّا و أبكتنا عشيّا أصائله

و كنت كأنّي حين كان كلامها # وداعا و خلّى موثق العهد حامله

رهين[4]بنفس لم تفكّ كبوله # عن الساق حتى جرد السيف قاتله

فقال دعوني سجدتين و أرعدت # حذار الرّدى أحشاؤه و مفاصله[5]

بنو سدرة و يزيد ابن الطثرية

:

/قال إسحاق و قال أبو عثمان سعيد بن طارق:

نزلت سارية[6]من بني سدرة على بني قشير بمالهم؛ فجعلت فتيان قشير تترجّل و تتزيّن و تزور بيوت سدرة.

فاستنهوهم[7]؛ فقال يزيد بن/الطّثريّة: و ما في هذا عليكم!زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم، و قال: دعوهنّ يتبعن الصّبا و تبادلوا # بنا ليس بأس بيننا بالتّبادل

ثم إنّ بني سدرة قالوا لنسائهم: ويحكنّ فضحتنّا!نأتي نساء هؤلاء فلا نقدر عليهنّ و يأتونكنّ فلا تحتجبن عنهم.

فقالت كهلة منهنّ: مروا نساءكم يجتمعن إلى بيتي، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلا عندي، فإن يزيد أتاني لم يعد في بيوتكم ففعلوا. فجاء يزيد فقال: سلام عليكنّ الغداة فما لنا # إليكنّ إلا أن تشأن سبيل

فقالت الكهلة: و من أنت؟فقال:

أنا الهائم الصّبّ الذي قاده الهوى # إليك فأمسى في حبالك مسلما

برته دواعي الحبّ حتى تركنه # سقيما و لم يتركن لحما و لا دما

فقالت: اختر إحدى ثلاث خصال: إمّا أن تمضي ثم ترجع علينا فإنّا نرقب عيون الرجال فإنهم قد سبّونا فيك؛ و إمّا أن تختار أحبّنا إليك، و أن تطلب امرأة واحدة خير من أن يشهرك الناس، و نسي الثالثة. فقال: سآخذ إحداهن، فاختاري أنت إحدى ثلاث خصال. قالت: و ما هنّ؟قال: إما أن أحملك على مرضوف[8]من أمري فتركبيه، و إما [1]الممزج: المخلط الكذاب، و الذي لا يثبت على خلق.

[2]في حـ: «رسائله» بالراء.

[3]في ب، س: «فرحبا» .

[4]في ب، س: «رهينا» و هو تحريف.

[5]في جـ: «و خصائله» . و الخصيلة: كل لحمة استطالت و خالطت عصبا، أو كل عصبة فيها لحم غليظ.

[6]السارية: الجماعة تسري.

[7]استنهاه: قال له انته. و قد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة.

[8]المرضوف: المحمي. من رضف الحجارة إذا أحماها؛ و الكناية فيه ظاهرة.

أن تحمليني على مشروج[1]من أمرك فأركبه، و إما أن تلزّي بكري/ بين قلوصيك. قالت: لو وقع بكرك بين قلوصيّ لطمرتا[2]به طمرة يتطامن[3]عنقه منها. قال: كلاّ!إنه شديد الوجيف[4]، عارم الوظيف[5]، فغلبها. فلما أتاها القوم قالت لهم: إنه أتاني رجل لا تمتنع عليه امرأة. فإمّا أن تغمضوا له، و إمّا أن ترحلوا عن مكانكم هذا؛ فرحلوا و ذهبوا. فقال حكيم بن أبي الخلاف السّدريّ في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوهم بكثرة ما يصنعون بهم: فكان الذي تهدون للجار منكم # بخاتج حبّات[6]كثيرا سعالها

يزيد بن الطثرية و أسماء الجعفرية

:

قال إسحاق فأخبرني الفزاريّ: أنّ قوما من بني نمير و قوما من بني جعفر تزاوروا؛ فزار شبّان من بني جعفر بيوت بني نمير، فقبلوا و حدّثوا، و زار بنو نمير بني جعفر فلم يقبلوا؛ فاستنجدوا ابن الطّثريّة فزار معهم بيوت بني جعفر، فأنشدهنّ و حدّثهنّ فأعجبن به و اجتمعن إليه من البيوت. فتوعّد[7]بنو جعفر ابن الطّثريّة، فتتاركوا و أمسك بعضهم عن بعض. فأرسلت أسماء الجعفريّة إلى ابن الطّثريّة أن لا تقطعني، و إن منعت فإنّي سأتخلّص إلى لقائك.

فأنشأ يقول:

خليليّ بين المنحنى من مخمّر[8] # و بين اللّوى من عرفجاء[9]المقابل

قفا بين أعناق اللّوى[10]المرية # جنوب تداوي غلّ شوق مماطل

/لكيما أرى أسماء أو لتمسّني # رياح بريّاها لذاذ الشّمائل

لقد حادلت[11]أسماء دونك باللّوى # عيون العدا سقيا لها من محادل

و دسّت رسولا أنّ حولي عصابة # هم الحرب[12]فاستبطن سلاح المقاتل

/عشيّة مالي من نصير بأرضها # سوى السّيف ضمّته إليّ حمائلي

فيا أيّها الواشون بالغشّ بيننا # فرادى و مثنى من عدوّ و عاذل

[1]المشروج: المشقوق.

[2]طمر الشي ء: دفنه و خبأه.

[3]في الأصول: «تتطامن» بالتاء و العنق يذكر و يؤنث و التذكير فيه أكثر.

[4]الوجيف: سرعة السير.

[5]العارم: القويّ الشديد. و الوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق.

[6]كذا في أكثر الأصول. و البخاتج: جمع بختج (بالضم) و هو العصير المطبوخ. و في ب، س: «نحانح حمان» و في م. «مخاتع حبات» .

[7]في الأصول: «فتواعد» .

[8]مخمر (بضم الميم و فتح الخاء المعجمة و كسر الميم مشدّدة، كما في «معجم ما استعجم» . و قد ضبطه ياقوت في «معجمه» بفتح الميم مشدّدة) : واد لبني قشير.

[9]قال أبو زياد: عرفجاء: ماء لبني قشير و قال في موضع آخر: لبني جعفر بن كلاب مطوية في غربيّ الحمى.

[10]كذا في ياقوت في الكلام على مخمر. و في الأصول: «أعناق الهوى» .

[11]كذا في «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على «مخمر» . و حادل: راوغ. و في الأصول: «... جادلت... # ... من مجادل»

بالجيم.

[12]كذا في «مهذب الأغاني» . و في الأصول: «الحوت» . ـ

دعوهن يتبعن الهوى و تبادلوا # بنا، ليس بأس بيننا بالتّبادل

تروا حين نأتيهنّ نحن و أنتم # لمن و على من وطأة المتثاقل

و من عرّيت للّهو قدما ركابه # و شاعت قوافي شعره في القبائل

تبرّز وجوه السابقين و يختلط # على المقرف[1]الكافي غبار القنابل

فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها # لكم أو تدبّوا بيننا بالغوائل

فلن[2]تمنعوني أن أعلّل صحبتي # على كل شيء[3]من مدى العين قابل[4]

حبسه لديون لزمته و ما وقع في ذلك بينه و بين عقبة بن شريك :

قال إسحاق و حدّثني أبو زياد الكلابيّ: أن يزيد بن الطّثرية كان شريفا متلافا يغشاه الدّين؛ فإذا أخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثور، ثم إنه كثر عليه دين لمولى لعقبة بن شريك الحرشيّ يقال له البربريّ فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بني عقيل، و عقبة عليها يومئذ أمير. و قال المفضّل بن سلمة قال أبو عمرو الشّيبانيّ: كان يزيد قد هرب منه، فرجع إليه من حبّ/ أسماء، و كانت جارة البربريّ، فأخذه البربريّ. و يقال: إنه أعطاه بعيرا من إبل ثور أخيه. فقال يزيد في السجن: قضى غرمائي حبّ أسماء بعد ما # تخوّنني ظلم لهم[5]و فجور

فلو قلّ دين البربريّ قضيته # و لكنّ دين البربريّ كثير

و كنت إذا حلّت عليّ ديونهم # أضمّ جناحي منهم فأطير

عليّ لهم في كل شهر أديّة[6] # ثمانون واف نقدها و جزور

نجيء[7]إلى ثور ففيم رحيلنا # و ثور علينا في الحياة صبور

أشدّ على ثور و ثور إذا رأى # بنا خلّة جزل العطاء غفور

فذلك دأبي ما بقيت و ما مشى # لثور على ظهر البلاد بعير

و يروى: «فهذا له ما دمت حيّا» ثم إن عقبة حجّ على جمل له يقال له ابن الكميت أنجب ما ركب الناس، و ثبت ابن [1]المقرف: النذل. و الكافي: الخادم و القنابل: جمع قنبلة و هي الطائفة من الناس أو الخيل.

[2]في الأصول: «فإن تمنعوا» . و المراد في هذا البيت غامض.

[3]في ب، س: «على كل شر» .

[4]في أ، ء، م: «قاتل» .

[5]كذا في «الكامل للمبرد» (ص 334 طبع أوروبا) و به يستقيم رويّ القافية. قال في «أساس البلاغة» : و تخوّن فلان حقي إذا تنقصه كأنه خانه شيئا فشيئا. و كل ما غيرك عن حالك فقد تخوّنك. قال لبيد: تخوّنها نزولي و ارتحالي و في الأصول: تجردت من مطل لهم و غرور.

[6]الأدية في اللغة: المال القليل.

[7]في ب، س: «نحنّ» .

الطّثرية في السجن حتى انصرف عقبة بن شريك من مكة، فأرسل ابن الكميت في مخاضه[1]مستقبلة الرّبيع و هي حاضرة العقيق، تأكل الغضي و تشرب بأحسائه[2]، و انحدر عقبة نحو اليمامة و عليها المهاجر بن عبد اللّه الكلابيّ.

فلمّا ضاقت بابن الطّثريّة المخارج قال له صاحب له: لا أعلم لك أنجى إن قدرت على الخروج من السجن إلا أن تركب ابن الكميت فينجيك نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحدّاد[3]، على أن يرسله ليلة إلى ابن عمّه، جعلا؛ فشكا إليه وجده/بها فأرسله. فمضى يزيد نحو الإبل عشاء فاحتكم ابن الكميت حتى جلس عليه فوجهه قصد اليمامة يريد عقبة بن شريك؛ و قال في طريقه: لعمري إن ابن الكميت على الوجا[4] # و سيري خمسا بعد خمس مكمّل

/لطلق الهوادي بالوجيف إذا ونى # ذوات البقايا[5]و العتيق الهمرجل

فورد اليمامة فأناخ بابن الكميت على باب المهاجر[6]، فكان أوّل من خرج عليه عقبة بن شريك. فلما نظر إليه عرفه و عرف الجمل فقال: ويحك!أ يزيد أنت؟قال نعم و هذا ابن الكميت؟قال نعم قال: ويحك!. فما شأنك؟قال: يا عقبة، فارّ منك إليك؛ و أنشده قصيدته التي يقول فيها: يا عقب قد شذب اللّحاء عن العصا # عنّي و كنت مؤزّرا محمودا

صل لي جناحي و اتّخذني[7]عدّة # ترمي بي المتعاشي الصّنديدا

فقال له عقبة-و كانت من خير فعلة علمناه فعلها-: أشهدكم أنّي قد أبرأته من دين البربريّ و أن له ابن الكميت؛ و أمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. و هذان البيتان من القصيدة التي أوّلها: أمسى الشباب مودّعا محمودا و هي من جيّد شعره، يقول فيها:

و مدلّة[8]عند التبذّل[9]يفتري[10] # منها الوشاح[11]مخصّرا أملودا

/نازعتها غنم الصّبا إنّ الصّبا # قد كان منّي للكواعب عيدا

يا للرّجال و إنما يشكو الفتى # مرّ الحوادث أو يكون جليدا

[1]المخاض: الحوامل من النوق.

[2]الأحساء جمع واحده الحسى و هو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.

[3]الحدّاد: السجان.

[4]الوجا: أن يشتكي البعير باطن خفه.

[5]ذوات البقايا من الخيل: التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل. و العتيق: الرائع: و الهمرجل: السريع.

[6]في الأصول: «على باب ابن المهاجر» .

[7]في الأصول: «و اتخذ لي» .

[8]في ب، س: «و مدله» . و في سائر الأصول: «و مذلة» . و كلاهما تصحيف.

[9]كذا في أ، ء، م. و التبذل: ترك التزين و التهيؤ بالهيئة الحسنة. و في سائر الأصول: «التبدل» . بالدال المهملة، و هو تصحيف.

[10]يفتري: يريد به يكسو، و الأصل في معنى الافتراء: لبس الفروة.

[11]الوشاح: شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها و كشحيها مخالفا بينهما. و المخصر: الدقيق الضامر. و الأملود: الناعم الغض.

بكرت نوار تجدّ[1]باقية القوى # يوم الفراق و تخلف الموعودا

و لربّ أمر هوى يكون ندامة # و سبيل مكرهة يكون رشيدا

ثم قال يفخر:

لا أتّقي حسك[2]الضّغائن بالرّقى # فعل الذّليل و إن بقيت وحيدا

لكن أجرّد للضغائن مثلها # حتى تموت و للحقود حقودا

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّباح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ و أنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطّثرية: هي و اللّه من مغنج الكلام: بنفسي من لو مرّ برد بنانه # على كبدي كانت شفاء أناملة

و من هابني في كلّ شيء و هبته # فلا هو يعطيني و لا أنا سائله

و هذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وحشيّة الجرميّة التي مضى ذكرها.

تبعه أعداء له فترك راحلته و فرّ، و شعره في ذلك

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثتني ظبية قالت: مرّ يزيد بن الطّثريّة بأعداء له؛ فأرادوه و هو على راحلته فركضها و ركضوا الإبل على أثره؛ فخشي أن يدركوه و كانت[3]نفسه عنده أوثق من الراحلة، فنزل فسبقهم عدوا، و أدركوا الراحلة فعقروها. فقال في ذلك: /

ألا هل أتى ليلى على نأي دارها # بأن لم أقاتل يوم صخر[4]مذوّدا

و أنّي أسلمت الرّكاب فعقّرت # و قد كنت مقداما بسيفي مفردا

/أثرت فلم أسطع قتالا و لا ترى # أخا شيعة يوما كآخر أوحدا[5]

فهل تصرمنّ الغانيات مودّتي # إذا قيل قد هاب المنون فعرّدا[6]

هاجى فديكا الجرميّ لأنه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه

:

أخبرني يحيى إجازة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زياد قال:

كان يزيد بن الطّثريّة يتحدّث إلى نساء فديك بن حنظلة الجرميّ، و منزلهما بالفلج[7]فبلغ ذلك فديكا فشقّ عليه فزجر نساءه عن ذلك، فأبين

إلاّ أن يدخل عليهنّ يزيد. فدخل عليهنّ فديك ذات يوم و قد جمعهنّ جميعا [1]تجدّ: تقطع.

[2]المراد بحسك الضغائن: الحقد و العداوة.

[3]المراد من هذه الجملة واضح و هو أن ثقته بنفسه في الجري أكثر من ثقته براحلته، و كان ينبغي لتأدية هذا المعنى أن يقول: «و كان بنفسه أوثق منه بالراحلة» .

[4]كذا في أكثر الأصول: و في حـ «يوم صحرا مذودا» . و في ب، س: «يوم صحراء مذودا» . و مذوّدا: ذائدا.

[5]هذا البيت ساقط في جميع الأصول عدا ب، س.

[6]عرّد: هرب.

[7]الفلج (بالتحريك) : مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة و قشير.

أخواته و بنات عمّه و غيرهن من حرمه، ثم قال لهنّ: قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ و قد نهيتكنّ عنه، و إن للّه عليّ نذرا واجبا-و اخترط سيفه-إن لم أضرب أعناقكنّ به. فلما ملأهنّ رعبا ضرب عنق غلام له مولّد يقال له عصام فقتله، ثم أنشأ يقول: جعلت عصاما عبرة حين رابني # أناسيّ من أهلي مراض قلوبها

ثم إنّ فديكا رأى يزيد قائما عند باب أهله، فظنّ أنه يواعد بعض نسائه، فارتصده على طريقه[1]و أمر بزبية[2] فحفرت على الطريق ثم أوقد فيها نارا ليّنة ثم اختبأ في مكان و معه عبدان له و قال لهما: تبصّرا هل تريان أحدا؛ فلم يلبثا إلاّ قليلا حتى خرجت بنت أخي فديك، و كان يقال لها وحشيّة، تتهادى في برودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه /العبدان؛ و مضت حتى وقعت على الزّبية فاحترق بعضها، و أمر بها فأخرجت، و احتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره. فقال فديك: شفى النفس من وحشيّة اليوم أنّها # تهادى و قد كانت سريعا عنيقها[3]

فإلاّ تدع خبط الموارد في الدّجى # تكن قمنا[4]من غشية لا تفيقها

دواء طبيب كان يعلم أنّه # يداوي المجانين المخلّى طريقها

فبلغ ذلك يزيد فقال:

ستبرأ من بعد الضّمانة[5]رجلها # و تأتي الذي تهوى مخلّى طريقها

عليّ هدايا البدن إن لم ألاقها # و إن لم يكن إلا فديك يسوقها

يحصّنها منّي فديك سفاهة # و قد ذهبت فيها الكباس[6]و حوقها

تذيقونها شيئا من النّار كلّما # رأت من بني كعب غلاما يروقها

قال: و إنما كانت وضعت رجلها فأحرقتها النار.

و قال يزيد أيضا:

يا سخنة العين[7]للجرميّ إذ جمعت # بيني و بين نوار وحشة الدار

خبّرتهم عذّبوا بالنار جارتهم # و من يعذّب غير اللّه بالنار

فبلغ ذلك فديكا فقال:

[1]في الأصول: «على طريقته» .

[2]الزبية: الحفرة يصاد بها الأسد و الذئب.

[3]العتيق: السير المنبسط.

[4]هو قمن بكذا و قمن منه (بفتح الميم) و قمن (بكسر الميم) و قمين أي حريّ و خليق و جدير. فمن فتح الميم لم يثن و لا جمع و لا أنث لأنه مصدر، و من كسرها أو زاد الياء فقال قمين ثني و جمع و أنث لأنه وصف.

[5]الضمانة: الزمانة و العاهة. أراد احتراق رجلها.

[6]الكباس: الكمرة الضخمة. و الحوق: ما استدار من حروفها.

[7]سخنت عينه سخنا و سخونة و سخنة. نقيض قرّت.

أ حالفة عليك بنو قشير # يمين الصّبر[1]أم متحرّجونا

/-و يروى: يمين اللّه-

فإن تنكل قشير تقض جرم # و تقض لها[2]مع الشبه اليقينا

أ ليس الجور أنّ أباك منّا # و أنّك في قبيلة آخرينا

/لعمر اللّه أنّ بني قشير # لجرم في يزيد لظالمونا

فإلاّ يحلفوا فعليك شكل[3] # و نجر[4]ليس مما يعرفونا

و أعرف فيك سيّما آل صقر # و مشيتهم إذا يتخيّلونا

قال: و كانت جرم تدّعيه، و قشير تدّعيه؛ فأراد أن يخبر أنه دعيّ.

و قال فديك بن حنظلة يهجوه:

و إنّا لسيّارون بالسّنّة التي # أحلّت[5]و فينا جفوة حين نظلم

و منّا الذي لاقته أمّك خاليا # فلم تدر ما أيّ الشهور المحرّم

فقال يزيد يهجو فديكا:

أنعت عيرا من عيور القهر # أقمر من شرّ خمير قمر[6]

صبّح أبيات فديك يجري # منزلة اللّؤم و دار الغدر

فلقيته عند باب العقر[7] # ينشطها و الدّرع عند الصّدر

نشطك بالدّلو قراح الجفر[8]

حاور حسناء عرفته من حديثه

:

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو الحارث هانئ بن سعد الخفاجيّ قال: /ذكرت ليزيد بن الطّثريّة امرأة حدثة جميلة؛ فخرج حتى يدفع إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان، فسلّم عليهم؛ فأوجست أنه يزيد و لم تتثبّت[9]، و رأت عليه مسحة. فقالت: أيّ ريح جاءت بك يا رجل؟قال: [1]يمين الصبر: هي التي يلزم بها المرء و يحبس عليها حتى يحلف بها؛ فلو حلف من غير إحلاف لم يكن قد حلف صبرا.

[2]في أ، ء: «بها» .

[3]في ب، س: «ثكل» و هو تحريف.

[4]كذا في حـ. و النجر: اللون. و في «سائر الأصول» : «نحر» و هو تصحيف.

[5]في حـ: «أجلت» بالجيم.

[6]القهر: موضع. و القمرة: لون إلى الخضرة، و قيل: بياض فيه كدرة.

[7]العقر: موضع. و ينشطها: يرفعها.

[8]الجفر: البئر.

[9]في الأصول: «يثبت» بالياء.

الجنوب. قالت: فأيّ طير جرت لك الغداة؟قال: عنز زنمة[1]رأيتها يداورها ثعلبان؛ فانقضّ عليها سرحان[2]فراغ الثعلبان. قال: فطفرت وراء سترها، و عرفت أنه يزيد.

ذهب معه قطريّ لرؤية نساء يحتجبن عنه، و شعره في ذلك
:

قال إسحاق و حدّثني عطرّد قال:

قال قطريّ بن بوزل ليزيد بن الطّثريّة: انطلق معي إلى فلانة و فلانة فإنهنّ يبرزن لك و يستترن عنّي، عسى أن أراهنّ اليوم على وجهك. فذهب به معه، فخرج عليهما النّسوة و ظلاّ يتحدّثان عندهن حتّى تروّحا. و قال يزيد في ذلك:

على قطريّ نعمة إن جرى بها # يزيد و إلاّ يجزه اللّه لي أجرا

دنوت به حتّى رمى الوحش بعد ما # رأى قطريّ من أوائلها نفرا

قصته مع رجل من صداء أحب خثعمية فأعانه عليها
:

أخبرنا يحيى إجازة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عطرّد قال:

نزل نفر من صداء[3]بناحية العقيق، و هو منزل ابن الطّثريّة، نصف النهار فلم يأتهم أحد؛ فأبصرهم ابن الطّثريّة فمرّ عليهم و هو منصرف و ليسوا قريبا من أهله. فلما رآهم مرملين[4]أنفذ إليهم هديّة و مضى على حياله و لم يراجعهم. فسألوا عنه بعد حتى عرفوه، فحلا عندهم و أعجبهم. ثم إنّ فتى منهم وادّه فآخاه فأهدى له بردا و جبّة /و نعلين. ثم أغار المقدّم بن عمرو بن همّام بن مطرّف بن الأعلم بن ربيعة بن عقيل على ناس من خثعم. و في ذلك يقول الشاعر:

مغار ابن همّام على حيّ خثعما

فأخذ منهم إبلا و رقيقا، و كانت فيهنّ جارية من حسان الوجوه، و كان يهواها الذي آخى يزيد، فأصابه عليها بلاء عظيم حتى نحل جسمه و تغيّرت حاله؛ فأقبل الفتى حتّى نزل العقيق متنكّرا؛ فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية. /فقال: أ فيك خير؟قال نعم. قال: فإنّي أدفعها إليك. فخبأه في عريش له أيّاما حتى خطف الجارية فدفعها إليه. فبعث إليها قطريّ بن بوزل، فاعترض لها بين أهلها و بين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه و قد وطّن له

ناقة مفاجّة[5]فقال: النّجاة فإنك لن تصبح حتى تخرج من بلاد قشير و تصير إلى دار نهد فقد نجوت؛ و أنا أخفي أثرك فعفّى أثره، و قال لابنة خمّارة كان يشرب عندها: اسحبي ذيلك على أثره ففعلت. ثم بحث على ذلك حتى [1]عنز زنمة» : لها لحمتان متدليتان من حلقها.

[2]السرحان: الذئب.

[3]كذا في حـ، ب، س. و صداء: مخلاف باليمن، بينه و بين صنعاء اثنان و أربعون فرسخا. و في سائر الأصول: «كداء» و هو موضع بأعلى مكة.

[4]المرمل: الذي نفد زاده.

[5]المفاجة: التي تفرّج في المشي بين رجليها.

قيل: قد كان قطريّ أحدث الناس بها عهدا؛ فاستعدى عليه فظفر بيزيد فأخذ مكانه فحبس بحجر[1]، حبسه المهاجر. ففي ذلك يقول يزيد: ألا لا أبالي إن نجا لي ابن بوزل # ثوائي و تقييدي بحجر لياليا

إذا حمّ أمر فهو لا بدّ واقع # له لا أبالي ما عليّ و لا ليا

هو العسل الماذيّ طورا و تارة # هو السّمّ و الذّيفان[2]و اللّيث عاديا

نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه فقال شعرا

:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلاّم الجمحيّ قال حدّثني أبو الغرّاف قال.

/كان يزيد بن الطّثريّة صاحب غزل و محادثة للنساء، و كان ظريفا جميلا من أحسن الناس كلّهم شعرا، و كان أخوه ثور سيّدا كثير المال و النّخل و الرّقيق، و كان متنسّكا كثير الحج و الصّدقة كثير الملازمة لإبله و نخله، فلا يكاد يلمّ بالحيّ إلا الفلتة[3]و الوقعة، و كانت إبله ترد مع الرّعاء على أخيه يزيد بن الطّثريّة فتسقى على عينه. فبينا يزيد مارّ[4]في الإبل و قد صدر عن الماء إذ مرّ بخباء فيه نسوة من الحاضر؛ فلما رأينه قلن: يا يزيد، أطعمنا لحما.

فقال: اعطينني سكّينا فأعطينه، و نحر لهنّ ناقة من إبل أخيه. و بلغ الخبر أخاه؛ فلما جاءه أخذ بشعره و فسّقه و شتمه. فأنشأ يزيد يقول: يا ثور لا تشتمن عرضي فداك أبي # فإنما الشتم للقوم العواوير[5]

ما عقر ناب لأمثال الدّمى خرد # عين كرام و أبكار معاصير[6]

عطفن حولي يسألن القرى أصلا # و ليس يرضين منّي بالمعاذير

هبهنّ ضيفا عراكم بعد هجعتكم # في قطقط[7]من سقيط[8]اللّيل منثور[9]

و ليس قربكم شاء و لا لين # أ يرحل الضيف عنكم غير مجبور

ما خير واردة للماء صادرة # لا تنجلي عن عقير[10]الرّجل[11]منحور

[1]حجر (بالضم) : قرية باليمن.

[2]الماذيّ: العسل الأبيض. و الذيفان (بالفتح و يكسر) : السم الناقع.

[3]يريد الوقت بعد الوقت.

[4]في الأصول. «مارّا» و هو ظاهر الخطأ.

[5]العواوير: الجبناء.

[6]الخرد: جمع خريدة و هي المرأة الحيية، و البكر التي لم تمس، و العين: جمع عيناء و هي الواسعة العين، و المعاصير: جمع معصر و هي الجارية التي بلغت شبابها أو أدركت.

[7]القطقط (كزبرج) : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر، و قيل: هو دون الرذاذ.

[8]كذا في «طبقات الشعراء» لابن سلام. و السقيط: الندى و الثلج. و في الأصول: «سواد الليل» .

[9]كذا في حـ و «طبقات الشعراء» و «مهذب الأغاني» . و في سائر الأصول: «منشور» .

[10]كذا في حـ و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و في سائر الأصول: «عقيل» باللام و هو تحريف.

[11]كذا في نسخة الشنقيطي مصححه بقلمه. و في الأصول: «الرجل» و هو تصحيف.

أحب امرأة و علم أن سعة يحبونها فقال شعرا :

أخبرني أبو خليفة قال ابن سلاّم:

كان يزيد بن الطّثريّة يتحدّث إلى امرأة و يعجب بها. فبينما هو عندها إذ حدث لها شابّ سواه قد طلع عليه، ثم جاء آخر ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تمّوا سبعة و هو الثامن؛ فقال: أرى سبعة يسعون للوصل كلّهم # له عند ليلى دينة يستدينها

فألقيت سهمي وسطهم حين أوخشوا[1] # فما صار لي من ذاك إلاّ ثمينها

و كنت عزوف النّفس أشنأ أن أرى # على الشّرك من ورهاء طوع قرينها[2]

فيوما تراها بالعهود وفيّة # و يوما على دين ابن خاقان دينها

/يدا بيد من جاء بالعين منهم # و من لم يجيء بالعين حيزت رهونها

و قال فيها و قد صارمها:

ألا بأبي من قد برى الجسم حبّه # و من هو موموق إليّ حبيب

و من هو لا يزداد إلا تشوّقا # و ليس يرى إلاّ عليه رقيب

و إنّي و إن أحموا[3]عليّ كلامها # و حالت أعاد دونها و حروب

لمثن على ليلى ثناء يزيدها # قواف بأفواه الرّواة تطيب

أ ليلى احذري نقض القوى لا يزل لنا # على النأي و الهجران منك نصيب

و كوني على الواشين لدّاء شغبة # كما أنا للواشي ألدّ شغوب

فإن خفت ألا تحكمي مرّة القوى # فردّي فؤادي و المزار قريب

كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدبه فحلق لمته فقال شعرا :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال: استعدت جرم على ابن الطّثريّة في وحشيّة (امرأة منهم كان يشبّب بها) فكتب بها صاحب اليمامة إلى ثور أخي يزيد بن الطّثريّة و أمره بأدبه، فجعل عقوبته حلق لمّته فحلقها، فقال يزيد: أقول لثور و هو يحلق لمّتي # بحجناء[4]مردود عليها نصابها

[1]أوخشوا: خلطوا و صاروا إلى الوخاشة أي الرذالة، يقال: وخش الشيء (بالضم) وخاشة و وخوشة و وخوشا أي رذل و صار رديئا.

و في «الأصول» : «أوحشوا» بالحاء المهملة، و التصويب عن «اللسان» (مادة وخش) .

[2]الورهاء: الحمقاء. و طوع قرينها أي أن قرينها يطيعها، و لا تخضع هي لقرين، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت، فقرينها يطيعها و هي لا تطيع قرينا.

[3]أحمى: حرّم و منع.

[4]في «الكامل للمبرد» : «بعقفاء» . و العقفاء و الحجناء بمعنى، و هي كل حديدة لوى طرفها.

-قال عبد الرحمن: كان عمّي يحتجّ في تأنيث الموسى بهذا البيت-

ترفّق بها يا ثور ليس ثوابها # بهذا و لكن غير هذا ثوابها

ألا ربّما يا ثور قد غلّ[1]وسطها # أنامل رخصات حديث خضابها

و تسلك[2]مدرى العاج في مدلهمّة # إذا لم تفرّج مات غمّا صوابها

فراح بها ثور ترفّ[3]كأنها # سلاسل درع خيرها[4]و انسكابها

منعّمة كالشّرية[5]الفرد جادها # نجاء الثّريّا هطلها و ذهابها

/فأصبح رأسي كالصّخيرة أشرفت # عليها عقاب ثم طارت عقابها

أخبار من حلق رءوسهم

:

و نظير هذا الخبر أخبار من حلقت جمّته فرثاها، و ليس من هذا الباب، و لكن يذكر الشيء بمثله: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن عن عمه قال: شرب طخيم الأسديّ بالحيرة، فأخذه العبّاس بن معبد المرّيّ، و كان على شرط يوسف بن عمر، فحلق رأسه؛ فقال: و بالحيرة البيضاء شيخ مسلّط # إذا حلف الأيمان باللّه برّت

لقد حلقوا منّا غدافا كأنها # عناقيد كرم أينعت فاسبطرّت[6]

يظلّ العذارى حين تحلق لمّتي # على عجل يلقطنها حين جزّت

أخبرني محمد عن[7]عبد الرحمن عن عمه عن بعض بني كلاب قال:

أخذ فتى منّا مع بعض فتيات الحيّ، فحلق رأسه فقال:

يا لمّتي و لقد خلقت[8]جميلة # و كرمت حين أصابك الجلمان

[1]غل شعره بالطيب: أدخله في أصوله. و في ب، س «عل» بالعين المهملة و هو تصحيف. و في «الكامل» (ص 334 طبع أوروبا) : «... يا ثور فرّق بينها» .

[2]في «الكامل» : «فيهلك» . و يهلك: يصل. و المدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط و أطول منه يسرح به الشعر المتلبد، و يستعمله من لم يكن له مشط. و مدلهمه: سوداء.

[3]كذا في «الكامل» . و في الأصول: «تزف» . و هو تصحيف: ورف لونه: برق و تلألأ. و فيه أيضا: فجاء بها» بدل «فراح بها» .

[4]الخير: الهيئة. و في ب، س: «خبؤها» . و رواية هذا الشطر في «الكامل» : «سلاسل برق لينها و انسكابها» . و سلاسل البرق هي ما استطال في عرض السحاب، ترى فيه هيئة انثناء و التواء.

[5]الشرية: شجرة الحنظل، تشبه اللمم بها لحسنها لأنها جعدة. و النجاء: جمع نجو كبحر بحار، و هو السحاب الذي هراق ماءه.

و الذهاب: جمع ذهبة (بالكسر) و هي المطرة الضعيفة، و قيل: الجود. و رواية هذا البيت في «الكامل» : خدارية كالشرية الفرد جادها # من الصيف أنواه مطير سحابها

و الخدارية: وصف للمّة، أي شديدة السواد.

[6]اسبطرت: طالت و امتدت.

[7]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «محمد بن عبد الرحمن» و هو تحريف. إذ أن محمدا هذا هو محمد بن الحسن بن دريد، و قد تقدّمت روايته في السند السابق و في غيره عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي.

[8]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «حلقت» بالحاء المهملة. ـ

/

أمست تروق الناظرين و أصبحت # قصصا[1]تكون[2]فواصل المرجان

شعره في أخيه ثور

:

أخبرني وكيع قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدّثنا أبو محلّم قال:

كان ليزيد بن الطّثريّة أخ يقال له ثور أكبر منه، فكان يزيد يغير على ماله و يتلفه، فيتحمّله ثور لمحبته إيّاه.

فقال يزيد في ذلك:

/

نغير على ثور و ثور يسرّنا # و ثور علينا في الحياة صبور

و ذلك دأبي ما حييت و ما مشى # لثور على عفر التّراب بعير

الحرب بين عقيل و بني حنيفة و مقتل يزيد و ما رثاه به الشعراء

:

و قتل يزيد بن الطّثريّة في خلافة بني العبّاس[3]، قتلته بنو حنيفة.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السّكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل بن سلمة عن أبي عبيدة و ابن الكلبيّ، و أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجرّاح العقيلي قال:

أغارت بنو حنيفة على طائفة من بني عقيل و معهم رجل من بني قشير جار لهم؛ فقتل القشيريّ و رجل من بني عقيل و اطّردت[4]إبل من العقيليّين؛ فأتى الصّريخ[5]عقيلا فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجلا و عقروا أفراسا ثلاثة من خيل حنيفة و انصرفوا، فلبثوا سنة. ثم إن عقيلا انحدرت منتجعة من بلادها إلى بلاد بني تميم، فذكر لحنيفة و هم بالكوكبة[6]و القيضاف، فغزتهم حنيفة، و حذر العقيليّون و أتتهم النّذر من نمير فانكشفوا فلم يقدروا عليهم؛ فبلغ ذلك من بني عقيل و تلهفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعا ليغزوا حنيفة، ثم تشاوروا.

فقال بعضهم: لا تغزوا قوما/في منازلهم و دورهم فيتحصّنوا دونكم و يمتنعوا منكم، و لا نأمن أن يفضحوكم، فأقاموا بالعقيق. و جاءت حنيفة غازية كعبا لا تتعدّاها حتى وقعت بالفلج، فتطاير الناس، و رأس حنيفة يومئذ المندلف، و جاء صريخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيليّ و هو بالعقيق أمير عليها؛ فضاق بالرسول ذرعا و أتاه [1]القصص (بالتحريك) : ما قص من الشعر.

[2]في ب، س: «تفوق» .

[3]قال ابن خلكان في ترجمة يزيد بن الطثرية: «و قال أبو بكر بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب «أنساب الأشراف» ، بعد ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي الحكميّ و وقائع جرت في سنة ست و عشرين و مائة، فكان في أثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلف بن إدريس الحنفي و قتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج» ثم قال: و ذكر أبو الحسن الطوسيّ المذكور في هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية، فلما قتل المندلف و هرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية، و كان عليه جبة خز فتشبثت في عشرة (بضم العين و فتح الشين و الراء) فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه» . ثم استنبط ابن خلكان أن قتل يزيد بن الطثرية كان في هذه السنة عقب مقتل الوليد بن يزيد. ثم نقل عن أبي الفرج قوله في أوّل «ديوان يزيد» الذي جمعه من شعره أنه قتل في خلافة بني العباس، و قال: و الأوّل أصح.

[4]طرد الإبل: ساقها، و المطاوع له اطردت الإبل.

[5]الصريخ: الاستغاثة.

[6]لم نجد هذين الموضعين في «معجمات البلدان» .

هول شديد، فأرسل في عقيل يستمدّها؛ فأتته ربيعة بن عقيل و قشير بن كعب و الحريش بن كعب و أفناء خفاجة، و جاش[1]إليه الناس؛ فقال: إني قد أرسلت طليعة فانتظروها حتى تجيء و نعلم ما تشير[2]به. قال أبو الجرّاح: فأصبح صبح ثالثة على فرس له يهتف: أعزّ اللّه نصركم و أمتعنا بكم!انصرفوا راشدين فلم يكن بأس؛ فانصرف الناس؛ و صار في بني عمّه و رهطه دنية. و إنما فعل ذلك لتكون له السّمعة و الذّكر. فكان فيمن سار معه القحيف بن خمير[3]و يزيد بن الطّثريّة الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القوم، فواقعوهم، فقتلوا المندلف، رموه في عينه، و سبوا و أسروا و مثّلوا بهم و قطعوا أيدي اثنين منهم و أرسلوهما إلى اليمامة و صنعوا[4]ما أرادوا. و لم يقتل ممن كان مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطّثريّة، نشب ثوبه في جذل[5]من عشرة فانقلب، و خبطه القوم فقتل. فقال القحيف يرثيه: ألا نبكي سراة بني قشير # على صنديدها و على فتاها

فإن يقتل يزيد فقد قتلنا # سراتهم الكهول على لحاها

/أبا المكشوح بعدك من يحامي # و من يزجي المطيّ على وجاها

/و قال القحيف أيضا يرثيه:

إن تقتلوا منّا شهيدا صابرا # فقد تركنا منكم مجازرا

عشرين لمّا يدخلوا المقابرا # قتلى أصيبت قعصا[6]نحائرا

نعجا[7]ترى أرجلها شواغرا و هذه من رواية ابن حبيب وحده. و قال القحيف أيضا و لم يروها إلا ابن حبيب: يا عين بكّي هملا على همل # على يزيد و يزيد بن حمل

قتّال أبطال و جرّار حلل قال: و يزيد بن حمل قشيريّ قتل يومئذ أيضا. و قالت زينب بنت الطّثريّة ترثي أخاها يزيد-و عن أبي عمرو الشّيبانيّ أنّ الأبيات لأمّ يزيد، قال: و هي من الأزد. و يقال: إنها لوحشيّة الجرميّة: -

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري # مقيما و قد غالت يزيد غوائله

[1]جاش إليه الناس: ساروا إليه ليلا.

[2]كانت العبارة في الأصل «ما تشير» .

[3]كذا في «شرح القاموس» (مادة قحف) و في ب، س: «القحيف بن حمير» . بالحاء المهملة، و هو تصحيف. و في سائر الأصول «المحنف بن حمير» و هو تحريف.

[4]كذا في «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «و تصنعوا ما أرادوا» و هو تحريف.

[5]الجذل: أصل الشجرة. و العشرة: شجرة من العضاه و هي من كبار الشجر ذات صمغ حلو و ورق عريض.

[6]القعص (بالفتح و بالتحريك) : القتل المعجل و الموت الوحيّ، يقال: مات فلان قعصا إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه.

[7]كذا في أكثر الأصول و لعله: «نعجى» جمع نعج كزمن و زمني. و نعج الرجل ربا و انتفخ، و ذلك ملحوظ في الميت بجلاء. و في ب، س: «نفجا» بالفاء. و شواغر: مرفوعات.

فتى قد قد السّيف لا متضائل # و لا رهل لبّاته و بآدله[1]

فتى لا ترى قد القميص بخصره # و لكنّما توهي القميص كواهله

إذا نزل الضّيفان كان عذوّرا[2] # على الحيّ حتى تستقلّ مراجله

يسرّك[3]مظلوما و يرضيك ظالما # و كلّ الذي حمّلته فهو حامله

/إذا جدّ عند الجد[4]أرضاك جدّه # و ذو باطل إن شئت ألهاك باطله

إذا القوم أمّوا بيته فهو عامد # لأفضل ما أمّوا له فهو فاعله[5]

مضى و ورثناه دريس مفاضة[6] # و أبيض هنديّا طويلا حمائله

و قد كان يحمي المحجرين[7]بسيفه # و يبلغ أقصى حجرة[8]الحيّ نائله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى # بصاحبه يوما دما فهو آكله

سيبكيه مولاه إذا ما ترقّعت # عن الساق عند الرّوع يوما ذلاذله

الذّلذل[9]: هدب الثياب.

و قد أخبرنا الحرميّ عن الزّبير عن عمر بن إبراهيم السّعديّ عن عباس بن عبد الصمد قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السّلوليّ: أصدقت فيما قلت في ابن عمّك[10]؟قال: نعم يا أمير المؤمنين، ألا إنّي قلت: فتى قد قد السيف لا متضائل # و لا رهل لبّاته و أباجله[11]

/فذكر هذا البيت وحده و نسبه إلى العجير السّلوليّ من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطّثريّة أو إلى أمّه و أتي بأبيات أخر ليست منها، و سيذكر ذلك في أخبار العجير مشروحا إن شاء اللّه تعالى.

[1]البآدل: جمع بأدلة و هي اللحمة بين العنق و الترقوة.

[2]العذوّر: السيئ الخلق القليل الصبر عما يريده و ما يهم به. و المراجل: جمع مرجل و هو القدر. و استقلالها: انتصابها على الأثافي.

و صفته بسوء الخلق و التشدّد في الأمر و النهي حتى تنصب المراجل و تهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأوّل.

[3]في «اللسان» : يعينك مظلوما و ينجيك ظالما و يريد بقوله. و يرضيك ظالما أنك إن ظلمت فطولبت بظلمك حماك و منع منك.

[4]كذا في أ، ء، م. و في سائر الأصول: «عند الظلم» .

[5]رواية «ديوان» الحماسة: «لأحسن ما ظنوا به... إلخ» .

[6]الدريس: الخلق من الدروع و غيرها. و المفاضة: الدرع الواسعة. و أبيض يعني سيفا. و جعله طويل الحمائل لطول قوامه. يريد: أنه أنفق ماله فيما نشر له حمدا فلم يكن إرثه إلاّ ما ذكر من السلاح.

[7]المحجر: الحرم و ما يمنعه القوم. و رواية هذا الشطر في الحماسة:

و قد كان يروي المشرفيّ بكفه

يريد أنه كان شديد النكاية في الأعداء.

[8]الحجرة (بالفتح) : الناحية.

[9]في الأصول: «الذلذال» بزيادة ألف و لم نقف عليها في «كتب اللغة» ، و إنما واحد الذلاذل ذلذل و ذلذلة.

[10]كذا في «ترجمة العجير السلولي» (ج 11 ص 153 طبع بلاق) . و في الأصول: «في ابن عمر» و هو تحريف.

[11]الأباجل: جمع أبجل، و هو عرق غليظ في الرجل، و قيل: هو في باطن الذراع.

و ممّا يغنّى فيه من شعر يزيد بن الطّثريّة قوله:

صوت

بنفسي من لا بدّ أنّي هاجره # و من أنا في الميسور و العسر ذاكره

/و من قد رماه الناس بي فاتّقاهم # ببغضي إلاّ ما تجنّ ضمائره

عروضه من الطويل. غنّى في هذين البيتين عبد اللّه بن العباس الرّبيعيّ لحنا من خفيف الثقيل بالبنصر. و غنّت فيه عريب و في أبيات أضافتها إليها لحنا من خفيف الثقيل الأوّل آخر. و غنّت عليّة بنت المهديّ فيها خفيف رمل. و ذكر الهشاميّ أن لإبراهيم فيها لحنا ماخوريّا. و الأبيات المضافة: بنفسي من لا أخبر الناس باسمه # و إن حملت حقدا عليّ عشائره

بأهلي و مالي من جلبت له الأذى # و من ذكره منّي قريب أسامره

و من لو جرت شحناء بيني و بينه # و حاورني لم أدر كيف أحاوره

صوت من المائة المختارة

شأتك المنازل بالأبرق # دوارس كالعين في المهرق

لآل جميلة قد أخلقت # و مهما يطل عهده يخلق

فإن يقل الناس لي عاشق # فأين الذي هو لم يعشق

و لم يبك نؤيا على عبرة # بداء الصّبابة و المعلق

/شأتك: بعدت عنك. و الشأو. البعد. يقال: جرى الفرس شأوا، يريد طلقا. و المهرق: الصحيفة، و الجمع المهارق. يريد أنّ الدار قد بقيت منها طرائق كالصّحف و ما فيها.

الشعر للأحوص. و الغناء لجميلة. و لحنها المختار خفيف رمل بالوسطى[1]عن إسحاق. و فيه لعطرّد ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى. و فيه لمعبد خفيف ثقيل عن حبش: و فيه رمل يقال: إنه لفريدة، و يقال: إنه لمالك. و قيل: إن الثقيل الأوّل لابن عائشة. و ذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعطرّد أيضا.

[1]في ب، س: بالوسطى في مجراها عن إسحاق» .

4-ذكر جميلة و أخبارها

ولاء جميلة و شعر عبد الرحمن بن أرطأة فيها

:

هي جميلة مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز، و كان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج، و كانت تنزل فيهم، فغلب عليها ولاء زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تنزل بالسّنح[1]و هو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصّدّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاري الأمويّ السّعيدي. و ذكر عبد العزيز بن عمران أنها مولاة للحجّاج بن علاط السّلميّ و هي أصل من أصول الغناء، و عنها أخذ معبد و ابن عائشة و حبابة و سلاّمة و عقيلة العقيقية و الشّمّاسيّتان خليدة و ربيحة. و فيها يقول عبد الرحمن بن أرطأة:

صوت

إنّ الدّلال و حسن الغنا # ء سط بيوت بني الخزرج

/و تلكم جميلة زين النساء # إذا هي تزدان للمخرج

إذا جئتها بذلت ودّها # بوجه منير لها أبلج

الشعر لعبد الرحمن بن أرطأة. و الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى، و يقال: فيه الدّلال و جميلة لحنان.

كانت أعلم خلق اللّه بالغناء

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي جعفر القرشيّ عن المحرزيّ[2]قال: كانت جميلة أعلم خلق اللّه بالغناء؛ و كان معبد يقول: أصل الغناء جميلة و فرعه نحن، و لو لا جميلة لم نكن نحن مغنّين.

كيف تعلمت الغناء

:

قال إسحاق و حدّثني أيّوب بن عباية قال حدّثني رجل من الأنصار قال: سئلت جميلة: أنّى لك هذا الغناء؟قالت: و اللّه ما هو إلهام و لا تعليم و لكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جارا و كنت أسمعه يغنّي و يضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذت تلك النّغمات فبنيت عليها غنائي، فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء، فعلمت و ألقيت، فسمعني مواليات[3]يوما و أنا أغنّي سرّا ففهمنني و دخلن عليّ و قلن: قد علمنا فما تكتمينا. فأقسمن عليّ، فرفعت صوتي و

غنّيتهنّ بشعر زهير بن أبي سلمى: [1]السنح (بالضم و بضمتين) : موضع قرب المدينة.

[2]في حـ: «المخرزي بالخاء المعجمة.

[3]مواليات: هو جمع الجمع، كصواحبات.

و ما ذكرتك إلاّ هجت لي طربا # إنّ المحبّ ببعض الأمر معذور

ليس المحبّ بمن[1]إن شطّ غيّره # هجر الحبيب و في الهجران تغيير

صوت

نام الخليّ فنوم العين تعذير[2] # مما ادّكرت و همّ النفس مذكور

ذكرت سلمى و ما ذكري براجعها # و دونها سبسب يهوي به المور[3]

-الشعر لزهير. و الغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رمل بالوسطى عن حبش-فحينئذ ظهر أمري و شاع ذكري، فقصدني الناس و جلست للتعليم؛ فكان الجواري يتكاوسنني[4]، فربما انصرف أكثرهنّ و لم يأخذن شيئا سوى ما سمعنني أطارح لغيرهنّ، و لقد كسبت لمواليّ ما لم يخطر لهنّ ببال، و أهل ذلك كانوا و كنت.

إجماع الناس على تقدمها في الغناء

:

و حدّثني أبو خليفة قال حدّثني ابن سلاّم قال حدّثني مسلمة بن محمد بن مسلمة الثّقفيّ قال: كانت جميلة ممّن لا يشكّ في فضيلتها في الغناء، و لم يدّع أحد مقاربتها[5]في ذلك، و كلّ مدنيّ و مكيّ يشهد لها بالفضل.

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه و غنى فيه مغنو مكة و المدينة

:

قال إسحاق و حدّثني هشام بن المرّيّة المدنيّ قال حدّثني جرير المدنيّ-قال إسحاق: و كانا جميعا مغنّيين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، و كانا قد أسنّا، فأمّا هشام فبلغ الثمانين، و أمّا جرير فلا أدري-قال جرير: وفد ابن سريج و الغريض و سعيد بن مسجح و مسلم بن محرز المدينة لبعض من وفدوا عليه، فأجمع رأيهم على النزول على جميلة مولاة بهز، فنزلوا عليها فخرجوا يوما إلى العقيق متنزّهين، فوردوا على معبد و ابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدّثوا ساعة؛ ثم سأل معبد ابن سريج و أصحابه أن يعرضوا عليهم بعض ما ألّفوا. فقال ابن عائشة: إنّ للقوم أعمالا كثيرة حسنة و لك أيضا يا أبا عبّاد، و لكن قد اجتمع علماء مكة، و أنا و أنت من أهل المدينة، فليعمل كلّ واحد منّا صوتا ساعته ثم يغنّ به. قال/معبد: يا ابن عائشة، قد أعجبتك نفسك حتى بلّغتك هذه المرتبة!. قال ابن عائشة: أو

غضبت يا أبا عبّاد!إنّي لم أقل هذا و أنا أريد أن أتنقّصك فإنك لأنت المفاد منه. قال معبد: أمّا إذ قد اختلفنا و أصحابنا المكّيّون سكوت فلنجعل بيننا حكما. قال ابن عائشة: إنّ أصحابنا شركاء في الحكومة. قال ابن سريج: على شريطة؛ قال[6]: على أن يكون ما نغنّي به من الشعر ما حكّمت فيه امرأة. قال ابن عائشة/و معبد: [1]في ب، س: «كمن» .

[2]تعذير: قليل. و في ب، س: «تقرير» و هو تحريف.

[3]المور: الغبار المتردد، و قيل: التراب تثيره الريح.

[4]يتكاوسنني، تريد: يتكنفنني و يتزاحمن حولي. ضمن «تكاوس» بمعنى «تكنف» فتعدّى تعديته؛ إذ الموجود في «كتب اللغة» أن التكاوس التزاحم و التراكم، فهو فعل لازم؛ يقال: تكاوس النخل و الشجر و العشب إذا كثر و التف، و تكاوس النبت إذا التف و سقط بعضه على بعض.

[5]في حـ، أ: «مقارنتها» بالنون.

[6]كلمة «قال» هنا ظاهرة الزيادة.

رضينا، و هي أمّ جندب. فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جميلة من غد. فلما حضروا قال ابن عائشة: ما ترى يا أبا عبّاد؟قال: أرى أن يبتدئ أصحابنا أو أحدهم. قال ابن سريج: بل أنتما أولى. قالا: لم نكن لنفعل. فأقبل ابن سريج على سعيد بن مسجح فسأله أن يبتدئ فأبى. فأجمع رأي المكيّين على أن يبتدئ ابن سريج. فغنّى ابن سريج:

صوت

ذهبت من الهجران في غير مذهب # و لم يك حقّا كلّ هذا التجنّب

خليليّ مرّا بي على أمّ جندب # أقضّ[1]لبانات الفؤاد المعذّب

فإنّكما إن تنظراني ساعة # من الدّهر تنفعني لدى أمّ جندب

أ لم تریاني كلّما جئت طارقا # وجدت بها طيبا و إن لم تطيّب

-الشعر لامرئ[2]القيس. و لابن سريج فيه لحنان ثاني ثقيل بالسّبابة في مجرى الوسطى، و خفيف رمل بالسّبابة في مجرى الوسطى جميعا عن إسحاق- و غنّى معبد:

صوت

فللّه عينا من رأى من تفرّق # أشتّ و أنأى من فراق المحصّب[3]

علون بأنطاكيّة فوق عقمة # كجرمة نخل أو كجنّة يثرب[4]

فريقان منهم سالك بطن نخلة # و آخر منهم جازع نجد كبكب[5]/

فعيناك غربا جدول في مفاضة # كمرّ خليج في سنيح مثقّب[6]

و غنّى ابن مسجح:

[1]في الأصول هنا: «أقضى» . و في «شرح ديوانه» : لنقضى حاجات» .

[2]يلاحظ أن البيت الأول من هذه الأبيات من شعر علقمة الفحل و هو مطلع قصيدة له.

[3]المحصب: موضع رمي الجمار بمكّة.

[4]علون: يعني الظعائن. و إنما يريد الإبل التي تحمل الظعائن، يعني علون بالخدور التي فيها ثياب أنطاكية أي علمت بأنطاكية.

و العقمة: ضرب من الوشى. و الجرمة: ما جرم من البسر. شبه ما على الإبل من الألوان بالبسر الأحمر و الأصفر. و الجنة: البستان. يريد نخل المدينة.

[5]بطن نخلة: موضع على ليلة من مكة. و الجازع: القاطع، يقال: جزعت الوادي أي قطعته. و كبكب هو الجبل الأحمر الذي يجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفة.

[6]كذا في «ديوان امرئ القيس» (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 15 أدب ش) . و في الأصول: «مصوب» و هو تحريف. و الغرب: الدلو الضخمة. و المفاضة هاهنا: الأرض الواسعة. و الخليج: الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ. و السنيح: اللؤلؤ.

شبه ما يسيل من عينيه بالغربين، و ما يسيل من الغربين باللؤلؤ المتناثر. (عن شرح الديوان) .

صوت

و قالت فإن يبخل عليك و يعتلل # يسؤك و إن يكشف غرامك تدرب[1]

و إنّك لم يفخر عليك كفاخر[2] # ضعيف و لم يغلبك مثل مغلّب

و إنك لم تقطع لبانة عاشق # بمثل بكور أو رواح مؤوّب[3]

/بأدماء حرجوج كأنّ قتودها # على أبلق الكشحين ليس بمغرب[4]

يغرّد بالأسحار في كلّ سدفة # تغرّد ميّاح النّدامى المطرّب[5]

و غنّى ابن عائشة:

صوت

و قد أغتدي و الطير في وكناتها # و ماء النّدى يجري على كل مذنب[6]

/بمنجرد قيد الأوابد لاحه # طراد الهوادي كلّ شأو مغرّب[7]

إذا ما جرى شأوين و ابتلّ عطفه # تقول هزيز الرّيح مرّت بأثأب[8]

له أيطلا[9]ظبي و ساقا نعامة # و صهوة عير قائم فوق مرقب

/و غنّى ابن محرز:

[1]كل الشعر الماضي، ما عدا البيت الأوّل كما تقدّم، من قصيدة امرئ القيس. و قد اختلف في هذا البيت أ هو من قصيدة امرئ القيس أم من قصيدة علقمة. (راجع كتاب «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» للإمام العيني فقد فصل الكلام في ذلك) .

و تدرب: من الدربة و هي التجربة. و معنى البيت أنه إن بخل عليك بالوصال و اعتل ساءك ذلك، و إن وصلت و كشف غرامك كان ذلك عادة لك و دربة. و إنما يريد أنها كانت لا تقطع وصاله كل القطع فيحمله ذلك على اليأس و السلو، و لا تصله كل الوصل فيتعود ذلك و يستكثر منه حتى يدعوه إلى الملل. (عن شواهد العيني) . و في الأصول: «تذرب» بالذال المعجمة و هو تصحيف.

[2]في ب، س: «كعاجز» . و المغلب (بصيغة المفعول) : الذي من عادته أن يغلب.

[3]المؤوب: المردّد المتكرر. و يصح أن يكون بالكسر باعتبار أن صاحبه يئوب فيه أي يرده مع الليل بعد سير النهار كله. و هذا البيت من شعر علقمة.

[4]الأدماء: الناقة البيضاء. و الحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. و القتود: جمع قتد و هو أداة الرحل. و أبلق الكشحين: أبيض الخاصرتين. و الإغراب: بياض الأشفار و الوجه، فالمغرب: الذي تتسع غرته حتى تأخذ عينيه و أشفاره. و قيل: الإغراب: بياض الأرفاغ مما يلي الخاصرة. أو المغرب الذي كل شيء منه أبيض و هو أقبح البياض. أي ليس بلقه بإغراب. يريد: كأن قتود هذه الناقة على حمار وحشي موصوف بما ذكره بهذا البيت و ما بعده لشدّة نشاطها. و في الشطر الأوّل رواية أخرى أشار إليها شارح «الديوان» و هي: «بمجفرة حرف... إلخ» . و المجفرة: المنتفخة. و الحرف: الضامرة.

[5]يغرد: يطرّب. و سدفة: طائفة من الليل، و مياح: وصف من ماح في مشيته يميح ميحا و ميحوحة إذا تبختر. و الندامى: الفتيان الذين يتنادمون، الواحد ندمان و نديم. يصف الحمار بأنه يرفع بالأسحار صوته كأنه يطرّب نفسه.

[6]المذنب: مسيل الماء إلى الروضة.

[7]المنجرد: القصير الشعر. و الأوابد: الوحش. و لاحه: غيره و أهزله و أضناه. و الطراد: المطاردة. و الهوادي: السوابق المتقدّمات.

و الشأو: الطلق و هو جري مرة إلى الغاية. و المغرّب: البعيد المدى.

[8]عطفه: ناحيته. و هزيز الريح: صوتها. و الأثأب: شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم و شدّة صوت.

[9]الأيطل: الخاصرة. و الصهوة: الظهر. و العير: حمار الوحش. و ليس في الدواب أحسن موضع لبد من حمار الوحش. و إنما قال: «قائم» لأنه إذا قام تمدد و إذا عدا اضطرب. و المرقب: المكان المرتفع من الأرض.

صوت

فللسّوط ألهوب و للساق درّة # و للزّجر منه وقع أخرج مهذب[1]

فأدرك لم يجهد و لم يبل شدّه # يمرّ كخذروف الوليد المثقّب[2]

تذبّ به طورا و طورا تمرّه # كذبّ البشير بالرّداء المهذّب[3]

إذا ما ضربت الدّفّ أو صلت صولة # ترقّب منّي غير أدنى ترقّب[4]

و غنّى الغريض:

صوت

أ خائفة لا يلعن الحيّ شخصه # صبورا على العلاّت غير مسبّب[5]

رأينا شياها يرتعين خميلة # كمشي العذارى في الملاء المجوّب[6]

/و ما أنت أم ما ذكرها ربعيّة # تحلّ بإير أو بأكناف شربب[7]

أطعت الوشاة و المشاة بصرمها # فقد أنهجت حبالها للتقضّب[8]

فقالت جميلة: كلّكم محسن و كلّكم مجيد في معناه و مذهبه. قال ابن عائشة: ليس هذا بمقنع دون التفضيل.

فقالت: أمّا أنت يا أبا يحيى[9]فتضحك الثّكلى بحسن صوتك و مشاكلته للنفوس. و أمّا أنت يا أبا عبّاد فنسيج وحدك[10]بجودة تأليفك و حسن نظمك مع عذوبة غنائك. و أمّا أنت يا أبا عثمان فلك أوّليّة هذا الأمر و فضيلته و أمّا أنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح. و أمّا أنت يا أبا الخطّاب فلو قدّمت أحدا على نفسي لقدّمتك. و أمّا أنت يا [1]الإلهاب و الألهوب: شدّة العدو الذي يثير اللهب و هو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار. و للساق درة أي إن حرك بالساق درّ على ذلك و زاد في عدوه. و الأخرج: الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه. و المهذب: الشديد العدو. أي إذا زجر أخرج منه الزجر عدوا كعدو الظليم.

[2]يريد أنه يدرك طريدته من غير جهد و لا مشقة. و الخدروف: و الدوّارة التي يلعب بها الصبيان.

[3]هذا البيت و الذي بعده من شعر علقمة و هما في وصف ناقته. و يرجع الضمير في «به» إلى ذنبها الذي وصفه في البيت الذي قبل هذا البيت و هو: كأن بحاذيها إذا ما تشذرت # عثاكيل قنو من سميحة مرطب

و ذب البشير أن يلمع للقوم بردائه إذا جاءهم بخبر خير. و المهدب: ذو الهدب. شبه خطران الناقة بذنبها بلمع البشير برداء ذي هدب.

[4]الدف: الجنب. و ترقب: تلحظ السوط بمؤخر عينها من الخوف. و غير أدنى ترقب أي ترقبا شديدا.

[5]هذا البيت و الأبيات التي بعده في «ديوان علقمة» و غير مسبب: غير مسبوب.

[6]شياه: بقر من الوحش. و الخميلة: رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل في الثوب. و المجوّب: المصنوع له جيب.

[7]قوله: و ما أنت أم ما ذكرها: يوبخ نفسه و ينكر عليها تتبع هذه المرأة مع بعد دارها. و إير: جبل لبني غطفان غربيّ جبل طيء.

و شربب: واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم في شمال اليمامة. و الأكناف: النواحي.

[8]أنهجت: خلقت و بليت. و التقضب: التقطع.

[9]أبو يحيى كنيته ابن سريج، و أبو عباد كنية معبد، و أبو عثمان كنية سعيد بن مسجح، و أبو جعفر كنية ابن عائشة، و أبو الخطاب كنية ابن محرز، و مولى العبلات لقب الغريض.

[10]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فنسيج وحده» و هو تحريف.

مولى العبلات فلو ابتدأت لقدّمتك عليهم. ثم سألوها جميعا أن تغنّيهم لحنا كما غنّوا؛ فغنّتهم بيتا لامرئ القيس و أربعة أبيات لعلقمة و هي: خليليّ مرّا بي على أمّ جندب # أقضّ لبانات الفؤاد المعذّب

ليالي لا تبلى[1]نصيحة بيننا # ليالي حلّوا بالسّتار[2]فغرّب

/مبتّلة[3]كأنّ أنضاء حليها # على شادن من صاحة متربّب

محال[4]كأجواز الجراد و لؤلؤ # من القلقيّ و الكبيس الملوّب

إذا ألحم الواشون للشرّ بيننا # تبلّغ رسّ الحبّ غير المكذّب[5]

فكلّهم أقرّوا لها و فضّلوها. فقالت لهم: أ لا أحدّثكم بحديث يتمّ به حسن غنائكم[6]و تمام اختياركم؟قالوا: بلى و اللّه. قال الغريض: قد و اللّه فهمته يا سيّدتي قالت: لعنك اللّه يا مخنّث!ما أجود فهمك و أحسن وجهك!و ما يلام فيك أبو يحيى إذ عرفته؛ فهاته حدّثنا. قال: يا سيّدتي و سيّدة من حضر، و اللّه لا نطقت بحرف منه و أنت حاضرة، و لك الفضل و العتبى. قالت: نازع امرؤ القيس علقمة بن عبدة الفحل الشعر؛ فقال له: قد حكّمت[7]بيني و بينك /امرأتك أمّ جندب؛ قال: قد رضيت. فقالت لهما: قولا شعرا على رويّ واحد و قافية واحدة صفا فيه الخيل.

فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بي على أمّ جندب # أقضّ لبانات الفؤاد لمعذّب

/و قال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب # و لم يك حقّا كلّ هذا التجنّب

و أنشداها، فغلّبت علقمة. فقال لها زوجها: بأيّ شيء غلّبته؟قالت: لأنك قلت: [1]كذا في «ديوان علقمة» . و في الأصول: «ليلى فلا تبلى» و هو تحريف.

[2]الستار (على وزن كتاب) : جبل بعالية الحجاز. و غرب موضع تلقاءه. و هذا البيت واقع في «ديوان علقمة» بعد قوله: ذهبت من الهجران في غير مذهب # و لم يك حقا كل هذا التجنب

و هو مطلع القصيدة. يقول لنفسه: ذهبت من هجران هذه المرأة لك في غير مذهب يجب، أي لم تهجرك لريبة رابتك بها لكن إدلالا و تجنبا، و لم يكن تجنبها حقا، إذ لم تأت إليها ما يوجب التجنب. و قوله: ليالي لا تبلى أي

فعلت هذا بك زمن المرتبع إذ كان حيها وحيك متجاورين، فكنا نجدد النصائح و نقرب الوسائل. (راجع شرح ديوان علقمة الفحل للأعلم الشنتمري) .

[3]المبتلة: المكتنزة اللحم الضامرة الكشح. و أنضاء الحلى: ما دق منه و لطف. يعني قرطيها و قلائدها و لم يعن سوارا و لا خلخالا، لأنه إنما قصد إلى تشبيه جيدها و ما عليه من الحلى يجيد الشادن. و صاحة: جبل أحمر بين الركاء و الدخول، و قيل: صاحة هضبتان عظيمتان لهما زيادات و أطراف كثيرة، و هي من عماية (جبل بالبحرين ضخم) تلي مغرب الشمس بينهما فرسخ. (عن «معجم ما استعجم» للبكري) . و متربب: مربى.

[4]المحال: ضرب من الحلى يصاغ مفقرا (أي محززا) على تفقير وسط الجراد، و الجوز: وسط الشيء، و القلقي: ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ. قال صاحب «اللسان» : و الظاهر أنها سميت بذلك لقلقها (أي اضطرابها) . و الكيس: حلى يصاغ مجوّفا ثم يحشى طيبا ثم يكبس. و الملوّب: المعطر بالملاب، و هو نوع من العطر، و قيل: الملاب كل عطر مائع.

[5]ألحم: أدخل. يقال: ألحم بين بني فلان شرا إذا جناه لهم. و قوله: تبلغ رس الحب أي تبلغ في القلب و ثبت فيه. و الرس: الثابت الراسخ. و غير المكذب أي غير المنقطع الرائل.

[6]في ب، س: «غضارتكم» .

[7]في الأصول: «حاكمت» .

فللسّوط ألهوب و للساق درّة # و للزّجر منه وقع أهوج منعب[1]

فجهدت فرسك بسوطك، و مريته[2]بساقك و زجرك، و أتعبته بجهدك. و قال علقمة: فولّى على آثارهنّ بحاصب # و غيبة شؤبوب من الشّدّ ملهب[3]

فأدركهنّ ثانيا من عنانه # يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب[4]

فلم يضرب فرسه بسوط، و لم يمره بساق، و لم يتعبه بزجر. فقال ابن عائشة: جعلت فداك!أ تأذنين أن أحدّث؟ قالت: هيه. قال: إنما تزوج أمّ جندب حين هرب من المنذر بن ماء السماء فأتى جبلي طيّ ء، و كان مفرّكا[5]. فبينا هو معها ذات ليلة إذ قالت له: قم يا خير الفتيان فقد أصبحت. فلم يقم؛ فكرّرت عليه فقام فوجد الفجر لم يطلع، فرجع فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟فأمسكت. و ألحّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيل الصدر، خفيف العجيزة، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة. فعرف تصديق قولها و سكت. فلما أصبح أتى علقمة و هو في خيمته و خلفه أمّ جندب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، و قال علقمة مثل ذلك، فتحاكما إلى أمّ جندب، ففضّلت أمّ جندب علقمة على امرئ القيس. /فقال لها: بم فضّلته عليّ؟قالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك.

زجرت و ضربت و حرّكت ساقيك، و ابن عبدة جامد لا مقتدر[6]. فغضب من قولها و طلّقها، و خلف عليها علقمة.

فقالت جميلة: ما أحسن مجلسنا لو دام اجتماعنا!. ثم دعت بالغداء فأتى بألوان الأطعمة و أنواع من الفاكهة. ثم قالت: لو لا شناعة[7]مجلسنا لكان الشراب معدّا و لكنّ الليل بيننا. فلم يزالوا يومهم ذلك بأطيب مجلس و أحسن حديث. فلما جنّهم الليل دعت بالشراب و دعت لكل رجل منهم بعود، و أخذت هي عودا فضربت، ثم قالت: اضربوا فضربوا عليها بضرب واحد، و غنّت بشعر امرئ القيس:

أ أذكرت نفسك ما لن يعودا # فهاج التّذكّر قلبا عميدا

تذكّرت هندا و أترابها # و أيّام كنت لها مستقيدا[8]

و يعجبك اللّهو و المسمعات # فأصبحت أزمعت منها صدودا

و نادمت قيصر في ملكه # فأوجهني[9]و ركبت البريدا

فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك. ثم قالت: تغنّوا جميعا بلحن واحد؛ فغنّوها هذا الشعر و الصوت بعينه [1]المنعب: الأحمق المصوت، كذا في «اللسان» و استشهد بالبيت. و المتعب أيضا: الذي يمد عنقه في العدو.

[2]مرى الفرس: استخرج جريه.

[3]على آثارهنّ: يعني البقر. و بحاصب: يعني بعدو شديد كالحاصب من المطر و هو العظيم القطر. و الغيبة: المطرة التي تجيء شديدة. و الشؤبوب: أول كل شيء و حدّته. و ملهب: مثير للهب من شدّة جريه. و اللهب: الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار.

[4]الرائح: يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ، و السحاب أغزر ما يكون بالعشيّ. و المتحلب: المتساقط المتتابع.

[5]المفرّك: الذي يبغضه النساء.

[6]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «مغتدر» بالغين المعجمة. و كلاهما غير واضح.

[7]تريد: لو لا شهرة مجلسنا و قبح الأحدوثة عنه.

[8]استقاد له: أعطاه مقادته أي أطاعه له.

[9]أوجهه: شرفه و جعله وجيها.

كما غنّته. و علم القوم ما أرادت بهذا الشعر؛ فقال ابن عائشة: جعلت/ فداك!نرجو أن يدوم مجلسنا، و يؤثر أصحابنا المقام بالمدينة فنواسيهم من كل ما نملكه. قال أبو عبّاد: و كيف بذاك!. فباتوا بأنعم ليلة و أحسنها. قال إسحاق قال أبي قال لي يونس: قال أبو عبّاد: لا أعرف يوما واحدا منذ عقلت و لا ليلة عند خليفة و لا غيره مثل ذلك اليوم، و لا أحسبه/يكون بعد. قال يونس: و لا أدركنا نحن مثل ذلك اليوم و لا بلغنا. قال إسحاق: و لا أنا، و لا أحسب ذلك اليوم يكون بعد.

زارها عبد اللّه بن جعفر فصرفت من عندها و أقبلت عليه تلاطفه

:

و حدّثني أبي قال حدّثنا يونس قال قال لي أبو عبّاد:

أتيت جميلة يوما و كان لي موعد ظننت[1]أنّي سبقت الناس إليها، فإذا مجلسها غاصّ؛ فسألتها أن تعلّمني شيئا؛ فقالت لي: إنّ غيرك قد سبقك و لا يجمل تقديمك على من سواك فقلت: جعلت فداك!إلى متى[2]تفرغين ممّن سبقني!قالت: هو ذاك، الحقّ يسعك و يسعهم. فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبد اللّه بن جعفر-و إنه لأول يوم رأيته و آخره و كنت صغيرا كيّسا، و كانت جميلة شديدة الفرح-فقامت و قام الناس، فتلقّته و قبّلت رجليه و يديه، و جلس في صدر المجلس على كوم لها و تحوّق[3]أصحابه حوله، و أشارت إلى من عندها بالانصراف، و تفرّق الناس، و غمزتني أن لا أبرح فأقمت. و قالت: يا سيّدي و سيّد آبائي و مواليّ، كيف نشطت إلى أن تنقل قدميك إلى أمتك؟ قال: يا جميلة، قد علمت ما آليت على نفسك ألاّ تغنّي أحدا إلاّ في منزلك، و أحببت الاستماع و كان ذلك طريقا مادّا فسيحا. قالت: جعلت فداك!فأنا أصير إليك و أكفّر. قال: لا أكلّفك ذلك، و بلغني أنك تغنّين بيتين لامرئ القيس تجيدين الغناء فيهما، و كان اللّه أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت. قالت: يا سيّدي نعم!فاندفعت تغنّي فغنّت بعودها، فما سمعت منها قبل ذلك و لا بعد إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء؛ فسبّح عبد اللّه بن جعفر و القوم معه. و هما:

/

و لما رأت أنّ الشّريعة همّها # و أنّ البياض من فرائصها دامي[4]

تيمّمت العين التي عند ضارج # يفيء عليها الظّلّ عرمضها طامي[5]

حديث عبد اللّه بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق فأنقذهم اللّه بشعر امرئ القيس

:

-و لابن مسجح في هذا الشعر صوت و هذا أحسنهما-فلما فرغت قالت جميلة: أي سيّدي أزيدك؟قال: حسبي.

فقال بعض من كان معه: بأبي جعلت فداك!و كيف أنقذ اللّه من المسلمين جماعة بهذين البيتين؟قال: نعم، أقبل [1]جملة ظننت و ما بعدها حال من فاعل أتيت، و ليس من الضروري في مثل هذا المقام أن تقترن بالواو أو قد أو بها.

[2]هكذا في الأصول. و كلمة «إلى» في هذا المقام ظاهرة الزيادة.

[3]تحوّقوا حوله: استداروا حوله و أحاطوا به.

[4]الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب. وهمها: طلبها. و الفريضة: اللحم الذي بين الكتف و الصدر. و الفرائص أيضا:

العروق. و الضمير في رأت للحمر. يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة و أن تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت إلى «ضارج» لعدم الرماة على العين التي فيها. و «ضارج» : موضع في بلاد بني عبس. و العرمض: الطحلب.

و طام: مرتفع. «عن اللسان» مادة ضرج.

[5]ورد في «اللسان» (مادة ضرج) بعد إيراد هذه الرواية: «قال ابن بري: ذكر النحاس أن الرواية في البيت: يفيء عليها الطلح» .

قوم من أهل اليمن يريدون النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم فضلّوا[1]الطريق و وقعوا على غيرها و مكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء، و جعل الرجل منهم يستذري[2]بفيء السّمر و الطّلح يائسا من الحياة، إذ أقبل راكب على بعير له، و أنشد بعض القوم هذين البيتين فقال:

و لما رأت أن الشّريعة همّها # و أن البياض من فرائصها دامي

تيمّمت العين التي عند ضارج # يفيء عليها الظّلّ عرمضها طامي

فقال الراكب: من يقول هذا؟قال: امرؤ القيس. قال: و اللّه ما كذب؛ هذا ضارج عندكم، و أشار لهم إليه؛ فحبوا على الرّكب فإذا ماء[3]عذب و إذا عليه العرمض و الظلّ يفيء عليه، فشربوا منه ريّهم و حملوا ما اكتفوا به حتى بلغوا الماء، فأتوا/النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم/فأخبروه و قالوا: يا رسول اللّه، أحيانا اللّه عزّ و جلّ ببيتين من شعر امرئ القيس، و أنشدوه الشعر. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسيّ في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار» . فكلّ استحسن الحديث. و نهض عبد اللّه بن جعفر و نهض القوم معه. فما رأيت مجلسا كان أحسن منه.

سئل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقدّم إمرأ القيس
:

قال إسحاق: حدّثني بعض أهل العلم عن ابن عيّاش عن الشّعبيّ قال:

رأيت دغفلا النسّابة يحدّث أنه رأى العباس بن عبد المطّلب سأل عمر بن الخطّاب عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن[4]معان عور أصحّ بصرا[5]، قال إسحاق: معنى خسف: احتفر.

و هو من كندة من اليمن، و ليست لهم فصاحة مضر، و لا شعرهم بجيّد. فجعل معاني اليمن معاني عورا و ما قاله:

أصحّ بصرا[5]أي أجود شعرا. و معنى افتقر: احتفر. و الفقيرة: الحفيرة تحفر للفسيلة لتغرس. و كل ما ابتدأت حفره فهو فقير. و المعنى أنه قال شعرا جيّدا و ليس هو في معنى شعر مضر.

حديث جرير عن طرفة و امرئ القيس و زهير و ذي الرمة
:

و قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى:

سمعت أبي يقول: دخل جدّي على بعض ملوك بني أمية؛ فقال: أ لا تخبرني عن الشعراء؟قال بلى. قال: من أشعر الناس؟قال: ابن العشرين (يعني طرفة) . قال: فما تقول في امرئ القيس؟قال: اتخذ الخبيث الشعر نعلين، فأقسم باللّه لو أدركته لرفعت له ذلاذله[6]. قال: فما رأيك في ابن أبي سلمى؟قال: كان يبري/الشعر. قال: فما رأيك في ذي الرّمّة؟قال: قدر من طريف الكلام و غريبه و حسنه على ما لم يقدر عليه أحد حتى صنّف الشعر.

[1]في الأصول: «فأضلوا» . و لا يقال: أضللت الشيء إلاّ إذا ضاع منك. و أما إذا أخطأت موضع الشيء الثابت مثل الدار و المكان قلت: ضللته، و لا تقل: أضللته.

[2]يستذري: يستظل.

[3]في أ، م: «عدّ» . و الماء العدّ: الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين و ماء البئر.

[4]كذا في «لسان العرب» (مادة فقر) . و في الأصول: «من معان» .

[5]في جميع الأصول و اللسان: «أصح بصر» و لم يظهر له عندنا وجه.

[6]كذا في حـ. و الذلاذل: أسافل القميص الطويل، الواحد ذلذل. و في سائر الأصول: «زلازله» بزايين، و هو خطأ.

زيارة معبد و مالك لجميلة و غناء معبد و جميلة على طريقة واحدة ثم غناء كل منهم وحده

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيّوب بن عباية عن رجل من الأنصار قال: زار معبد مالك بن أبي السّمح؛ فقال له: هل لك أن نصير إلى جميلة؟فمضيا جميعا فقصداها؛ فأذنت لهما فدخلا، فأخرجت إليهما رقعة فيها أبيات، فقالت لمعبد: بعث بهذه الرقعة إليّ فلان أغنّي فيها[1]. فقال معبد: فابتدئي؛ فابدأت جميلة فغنّت:

صوت

إنما الدّلفاء همّي # فليدعني من يلوم

فغنّى معبد:

أحسن الناس جميعا # حين تمشي و تقوم

فغنّت جميلة:

حبّب الدّلفاء عندي # منطق منها رخيم

فغنّى معبد:

أصل الحبل لترضى # و هي للحبل صروم

فغنّت جميلة:

حبّها في القلب داء # مستكنّ لا يريم

طريقة واحدة-الشعر للأحوص. و ذكر ابن النّطاح أنه للبختريّ[2]العباديّ. و الغناء لمعبد، و له فيه لحنان خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن ابن/المكيّ، و ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و ذكر أحمد بن سعيد المالكيّ أن له فيه خفيف ثقيل آخر. و ذكر حمّاد بن إسحاق أن فيه لمالك و جميلة لحنين-و قالت لمعبد و لمالك: يغنّي كلّ واحد منكما لحنا مما عمله. فغنّاها معبد بشعر قاله فيها الأحوص يصفها به، و كان معجبا بها، و كانت هي له/مكرمة، و هو قوله: شأتك المنازل بالأبرق # دوارس كالعين في المهرق

لآل جميلة قد أخلقت # و مهما يطل عهده يخلق

فإن يقل الناس لي عاشق # فأين الذي هو لم يعشق

-في هذه الأبيات ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعطرّد، و ذكر ابن المكيّ أنه لجميلة.

و فيها خفيف رمل بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه لعطرّد أيضا و عمرو، و ذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوّل لابن [1]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «بها» .

[2]في ب، س: «للبحتري العبادي» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

عائشة. و ذكر حبش أنّ فيه خفيف ثقيل لمعبد و أن خفيف الرّمل لمالك-قال معبد: فسّرت جميلة بما غنّيتها به و تبسّمت و قالت: حسبك يا أبا عبّاد!و لم تكنني قبلها و لا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أخا طيّىء هات ما عندك و جنّبنا مثل قول عبد ابن قطن[1]؛ فاندفع و غنّى بلحن لها، و قد تغنّى به أيضا معبد لها. و اللحن: ألا من لقلب لا يملّ فيذهل # أفق فالتعزّي عن بثينة أجمل

فما هكذا أحببت من كان قبلها # و لا هكذا فيما مضى كنت تفعل

فإنّ التي أحببت قد حيل دونها # فكن حازما و الحازم المتحوّل

-لحن جميلة هكذا ثقيل أوّل بالبنصر. و فيه ألحان عدّة مع أبيات أخر من القصيدة، و هي لجميل-فقالت جميلة: أحسنت و اللّه في غنائك و في الأداء عنّى. /أمّا قوله: «شأتك» فأراد بعدت عنك. و الشّأو: البعد، يقال: جرى الفرس شأوا أو شأوين أي طلقا أو طلقين. و المهرق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، و الجمع مهارق؛ قال ذو الرمّة: كمستعبر في رسم دار كأنّها # بوعساء تنضوها الجماهير[2]مهرق

الذلفاء التي شبب بها الأحوص

:

و العين أن تتعيّن الإداوة أو القربة التي تخرز و يسيل الماء عن عيون الخرز. فشبّه ما بقي من الدار بتعيّن القربة و طرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئا بعد شيء. فأما الذّلفاء التي ذكرت فيها فهي التي فتن بها أهل المدينة.

و قال بعض من كانت عنده بعد ما طلّقها:

لا بارك اللّه في دار عددت بها # طلاق ذلفاء من دار و من بلد

فلا يقولن ثلاثا قائل أبدا # إني وجدت ثلاثا أنكد العدد

فكان إذا عدّ شيئا يقول: واحد اثنان أربعة و لا يقول ثلاثة.

حديث بثينة لها عن عفة جميل و عن حالها لما سمعت نعيه

:

و قالت جميلة: حدّثتني بثينة-و كانت صدوقة[3]اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة البطن و الفرج- قالت: و اللّه ما أرادني جميل رحمة اللّه عليه بريبة قطّ و لا حدّثت أنا نفسي بذلك منه. و إنّ الحيّ انتجعوا موضعا، و

إني لفي هودج لي أسير إذا أنا بها تف ينشد أبياتا، فلم أتمالك أن رميت بنفسي و أهل الحيّ ينظرون، فبقيت أطلب المنشد فلم أقف عليه، فناديت: أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه؟و أنا أحسبه قد قضى نحبه و مضى لسبيله، فلم يجيبني مجيب؛ فناديت ثلاثا، و في كل ذلك لا يردّ عليّ أحد شيئا. فقال صواحباتي: أصابك يا بثينة طائف /من الشيطان؟فقلت: كلاّ!لقد سمعت قائلا يقول!قلن: /نحن معك و لم نسمع!فرجعت فركبت مطيّتي و أنا حيرى والهة العقل كاسفة البال، ثم سرنا. فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه، فرميت بنفسي و سعيت إلى الصوت، فلما قربت منه انقطع؛ فقلت: أيها الهاتف، ارحم حيرتي و سكّن عبرتي بخبر هذه [1]تعني معبدا، إذ هو مولى ابن قطن.

[2]الوعساء: الرملة اللينة. و الجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع.

[3]التاء في صدوقة اللسان لتوكيد المبالغة؛ فإن «فعولا» بمعنى الفاعل لا تلحقه التاء الفارقة بين المؤنث و المذكر. ـ

الأبيات؛ فإن لها شأنا!فلم يردّ عليّ شيئا. فرجعت إلى رحلي فركبت و سرت و أنا ذاهبة العقل؛ و في كل ذلك لا يخبرني صواحباتي أنهنّ سمعن شيئا. فلما كانت الليلة القابلة نزلنا و أخذ الحيّ مضاجعهم و نامت كلّ عين، فإذا الهاتف يهتف بي و يقول: يا بثينة، أقبلي إليّ أنبئك عمّا تريدين. فأقبلت نحو الصوت، فإذا شيخ كأنه من رجال الحيّ، فسألته عن اسمه و بيته. فقال: دعي هذا و خذي فيما هو أهمّ عليك[1]. فقلت له: و إن هذا لممّا يهمّني.

قال: اقنعي بما قلت لك. قلت له: أنت المنشد الأبيات؟قال نعم. قلت: فما خبر جميل؟قال: نعم فارقته و قد قضى نحبه و صار إلى حفرته رحمة اللّه عليه. فصرخت صرخة آذنت[2]منها الحيّ، و سقطت لوجهي فأغمي عليّ، فكأنّ صوتي لم يسمعه أحد، و بقيت سائر ليلتي، ثم أفقت عند طلوع الفجر و أهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، و رفعت صوتي بالعويل و البكاء و رجعت إلى مكاني. فقال لي أهلي: ما خبرك و ما شأنك؟فقصصت عليهم القصّة. فقالوا: يرحم اللّه جميلا. و اجتمع نساء الحيّ و أنشدتهنّ الأبيات فأسعدنني بالبكاء، فأقمن[3]كذلك لا يفارقنني ثلاثا، و تحزّن الرجال أيضا و بكوا و رثوه و قالوا كلّهم: يرحمه اللّه، فإنه كان عفيفا صدوقا!فلم أكتحل بعده بإثمد و لا فرقت رأسي بمخيط[4]و لا مشط و لا دهنته إلا من صداع خفت على/بصري منه و لا لبست خمارا مصبوغا و لا إزارا و لا أزال أبكيه إلى الممات. قالت جميلة: فأنشدتني الشعر كلّه و هذا الغناء بعضه، و هو:

ألا من لقلب لا يملّ فيذهل # أفق فالتعزّي عن بثينة أجمل

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت و غنى هو و معبد و مالك بشعر حاتم الطائي

:

قال ابن سلاّم حدّثني جرير قال:

زار ابن سريج جميلة ليسمع منها و يأخذ عنها. فلما قدم عليها أنزلته و أكرمته و سألته عن أخبار مكة فأخبرها.

و بلغ معبدا الخبر[5]. [و كانت تطارحه و تسأله عن أخبار مكة فيخبرها]. و كانت عندها جارية محسنة لبقة ظريفة، فابتدأت تطارحها. فقال ابن سريج: سبحان اللّه!نحن كنّا أحقّ بالابتداء. قالت جميلة: كلّ إنسان في

بيته أمير و ليس للداخل أن يتأمّر عليه. فقال ابن سريج: صدقت جعلت فداءك!و ما أدري أيّهما أحسن أدبك أم غناؤك!.

فقالت له: كفّ يا عبيد، فإنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «احثوا في وجوه المدّاحين التراب» [6]. فسكت ابن سريج. و طارحت الجارية بشعر حاتم الطائي:

أ تعرف آثار الديار توهّما[7] # كخطّك في رقّ كتابا منمنما

[1]يريد: فيما هو أجدى عليك.

[2]في ب، س: «آذيت» و هو تصحيف.

[3]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «فلم نزل كذلك إلخ» .

[4]لعله: «بخيط» .

[5]هذه الجملة المحصورة بين قوسين وردت في ب، س، حـ. و في سائر الأصول: «و بلغ معبدا الخبر فوجد عندها جارية إلخ» .

[6]المراد بالمداحين هنا الذين عادتهم مدح الناس لغرض من الأغراض كتحصيل المال أو الجاه، و أما المدح على الفعل الحسن للتحريض على عمل الخير فليس منه. و حثو التراب في وجوههم، يراد به تجنبهم و ترك التحفي بهم.

[7]رواية هذا الشطر في «ديوانه» : أ تعرف أطلالا و نؤيا مهدّما.

أذاعت به الأرواح[1]بعد أنيسها # شهورا و أيّاما و حولا مجرّما[2]

فأصبحن[3]قد غيّرن ظاهر تربه # و غيّرت الأنواء ما كان معلما

/و غيّرها طول التقادم و البلى # فما أعرف الأطلال إلا توهّما

قال[4]: فحدّثت أنه حضر ذلك المجلس جماعة من حذّاق أهل الغناء، فكلّهم قال: مزامير داود!. قال ابن سريج لها: أ فأسمعك صوتا لي في هذا الشعر؟قالت: هاته؛ فغنّى: ديار التي قامت تريك و قد عفت # و أقوت من الزّوّار كفّا و معصما

تهادى عليها حليها ذات بهجة # و كشحا كطيّ السابريّة[5]أهضما

فبانت لطيّات[6]لها و تبدّلت # به بدلا مرّت به الطير أشؤما

و عاذلتان هبّتا بعد هجعة # تلومان متلافا مفيدا ملوّما

قالت جميلة: أحسنت يا عبيد، و قد غفرنا لك زلّتك لحسن غنائك. قال معبد: جعلت فداءك!أ فلا أسمعك أنا أيضا لحنا عملته في هذا الشعر؟قالت: هات و إنّي لأعلم أنك تحسن. فاندفع فغنّى: فقلت و قد طال العتاب عليهما # و أوعدتاني أن تبينا و تصرما

ألا لا تلوماني على ما تقدّما # كفى بصروف الدّهر للمرء محكما

تلومان لما غوّر النجم ضلّة # فتى لا يرى الإنفاق في الحقّ مغرما[7]

قالت جميلة: ما عدوت الظنّ بك و لا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها. قال: مالك: أ فلا أغنّيك أنا أيضا؟قالت: ما علمتك إلاّ تجيد الغناء و تحسن، فهات. فاندفع فغنّى في هذا الشعر: يضيء لنا البيت الظّليل[8]خصاصه[9] # إذا هي ليلا حاولت أن تبسّما

/إذا انقلبت[10]فوق الحشيّة مرّة # ترنّم وسواس الحليّ ترنّما

و نحرا كفاثور[11]اللّجين يزينه # توقّد ياقوت و شذر[12]منظّما

[1]الأرواح: جمع ريح. و اذاعت به الأرواح أي أذهبته و طمست معالمه، و منه قول الراعي: ربع قواء أذاع المعصرات به

[2]حولا مجرّما: تاما كاملا.

[3]رواية «الديوان» : دوارج قد غيرن إلخ» .

[4]في الأصول: «قالت» .

[5]السابرية: الثياب الرقيقة. و الأهضم: اللطيف الكشح.

[6]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «فبانت لآيات به... إلخ» .

[7]يقع هذا البيت في «الديوان» قبل البيتين السابقين.

[8]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «يضيء لها البيت القليل إلخ» .

[9]الخصاص: المنافذ.

[10]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «انصرفت» و هو تحريف.

[11]الفاثور: الخوان الذي يتخذ من فضة، و به يشبه الصدر الواسع.

[12]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «و شذرا» و السياق يقتضي أن يكون معطوفا على ياقوت. و هذا البيت في «ديوانه» بعد قوله: «و كشحا كطيّ السابرية أهضما» . و الشذر: اللؤلؤ الصغير و الخرز يفصل به بين الجواهر في النظم.

كجمر الغضى هبّت[1]به بعد هجعة # من الليل أرواح الصّبا فتنسّما[2]

فقالت: جميل ما قلت و حسن ما نظمت، و إنّ صوتك يا مالك لممّا يزيد العقل قوّة و النفس طيبا و الطبيعة سهولة، و ما أحسب أن مجلسنا هذا إلاّ سيكون علما و في آخر الزمان متواصفا؛ و الخبر ليس كالمشاهدة، و الواصف ليس كالمعاين و خاصّة في الغناء.

زارها ابن أبي عتيق و ابن أبي ربيعة و الأحوص فغنّتهم :

و حدّثني الحسن بن عتبة اللّهبيّ قال حدّثني من رأى ابن أبي عتيق و ابن أبي ربيعة و الأحوص بن محمد الأنصاريّ و قد أتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فأذنت لهم، فلما جلسوا سألت عمر و أحفت؛ فقال لها: إنّي قصدتك من مكة للسلام عليك. فقالت له: أهل الفضل أنت. قال: و قد أحببت أن تفرّغي لنا نفسك اليوم و تخلي لنا مجلسك؛ قالت: أفعل. قال لها الأحوص: أحبّ ألاّ تغنّي إلاّ ما أسألك. قالت: ليس المجلس لك، و القوم شركاؤك فيه. قال: أجل. قال عمر: إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن. قال الأحوص: كلاّ!. قال عمر: فإنّي أرى أن نجعل الخيار إليها. قال ابن أبي عتيق: وفّقك اللّه. فدعت بالعود و غنّت: /

تمشي الهوينى إذا مشت فضلا # مشي النّزيف المخمور في الصّعد[3]

تظلّ من زور[4]بيت جارتها # واضعة كفّها على الكبد

/يا من لقلب متّيم سدم # عال رهين مكلّم كمد[5]

أزجره و هو غير مزدجر # عنها و طرفي مكحّل السّهد

فلقد سمعت للبيت زلزلة و للدار همهمة. فقال عمر: للّه درّك يا جميلة!ما ذا أعطيت!أنت أوّل الغناء و آخره!. ثم سكتت ساعة و أخذوا في الحديث، ثم أخذت العود و غنّت: شطّت سعاد و أمسى البين قد أفدا # و أورثوك سقاما يصدع الكبدا

لا أستطيع لها هجرا و لا ترة # و لا تزال أحاديثي بها جددا

-الغناء فيه لسياط خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لم يذكر حبش لحن جميلة. و ذكر إبراهيم أن فيه لحنا لحكم الوادي. و ذكر الهشاميّ و ابن خرداذبه أنه من ألحان عمر بن عبد العزيز بن مروان في سعاد[6]و أن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى. و ذكر إبراهيم

أن لابن جامع فيه أيضا صنعة-فاستخفّ[7]القوم أجمعين، و صفقوا بأيديهم و فحصوا بأرجلهم و حرّكوا رءوسهم، و قالوا: نحن فداؤك من السوء و وقاؤك من المكروه، ما أحسن ما غنّيت و أجمل ما قلت!. و أحضر الغداء فتغدّى القوم بأنواع من الأطعمة الحارّة و الباردة و من الفاكهة [1]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «له» .

[2]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «فتبسما» و هو تصحيف.

[3]تمشي فضلا أي تمشي مبتذلة في ثوب واحد. و النزيف: السكران. و الصعد: الصعود و الارتفاع و يريد هنا المكان العالي.

[4]الزور. مصدر كالزيارة.

[5]السدم: الشديد العشق المهموم الحزين. و المكلم: المجرح.

[6]راجع هذه الألحان في «ج 8 ص 158 من الأغاني طبع بلاق» .

[7]مرجع الضمير في «استخف» الغناء المفهوم من قوله: «و غنت» .

الرّطبة و اليابسة، ثم دعت بأنواع من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، و قال ابن أبي عتيق مثل ذلك، فقال الأحوص: لكنّني أشرب؛ و ما جزاء جميلة أن يمتنع/من شرابها!. قال عمر: ليس ذلك كما ظننته. قالت جميلة: من شاء أن يحملني بنفسه و يخلط روحي بروحه شكرناه، و من أبى ذلك عذرناه، و لم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه و الأنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسن بنا إلا مساعدتك. قال عمر: لا أكون أخسّكم، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعا مطيعا. فشرب القوم أجمعون. فغنّت صوتا بشعر لعمر: و لقد قالت لجارات لها # كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عنّي الظّلّ لا يتبعني # و مضت تسعى إلى قبّتها

لم تعانق[1]رجلا فيما مضى # طفلة غيداء في حلّتها

لم يطش قطّ لها سهم و من # ترمه لا ينج من رميتها

-لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. و ذكر الهشاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ رملا بالبنصر. و ذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سريج رملا بالوسطى- فصاح عمر: ويلاه!ويلاه!ثلاثا ثم عمد إلى جيب قميصه فشقّه إلى أسفله فصار قباء، ثم آب إليه عقله فندم و اعتذر و قال: لم أملك من نفسي شيئا. قال القوم: قد أصابنا كالذي[2]أصابك و أغمي علينا، غير أنّا فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلة بثياب فخلعتها على عمر، فقبلها و لبسها، و انصرف القوم إلى منازلهم. و كان عمر نازلا على ابن أبي عتيق، فوجّه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم و بعشرة أثواب كانت معه، فقبلتها جميلة. و انصرف عمر إلى مكة جذلان مسرورا.

حجت و معها الشعراء و المغنون و المغنيات و وصف ركبها في مكة و في المدينة حين آبت من الحج

:

قال إسحاق و حدّثني أبي عن سياط و ابن جامع عن يونس قالا[3]: حجّت جميلة، و أخبرني/إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق/ابن إبراهيم قال حدّثني أبي عن سياط و ابن جامع عن يونس الكاتب، و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدّمشقيّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قالوا جميعا: إنّ جميلة حجّت- و قد جمعت رواياتهم لتقاربها، و أحسب الخبر كلّه مصنوعا و ذلك بيّن فيه- فخرج معها من المغنّين مشيّعين حتى وافوا مكة و رجعوا معها من الرجال

المشهورين الحذّاق بالغناء هيت[4]و طويس و الدّلال و برد الفؤاد و نومة الضّحى و فند و رحمة[5]و هبة اللّه-هؤلاء مشايخ و كلّهم طيّب الغناء-و معبد و مالك و ابن عائشة و نافع بن طنبورة و بديح المليح و نافع الخير، و من المغنّيات الفرهة[و][6]عزّة الميلاء و حبابة و سلاّمة و خليدة [1]في أ، م، ء: «لم تعاين» .

[2]في جـ: «كل الذي أصابك» .

[3]في الأصول: «قال» .

[4]كذا في الأصول و «المشتبه في أسماء الرجال» ، و ذهب جماعة إلى أنه «هنب» (بالنون و الباء) . و قد رجح الأزهريّ أنه بالياء و التاء، و احتج برواية الشافعي له هكذا. (راجع «القاموس و شرحه و اللسان» مادتي هنب و هيت) .

[5]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «رحة» .

[6]التكملة عن «نهاية الأرب» (ج 5 ص 44 من الطبعة الأولى) » .

و عقيلة و الشّمّاسيّة و فرعة و بلبلة[1]و لذّة العيش و سعيدة و الزّرقاء، و من غير المغنّين ابن أبي عتيق و الأحوص و كثيّر عزّة و نصيب و جماعة من الأشراف، و كذلك من النساء من مواليها و غيرهنّ[2]. و أما سياط فذكر أنه حجّ معها من القيان مشيّعات لها و معظّمات لقدرها و لحقّها زهاء خمسين قينة، وجّه بهنّ مواليهنّ معها فأعطوهنّ النفقات و حملوهنّ على الإبل في الهوادج و القباب و غير ذلك؛ فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهنّ درهما فما فوقه حتى رجعن. و أما يونس فذكر أنه حجّ معها من الرجال المغنين مع من سمّينا زهاء ثلاثين رجلا، و تخايروا في اتخاذ أنواع اللّباس العجيب الظّريف و كذلك في الهوادج و القباب. و قيل، فيما/قال أهل المدينة، : إنهم ما رأوا مثل[3]ذلك الجمع سفرا طيبا و حسنا و ملاحة. قالوا: و لما قاربوا مكة تلقّاهم سعيد بن مسجح و ابن سريج و الغريض و ابن محرز و الهذليّون و جماعة من المغنّين من أهل مكة و قيان كثير لم يسمّين لنا، و من غير المغنّين عمر بن أبي ربيعة و الحارث بن خالد المخزوميّ و العرجيّ و جماعة من الأشراف. فدخلت جميلة مكة و ما بالحجاز مغنّ حاذق و لا مغنّية إلا و هو معها و جماعة من الأشراف ممن سمّينا و غيرهم من الرجال و النساء. و خرج أبناء أهل مكة من الرجال و النساء ينظرون إلى جمعها و حسن هيئتهم. فلما قضت حجّها سألها المكيّون أن تجعل لهم مجلسا. فقالت: للغناء أم للحديث؟قالوا: لهما جميعا. قالت: ما كنت لأخلط جدّا بهزل، و أبت أن تجلس للغناء. فقال عمر بن أبي ربيعة: أقسمت على من كان في قلبه حبّ لاستماع غنائها إلاّ خرج معها إلى المدينة، فإني خارج. فعزم القوم الذين سمّيناهم كلّهم على الخروج و معهم جماعة ممّن نشط، فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة. فلما قدمت المدينة تلقّاها أهلها و أشرافهم من الرجال و النساء، فدخلت أحسن مما خرجت به منها، و خرج الرجال و النساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها و إلى القادمين معها. فلما دخلت منزلها و تفرّق الجمع إلى منازلهم و نزل أهل مكة على أقاربهم و إخوانهم أتاها الناس مسلّمين، و ما استنكف من ذلك كبير و لا صغير. فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء؛ فقالت لعمر بن أبي ربيعة: إني جالسة لك و لأصحابك، و إذا شئت/فعد الناس لذلك اليوم، فغصّت الدار بالأشراف من الرجال و النساء. فابتدأت جميلة فغنّت صوتا بشعر عمر:

وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج

:

/

هيهات من أمة الوهّاب منزلنا # إذا حللنا بسيف البحر من عدن

و احتلّ أهلك أجيادا[4]فليس لنا # إلا التذكّر أو حظّ من الحزن

لو أنها أبصرت بالجزع عبرته # و قد تغرّد قمريّ على فنن

إذا رأت غير ما ظنّت بصاحبها # و أيقنت أن عكّا[5]ليس من وطني

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها # و موقفي و كلانا ثمّ ذو شجن

[1]في «نهاية الأرب» : «نبيلة» .

[2]في الأصول: «و غيرهم» و مرجع الضمير جمع مؤنث.

[3]في حـ: «قبل ذلك الجمع» .

[4]أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

[5]كذا في ب، س و «ديوانه» . و روايته فيما تقدّم (جـ 1 ص 111 من هذه الطبعة) : «أن لحجا... » . وعك: قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن. و لحج: مخلاف باليمن. و في سائر الأصول هنا: «أن نجحا... » و هو محرّف عن «لحج» .

و قولها للثّريّا و هي باكية[1] # و الدمع منها على الخدّين ذو سنن

باللّه قولي له في غير معتبة # ما ذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها # فما أصبت بترك الحجّ من ثمن

فكلّهم استحسن الغناء، و ضجّ القوم من حسن ما سمعوا. و يقال: إنهم ما سمعوا غناء قطّ أحسن من غنائها ذلك الصوت في ذلك اليوم. و دمعت عين عمر حتى جرى الدمع على ثيابه و لحيته. و إنه ما رئي عمر كذلك في محفل غيره[2]قطّ. ثم أقبلت على ابن سريج فقالت: هات؛ فاندفع يغنّي و رفع صوته بشعر عمر[3]:

غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر

:

أ ليست بالتي قالت # لمولاة لها ظهرا

أشيري بالسلام له # إذا هو نحونا نظرا

و قولي في ملاطفة # لزينب نوّلي عمرا

و هذا سحرك النّسوا # ن قد خبّرتني الخبرا

غناء ابن مسجح

:

فسمع من ابن سريج في هذا اللّحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله. ثم قالت لسعيد بن مسجح: هات يا أبا عثمان؛ فاندفع فغنّى: قد قلت قبل البين لمّا خشيته # لتعقب ودّا أو لتعلم ما عندي

لك الخير هل من مصدر تصدرينه[4] # يريح كما سهّلت لي سبل الورد

فلمّا شكوت الحبّ صدّت كأنّما # شكوت الذي ألقى إلى حجر صلد

تولّت فأبدت غلّة دون نقعها # كما أرصدت من بخلها إذا بدا وجدي

غناء معبد

:

فاستحسن ذلك منه و برع فيه. ثم قالت: يا معبد هات؛ فغنّى: أحارب من حاربت من ذي عداوة # و أحبس مالي إن غرمت فأعقل[5]

و إنّي أخوك الدائم العهد لم أحل # إن ابزاك[6]خصم أو نبا بك منزل

[1]في «الديوان» : «و قولها للثريا يوم ذي خشب» .

[2]في ب، س: في محفل و لا غيره «قط» و هو تحريف.

[3]في الأصول ما خلا جـ: «و رفع صوته بشعر عمر فقال» بزيادة «فقال» .

[4]يقال: صدر هو و صدر غيره و أصدره. فالثلاثي يتعدى و يلزم.

[5]يريد: فأعقل عنه. يقال: عقل عنه إذا غرم ما لزمه من دية. و أما عقلته فمعناه دفعت ديته. و معنى البيت: إن أصابك غرم حبست مالي عليك و احتملت فيه الثقل عنك.

[6]لم أحل: لم أتغير. و أبزاك خصم، يحتمل أن يكون معناه قهرك و غلبك، من أبزيت بفلان إذا بطشت به و قهرته. و يجوز أن يكون «أبزي» منقولا بالألف عن بزي يبزي بزى (كفرح) . و البزى هو دخول الظهر و خروج البطن. و يكون المعنى: إن خفض منك خصم

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني # يمينك فانظر أيّ كفّ تبدّل

قالت جميلة: أحسنت يا معبد اختيار الشعر و الغناء-هذا الشعر لمعن[1]بن أوس-

غناء ابن محرز

:

ثم قالت: هات يا ابن محرز؛ فإنّي لم أؤخّرك لخساسة بك و لا جهلا بالذي يجب في الصناعة، و لكنّني رأيتك تحبّ من الأمور كلّها أوسطها و أعدلها، فجعلتك حيث تحبّ واسطة بين/المكيّين و المدنيّين. فغنّى: وقفت بربع قد تحمّل أهله # فأذريت دمعا يسبق الطّرف هامله

/بسائلة الرّوحاء أو بطن مثغر[2] # لها الضاحكات الرابيات سواهله[3]

هو الموت إلاّ أن للموت مدّة # متى يلق يوما فارغا فهو شاغله

غناء الغريض

:

فقالت جميلة: يا أبا الخطّاب، كيف بدا لك في ثلاثة[4]و أنت لا ترى ذلك؟!قال: أحببت أن أواسي معبدا. قال معبد: و اللّه ما عدوت ما أردت[5]. ثم قالت للغريض: هات يا مولى العبلات فاندفع يغنّي: فوا ندمي على الشّباب و وا ندم # ندمت و بان اليوم منّي بغير ذم

و إذ إخوتي حولي و إذ أنا شائخ # و إذ لا أجيب العاذلات من الصّمم

أرادت عرارا[6]بالهوان و من يرد # عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم

قالت جميلة: أحسن عمرو بن شأس و لم تحسن إذا أفسدت غناءك بالتعريض. و اللّه ما وضعناك إلاّ موضعك و لا نقصنا من حظّك!فبما ذا أهنّاك!ثم أقبلت على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدقوه و عرّفوه نفسه ليقنع بمكانه.

فأقبل القوم عليه و قالوا له: قد أخطأت إن كنت عرّضت. فقال: قد كان ذلك، و لست بعائد. و قام إلى جميلة فقبّل طرف ثوبها و اعتذر فقبلت عذره و قالت له: لا تعد. ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت: يا أبا جعفر هات؛ فتغنّى بشعر النابغة[7]: و حملك من الثقل ما يبزى له ظهرك فلا تطيق الثبات تحته و النهوض به.

[1]شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية و الإسلام، و له ترجمة في «الأغاني (جـ 10 طبع بلاق) » .

[2]مثغر: ماء لجهينة.

[3]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «سواحله» و كلتا الروايتين غير واضحة.

[4]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «في ثالثة» .

[5]هكذا في الأصول: و المراد في هذه الجملة كلها غير واضح.

[6]هو عرار بن عمرو بن شأس. و قد ورد في أكثر كتب الأدب، «كالحماسة» و «الكامل للمبرد» و «الشعر و الشعراء» و «طبقات ابن سلام» ، مضبوطا بالقلم بكسر العين. و ضبطه شارح «القاموس» فقال: هو كسحاب. و هو ابن عمرو بن شأس من أمة له سوداء، و كان بينه و بين زوج أبيه أم حسان نزاع و خصام، فقد كانت تؤذيه و تعيره و تشتمه. و حاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها.

[7]في الأصول: «بشعر حسان» و هو خطأ، فهذا الشعر للنابغة الذبياني و ليس لحسان. « (راجع «ديوان النابغة» طبع باريس و «شعراء النصرانية» ، و «معجم ما استعجم» للبكري، و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على جولان») .

غناء ابن عائشة

:

/

سقى الغيث قبرا بين بصرى و جاسم[1] # عليه من الوسميّ جود و وابل

و أنبت حوذانا[2]و عوفا منوّرا # سأتبعه من خير ما قال قائل

بكى حارث الجولان[3]من هلك ربّه # فحوران منه خاشع متضائل

و ما كان بيني لو لقيتك سالما # و بين الغنى إلاّ ليال قلائل[4]

غناء نافع و بديح

:

قالت جميلة: حسن ما قلت يا أبا جعفر. ثم أقبلت على نافع و بديح فقالت: أحبّ أن تغنّياني صوتا واحدا؛ فغنّيا جميعا بصوت واحد و لحن واحد: ألا يا من يلوم على التصابي # أفق شيئا لتسمع من جوابي

بكرت تلومني في الحبّ جهلا # و ما في حبّ مثلي من معاب

/أ ليس من السعادة غير شكّ # هوى متواصلين على اقتراب

كريم نال ودّا في عفاف # و ستر من منعّمة كعاب

غناء الهذليين الثلاثة

:

فقالت جميلة: هواكما و اللّه واحد و غناؤكما واحد، و أنتما نحتّما من بقيّة الكرم و واحد الشرف: عبد[5]اللّه بن جعفر بن أبي طالب. ثم أقبلت على الهذليّين الثلاثة فقالت: غنّوا صوتا واحدا؛ فاندفعوا فغنّوا بشعر عنترة العبسيّ: [1]كذا في «ديوانه» و «شعراء النصرانية» و «معجم ما استعجم» . و بصري و جاسم: موضعان بالشأم. و في الأصول: «فلا زال قبر بين بثي و جلق» . و جلق: دمشق، و قيل موضع بقرية من قرى دمشق، و قيل غير ذلك. و أما «بثنى» فلم نقف في المراجع التي بين أيدينا إلا على «بثنة» و هي ناحية من نواحي دمشق.

[2]الحوذان: نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء في أصلها صفرة، و ورقته مدوّرة. و العوف: نبت طيب الرائحة.

[3]الجولان (بالفتح و السكون) : قرية، و قيل: جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران. قال ابن دريد: يقال للجبل: حارث الجولان، و قيل: حارث قلة فيه. و حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كبيرة و مزارع و حرار، و ما زالت منازل العرب، و ذكرها في أشعارهم كثير، و قصبتها بصرى.

[4]هذا البيت ليس من شعر النابغة، و إنما هو من قصيدة للحطيئة يرثي بها علقمة بن علاثة والي حوران من قبل عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. و منها-كما في «الأغاني» (جـ 15 ص 58 طبع بلاق) » و «المعجم البلدان» لياقوت في الكلام على حوران-: لعمري لنعم المرء من آل جعفر # بحوران أمسى أعلقته الحبائل

و أما بيت النابغة فهو-كما في «ديوانه» طبع أوروبا و «شرح الشواهد الكبرى» للعيني المطبوع على هامش خزانة الأدب 4 ص 167 طبع بلاق-: فما كان بين الخير لو جاء سالما # أبو حجر إلاّ ليال قلائل

و هو من القصيدة التي ذكر المؤلف منها هذه الأبيات و التي مطلعها:

دعاك الهوى و استجهلنك المنازل # و كيف تصابي المرء و الشيب شامل

يرثي بها النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني. و أبو حجر (بالضم) كنيته، و حرك في البيت لضرورة الشعر.

[5]في «ب، س» : «... و واحد الشرف عنت عبد اللّه... » . ـ

حيّيت من طلل تقادم عهده # أقوى و أقفر بعد أمّ الهيثم

كيف المزار و قد تربّع أهلها # بعنيزتين[1]و أهلنا بالغيلم

/إن كنت أزمعت الفراق فإنما # زمّت ركابكم بليل مظلم

شربت بماء الدّحرضين[2]فأصبحت # زوراء تنفر عن حياض الدّيلم

غناء نافع بن طنبورة

:

قالت: ما رأيت شيئا أشبه بغنائكم من اتّفاق أرواحكم. ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت: هات يا نقش الغضار[3]و يا حسن اللسان؛ فاندفع يغنّي: يا طول ليلي و بتّ لم أنم # و سادي الهمّ مبطن سقمي

أن قمت يوما على البلاط فأبـ # صرت رقاشا و ليت لم أقم

فقالت جميلة: حسن و اللّه-و لابن سريج في هذا اللحن أربعة أبيات في صوت-

غناء مالك بن أبي السمح

:

ثم قالت: يا مالك هات؛ فإنّي لم أؤخّرك لأنك في طبقة آخرهم، و لكنّي أردت أن/أختم بك يومنا تبرّكا بك و كي يكون أوّل مجلسنا كآخره و وسطه كطرفه، و إنك عندي و معبدا لفي طريقة واحدة و مذهب واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالم و لا ينكره إلا عاضل. الحقّ أقول، فمن شاء فلينكر؛ فسكت القوم كلّهم إقرارا لما قالت. و اندفع يغنّي: عدوّ لمن عادت و سلّم لسلمها # و من قرّبت سلمى أحبّ و قرّبا

هبيني امرأ إمّا بريئا ظلمته # و إمّا مسيئا تاب بعد[4]و أعتبا

أقول التماس العذر لمّا ظلمتني # و حمّلتني ذنبا و ما كنت مذنبا

ليهنئك إشمات العدوّ بهجرنا # و قطعك حبل الوصل حتى تقضّبا

اليوم الثاني من أيام المدينة و غناء طويس

:

قالت جميلة: ليت صوتك يا مالك قد دام لنا و دمنا له. و قطعت المجلس و انصرف عامّة الناس و بقي خواصّهم.

فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعا. فقالت لطويس: هات يا أبا عبد النّعيم. قال: فأنكر ما فعلت جميلة في [1]عنيزة: موضع بين البصرة و مكة. و الغيلم: موضع في ديار بني عبس.

[2]الياء بمعنى «من» أي شربت من ماء الدحرضين. و الدحرضان: اسم موضع، و قيل: هما وسيع و دحرض. ماءان ثناهما بلفظ الواحد كما يقال القمران للشمس و القمر. فدحرض لآل الزبرقان بن بدر، و وسيع لبني أنف الناقة. و الديلم: الأعداء، و قيل: حياض الديلم بالغور، أو ماءة لبني عبس، و فيه غير ذلك أقوال كثيرة يرجع إليها في «اللسان» (مادة دلم) و في «شرح التبريزي على المعلقات» .

[3]الغضار: الطين اللازج الأخضر، و هو لقب له.

[4]كذا في «نهاية الأرب» للنويري (جـ 5 ص 47 من طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى) . و في الأصول: «منه» .

اليوم الأوّل؛ لأنّ طويسا لم يكن يرضى بذلك. فأخبرني ابن جامع أن جميلة صنّفتهم[1]طويسا[2]و أصحابه و ابن سريج و أصحابه، ثم أقرعت بينهم؛ فخرجت القرعة الأولى لابن سريج و أصحابه و الثانية لطويس و أصحابه. فابتدأ طويس[3]فغنّى: قد طال ليلي و عاد لي طربي # من حبّ خود كريمة الحسب

غرّاء مثل الهلال آنسة # أو مثل تمثال صورة الذّهب

صادت فؤادي بجيد مغزلة[4] # ترعى رياضا ملتفّة العشب

غناء الدلال

:

فقالت جميلة: حسن و اللّه يا أبا عبد النّعيم. ثم قالت للدّلال: هات يا أبا يزيد؛ فاندفع فغنّى: قد كنت آمل فيكم أملا # و المرء ليس بمدرك أمله

حتى بدا لي منكم خلف # فزجرت قلبي فارعوى جهله[5]

ليس الفتى بمخلد أبدا # حيّا و ليس بفائت أجله

حيّ البغوم و من بعقوتها[6] # وقفا العمود و إن خلا أهله[5]

غناء برد الفؤاد و نومة الضحى

:

قالت: حسن و اللّه يا أبا يزيد. ثم قالت لهيت: إنّا نجلّك اليوم لكبر سنّك و رقّة عظمك. قال: أجل يا ماما. ثم قالت لبرد الفؤاد و نومة الضّحى: هاتيا جميعا لحنا واحدا؛ فغنّيا[7]: /

إني تذكّرت فلا تلحنى # لؤلؤة مكنونة تنطق

مسكنها طيبة لم يغذها # بؤس و لا وال بها يخرق

قد قلت و العيس سراع بنا # ترقل إرقالا و ما تعنق[8]

يا صاحبي شوقي أرى قاتلي # و موردي منها جوى يقلق

غناء فند و رحمة و هبة اللّه

:

قالت جميلة: أحسنتما. ثم قالت لفند و رحمة و هبة اللّه: هاتوا جميعا صوتا واحدا فإنكم متّفقون في الأصوات و الألحان؛ فاندفعوا فغنّوا: [1]كذا

في أكثر الأصول. و في ب، س: «صفتهم طبقتين طويس... » و المعنى مستقيم على كلتا الروايتين.

[2]في الأصول: «طويس» بالرفع. و الإبدال في هذا المقام خير من القطع.

[3]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فابتدأ طويس و أصحابه فغنى» .

[4]المغزلة: الظبية ذات الغزال.

[5]تحريك عين الثلاثي الساكن إذا كان من الحروف الحلقية شائع كثير في الشعر و في النثر أيضا.

[6]العقوة: ساحة الدار. و العمود: هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر. و قفاه: وراءه.

[7]في الأصول: «فغنتا» بتاء التأنيث و هو تصحيف.

[8]الإرقال: السير السريع. و الإعناق: السير المنبسط.

أشاقك من نحو العقيق بروق # لوامع تخفى تارة و تشوق

و ما لي لا أهوى جواري بربر # و روحي إلى أرواحهن تتوق

لهنّ جمال فائق و ملاحة # و دلّ على دلّ النساء يفوق

/و كان بربر حاضرا، فقال: جواريّ و اللّه على ما وصفتم، فمن شاء أقرّ و من شاء أنكر.

غناء جميلة

:

فقالت جميلة: صدق. ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى-و لمعبد فيه صوت أخذه عنها-: بانت سعاد و أمسى حبلها انقطعا # و احتلّت الغور فالجدّين فالفرعا[1]

و استنكرتني و ما كان الذي نكرت # من الحوادث إلا الشّيب و الصّلعا

تقول بنتي و قد قرّبت مرتحلا # يا ربّ جنّب أبي الأوصاب و الوجعا

و كان شيء إلى شيء فغيّره # دهر ملحّ على تفريق ما جمعا

اليوم الثالث من أيام المدينة

:

فلم يسمع شيء[2]أحسن من ابتدائها بالأمس و ختمها في اليوم الثاني. و قطعت المجلس فانصرف القوم و أقام آخرون[3]. فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس، فضربت ستارة و أجلست الجواري كلّهن فضربن و ضربت فضربن على خمسين وترا فتزلزلت الدار؛ ثم غنّت على عودها و هنّ يضربن على ضربها بهذا الشعر: فإن خفيت كانت لعينك قرّة # و إن تبد يوما لم يعمّمك[4]عارها

من الخفرات البيض لم تر غلظة # و في الحسب الضّخم الرّفيع نجارها

فما روضة بالحزن طيّبة النّرى # يمجّ النّدا جثجاثها و عرارها[5]

بأطيب من فيها ذا جئت طارقا # و قد أوقدت بالمندل الرّطب نارها

غناء عزة الميلاء

:

فدمعت أعين كثير منهم حتى بلّ ثوبه و تنفّس الصّعداء و قال: بنفسي أنت يا جميلة!. ثم قالت للجواري: اكففن فكففن؛ و قالت: يا عزّ غنّي؛ فغنّت

بشعر لعمر: [1]الجدان: موضع. و الفرع (بالتحريك) : موضع بين الكوفة و البصرة. و رواية هذا الشطر في «معجم البلدان» في الكلام على الجدين و الفرع: «فاحتلت الغمر...

إلخ» .

[2]في ب، س: «بشيء » .

[3]كذا في الأصول. و لعل صوابها: «فانصرف قوم و أقام آخرون» .

[4]كذا في ب، س، جـ. و في م، أ، ء: «لم يعمرك عارها» . و لعل صوابه: «لم يغمك عارها» أي لم تأت بعار فيغمك و يحزنك، لأنها عفيفة.

[5]قال أبو حنيفة الدينوري: الجثجاث، من أحرار الشجر، ينبت بالقيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة عرفجة، طيبة الريح، تأكله الإبل إذا لم تجد غيره. و العرار: بهار البر و هو نبت طيب الريح. قال ابن بري: و هو النرجس البريّ.

/

تذكّرت هندا و أعصارها[1] # و لم تقض نفسك أوطارها

تذكّرت النفس ما قد مضى # و هاجت على العين عوّارها[2]

لتمنح رامة منّا الهوى # و ترعى لرامة أسرارها

إذا لم نزرها حذار العدا # حسدنا على الزّور زوّارها

غناء حبابة و سلامة

:

فقالت جميلة: يا عزّ، إنك لباقية على الدهر، فهنيئا لك حسن هذا الصوت مع جودة هذا الغناء. ثم قالت لحبابة و سلّامة: هاتيا لحنا واحدا؛ فغنّتا: /

كفى حزنا أنى أغيب و تشهد # و ما نلتقي و القلب حرّان مقصد

و من عجب[3]أنّى إذا الليل جنّني # أقوم من الشوق الشديد و أقعد

أحنّ إليكم مثل ما حنّ تائق # إلى الورد عطشان الفؤاد مصرّد[4]

و لي كبد حرّى يعذّبها الهوى # و لي جسد يبلى و لا يتجدد

غناء خليدة

:

فاستحسن غناؤهما. ثم أقبلت على خليدة فقالت لها: بنفسي أنت! غنّي؛ فغنّت: ألا يا من يلوم على التّصابي # أفق شيئا لتسمع من جوابي

بكرت تلومني في الحبّ جهلا # و ما في حبّ مثلي من معاب

أ ليس من السعادة غير شكّ # هوى متواصلين على اقتراب

كريم نال ودّا في عفاف # و ستر من منعّمة كعاب

غناء عقيلة و الشماسية

:

فاستحسن منها ما غنّت، و هو بلحنها حسن جدّا. [ثم قالت لعقيلة و الشّماسيّة: هاتيا، فغنّتا: /

هجرت الحبيب اليوم في غير ما اجترم # و قطّعت من ذي ودّك الحبل فانصرم

أطعت الوشاة الكاشحين و من يطع # مقالة واش يقرع السنّ من ندم[5]]

غناء فرعة و بلبلة و لذة العيش

:

ثم قالت لفرعة و بلبلة و لذّة العيش: هاتين فغنّين؛ فاندفعن بصوت واحد: [1]الأعصار: جمع عصر، يريد الأوقات التي كان يجتمع فيها معها.

[2]العوّار: ما عار في العين من القذى و الرمد فأوجعها.

[3]في أ، م، د: «و ما عجبي» .

[4]التصريد: سقي دون الريّ، و منه:

يسقون منها شرابا غير تصريد.

[5]الموضوع بين قوسين انفردت به نسختا ب، س.

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى # بغى سقما إنّي إذا لسقيم

عليّ دماء البدن إن كان حبّها # على النأي في طول الزمان يريم

تلمّ ملمّات فينسين بعدها # و يذكر منها العهد و هو قديم

فأقسم ما صافيت بعدك خلّة # و لا لك عندي في الفؤاد قسيم

غناء سعدة و الزرقاء

:

قالت: أحسنتنّ!و هو لعمري حسن. و قالت لسعدة و الزّرقاء: غنيّا؛ فغنّتا: قد أرسلوني يعزّوني فقلت لهم # كيف العزاء و قد سارت بها الرّفق

استهدت الرّيم عينيه فجادلها # بمقلتيه و لم تترك له عنق

فاستحسن ذلك. ثم قالت للجماعة فغنّوا، و انقضى المجلس و عاد كلّ إنسان إلى وطنه. فما رثي مجلس و لا جمع أحسن من اليوم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث.

طلب إبراهيم الموصلي الغناء لسماعه صوتا لها

:

و حدّثتني[1]عمّتي-و كانت أسنّ من أبي و عمّرت بعده-قالت: كان السبب في طلب أبيك الغناء و المواظبة عليه لحنا سمعه لجميلة في منزل يونس بن محمد الكاتب، فانصرف و هو كئيب حزين مغموم لم يطعم و لم يقبل علينا بوجهه كما كان يفعل. فسألته عن السبب فأمسك، فألححت عليه فانتهرني، و كان لي مكرما، فغضبت و قمت من ذلك المجلس إلى بيت آخر، فتبعني و ترضّاني و قال لي: أحدّثك و لا كتمان منك: عشقت صوتا لامرأة قد ماتت، فأنا بها و بصوتها هائم إن لم يتداركني اللّه منه برحمته. فقالت: /أ تظنّ أن اللّه يحيي لك ميّتا!قال: بل لا أشكّ. قالت: فما تعليقك قلبك بما لا يعطاه إلا نبيّ و لا نبيّ بعد محمد صلّى اللّه عليه و سلّم!. و أمّا عشقك الصوت فهو أن تحذقه و تغنّيه عشر مرار، فتملّه و يذهب عشقك له!. فكأنه ارعوى[2]و رجع إلى نفسه، و قام فقبّل رأسي و يدي و رجلي و قال لي: فرّجت عنّي ما كنت فيه من الكرب و الغمّ، /ثم تمثّل: «حبّك الشيء يعمي و يصمّ و لزم بيت يونس حتى حذق الصوت و لم يمكث إلا زمنا يسيرا حتى مات يونس و انضمّ إلى سياط، و كان من أحذق أهل زمانه بالغناء و أحسنهم أداء عمّن مضى. قالت عمّتي: فقلت لإبراهيم: و ما

الصوت؟فأنشدني الشعر و لم يحسن أداء الغناء: من البكرات عراقيّة # تسمّى سبيعة أطريتها

من آل أبي بكرة الأكرمين # خصصت بودّي فأصفيتها

و من حبّها زرت أهل العراق # و أسخطت أهلي و أرضيتها

أموت إذا شحطت دارها # و أحيا إذا أنا لاقيتها

فأقسم لو أنّ ما بي بها # و كنت الطبيب لداويتها

[1]المتحدّث هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي و هو راوي الخبر المتقدّم كما مرّ بك.

[2]كذا في حـ. و في سائر الأصول: «فكان الارعواء» .

قالت عمّتي: هذا شعر حسن، فكيف به إذا قطّع و مدد تمديد الأطربة[1]و ضرب عليها بقضبان الدّفلى[2]على بطون المعزى!فما مضت الأيام و الليالي حتى سمعت اللحن مؤدّى، فما خرق مسامعي شيء قطّ أحسن منه؛ و لقد أذكرني بما يؤثر من حسن صوت داود و جمال يوسف. فبينا أنا يوما جالسة[3]إذ طلع عليّ إبراهيم ضاحكا مستبشرا؛ فقال لي: أ لا أحدّثك بعجب؟قلت: و ما هو؟قال: إن لي شريكا/في عشق صوت جميلة. قلت: و كيف ذلك؟قال:

كنت عند سياط في يومنا هذا و أنا أغنّيه الصوت و قد وقّفني فيه على شيء لم أكن أحكمته عن يونس، و حضر عند سياط شيخ نبيل فسبّح على الصوت تسبيحا طويلا، فظننت أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغت أنا و سياط من اللحن قال الشيخ: ما أعجب أمر هذا الشعر و أحسن ما غنّي به و أحسن ما قال قائله!. فقلت له دون القوم: و ما بلغ من العجب به؟ قال: نعم!حجّت سبيعة من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة، و كانت من أجمل النساء، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة، فلما انحدرت إلى العراق اتّبعها يشيّعها حتى بلغ معها موضعا يقال له الخورنق. فقالت له: لو بلغت إلى أهلي و خطبتني لزوّجوك. فقال لها: ما كنت لأخلط تشييعي إياك بخطبة، و لكن أرجع ثم آتيكم خاطبا؛ فرجع و مرّ بالمدينة فقال فيها:

قال ابن أبي ربيعة شعرا في سبيعة فلحنته و علمته جارية من جواريه

:

من البكرات عراقيّة # تسمّى سبيعة أطريتها

ثم أتى بيت جميلة فسألها أن تغنّي بهذا الشعر ففعلت. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها و جودة تأليفها، فحسن موقع ذلك منه، فوجّه إلى بعض مواليات ممن كانت تطلب الغناء أن تأتي جميلة و تأخذ الصوت منها؛ فطارحتها إياه أيّاما حتى حذقت و مهرت به. فلما رأى ذلك عمر قال: أرى أن تخرجي إلى سبيعة و تغنّيها هذا الصوت و تبلّغيها رسالتي؛ قالت: نعم. جعلني اللّه فداك. فأتتها فرحّبت بها، و أعلمتها الرسالة، فحيّت و أكرمت، ثم غنّتها فكادت أن تموت فرحا و سرورا لحسن الغناء و الشعر. ثم عادت رسول عمر فأعلمته ما كان و قالت له: إنها خارجة في تلك السنة.

حج سبيعة ثانية و سؤالها جميلة أن تغنيها بشعر عمر فيها

:

فلما كان أوان الحج استأذنت سبيعة أباها في الحج، فأبى عليها و قال لها: قد حججت حجّة الإسلام. قالت له: تلك الحجّة هي التي أسهرت ليلي و أطالت/نهاري/و توقتني[4]إلى أن أعود و أزور البيت و ذلك القبر؛ و إن أنت لم تأذن لي متّ كمدا و غمّا؛ و ذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يئست فالموت لا شكّ نازل بي.

فلما رأى ذلك أبوها رقّ لها و قال: ليس يسعني منعها مع ما أرى بها، فأذن لها. و وافى عمر المدينة ليعرف خبرها؛ فلما قدمت علم بذلك. و سألها أن تأتى منزل جميلة، و قد سبق إليه عمر، فأكرمتها جميلة و سرّت بمكانها. فقالت لها سبيعة: جعلني اللّه فداك!أقلقني و أسهرني صوتك بشعر عمر فيّ، فأسمعيني إيّاه. قالت جميلة: و عزازة لوجهك الجميل!فغنّتها الصوت، فأغمي عليها ساعة حتى رشّ على وجهها الماء و ثاب إليها عقلها. ثم قالت: أعيدي عليّ، فأعادت الصوت مرارا في كل مرّة يغشى عليها. ثم خرجت إلى مكة و خرج معها. فلما رجعت مرّت بالمدينة و عمر [1]هذا جمع غريب.

[2]الدفلي: نبت مر زهره كالورد الأحمر، و حمله كالخروب، و ألفه للإلحاق عند جماعة فينوّن نكرة، و للتأنيث عند آخرين فلا ينون.

[3]في جميع الأصول: «جالس» .

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و ذوبت قلبي أن أعود... إلخ» .

معها، فأتت جميلة فقالت لها: أعيدي عليّ الصوت ففعلت؛ و أقامت عليها[1]ثلاثا تسألها أن تعيد الصوت. فقالت لها جميلة: إني أريد أن أغنّيك صوتا فاسمعيه. قالت: هاتيه يا سيّدتي؛ فغنّتها: أبت المليحة أن تواصلني # و أظنّ أني زائر رمسي

لا خير في الدنيا و زينتها # ما لم توافق نفسها نفسي

لا صبر لي عنها إذا حسرت # كالبدر أو قرن من الشمس

و رمت فؤادك عند نظرتها # بملاحة الإيثار[2]و الأنس

قالت سبيعة: لو لا أنّ الأوّل شعر عمر لقدّمت هذا على كلّ شيء سمعته. فقال عمر: فإنه و اللّه أحسن من ذلك، فأمّا الشعر فلا. قالت جميلة: صدقت و اللّه. قالت عمّتي قال لها أبي: لعمري إنّ ذلك على ما قالا.

/و لابن سريج في هذا الشعر لحن عن جميلة و ربما حكي بزيادة أو نقصان أو مثلا بمثل.

جمعت الناس في دارها و قصت عليهم رؤياها و اعتزامها ترك الغناء فاختلفوا و خطب شيخ يحبذ الغناء فرجعت

:

أخبرني من يفهم الغناء قال:

بلغني أنّ جميلة قعدت يوما على كرسيّ لها و قالت لآذنتها: لا تحجبي عنّا أحدا اليوم، و اقعدي بالباب، فكل من يمرّ بالباب فاعرضي عليه مجلسي؛ ففعلت ذلك حتى غصّت الدار بالناس؛ فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلاليّ؛ فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح. فجاءتها بعض جواريها فقالت لها: يا سيّدتي، إن تمادى أمرك على ما أرى لم يبق في دارك حائط إلاّ سقط، فأظهري ما تريدين. قالت: اجلسي. فلما تعالى النهار و اشتدّ الحرّ استسقى الناس الماء فدعت لهم بالسّويق[3]، فشرب من أراد؛ فقالت: أقسمت على كل رجل و امرأة دخل منزلي إلاّ شرب، فلم يبق في سفل الدار و لا علوها أحد إلاّ شرب، و قام على رءوسهم الجواري بالمناديل و المراوح الكبار، و أمرت جواريها فقمن على كراسيّ[4]صغار فيما بين كلّ عشرة نفر جارية تروّح. ثم قالت لهم: إنّي قد رأيت في منامي شيئا أفزعني و أرعبني[5]، و لست أعرف ما سبب ذلك، و قد خفت أن يكون قرب أجلي، و ليس ينفعني إلاّ صالح عملي، و قد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفّقك اللّه و ثبّت عزمك!و قال

آخرون: بل لا حرج عليك في الغناء. و قال شيخ منهم ذو سنّ و علم و فقه و تجربة: قد تكلمت الجماعة، و كلّ حزب بما لديهم فرحون، و لم أعترض عليهم في قولهم و لا شركتهم في رأيهم، فاستمعوا الآن لقولي و أنصتوا/و لا تشغبوا إلى وقت انقضاء كلامي؛ فمن قبل قولي فاللّه موفّقه، و من خالفني فلا بأس عليه إذ كنت في طاعة ربي.

فسكت القوم جميعا. فتكلّم الشيخ فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على محمد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فشلتم و وثب عليكم عدوّكم و ظفر بكم و لا تفلحوا بعدها أبدا. إنكم قد انقلبتم على [1]في ب، س: «عليه» .

[2]كذا، في ب، س. و في سائر الأصول هكذا: «الأنياب» أو الأيناب» . و جميع الروايات غير ظاهرة.

[3]السويق: شراب يتخذ من الحنطة و الشعير.

[4]كلمة: «على كراسيّ صغار» ساقطة من ب، س.

[5]ذكر ابن الأعرابي في نوادره و ثعلب في «الفصيح» أنه لا يقال: «أرعبه» بالهمز، و تبعهما الجوهري، و غيرهم رأى جوازه. (راجع «شرح القاموس» مادة رعب) .

أعقابكم لأهل العراق و غيرهم ممّن لا يزال ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم، لا ينكره عالمكم و لا يدفعه عابدكم بشهادة شريفكم و وضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم و شرفكم و عزكم[1]. فأكثر ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد في الدنيا؛ لأن الغناء من أكبر اللذات و أسرّ النفوس من جميع الشهوات؛ يحيي القلب و يزيد في العقل و يسرّ النفس و يفسح في الرأي و يتيسّر به العسير و تفتح به الجيوش و يذلّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه، و يبرئ المرضى و من مات قلبه و عقله و بصره، و يزيد أهل الثروة غنى و أهل الفقر قناعة و رضا باستماعه فيعزفون[2]عن طلب الأموال. من تمسّك به كان عالما و من فارقه كان جاهلا؛ لأنه لا منزلة أرفع و لا شيء أحسن منه؛ فكيف يستصوب تركه و لا يستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ و جلّ. و كلام كثير غير هذا ذهب عن[3]المحدّث به، فما ردّ عليه أحد و لا أنكر ذلك منهم بشر، و كلّ عاد بالخطإ على نفسه و أقرّ بالحق[4]له. ثم قال لجميلة: أوعيت ما قلت و وقع من نفسك ما ذكرت؟قالت: أجل و أنا أستغفر اللّه. قال لها: فاختمي مجلسنا و فرّقي جماعتنا بصوت فقط؛ فغنّت:

أ في رسم دار دمعك المترقرق # سفاها!و ما استنطاق ما ليس ينطق

/بحيث التقى جمع و أقصى محسّر[5] # مغانيه قد كادت عن العهد تخلق

مقام لنا بعد العشاء و منزل # به لم يكدّره علينا معوّق

فأحسن شيء كان أوّل ليلنا # و آخره حزن إذا نتفرّق

فقال الشيخ: حسن و اللّه!أمثل هذا يترك[6]!فيم نتشاهد الرجال!لا و اللّه و لا كرامة لمن خالف الحقّ. ثم قام و قام الناس معه، و قال: الحمد للّه الذي لم يفرّق جماعتنا على اليأس من الغناء و لا جحود فضيلته، و سلام عليك و رحمة اللّه يا جميلة.

وصف مجلس لها غنت فيه و رقصت و غنى المغنون و رقصوا :

و قال أبو عبد اللّه: جلست جميلة يوما و لبست برنسا طويلا، و ألبست من كان عندها برانس دون ذلك، و كان في القوم ابن سريج، و كان قبيح الصّلع قد اتخذ وفرة شعر[7]يضعها على رأسه، و أحبّت جميلة أن ترى صلعته.

فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال: دبّرت عليّ و ربّ الكعبة!و كشف صلعته و وضع القلنسية على رأسه، و ضحك القوم من قبح صلعته؛ ثم قامت جميلة و رقصت و ضربت بالعود و على رأسها البرنس الطويل و على عاتقها بردة يمانية و على القوم أمثالها، و قام ابن سريج يرقص و معبد و الغريض و ابن عائشة و مالك و في يد كلّ واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة و رقصها؛ فغنّت و غنّى القوم على غنائها: [1]وردت هذه الجملة هكذا في الأصول، و هي غير واضحة.

[2]في جـ: «فيستغنون» .

[3]في ب، س: «ذهب على المحدث» و هو تحريف» .

[4]في ب، س: بالفضل له.

[5]جمع: علم للمزدلفة. و وادي محسر: موضع بين منى و المزدلفة و ليس من منى و لا مزدلفة بل هو واد برأسه، و قيل فيه غير ذلك.

راجع «معجم البلدان» لياقوت.

[6]في ب، س: «أمثل هذا ينزل فيه مشاهد الرجال لا و اللّه لا ينزل هذا و لا كرامة» و هي محرفة.

[7]كذا فيما سيأتي. و في الأصول هنا: «و فرة شعرة» و هو تحريف. و الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه. ـ

ذهب الشباب و ليته لم يذهب # و علا المفارق وقع شيب مغرب[1]

و الغانيات يردن غيرك صاحبا # و يعدنك الهجران بعد تقرّب/

إنّي أقول مقالة بتجارب # حقّا و لم يخبرك مثل مجرّب/

صاف الكريم و كن لعرضك صائنا # و عن اللّئيم و مثله فتنكّب

ثم دعت بثياب مصبّغة و وفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها، و دعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، ثم ضربت بالعود و تمشّت و تمشّى القوم خلفها، و غنّت و غنّوا بغنائها بصوت واحد: يمشين مشي قطا البطاح تأوّدا # قبّ البطون رواجح الأكفال

فيهنّ آنسة الحديث حيّية # ليست بفاحشة و لا متفال[2]

و تكون ريقتها إذا نبّهتها # كالمسك فوق سلافة الجريال[3]

ثم نعرت و نعر القوم طربا، ثم جلست و جلسوا و خلعوا ثيابهم و رجعوا إلى زيّهم، و أذنت لمن كان ببابها فدخلوا؛ و انصرف المغنّون و بقي عندها من يطارحها من الجواري.

استزارت عبد اللّه بن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها :

و حدّثتني عمّتي قالت: سمعت سياطا يحدّث أباك يوما جميلة فقال: بنفسي هي و أمّي!فما كان أحسن وجهها و خلقها[4]و غناءها!ما خلّفت النساء مثلها شبيها؛ فأعجبني ذلك. ثم قال سياط: جلست جميلة يوما للوفادة عليها، و جعلت على رءوس جواريها شعورا مسدلة كالعناقيد إلى أعجازهنّ، و ألبستهنّ أنواع الثياب المصبّغة و وضعت فوق الشعور التيجان، و زينتهنّ بأنواع الحليّ، و وجّهت إلى عبد اللّه بن جعفر تستزيره، و قالت لكاتب أملت عليه: «بأبي أنت و أمّي!قدرك يجلّ عن رسالتي و كرمك[5]يحتمل زلّتي؛ و ذنبي لا تقال عثرته و لا تغفر حوبته. فإن /صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يؤثر، و الخير و الفضل كله[6]فيكم مدّخر، و نحن العبيد و أنتم الموالي.

فطوبى لمن كان لكم مقاربا والي وجوهكم ناظرا!و طوبى لمن كان لكم[7]مجاورا، و بعزّكم قاهرا، و بضيائكم مبصرا!و الويل لمن جهل قدركم و لم يعرف ما أوجبه اللّه على هذا الخلق لكم!فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم، و كبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها اللّه عزّ و جلّ للخلق هي لكم و

مقصورة عليكم. و بالكتاب نسألك و بحقّ الرسول ندعوك إن كنت نشيطا لمجلس هيّأته لك لا يحسن إلاّ بك و لا يتمّ إلا معك، و لا يصلح أن ينقل عن موضعه، و لا يسلك به غير طريقه» . فلما قرأ عبد اللّه الكتاب قال: إنّا لنعرف تعظيمها لنا و إكرامها لصغيرنا و كبيرنا.

و قد علمت أنّها قد آلت ألية ألاّ تغنّي أحدا إلاّ في منزلها. و قال للرسول: و اللّه قد كنت على الركوب إلى موضع [1]مغرب: أبيض.

[2]المتفال: المتغيرة الريح لترك التطيب و الادّهان.

[3]الجريال: من أسماء الخمر.

[4]في ب، س: «... وجهها و خلقها و خلقها و غناءها... » .

[5]في ب، س: «و لكن كرمك إلخ» بزيادة كلمة «لكن» و لعلها مقحمة من الناسخ.

[6]هذه الكلمة ساقطة في ب، س.

[7]في جميع الأصول عدّا. ب، س: «لمن كان لكم أيضا مجاورا» .

كذا[1]و كان في عزمي المرور بها. فأمّا إذا وافق ذلك مرادها فإنّي جاعل بعد رجوعي طريقي عليها. فلمّا صار إلى بابها أدخل بعض من كان معه إليها و صرف بعضهم. فنظر إلى ذلك الحسن البارع و الهيئة الباذّة[2]، فأعجبه و وقع من نفسه؛ فقال: يا جميلة!لقد أوتيت خيرا كثيرا، ما أحسن ما صنعت!. فقالت: يا سيّدي، إنّ الجميل للجميل يصلح، و لك هيّأت هذا المجلس. فجلس عبد اللّه بن جعفر و قامت على رأسه و قامت الجواري صفّين؛ /فأقسم عليها فجلست غير بعيد. ثم قالت: يا سيّدي، أ لا أغنّيك؟قال: بلى!فغنّت: /

بني شيبة[3]الحمد الّذي كان وجهه # يضيء ظلام اللّيل كالقمر البدر

كهولهم خير الكهول و نسلهم # كنسل الملوك لا يبور و لا يحرى[4]

أبو عتبة الملقي إليك جماله # أغرّ هجان اللّون من نفر زهر

لساقي[5]الحجيج ثم للخير هاشم # و عبد مناف ذلك السيّد الغمر

أبوكم قصيّ كان يدعى مجمّعا # به جمّع اللّه القبائل من فهر

فقال عبد اللّه: أحسنت يا جميلة و أحسن حذافة ما قال!باللّه أعيديه عليّ فأعادته، فجاء الصوت أحسن من الارتجال. ثم دعت لكل جارية بعود و أمرتهنّ بالجلوس على كراسيّ صغار قد أعدّتها لهنّ، فضربن و غنّت عليهنّ هذا الصوت و غنّى جواريها على غنائها. فلمّا ضربن جميعا قال عبد اللّه: ما ظننت أنّ مثل هذا يكون!و إنّه لممّا يفتن القلب!و لذلك كرهه كثير من الناس لما علموا فيه. ثم دعا ببغلته فركبها و انصرف إلى منزله. و قد كانت جميلة أعدّت طعاما كثيرا، و كان أراد المقام، فقال لأصحابه: تخلّفوا للغداء، فتغدّوا و انصرفوا مسرورين. و هذا الشعر لحذافة[6]بن غانم[7]بن عبيد اللّه بن عويج بن عديّ بن كعب يمدح به عبد المطّلب.

أراد العرجي أن ينزل عليها حين فرّ من مكة فأبت و أنزلته على الأحوص

:

قال و حدّثني بعض المكّيين قال:

كان العرجيّ (و هو عبد اللّه بن عمرو بن عثمان) شاعرا سخيّا شجاعا أديبا ظريفا. و يشبّه شعره بشعر عمر بن أبي ربيعة و الحارث بن خالد بن هشام و إن كانا قدّما عليه؛ و قد نسب كثير من شعره إلى شعرهما، و كان صاحب صيد. فخرج يوما متنزّها من مكّة و معه جماعة من غلمانه و مواليه

و معه كلابه و فهوده و صقوره و بوازيه نحو الطائف [1]في ب، س: «إلى موضع كذا و كذا» .

[2]الهيئة الباذة: الغالبة الفائقة، و في حـ: «و الهيئة البارزة» .

[3]شيبة الحمد: لقب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، لقب بذلك لكثرة حمد الناس له، لأنه كان مفزع قريش في النوائب و ملجأهم في الأمور، فكان شريف قريش و سيدها كمالا و فعالا غير مدافع. و قيل: لأنه ولد في رأسه شيبة، و في لفظ كان وسط رأسه أبيض، أو سمى بذلك تفاؤلا بأن يبلغ سن الشيب. (راجع «ما يعوّل عليه في المضاف و المضاف إليه») . و فيه: و بنو شيبة الحمد» .

[4]يبور: يهلك: و يحرى: ينقص.

[5]ساقي الحجيج هو عبد المطلب هذا، فهو الذي حفر زمزم.

[6]في «السيرة لابن هشام» و «معجم البلدان» لياقوت: «حذيفة» . و قد نسب هذا الشعر أيضا لمطرود ابن كعب الخزاعي الشاعر. (راجع الطبري ص 1088، 1095 من القسم الأول طبع أوروبا، و صفحة 5 من «كتاب الأوائل» لأبي هلال العسكري المخطوط و المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 2773 تاريخ) .

[7]في الأصول: «عامر» و هو تحريف. (راجع «الطبري» ص 1095 من القسم الأول طبع أوروبا و «معجم البلدان» لياقوت ج 2 ص 144 طبع أوروبا و السيرة جـ 1 ص 96، 111 طبع أوروبا، «و ما يعوّل عليه في المضاف و المضاف إليه») .

إلى مال له بالعرج-و بهذا الموضع سمّي العرجيّ-فجرى بينه و بين مولى لبني أميّة كلام، فأمضّه المولى فكفّ عنه العرجيّ حتى أوى إلى منزله، ثم هجم عليه و معه غلمانه فأمرهم أن يوثقوه، ثم أمرهم أن ينكحوا امرأته و هو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أمير مكة ما فعل فطلبه، فخرج من منزله و أخرج معه غلمانه و مواليه و آلة الصّيد و توجّه نحو المدينة و قد ركب أفراسه و أعدّ عدّته. فلم يزل يتصيّد و يقصف في طريقه حتى دخل المدينة ليلا، و أراد المقام في منزل جميلة، و كانت آلت ألاّ تغنّي بشعره و لا تدخله منزلها لكثرة عبثه و سفهه و حداثة سنّه. فلما أعلمت بمكانه ليلا قالت: طارق!إن له لشأنا!فاستخبرت خبره فقيل لها: إنه قدم مستخفيا، و لم ير بالمدينة موضعا هو أطيب له من منزلك، و الأيمان تكفّر، و الأشراف لا يردّون. فقالت لرسولها إليه: منزلي منزل جواز. و لا يمكن مثلك الاستخفاء فيه، فعليك بالأحوص-و كان الأحوص مجانبا له لشيء جرى بينه و بينه في منزل جميلة-فقال: أنّى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا!قالت: ائته عنّي و قل له: قد غنّينا بذلك الشعر؛ فأنّ أحببت أن تظهر و تبقى مودّتنا لك، فأصلح ما بينك و بين عبد اللّه، إذ أصلح ما بيننا، و أنزله منزلك. قال لها: ليس هذا بمقنعي؛ أمّا إذ أبيت أن أقيم بمنزلك فوجّهي معي رسولا إلى الأحوص؛ فإنّ منزله/أحبّ المنازل إليّ بعد منزلك. /فوجّهت معه إلى الأحوص بعض مولياتها؛ فأنزله الأحوص و أكرمه و أحسن جواره و ستر أمره. فقال شعرا و وجّه به إلى جميلة: ألا قاتل اللّه الهوى كيف أخلقا # فلم تلفه إلاّ مشوبا ممذّقا[1]

و ما من حبيب يستزير حبيبه # يعاتبه في الودّ إلا تفرّقا

أمرّ وصال الغانيات فأصبحت # مضاضته يشجى بها من تمطّقا[2]

تعلّق هذا القلب للحين معلقا # غزالا تحلّى عقد درّ و يارقا[3]

إذا قلت مهلا للفؤاد عن الّتي # دعتك إليها العين أغضى و أطرقا

دعانا فلم نستبق حبّا بما نرى # فما منك هذا العذل إلا تخرّقا[4]

فقد سنّ هذا الحبّ من كان قبلنا # و قاد الصّبا المرء الكريم فأعنقا[5]

فلمّا قرأت شعره رقّت له و قالت: كيف لي بإيلائي ألاّ يدخل منزلي و لا أغنّيه بشعره؟!فقيل لها: يدخل منزلك و تغنّين و تكفّرين عن يمينك. فوجّهت إليه أن صر إلينا و الأحوص في تلك الليلة، فجاءاها؛ و عرّفت الأحوص تكفير اليمين؛ فقال لها: و أنا و اللّه شفيعه إليك؛ ففرّجي ما به من

غمّ فقد فارق من يحبّ و يهوى، فتؤنسينه و تسرّينه و تغنّينه بشعره. فغنّت:
ألا قاتل اللّه الهوى كيف أخلقا # فلم تلفه إلاّ مشوبا ممذّقا

[1]ممذقا: مخلوطا، يقال: فلان يمذّق الود إذا لم يخلصه.

[2]تمطق: تذوق و تمضغ.

[3]اليارق: السوار.

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول:

دعانا فلم نسبق محبا بما نرى # فما منك هذا الغدر إلاّ تخرقا

[5]الإعناق: السير المنبسط. يريد أن الصبا إذا قاد المرء الكريم انقاد له و جرى في ميدانه.

383

و حدّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد:

كان الأحوص معجبا بها و ملازما لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهما دعوة خاصة و غنّتهما

:

كان الأحوص معجبا بجميلة، و لم يكن يكاد يفارق منزلها إذا جلست. فصار إليها يوما بغلام جميل الوجه يفتن من رآه، فشغل أهل المجلس، و ذهبت اللحون عن/الجواري و خلطن في غنائهنّ. فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام؛ فالخلل قد عمّ مجلسي و أفسد عليّ أمري. فأبى الأحوص و تغافل، و كان بالغلام معجبا، فآثر لذّته بالنظر إلى الغلام مع السماع. و نظر الغلام إلى الوجوه الحسان من الجواري و نظرن إليه، و كان مجلسا عاما. فلما خافت عاقبة المجلس و ظهور أمره أمرت بعض من حضر بإخراج الغلام فأخرج؛ و غضب الأحوص و خرج مع الغلام و لم يقل شيئا؛ فأحمد[1]أهل المجلس ما كان من جميلة، و قال لها بعضهم: هذا كان الظنّ بك، أكرمك اللّه!فقالت: إنه و اللّه ما استأذنني في المجيء به و لا علمت به حتى رأيته في داري، و لا رأيت له وجها قبل ذلك؛ و إنه ليعزّ عليّ غضب الأحوص، و لكن الحقّ أولى، و كان ينبغي له ألاّ يعرّض نفسه و إيّاي لما نكره مثله. فلمّا تفرّق أهل المجلس بعثت إليه: الذنب لك و نحن منه برءاء؛ إذ كنت قد عرفت مذهبي؛ فلم عرّضتني للّذي كان؛ فقد ساءني ذلك و بلغ منّي؛ و لكن لم أجد بدّا من الذي رأيت إمّا حياء و إمّا تصنّعا. فردّ عليها: ليس هذا لك بعذر إنّ لم تجعلي لي و له مجلسا نخلو فيه جميعا تمحين به ما كان منك. قالت: أفعل ذلك سرّا؛ قال الأحوص: قد رضيت. فجاءاها ليلا فأكرمتهما، و لم تظهر واحدة من جواريها على ذلك إلاّ عجائز من مواليها.

و سألها الأحوص و أقسم عليها أن تغنّيه/من شعره: و بالقفر دار من جميلة هيجت # سوالف حبّ في فؤادك منصب

و كانت إذا تنأى نوى أو تفرّقت # شداد الهوى لم تدر ما قول مشغب[2]

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا # برود الثّنايا ذات خلق مشرعب[3]

/ترى العين ما تهوى و فيها زيادة # من الحسن إذ تبدو و ملهى لملعب[4]

قال يونس: مالها صوت أحسن منه، و ابن محرز يغنّيه و عنها أخذه، و أنا أغنّيه فتعجبني نفسي و يدخلني[5]شيء لا أعرفه من النّخوة و التّيه. و

قال المحدّث لي بهذا الحديث عن يونس: إنّ هذا للأحوص في جميلة. و الذي عندي أنه لطفيل الغنويّ قاله في ابن زيد الخيل، و هو زيد بن[6]المهلهل بن المختلس بن عبد رضا أحد بني نبهان، و نبهان [1]أي رضوا ما كان منها و صار عندهم محمودا.

[2]كذا في أ، ء، م. و المشغب: المشاغب و العاند عن الحق. و في ب، س: «لم تدر ما متشعب» و لعلها: «ما متشعبي» أي لم تدر مذهبي و لا أين طريق.

[3]المشرعب: الطويل.

[4]ألعب المرأة: جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به.

[5]لعلها: «و يداخلني» .

[6]يلاحظ أن ما أورده المؤلف هنا من الأسماء في نسب زيد الخيل يخالف ما أورده في ترجمته (ج 16 ص 47 طبع بلاق) .

لقب له، و لكنه سودان[1]بن عمرو بن الغوث بن طيّىء، أغار على بني عامر فأصاب بني كلاب و بني كعب، و استحرّ القتل[2]في غنيّ بن أعصر و مالك بن أعصر؛ و أعصر هو الدخان، و لذلك قيل لهما ابنا دخان، و أخوهما الحارث و هو الطّفاوة[3]و هو مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، و غطفان بن سعد عمّهم. و كانت غنيّ مع بني عامر في دارهم موالي[4]لنمير، و كان فيهم فرسان و شعراء. ثم إنّ غنيّا أغارت على طيّىء و عليهم سيار[5]بن هريم؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة: و بالقفر دار من جميلة هيّجت # سوالف شوق في فؤادك منصب

لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحنا جميلا، و نبذة عن ترجمة ابن أحمر

:

و حدّثني أيّوب بن عباية قال:

كان عمرو بن[6]أحمر بن العمرّد بن عامر بن عبد شمس بن فرّاص بن معن بن مالك ابن أعصر بن قيس بن عيلان بن مضر من شعراء الجاهليّة المعدودين، و كان ينزل الشأم، و قد أدرك الإسلام و أسلم، و قال في الجاهليّة و الإسلام شعرا كثيرا و في الخلفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك[7]بن مروان، و كان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالدا إلى الشأم؛ و لم يأت أبا بكر. و قال في خالد رحمه اللّه: إذا قال سيف اللّه كرّوا عليهم # كررت بقلب رابط الجأش صارم

و قال في عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قصيدة له طويلة جيّدة: أدركت آل أبي حفص و أسرته # و قبل ذاك و دهرا بعده كلبا

قد ترتمى بقواف بيننا دول # بين الهناتين[8]لا جدّا و لا لعبا

اللّه يعلم ما قولي و قولهم # إذ يركبون جنانا[9]مسهبا و ربا

و قال في عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه:

حتّى فليس إلى عثمان مرتجع # إلاّ العداء و إلاّ مكنع[10]ضرر

[1]كذا في «أسد الغابة» في «ترجمة زيد الخيل. و في ب، س: «أسود بن عمرو» . و في «سائر الأصول» : «أسودان بن عمرو» . و كلاهما تحريف.

[2]كذا في ب، س. و في أكثر الأصول: «... و استحر القتل في غنى بن أعصر و أعصر اسمه مالك و أعصر هو الدخان و لذلك قيل لهما ابنا دخان و أخوهما... إلخ» . و ظاهر أن في هذه العبارة خطأ. و الذي في كتاب «المعارف» لابن قتيبة أن أعصر بن سعد ولد غنى بن أعصر و معن بن أعصر و هو أبو باهلة و منبه بن أعصر و هم الطفاوة» . و فيما بينه و بين ما في الأصول هنا خلاف كبير.

[3]كذا في الأصول. و لعل صواب العبارة: «و هو الطفاوة بن أعصر بن سعد... إلخ» .

[4]في الأصول: «مواليا لنمير» .

[5]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «سنان بن هديم» .

[6]كذا في نسخة المرحوم الشنقيطي و «الشعر و الشعراء و المعارف» لابن قتيبة. و في الأصول: «عمر بن أحمد بن العمرد» . و هو تحريف.

[7]و قيل: إنه مات في عهد عثمان رضي اللّه عنه. (راجع «معجم الشعراء» للمرزباني) .

[8]في ب، س: «بين الهباتين» . و لم نهتد إلى الصواب فيه.

[9]الجنان: الأمر الخفيّ. و الورب (و زان فرح) : الفاسد. أي يركبون أمرا ملتبسا فاسدا. (راجع «اللسان» مادة جنن) .

[10]كذا في أكثر الأصول. و في ب، س: «مكبع صور» و المكنع: الذليل الحقير.

/

إخالها سمعت عزفا فتحسبه # إهابة القسر ليلا حين تنتشر[1]

و قال في عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: /

من مبلغ مألكا عنّي أبا حسن # فارتح لخصم هداك اللّه مظلوم

فلما أنشدت جميلة قصيدته في عمر بن الخطاب، قالت: و اللّه لأعملنّ فيها لحنا لا يسمعه أحد أبدا إلا بكى. قال إبراهيم: و صدقت؛ و اللّه ما سمعته قطّ إلا أبكاني؛ لأني أجد حين أسمعه شيئا يضغط قلبي و يحرقه فلا أملك عيني، و ما رأيت أحدا قطّ سمعه إلا كانت هذه حاله.

صوت من المائة المختارة

يا دار عبلة من مشارق مأسل # درس الشئون و عهدها لم ينجل

فاستبدلت عفر الظّباء كأنما # أبعارها في الصّيف حبّ الفلفل

تمشي النّعام به خلاء حوله # مشي النّصارى حول بيت الهيكل

احذر محلّ السّوء لا تحلل به # و إذا نبا بك منزل فتحوّل

الشعر، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق، لعنترة بن شدّاد العبسيّ. و ما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، و لعله من رواية لم تقع إلينا؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجميّ، إلا أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشكّ فيه. و الغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ، و لحنه المختار، على ما ذكره/أبو أحمد، من الثقيل الأوّل. و ذكر ابن خرداذبه أنّ لحن أبي دلف خفيف ثقيل بالوسطى. و ذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحنا من الثقيل الأوّل المطلق في مجرى الوسطى، و أن فيه لأبي دلف لحنا و لم يجنّسه. و ذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى، و أن لابن سريج في البيت الثاني ثقيلا أوّل، و ذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، و ليس ممن يعتمد على قوله. و قد ذكر يونس أيضا أن فيه غناء لمالك و لم يذكر جنسه و لا طريقته.

[1]العزف: الصوت. و الإهابة: مصدر أهاب بالشيء إذا دعاه. و القسر: اسم رجل كان راعيا لابن أحمر هذا. و تنتشر: تتفرق، يقال: انتشرت الإبل إذا تفرقت عن غرة من راعيها. و ورد هذا البيت في ب، س: إخالها شممت عرفا فتحسبه # إهابة القصر ليلا حين تنتشر

و هو تحريف.

5-ذكر عنترة و نسبه و شيء من أخباره

نسب عنترة

:

أمه أمة حبشية، كان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه

:

هو عنترة بن شدّاد، و قيل: ابن عمرو بن شدّاد، و قيل: عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة، و قيل: مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الرّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. و له لقب يقال له عنترة الفلحاء؛ و ذلك لتشقّق شفتيه. و أمّه أمة حبشيّة يقال لها زبيبة، و كان لها ولد عبيد من غير شدّاد، و كانوا إخوته لأمّه. و قد كان شدّاد نفاه مرّة ثم اعترف به فألحق بنسبه.

و كانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب اعترفت به و إلاّ بقي عبدا.

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعرا

:

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمد بن حبيب، قال أبو سعيد و ذكر ذلك أبو عمرو الشّيبانيّ، قالا: كان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرّشت عليه امرأة أبيه و قالت: إنه يراودني عن نفسي؛ فغضب من ذلك شدّاد غضبا شديدا و ضربه ضربا مبرّحا و ضربه بالسيف؛ فوقعت عليه امرأة أبيه و كفّته عنه. فلما رأت ما به من الجراح بكت-و كان اسمها سميّة و قيل: سهيّة[1]-فقال عنترة:

صوت

أ من سميّة دمع العين مذروف # لو أنّ ذا منك[2]قبل اليوم معروف

/كأنّها يوم صدّت ما تكلّمني # ظبي بعسفان[3]ساجي العين[4]مطروف

تجلّلتني إذ أهوى العصا قبلي # كأنّها صنم يعتاد معكوف

العبد عبدكم و المال مالكم # فهل عذابك عنّي اليوم مصروف

تنسى بلائي إذا ما غارة لحقت # تخرج منها الطّوالات السّراعيف

[1]كذا في أ، و هو المعروف. و في سائر الأصول: «سمينة» .

[2]كذا في «ديوانه» نسخة مخطوطة بقلم المرحوم الشنقيطي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (1837 أ، ب، ش) . و فيما سيأتي في جـ، أ في شرح الأبيات، و في الأصول هنا: «فيك» .

[3]عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة و مكة، و قيل فيها غير ذلك.

[4]في بعض الأصول: «ساجي الطرف» ، و هو الأكثر في الاستعمال.

يخرجن منها و قد بلّت رحائلها # بالماء تركضها[1]الشّمّ الغطاريف

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض # تصفرّ كفّ أخيها و هو منزوف

غنّى في البيت الأوّل و الثاني علّوية، و لحنه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر، و قيل: إنه لإبراهيم. و فيهما رمل بالوسطى يقال: إن لابن سريج، و هو من منحول ابن المكيّ.

قوله «مذروف» : من ذرفت عينه، يقال: ذرفت تذرف ذريفا و ذرفا، و هو قطر يكاد يتصل. و قوله: «لو أنّ ذا منك قيل اليوم معروف» . أي قد أنكرت هذا الحنوّ و الإشفاق منك، لأنه لو كان معروفا قبل ذلك لم ينكره.

«ساجي العين» . ساكنها. و الساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف» : أصابت عينه طرفة، و إذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجللتني» : ألقت نفسها عليّ. و «أهوى» : اعتمد. «صنم يعتاد» أي يؤتى مرّة بعد مرّة. و «معكوف» :

يعكف عليه. و «السّراعيف» : السّراع، واحدتها سرعوفة. و «الطّوالات» : الخيل. و الرحائل: السروج. و الشمم:

ارتفاع في الأنف. و «الغطاريف» : الكرام و السادة أيضا. و الغطرفة: ضرب من السير و المشيء يختال فيه.

و «النجلاء» : الواسعة، /يقال: سنان منجل: واسع الطعنة: «عن عرض» أي عن شقّ و حرف. و قال غيره: أعترضه اعتراضا حين أقتله.

سبب ادعاء أبيه إياه

:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ، و أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة قال قال ابن الكلبيّ:

شدّاد جدّ عنترة غلب على نسبه، و هو عنترة بن عمرو بن شدّاد؛ و قد سمعت من يقول: إنما شدّادا عمّه، كان نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه. قال: و إنّما ادّعاه أبوه بعد الكبر؛ و ذلك لأن أمّه كانت أمة سوداء يقال لها زبيبة، و كانت العرب في الجاهليّة إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبدوه. و كان لعنترة إخوة من أمّة عبيد. و كان سبب ادّعاه أبي عنترة إيّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم و استاقوا

إبلا، فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم و عنترة يومئذ فيهم؛ فقال له أبوه: كرّ يا عنترة. فقال عنترة: العبد لا يحسن الكرّ، إنما يحسن الحلاب و الصّرّ. فقال: كرّ و أنت حرّ. فكرّ و هو يقول:

أنا الهجين عنتره # كلّ امرئ يحمي حره

أسوده و أحمره # و الشّعرات[المشعرة][2]

الواردات مشفره[3] و قاتل يومئذ قتالا حسنا، فادّعاه أبوه بعد ذلك و ألحق به نسبه.

و حكى غير ابن الكلبيّ/أنّ السبب في هذا أنّ عبسا أغاروا على طيّىء، فأصابوا نعما، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة: لا نقسم لك نصيبا مثل أنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخطب بينهم كرّت عليهم طيّىء؛ فاعتزلهم عنترة [1]كذا في «ديوانه» و في الأصول: «يقدمها» .

[2]التكملة عن الديوان. و الشطر كله ساقط من ب، س.

[3]في أكثر الأصول: «مسفرة بالسين المهملة، و التصويب عن أ و كتاب «الشعر و الشعراء» . ـ

و قال: دونكم القوم، فإنّكم/عددهم. و استنقذت طيّىء الإبل. فقال له أبوه: كرّ يا عنترة. فقال: أو يحسن العبد الكرّ!فقال له أبوه: العبد غيرك، فاعترف به، فكّر و استنقذ النّعم. و جعل يقول: أنا الهجين عنتره # كلّ امرئ يحمي حره

الأبيات.

قال ابن الكلبيّ: و عنترة أحد أغربة العرب، و هم ثلاثة[1]: عنترة و أمّه زبيبة، و خفاف بن عمير الشّريديّ و أمّه ندبة، و السّليك بن عمير السّعديّ و أمّه السّلكة، و إليهنّ ينسبون. و في ذلك يقول عنترة: إنّي امرؤ من خير عبس منصبا # شطري و أحمي سائري بالمنصل

و إذا الكتيبة أحجمت و تلاحظت # ألفيت خيرا من معمّ مخول

يقول: إنّ أبي من أكرم عبس بشطري، و الشطر الآخر ينوب عن كرم أمّي فيه ضربي بالسيف، فأنا خير في قومي ممن عمّه و خاله منهم و هو لا يغني غنائي. و أحسب أنّ هذه القصيدة هي التي يضاف إليها البيتان اللذان يغنّى فيهما، و هذه الأبيات قالها في حرب داحس و الغبراء[2].

حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم، فسبه قيس بن زهير فهجاه

:

قال أبو عمرو الشّيبانيّ: غزت بنو عبس بني تميم و عليهم قيس بن زهير، فانهزمت بنو عبس و طلبتهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، و لحقتهم كبكبة من الخيل، فحامى عنترة عن الناس فلم يصب مدبر[3]. و كان قيس بن زهير سيّدهم، فساءه ما صنع عنترة يومئذ، فقال حين رجع: و اللّه ما حمى الناس إلا ابن السوداء. و كان قيس أكولا.

فبلغ عنترة ما قال؛ فقال يعرّض به قصيدته التي يقول فيها:

صوت

بكرت تخوّفني الحتوف كأنّني # أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل

فأجبتها أنّ المنيّة منهل # لا بدّ أن أسقى بكأس المنهل

فاقنى حياءك لا أبا لك و اعلمي # أنّي امرؤ سأموت إن لم أقتل

إنّ المنيّة لو تمثّل مثّلت # مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

إني امرؤ من خير عبس منصبا # شطري و أحمي سائري بالمنصل

و إذا الكتيبة أحجمت و تلاحظت # ألفيت خيرا من معمّ مخول

[1]اقتصر المؤلّف على هذا العدد في أغربة العرب و هم الذين جاءهم السواد من قبل أمهاتهم. و ذكر غيره أكثر من ذلك، فمنهم في الجاهلية عنترة بن شدّاد و خفاف بن عمير بن الحارث و قيل: إنه مخضرم، و أبو عمير بن الحباب السلميّ و سليك بن السلكة و هشام بن عقبة بن أبي معيط و هو مخضرم، و منهم في الإسلام عبد اللّه بن خازم و عمير بن أبي عمير بن الحباب السلميّ و همام بن مطرف التغلبيّ و منتشر بن وهب الباهلي و مطر بن أوفى المازنيّ و تأبط شرّا و الشنفري و حاجز غير منسوب. (راجع «القاموس و شرحه مادة غرب») .

[2]راجع عن حرب داحس و الغبراء الحاشية رقم 4 ص 33 جـ 5 من هذه الطبعة.

[3]في الأصول: «فلم يصب مدبرا» .

و الخيل تعلم و الفوارس أنّني # فرّقت جمعهم بصربة فيصل

إذ لا أبادر في المضيق فوارسي # أو لا[1]أوكّل بالرّعيل الأوّل

إن يلحقوا أكرر و إن يستلحموا # أشدد و إن يلفوا بضنك[2]أنزل

حين النزول يكون غاية مثلنا # و يفرّ كلّ مضلّل مستوهل[3]

و الخيل ساهمة الوجوه كأنما # تسقى فوارسها نقيع الحنظل

و لقد أبيت على الطّوى و أظلّه # حتى أنال به كريم المأكل/

/عروضه من الكامل. غنّت في الأربعة الأبيات الأول و البيت الثاني عريب خفيف رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ و ابن المعتزّ و أبي العبيس.

«الحتوف» : ما عرض للإنسان من المكاره و المتالف. «عن عرض» أي ما يعرف منها. «بمعزل» أي في ناحية معتزلة عن ذلك. و «منهل» : مورد. و قوله: «فاقني حياءك» أي احفظيه و لا تضيّعيه. و «الضّنك» الضيق. يقول: إن المنيّة لو خلقت مثالا لكانت في مثل صورتي. و «المنصب» : الأصل. و «المنصل» : السيف، و يقال منصل أيضا بفتح الصاد. و أحجمت: كعّت[4]. و «الكتيبة» : الجماعة إذا اجتمعت و لم تنتشر[5]. و «تلاحظت» : نظرت من يقدم على العدوّ. و أصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمؤخر العين. و «الفيصل» : الذي يفصل بين الناس.

و قوله: «لا أبادر في المضيق فوارسي» أي لا أكون أوّل منهزم و لكني أكون حاميتهم. و «الرعيل» : القطعة من كل شيء. و «يستلحموا» : يدركوا[6]. و المستلحم: المدرك؛ و أنشد الأصمعيّ: نجّى علاجا و بشرا كلّ سلهبة[7] # و استلحم الموت أصحاب البراذين

و «ساهمة» : ضامرة متغيّرة، قد كلح[8]فوارسها لشدّة الحرب و هولها. و قوله: «و لقد أبيت على الطوى و أظله» . قال الأصمعيّ: أبيت بالليل على الطّوى و أظلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أي ما لا عيب فيه عليّ، و مثله /قوله: إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقهما طعاما و لا شرابا أي لا أذوق فيهما. و الطّوى: خمص البطن، يقال: رجل طيّان و طاوي البطن.

أنشد النبي صلّى اللّه عليه و سلّم بيتا من شعره فود لو رآه :

و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال: أنشد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قول عنترة:

[1]في الأصول: «و لا أوكل» بدون ألف الاستفهام، و التصويب عن «اللسان و شرح القاموس» (مادة رعل) .

[2] «في الديوان» : «و إن يرموا بدهم أنزل» .

[3]المستوهل: الضعيف الفزع.

[4]كع (من بابي ضرب و نصر) : جبن و ضعف.

[5]كذا في «المخصص» (ج 6 ص 198) و في الأصول: «و لم تنشرف» و هو تحريف.

[6]عبارة «اللسان» (مادة «لحم») : و استلحم (مجهولا) : روهق في القتال، و استلحم الرجل: إذا احتوشه العدوّ في القتال.

[7]السلهبة: الفرس الطويل، يطلق على الذكر و الأنثى.

[8]هذا تفسير لقوله: «كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنظل» .

و لقد أبيت على الطّوى و أظلّه # حتّى أنال به كريم المأكل

فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما وصف لي أعرابيّ قطّ فأحببت أن أراه إلاّ عنترة» .

كيف ألحق أخوته لأمه بنسب قومه

:

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ و أبي عبيدة: أن عنترة كان له إخوة من أمّه، فأحبّ عنترة أن يدّعيهم قومه؛ فأمر أخا له كان خيرهم في نفسه يقال له «حنبل» ، فقال له: أرو مهرك من اللّبن ثم مرّ به عليّ عشاء. فإذا قلت لكم: ما شأن مهركم متخدّدا[1]مهزولا ضامرا، فاضرب بطنه بالسيف كأنّك تريهم أنك قد غضبت مما قلت: فمرّ عليهم، فقال له: يا حنبل، ما شأن مهركم متخدّدا أعجر[2]من اللبن؟فأهوى أخوه بالسيف إلى بطن مهره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عنترة: أ بني زبيبة ما لمهركم # متخدّدا و بطونكم عجر

أ لكم بإيغال الوليد على # أثر الشّياه بشدّة خبر[3]

/و هي قصيدة. قال: فاستلاطه[4]نفر من قومه و نفاه آخرون. ففي ذلك يقول عنترة: ألا يا دار عبلة بالطّويّ # كرجع الوشم في كفّ الهديّ[5]

و هي طويلة يعدّد فيها بلاءه و آثاره عند قومه.

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب

:

أخبرني عمّي قال أخبرني الكرانيّ عن/النّضر بن عمرو عن الهيثم بن عديّ قال: قيل لعنترة: أنت أشجع العرب و أشدّها؟قال لا. قيل: فبما ذا شاع لك هذا في الناس؟قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما، و أحجم إذا رأيت الإحجام حزما، و لا أدخل إلا موضعا[6]أرى لي منه مخرجا، و كنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشّجاع فأثني عليه فأقتله.

أخبرني حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال عمر بن الخطاب للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟قال: كنا ألف فارس حازم. قال: و كيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زهير فينا و كان

حازما فكنا لا نعصيه. و كان فارسنا عنترة فكنّا نحمل إذا حمل و نحجم إذا أحجم.

و كان فينا الرّبيع بن زياد و كان ذا رأي فكنا نستشيره و لا نخالفه. و كان فينا عروة بن الورد فكنّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفت لك. فقال عمر: صدقت.

[1]المتخدد: المهزول. و في الأصول: «متخدرا» في المواضع الثلاثة. و التصويب عن «اللسان» (مادة عجر) .

[2]بطن أعجر: ملآن.

[3]رواية هذا البيت في «الديوان» :

أ لكم بآلاء الوشيج إذا # مر الشياه بوقعة خبر

و المراد في كلتا الروايتين غامض.

[4]استلاطه قومه: ألصقوه بهم و ادّعوه.

[5]الطويّ: موضع. و الهديّ: العروس.

[6]كذا في م. و في سائر الأصول: «و لا أدخل موضعا إلاّ أرى منه مخرجا» .

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكريّ قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل عن أبي عبيدة[1]و ابن الكلبيّ قالا:

موته و اختلاف الروايات في سببه

:

أغار عنترة على بني نبهان من طيّىء فطرد[2]لهم طريدة و هو شيخ كبير، فجعل يرتجز و هو يطردها و يقول:

آثار ظلمان بقاع محرب[3] قال: و كان زرّ[4]بن جابر النّبهانيّ في فتوّة، فرماه و قال: خذها و أنا ابن سلمى، فقطع مطاه[5]؛ فتحامل بالرّمية حتى أتى أهله؛ فقال و هو مجروح:

و إنّ ابن سلمى عنده فاعلموه دمي # و هيهات لا يرجى ابن سلمى و لا دمي

يحلّ بأكناف الشّعاب و ينتمي[6] # مكان الثّريّا ليس بالمتهضّم

رماني و لم يدهش بأزرق لهذم # عشيّة حلّوا بين نعف[7]و مخرم

قال ابن الكلبي: و كان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[8]. و أما أبو عمرو الشّيبانيّ فذكر أنه غزا طيّئا مع قومه، فانهزمت عبس، فخرّ عن فرسه و لم يقدر من الكبر أن يعود فيركب؛ فدخل دغلا، و أبصره ربيئة[9]طيّىء فنزل إليه، و هاب أن يأخذه أسيرا فرماه و قتله.

و ذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنّ و احتاج و عجر بكبر سنّه عن الغارات، و كان له على رجل من غطفان بكر، فخرج يتقاضاه إيّاه، فهاجت عليه ريح من صيف و هو بين شرج[10]و ناظرة، فأصابته فقتلته.

كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب

:

قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال:

كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حرّاها و هجيناها. يعني بالحرّين عامر بن الطّفيل و عتيبة بن الحارث بن شهاب، و بالعبدين عنترة و السّليك بن السّلكة.

[1]في الأصول: «... عن المفضل و عن ابن حبيب عن ابن الكلبيّ قالا» . و الظاهر أنه محرف عما أثبتناه فقد تقدّمت رواية المفضل عن أبي

عبيدة و ابن الكلبيّ في أكثر من موضع في هذا الجزء و الأجزاء السابقة، و بعيد أن تكون له رواية عن ابن حبيب.

[2]طرد الطريدة: ساقها. و في الأصول: «فأطرد لهم طريدة» و ليس في معجمات اللغة «أطرد» بمعنى ساق الذي هو المراد هنا.

[3]ظلمان (بضم الظاء و كسرها) : جمع ظليم و هو ذكر النعام. و القاع: أرض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال و الآكام. و محرب، لعل صوابه «مجدب» بالدال.

[4]في ب، س، جـ: «وزر بن جابر» .

[5]المطا: الظهر.

[6]كذا في «ديوان عنترة» (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم 1937 أدب) . و في الأصول: «إذا ما تمشي بين أجبال طي مكان الثريا إلخ» .

[7]النعف: ما انحدر عن السفح و غلظ. و المخرم: منقطع أنف الجبلي.

[8]الأسد الرهيص: الذي لا يبرح مكانه كأنه رهص (شدخ) باطن حافره حجر، فهو كأنه لا يستطيع المشي خبثا و تيها.

[9]الربيئة: الطليعة.

[10]شرج و ناظره: ماءان لبنى عبس.

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر.

***

6-نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي

:

و أمّا عبد قيس بن خفاف البرجميّ فإنّي لم أجد له خبرا أذكره إلاّ ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال: قرأت في كتاب لأبي عثمان المازنيّ: كان عبد قيس بن خفاف البرجميّ أتى حاتم طيّىء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها و عجز عنها، فقال: و اللّه لآتينّ من يحملها عنّي، و كان شريفا شاعرا شجاعا؛ فقدم على حاتم و قال له: إنه وقعت بيني و بين قومي دماء فتواكلوها، و إني حملتها في مالي و أهلي، فقدّمت مالي و أخّرت أهلي، و كنت أوثق الناس في نفسي. فإن تحمّلتها فكم من حقّ قضيته و همّ/كفيته، و إن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك و لم أنس غدك؛ ثم أنشأ يقول:
حملت دماء للبراجم جمّة # فجئتك لمّا أسلمتني البراجم

و قالوا سفاها لم حملت دماءنا # فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم

متى آته فيها يقل لي مرحبا # و أهلا و سهلا أخطأتك الأشائم

فيحملها عنّي و أن شئت زادني # زيادة من حيزت إليه المكارم

يعيش النّدى ما عاش حاتم طيّىء # و إن مات قامت للسخاء مآتم

ينادين مات الجود معك فلا نرى # مجيبا له ما حام في الجوّ حائم

و قال رجال أنهب العام ماله # فقلت لهم إنّي بذلك عالم

و لكنه يعطى من اموال طيّىء # إذا حلق المال الحقوق اللّوازم

/فيعطي الّتي فيها الغنى و كأنه # لتصغيره تلك العطيّة جارم

بذلك أوصاه عديّ[1]و حشرج # و سعد و عبد اللّه تلك القماقم

فقال له حاتم: إني كنت لأحبّ أن يأتيني مثلك من قومك، و هذا مرباعي[2]من الغارة على بني تميم فخذه وافرا، فإن و في بالحمالة و إلا أكملتها لك، و هي مائتا بعير سوى نيبها[3]و فصالها، مع أنّي لا أحبّ أن تؤبّس[4]قومك بأموالهم. فضحك أبو جبيل[5]و قال: [لكم ما أخذتم منّا و لنا ما أخذنا[6]منكم]، و أيّ بعير دفعته إليّ و ليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها و زاده مائة بعير، و انصرف راجعا إلى قومه. فقال حاتم:
[1]هؤلاء الذين وردوا في البيت هم أجداد حاتم، فهو حاتم بن عبد اللّه بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم.

و القماقم: جمع قمقام و هو السيد العظيم.

[2]المرباع: ما يأخذه الرئيس من الغنيمة خاصة دون أصحابه و هو ربع الغنيمة.

[3]كذا في نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. و في الأصول: «سوى بنيها» و هو تصحيف.

[4]تؤبس: توبخ و تؤنب.

[5]كذا في كتاب «المفضليات» للضبي و نسخة الشنقيطي مصححة بخطه. و في الأصول: «أبو جميل» بالميم و هو تحريف. و أبو جبيل: كنية عبد قيس بن خفاف، كما هو ظاهر من السياق.

[6]هذه الجملة غير واضحة المناسبة في هذا الكلام.

393

أتاني

البرجميّ أبو جبيل # لهمّ في حمالته طويل

فقلت له خذ المرباع منها # فإنّي لست أرضى بالقليل

على حال و لا عوّدت نفسي # على علاّتها علل البخيل

فخذها إنها مائتا بعير # سوى الناب الرذيّة و الفصيل

و لا منّ عليك بها فإنّي # رأيت المنّ بزري بالجميل

فآب البرجميّ و ما عليه # من اعباء الحمالة من فتيل

يجرّ الذّيل ينفض مذرويه[1] # خفيف الظهر من حمل ثقيل

[1]يقال: جاء فلان ينفض مذرويه، إذا جاء باغيا يتهدّد. و المذري: في الأصل: طرف الألية.

7-ذكر أبي دلف و نسبه و أخباره

نسب أبي دلف و مكانته

:

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. و محلّه في الشجاعة و علوّ المحلّ عند الخلفاء و عظم الغناء في المشاهد و حسن الأدب و جودة الشعر محلّ ليس لكبير أحد[1] من نظرائه. و ذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله؛ و في هذا القدر من أخباره مقنع. و له أشعار جياد، و صنعة كثيرة حسنة. فمن جيّد شعره و له فيه صنعة قوله:

صوت

بنفسي يا جنان و أنت منّي # محلّ الروح من جسد الجبان

/و لو أنّي أقول مكان نفسي # خشيت عليك بادرة الزمان

لإقدامي إذا ما الخيل حامت # و هاب كماتها حرّ الطّعان

و له فيه لحن. و هذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النّظّام[2].

أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام

:

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: لقي إبراهيم النظّام غلاما حسن الوجه، فاستحسنه و أراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لو لا ما سبق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل، كما أنه لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول، لما أنبت[3]إلى مخاطبتك و لا انشرح صدري لمحادثتك، لكنه سبب الإخاء و عقد المودّة، و محلّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام/-و هو لا يعرفه-: لئن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام: الطبائع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة، و تميل إلى ما قاربها بالموافقة؛ و كياني مائل إلى كيانك بكلّيّتي. و لو كان الذي انطوى عليه عرضا لم أعتدّ به ودّا، و لكنه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، و عدمه بعدمها؛ و أقول كما قال الهذليّ: فتيقّني أن قد كلفت بكم # ثم افعلي ما شئت عن علم

[1]يظهر أن صوابه: «ليس لكبير آخر» .

[2]هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام المعتزلي أحد شيوخ المتكلمين و المعتزلة في دولة المعتصم.

[3]أنبت: رجعت. و في ب، س: «لما أتيت» .

فقال له النظّام: إنما كلّمتك بما سمعت و أنت عندي غلام مستحسن؛ و لو علمت أنّ محلّك مثل محلّ معمر[1] و طبقته في الجدل لما تعرّضت لك. قال أبو الحسن: و من هذا أخذ أبو دلف قوله: أحبّك يا جنان و أنت منّي # محلّ الرّوح من جسد الجبان

و من جيّد شعره و له فيه صنعة قوله:

صوت

في كلّ يوم أرى بيضاء طالعة # كأنما أنبتت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري # لما قطعتك عن همّي و عن فكري

بلغه طروق الشراة و هو بالسرادن مع جارية له فأسرع لحربهم و ردهم

:

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدّثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف يقول: حدّثتني ظبية جارية أبي[2]قالت: إنّي لمعه ليلة بالسّرادن[3]و هو جالس يشرب معي و عليه ثياب ممسّكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشّراة أطراف عسكره؛ فلبس الجوشن و مضى فقتل و أسر و انصرف إليّ في آخر اللّيل و هو يغنّي-قالت: و الشعر له-:

صوت

ليلتي بالسّرادن # كلّلت بالمحاسن

و جوار أوانس # كالظّباء الشّوادن

بدّلت بالممسّكا # ت ادّراع الجواشن

الشعر لأبي دلف. و الغناء له رمل بالسبّابة في مجرى البنصر.

خرج مع الأفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقذه ابن أبي داود

:

و قال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دلف القاسم بن عيسى في جملة من كان مع الأفشين[4]خيذر بن كاووس [1]هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش البصري النحوي العلامة. قال الجاحظ فيه: لم يكن في الأرض خارجي و لا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. أقدمه الرشيد من

البصرة إلى بغداد سنة ثمان و ثمانين و مائة. (عن وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 154) .

[2]كذا في «الأصول» . و لعله يريد: «جدي» .

[3]السرادن: موضع ببلاد فارس.

[4]قد وردت هذه الكلمة في «شرح القاموس» بكسر الشين مضبوطة بالعبارة و في «كتب التاريخ» مضبوطة بالقلم. و في «شعر أبي تمام» ما يؤيده إذا قال يمدحه من قصيدة: لم يقر هذا السيف هذا الصبر في # هيجاء إلاّ عزّ هذا الدّين

قد كان عذرة مغرب فافتضها # بالسيف فحل المشرق الأفشين

و في «رسالة الغفران» طبع مصر ص 166 ما يدل على أن ضبطه بفتح الشين و إسكان الياء. و هو أحد قوّاد المعتصم المقدمين و ولاته، ولاه حرب بابك الخرّمي، ثم غضب عليه و حبسه مضيقا عليه ثم قتله. (انظر الطبري ق 3 ص 1170، 1179، 1186، 1234، 1300، 1318) .

لمّا خرج لمحاربة بابك[1]، ثم تنكّر له؛ فوجّه يوما بمن جاء به ليقتله. و بلغ المعتصم الخبر، فبعث إليه بأحمد/بن أبي دواد و قال له: أدركه، و ما أراك تلحقه، فاحتل في خلاصه منه كيف شئت. قال ابن أبي دواد: فمضيت ركضا حتى وافيته، فإذا أبو دلف واقف بين يديه و قد أخذ بيديه غلامان له تركيّان، فرميت بنفسي على البساط، و كنت إذا جئته دعا لي بمصلّى، فقال لي: سبحان اللّه!ما حملك على هذا؟قلت: أنت أجلستني هذا المجلس. ثم كلّمته في القاسم و سألته فيه و خضعت له، فجعل لا يزداد إلاّ غلظة. فلما رأيت ذلك قلت: هذا عبد و قد أغرقت في الرّفق به فلم ينفع، و ليس إلا أخذه بالرّهبة و الصّدق؛ فقمت/فقلت: كم تراك قدرت!تقتل أولياء أمير المؤمنين واحدا بعد واحد، و تخالف أمره في قائد بعد قائد!قد حملت إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهات الجواب!. قال:

فذلّ حتى لصق بالأرض و بان لي الاضطراب فيه. فلما رأيت ذلك نهضت إلى أبي دلف و أخذت بيده، و قلت له: قد أخذته بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أبا عبد اللّه. فقلت: قد فعلت و أخرجت القاسم فحملته على دابّة و وافيت المعتصم. فلما بصر بي قال: بك يا أبا عبد اللّه وريت زنادي، ثم ردّ عليّ خبري مع الأفشين حدسا بظنّه ما أخطأ فيه حرفا؛ ثم سألني عما ذكره لي و هو كما قال، فأخبرته أنه لم يخطئ حرفا.

أنكر عليه أحمد بن أبي دواد الغناء مع جلالة قدره و كبر سنه
:

و قال عليّ بن محمد حدّثني جدّي قال:

كان أحمد بن أبي دواد ينكر أمر الغناء إنكارا شديدا. فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغنّي؛ فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمد بن أبي دواد في موضع و أحضر أبا دلف و أمره أن يغنّي، ففعل ذلك و أطال؛ ثم أخرج أحمد بن أبي دواد عليه من موضعه و الكراهة ظاهرة في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سوأة لهذا من فعل[2]!بعد هذه السّنّ و هذا المحلّ تضع نفسك كما أرى!فحجل أبو دلف و تشوّر[3]، و قال: إنهم أكرهوني على ذلك. فقال: هبهم أكرهوك على الغناء أ فأكرهوك على الإحسان و الإصابة!.

سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه
:

قال عليّ و حدّثني جدّي: أنّ سبب منادمته للمعتصم أنه كان نديما للواثق، و كان أبو دلف قد وصف للمعتصم فأحب أن يسمعه، و سأل الواثق عنه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا على الفصد غدا و هم عندي. فقال له المعتصم:

أحبّ ألاّ تخفي عليّ/شيئا من خبركم. و فصد الواثق، فأتاه أبو دلف و أتته رسل الخليفة بالهدايا، و أعلمهم الواثق حضور أبي دلف عنده؛ فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الواثق و كلّ من عنده حتى تلقّوه حين برز من الدّهليز إلى الصّحن؛ فجاء حتى جلس، و أمر بندماء الواثق فردّوا إلى مجالسهم. قال حمدون[4]:

و خنست عن مجلسي الذي كنت فيه لحداثتي؛ فنظر المعتصم إلى مكاني خاليا، فسأل عن صاحبه فسمّيت له، فأمر بإحضاري فرجعت إلى مكاني، و أمر بأن يؤتى برطل من شرابه فأتي به؛ فأقبل على أبي دلف فقال له: يا قاسم، غنّ [1]هو بابك الخرّمي الطاغية الذي كاد أن يستولي على الممالك زمن المعتصم، كان يرى رأي المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ و أباحوا النساء و المحرّمات، و قتلهم أنوشروان. (عن شرح القاموس مادة خرم) .

[2]كذا في «جـ» . و في «سائر الأصول» : «سوأة لمن فعل هذا... » .

[3]تشوّر: خجل.

[4]هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب أوّل من نادم الخلفاء من أهله. ـ

أمير المؤمنين صوتا؛ فما حصر و لا تثاقل و قال: أغنّي أمير المؤمنين صوتا بعينه أو ما[1]اخترته؟قال: بل غنّ صنعتك في شعر جرير: بان الخليط برامتين فودّعوا فغنّاه إيّاه. فقال المعتصم: أحسن!أحسن!ثلاثا، و شرب الرّطل، و لم يزل يستعيده و يشرب عليه حتى والى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركبه، و أمر أبا دلف أن ينصرف معه، و أمرني بالانصراف معهما، فخرجت أسعى/مع ركابه، فثبّتّ في ندمائه من ذلك اليوم، و أمر لأبي دلف بعشرين ألف دينار.

نسبة الصوت الذي غنّاه أبو دلف صوت

بان الخليط برامتين فودّعوا # أو كلّما اعتزموا لبين تجزع

كيف العزاء و لم أجد مذ غبتم # قلبا يقرّ و لا شرابا ينقع

عروضه من الكامل. الشعر لجرير، و الغناء لأبي دلف ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ و عمرو بن بانة.

ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكرديّة يستخفّ مطيع بن إياس، و كان منقطعا إليه و له منه منزلة حسنة. فذكر له مطيع بن إياس حمّادا الراوية، و كان مطّرحا مجفوّا في أيّامهم. فقال له: دعني، فإنّ دولتي كانت في بني أميّة و ما لي عند هؤلاء خير. فأبى مطيع إلا الذهاب به إليه. فاستعار سوادا و سيفا؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه و جلس. فقال له جعفر: أنشدني. فقال: لمن أيها الأمير؟قال: لجرير. قال حماد: فسلخ اللّه شعره أجمع من قلبي إلاّ قوله: بان الخليط برامتين فودّعوا فاندفعت أنشده إيّاه حتى بلغت إلى قوله: و تقول بوزع قد دببت على العصا # هلاّ هزئت[2]بغيرنا يا بوزع

قال حمّاد فقال لي جعفر: أعد هذا البيت فأعدته؛ فقال: إيش هو بوزع؟قلت: اسم امرأة. قال: امرأة اسمها بوزع! هو بريء من اللّه و رسوله و من العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بوزع إلا غولا من الغيلان!تركتني و اللّه يا هذا لا أنام الليل من فزع بوزع!يا غلمان، قفاه. قال: فصفعت و اللّه

حتى لم أدر أين أنا. ثم قال: جرّوا برجله، فجرّوا برجلي [1]في «الأصول» : «بعينه و ما اخترته» .

[2]كذا فى «النقائض» . و في «الأصول» : «هذيت» بالذال المعجمة.

حتى أخرجت من بين يديه و قد تخرّق السواد و انكسر جفن السيف و لقيت شرّا عظيما مما جرى من ذلك. و كان أغلظ من ذلك عليّ غرامتي السواد و السيف. فلما انصرف إليّ مطيع جعل يتوجّع لي. فقلت له: أ لم أخبرك أنّي لا أصيب منهم خيرا و أنّ حظّي قد مضى مع من مضى من بني أمية!.

/رجع الحديث إلى أخبار أبي دلف.

كان جواد ممدّحا و شعر علي بن جبلة فيه

:

و كان أبو دلف جواد ممدّحا؛ و فيه يقول عليّ بن جبلة: إنما الدّنيا أبو دلف # بين مغزاه و محتضره

و إذا ولّى أبو دلف # ولّت الدّنيا على أثره

و هي من جيّد شعره و حسن مدائحه. و فيها يقول:

ذاد ورد الغيّ عن صدره # و ارعوى[1]و اللّهو من وطره

ندمي أنّ الشّباب مضى # لم أبلّغه مدى أشره

حسرت عنّي بشاشته # و ذوى المحمود من ثمره

و دم أهدرت من رشأ # لم يرد عقلا على هدره

فأتت دون الصّباهنة # قلبت فوقي[2]على وتره

/دع جدا قحطان أو مضر # في يمانيه و في مضره

و امتدح من وائل رجلا # عصر الآفاق من عصره

المنايا في مقانبه # و العطايا في ذرا[3]حجره

ملك تندى أنامله # كانبلاج النّوء عن مطره

مستهلّ عن مواهبه # كابتسام الرّوض عن زهره

جبل عزّت مناكبه # أمنت عدنان في نفره

إنما الدّنيا أبو دلف # بين مغزاه و محتضره

فإذا ولّى أبو دلف # ولّت الدنيا على أثره

/كلّ من في الأرض من عرب # بين باديه إلى حضره[4]

[1]كذا في «جـ» و نهاية الأرب (ج 4 ص 250 طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى) . و في «سائر الأصول» : «و الهوى و اللهو من وكره» و هو

تحريف.

[2]الفوق من السهم: موضع الوتر.

[3]كذا في «نهاية الأرب» . و في «الأصول» : «في ذوي حجره» و هو تحريف.

[4]في «الأصول» : «بين باديه و مختصره» . و التصويب عن «نهاية الأرب» .

مستعير منه مكرمة # يكتسيها يوم مفتخره

و هذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمون على عليّ بن جبلة حتى سلّ لسانه من قفاه، و قوله في أبي دلف أيضا: أنت الذي تنزل الأيّام منزلها # و تنقل الدهر من حال إلى حال

و ما مددت مدى طرف إلى أحد # إلاّ قضيت بأرزاق و آجال

و سنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليّ بن جبلة إن شاء اللّه تعالى؛ إذ كان القصد هاهنا أمر أبي دلف.

ذكرت قصة له في الكرم و أخرى لأبي البختري فكان هو أكرم :

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال:

كنّا عند أبي العباس المبرّد يوما و عنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه، و فتى من ولد أبي دلف العجليّ شبيه به في الجمال. فقال المبرّد لابن أبي البختريّ: أعرف لجدّك قصّة ظريفة من الكرم حسنة لم يسبق إليها. قال: و ما هي؟قال: دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقوه نبيذا غير الذي كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم: نبيذان في مجلس واحد # لإيثار مثر على مقتر

فلو كان فعلك ذا في الطعام # لزمت قياسك في المسكر

و لو كنت تطلب شأو الكرام # صنعت صنيع أبي البختري

تتبّع إخوانه في البلاد # فأغنى المقلّ عن المكثر

/فبلغت الأبيات أبا البختريّ فبعث إليه بثلاثمائة دينار. قال ابن عمّار: فقلت: قد فعل جدّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا. قال: و ما فعل؟قلت: بلغه أنّ رجلا افتقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترض في الجند؛ فقال: إليك عنّي فقد كلّفتني شططا # حمل السلاح و قيل الدّارعين قف

تمشي المنايا إلى غيري[1]فأكرهها # فكيف أمشي إليها عاري الكتيف

حسبت أنّ نفاد المال غيّرني # و أنّ روحي في جنبي أبي دلف

فأحضره أبو دلف ثم قال له: كم أمّلت امرأتك أن يكون رزقك؟قال: مائة دينار. قال: و كم/أمّلت أن تعيش؟ قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك

عليّ على ما أمّلت امرأتك في مالنا دون مال السلطان؛ و أمر بإعطائه إيّاه. قال: فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلّل، و انكسر ابن أبي البختريّ انكسارا شديدا.

عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه و رد عليه

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال: قال عليّ بن جبلة: زرت أبا دلف بالجبل[2]، فكان يظهر من إكرامي و برّي و التّحفّي بي أمرا مفرطا، حتى [1]في جـ: إلى قوم.

[2]بلاد، الجبل: مدن بين أذربيجان و عراق العرب و خوزستان و فارس و بلاد الديلم.

تأخّرت عنه حينا حياء. فبعث إليّ معقل بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعت عنّي، و أحسبك استقللت برّي بك، فلا يغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: و اللّه ما قطعني إلاّ إفراطه في البرّ، و كتبت إليه.

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة # و هل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

/و لكنّني لمّا أتيتك زائرا # فأفرطت في برّي عجزت عن الشكر

فم الآن لا آتيك إلا مسلّما # أزورك في الشهرين يوما أو الشهر

فإن زدتني برّا تزايدت جفوة # و لم تلقني طول الحياة إلى الحشر

فلمّا قرأها معقل استحسنها جدّا و قال: أحسنت و اللّه!أما إنّ الأمير لتعجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دلف قال: قاتله اللّه. ما أشعره و أدقّ معانيه!فأعجبته فأجابني لوقته-و كان حسن البديهة حاضر الجواب-: ألا ربّ ضيف طارق قد بسطته # و آنسته قبل الضّيافة بالبشر

أتاني يرجّيني فما حال دونه # و دون القرى و العرف من نائلي ستري

وجدت له فضلا عليّ بقصده # إليّ و برّا زاد فيه على برّي

فزوّدته مالا يقلّ بقاؤه # و زوّدني مدحا يدوم على الدهر

قال: و بعث إليّ بالأبيات مع وصيف له و بعث معه إليّ بألف دينار؛ فقلت حينئذ: إنما الدنيا أبو دلف

.

الأبيات.

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو دلف يسير مع معقل، و هما إذ ذاك بالعراق، إذ مرّا بقصر، فأشرفت منه جاريتان؛ فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه الشاعر: إنما الدنيا أبو دلف فقالت الأخرى: أ و هذا!قد و اللّه كنت أحبّ أن أراه منذ سمعت ما قيل فيه. فالتفت أبو دلف إلى معقل فقال: ما أنصفنا عليّ بن جبلة و لا وفيناه حقّه، و إن ذلك لمن كبير همّي. قال: و كان أعطاه ألف دينار.

صوت من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

أمّا القطاة فإنّي سوف أنعتها # نعتا يوافق منها بعض ما فيها

...

سكّاء[1]مخطوبة[2]في ريشها طرق # صهب قوادمها كدر خوافيها

عروضه من البسيط. و الشعر مختلف في قائله، ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيميّ و إلى/مزاحم العقيليّ و إلى [1]السكك: صغر الأذن و لصوقها بالرأس. يقال للقطاة سكاء لأنه لا أذن لها.

[2]كذا في «نهاية الأرب» (ج 10 ص 262 طبعة أولى) . و المخطوبة: التي على لون الحنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت و صارت فيها خطوط خضر. و الطرق في الريش. أن يكون بعضه فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل. و الصهبة: لون يضرب إلى الحمرة أو إلى الشقرة. و في الأصول: «مخطوطة بالطاء المهملة.

العبّاس بن يزيد بن الأسود الكنديّ و إلى العجير السّلوليّ و إلى عمرو بن عقيل بن الحجّاج الهجيميّ و هو أصح الأقوال؛ رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعيّ. و على أنّ في هذه الروايات أبياتا ليست مما يغنّى فيه و أبياتا ليست في الرواية[1]. و قد روي أيضا أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كل واحد منهم بعضا. و أخبار ذلك و ما يحتاج إليه في شرح غريبه يذكر بعد هذا. و الغناء في اللحن المختار لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى. و في هذين البيتين مع أبيات أخر من القصيدة اشتراك كثير بين المغنّين يتقدّم بعض الأبيات فيه بعضا و يتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك و تأخيره. و الأبيات تكتب هاهنا ثم تنسب صنعة كلّ صانع في شيء منها إليه؛ و هي بعد البيتين الأوّلين، إذ كانا قد مضيا و استغني عن إعادتهما، : لمّا تبدّى لها طارت و قد علمت # أن قد أظل و أنّ الحيّ غاشيها

/تشتقّ[2]في حيث لم تبعد مصعّدة # و لم تصوّب إلى أدنى مهاويها

تنتاش[3]صفراء مطروقا بقيّتها # قد كاد يأزي عن الدّعموص آزيها

ما هاج عينك أم قد كاد يبكيها # من رسم دار كسحق[4]البرد باقيها

فلا غنيمة توفّي بالذي وعدت # و لا فؤادك حتى الموت ناسيها

بسيط مولى عبد اللّه بن جعفر خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أمّا القطاة» و الذي بعده، و «تنتاش[5]صفراء» خفيف ثقيل نصر عن عمرو. و لإبراهيم الموصليّ في «لما تبدّى لها» و «أمّا القطاة» خفيف رمل عن الهشاميّ. و لعمر الواديّ في «أمّا القطاة» ثقيل بالوسطى. و لابن جامع في «لما تبدّى لها» و بعده «أمّا القطاة» خفيف رمل. و لسياط في الأوّل و الثاني و بعدهما «تشتق في حيث لم تبعد» خفيف ثقيل بالبنصر، و من الناس من ينسب لحنه إلى عمر الواديّ و ينسب لحن عمر إليه. و لعلّويه في «أمّا القطاة» و الذي بعده رمل هو من صدور أغانيه و مقدّمها. فجميع ما وجدته في هذه الأبيات من الصنعة أحد عشر لحنا[6].

تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة

:

فأمّا خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العجير السّلوليّ أوس بن غلفاء الهجيميّ و مزاحما العقيليّ و العباس بن يزيد بن

الأسود الكنديّ و حميد بن ثور الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم و تناشدوا و ادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. و مرّ بهم سرب قطا؛ فقال أحدهم: تعالوا حتى نصف القطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأيّنا كان أحسن وصفا لها غلب أصحابه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة و هي «أمّا القطاة» . و قال حميد أبياتا وصف ناقته فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال: [1]في هذه الجملة غموض.

[2]تشتق: تقطع.

[3]سيشرح أبو الفرج فيما سيأتي هذا البيت.

[4]السحق: الثوب البالي.

[5]لعله: «و في تنتاشن صفراء خفيف ثقيل... » .

[6]المذكور هنا سبعة ألحان فقط.

كما انصلتت[1]كدراء تسقي فراخها # بشمظة[2]رفها و المياه شعوب

غدت لم تباعد في السماء و دونها # إذا ما علت أهويّة[3]و صبوب

قرينة سبع[4]إن تواترن[5]مرّة # ضربن فصفّت أرؤس و جنوب

/فجاءت و ما جاء القطا ثم قلّصت[6] # بمفحصها و الواردات تنوب

و جاءت و مسقاها الذي وردت به # إلى الصّدر مشدود[7]العصام كتيب

تبادر أطفالا مساكين دونها # فلا لا تخطّاه العيون رغيب[8]

وصفن لها مزنا بأرض تنوفة[9] # فما هي إلاّ نهلة و تئوب

و قال العباس بن يزيد بن الأسود-هكذا ذكر ابن الكلبيّ، و غيره يرويها لبعض بني مرّة-: حذّاء[10]مدبرة سكّاء مقبلة # للماء في النحر منها نوطة[11]عجب

تسقى أزيغب ترويه مجاجتها[12] # و ذاك من ظماءة من ظمئها[13]شرب

/منهرت الشّدق لم تنبت قوادمه # في حاجب العين من تسبيده[14]زبب

تدعو القطا بقصير الخطو ليس له # قدّام منحرها ريش و لا زغب

تدعو القطا و به تدعى إذا انتسبت # يا صدقها حين تدعوه و تنتسب

و قال مزاحم العقيليّ:

أ ذلك أم كدريّة هاج وردها # من القيظ يوم واقد و سموم

[1]انصلتت: أسرعت في السير.

[2]كذا في «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» . و شمظة: موضع بعكاظ، و هو الذي نزلت فيه قريش و حلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار. و في الأصول: «شمطة» بالطاء المهملة و هو تصحيف. و الرفه (بالكسر) : أقصر الورد، و هو أن ترد الإبل الماء كل يوم أو متى شاءت. و الشعوب: البعيدة، يقال: ماء شعب و مياه شعوب.

[3]كذا في جـ و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على شمظة. و الأهوية: الهاوية. و الصبوب (بالفتح) : منحدر الوادي. و في الأصول: «هوية و هبوب» .

[4]كذا في جـ و «اللسان» (مادة وتر) . و في سائر الأصول: «قريبة سبع» .

[5]التواتر: التتابع، يقال: تواترت الإبل و القطا إذا جاء بعضها في إثر بعض و لم تجيء مصطفة.

[6]قلصت: انضمت و انزوت. و المفحص: مجثم القطاة. و الواردات تنوب أي الواردات للماء ترجع.

[7]في أ، جـ: «مسدود العصام» . بالسين المهملة. و في سائر الأصول: «مسرود العظام» . و العصام: حبل تشدّ به القربة. و كتيب: مخروز.

[8]رغيب: واسع.

[9]التنوفة: الأرض القفر.

[10]الحذاء: القصيرة الذنب.

[11]النوطة: الحوصلة.

[12]المجاجة: الريق.

[13]الظمء: ما بين الشربين و الوردين.

[14]التسبيد: أول ظهور ريش الفرخ. و الزبب: كثرة الزغب.

غدت كنواة القسب[1]لا مضمحلّة # وناة[2]و لا عجلى الفتور سئوم

تواشك رجع المنكبين و ترتمى # إلى كلكل، للهاديات[3]قدوم

فما انخفضت حتى رأت ما يسرّها # و فيء الضّحى قد مال فهو ذميم

أباطح و انتصّت[4]على حيث تستقي # بها شرك للواردات مقيم

سقتها سيول المدجنات فأصبحت # علاجيم تجري مرّة و تدوم[5]

فلما استقت من بارد الماء و انجلى # عن النفس منها لوحة[6]و هموم

دعت باسمها حين استقت فاستقلّها # قوادم حجن[7]ريشهنّ مليم

بجوز[8]كحقّ الها جريّة زانه # بأطراف عود الفارسيّ وشوم

-يعني حقّ الطيب. شبّه حوصلتها به. و الوشوم يعني الشّية[9]التي في صدرها-: لتسقي زغبا بالتّنوفة لم يكن # خلاف مولاّها لهنّ حميم

ترائك[10]بالأرض الفلاة و من بدع # بمنزلها الأولاد فهو مليم

إذا استقبلتها الريح طمّت[11]رفيقة # و هنّ بمهوى كالكرات جثوم

يراطنّ[12]و قصاء[13]القفا وحشة الشّوى # بدعوى القطا لحن لهنّ قديم

فبتن قريرات العيون و قد جرى # عليهن شرب فاستقين منيم

صبيب سقاء نيط قد بركت به # معاودة سقي الفراخ رءوم

و قال العجير-فيما روى ابن الكلبيّ، و قد تروى لغيره-:

سأغلب و السماء و من بناها # قطاة مزاحم و من انتحاها

[1]القسب: تمر يابس يتفتت في الفم صلب و نواه شديد قوي.

[2]الوناة: البطيئة القيام و القعود.

[3]الهادية: المتقدّمة، يريد أنها توالي بين جناحيها مسرعة حتى تتقدّم غيرها من السابقات.

[4]يقال: انتصت العروس إذا جلست على المنصة لترى، هذا هو الأصل فيه. يريد أنها وقفت على الماء.

[5]المدجنات: السحائب الدائمة المطر. و العلاجيم: جمع علجوم و هو الماء الغمر الكثير. و تدوم: تسكن.

[6]اللوحة: العطشة.

[7]حجن: عوج. و مليم، كذا في الأصول، و لم نهتد إلى وجه الصواب في هذه الكلمة. و ظاهر أنه يريد أن ريشهن كثير متكائف.

[8]في بعض الأصول: «تجوز» . و الهاجرية: المرأة الحضرية.

[9]في أكثر الأصول: «الثقبة» . و في جـ: «الثقة» و ظاهر أنه تحريف عن «الشية» و هي لون يخالف معظم لون الشيء. و المراد النمنمة التي في الصدر.

[10]ظاهر أنه يريد بالترائك أو ضدها اللاتي تركتهن بالفلاة: و المليم (بضم الميم) : الذي يفعل ما يلام عليه.

[11]طمت: أسرعت.

[12]كذا في جـ: و في سائر الأصول: «يواطئن» .

[13]الوقصاء: القصيرة.

قطاة مزاحم و أبي المثنّى # على حوزيّة[1]صلب شواها

غدت كالقطرة السّفواء[2]تهوي # أمام مجلجل[3]زجل نفاها

تكفّأ كالجمانة لا تبالي # أبا المومأة أضحت أم سواها/

نبت منها العجيزة فاحزألّت[4] # و نبّس[5]للتقتّل منكباها

كأنّ كعوبها أطراف نبل # كساها الرّازقيّة[6]من براها/

قال: و احتكموا إلى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوس بن غلفاء.

و أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حميد[7]بن ثور و العجير السّلوليّ و مزاحم العقيليّ و أوس بن غلفاء الهجيميّ أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيّهم أحسن وصفا لها؛ فقالت: ألا كلّ ما قال الرّواة و أنشدوا # بها غير ما قال السّلوليّ بهرج

و حكمت له. فقال حميد بن ثور يهجوها:

كأنّك ورهاء[8]العنانين بغلة # رأت حصنا فعارضتهنّ تشحج

و وجدت هذه الحكاية عن أبي عبيدة مذكورة عن دماذ عنه و أنّه سأله عن أبيات العجير فأنشده: تجوب الدّجى سكّاء من دون فرخها # بمطلى أريك نفنف[9]و سهوب

فجاءت و قرن الشمس باد كأنّه # هجان بصحراء الخبيب[10]شبوب

لتسقي أفراخا لها قد تبلّلت # حلاقيم أسماط[11]لها و قلوب

قصار الخطا زغب الرءوس كأنها # كرات تلظّى مرّة و تلوب[12]

[1]كذا في جـ و الحوزية (بالضم) : الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها، أو هي التي عندها سير مذخور من سيرها أي التي تغلب غيرها بالهويني و عندها سير مذخور لم تبتذله أو هي التي لها خلفة انقطعت عن الإبل في خلفتها و فراهتها كما تقول: منقطع القرين.

(راجع «القاموس و شرحه» مادة حوز) . و في سائر الأصول: «خرزية» و هو تحريف.

[2]السفواء: السريعة.

[3]المجلجل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد. و غيث زجل: لرعده صوت.

[4]احزألت: ارتفعت.

[5]نبس: تحرّك. و التقتل: التثني و التبختر. و في الأصول ما عدا جـ: «للتفتل» بالفاء.

[6]الرازقية: ثياب كتان بيض.

[7]كذا في جميع الأصول. و المعروف أن أبا عبيدة معمر بن المثنى الذي كان يعاصر الرشيد لم يعاصر هؤلاء النفر الذين كانوا في صدر الدولة الأموية. و لعل صوابه: «... عن أبي عبيدة قال: إن حميد بن ثور... إلخ» أو أن في السند نقصا.

[8]الورهاء: الخرقاء.

[9]المطلى: مسيل ضيق من الأرض. و أريك (كأمير) : واد بديار بني مرة. و النفنف: المفازة. و السهوب: الفلوات.

[10]هجان: أبيض. الخبيب: الأصل فيه حبل من رمل لا طيء بالأرض، و يريد هنا موضعا بعينه. و شبوب: تجاوز رجلاه يديه في العدو. شبه قرن الشمس بفرس أبيض تجاوز رجلاه يديه حين يشتد في العدو حتى يصير كالكرة.

[11]حلاقيم أسماط أي لا سمة فيها.

[12]تلوب: تعطش.

405

/فأمّا ما ذكرت من رواية ثعلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أن أبا الحضير أنشده لعمرو بن عقيل بن الحجّاج الهجيميّ: أمّا القطاة فإني سوف أنعتها # نعتا يوافق نعتي بعض ما فيها

صفراء مطروقة في ريشها خطب # صفر قوادمها سود خوافيها

منقارها كنواة القسب قلّمها # بمبرد حاذق الكفّين يبريها

تمشي كمشي فتاة الحيّ مسرعة # حذار قوم إلى ستر يواريها

-قال الأصمعيّ: مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فوق بعض. و الخطب: لون الرماد، يقال للمشبّه به أخطب-: تنتاش صفراء مطروقا بقيّتها # قد كاد يأزي عن الدّعموص آزيها

-تنتاش: تتناول بقية من الماء. و المطروق: الماء الذي قد خالطه البول. و قوله: يأزى أي يقلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته. و الدّعموص: الصغير من الضفادع و جمعه دعاميص-

تسقي رذيّين بالموماة قوتهما # في ثغرة النّحر من أعلى تراقيها

-الرذيّ: الساقط من الضعف. يعني فرخيها-

كأنّ هيدبة[1]من فوق جؤجئها # أو جرو حنظلة لم يعد راميها

-جرو الحنظل: صغاره. و قوله: لم يعد من العداء، أي لم يعد عليها فيكسرها- /

تشتقّ من حيث لم تبعد مصعّدة # و لم تصوّب إلى أدنى مهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت و احتضرت[2] # توجّسا الوحي منها عند غاشيها

-و يروى: حتى إذا استأنسا للصوت. و توجّسا: تسمّعا. وحيها أي سرعة طيرانها. و غاشيها أي حين تغشاهما و تنتهي إليهما- /

ترفّعا عن شئون غير ذاكية # على لديدي أعالي المهد أدحيها[3]

-الذاكية: الشديدة الحركة. و المهد: أفحوصها. و لديداه: جانباه-

مدّا إليها بأفواه مزيّنة # صعدا ليستنزلا الأرزاق من فيها

كأنّها حين مدّاها لجنأتها # طلى بواطنها بالورس طاليها

-جنأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتزقّهما-

حثلين رضّا رفاض البيض عن زغب # ورق[4]أسافلها بيض أعاليها

حثلين: دقيقين ضاويين. رضّا: كسرا. و الرّفاض: ما ارفضّ و تفرّق-
[1]الهيدبة: خمل الثوب.

[2]احتضرت: حضرت.

[3]الأدحى: موضع البيض الذي يفرخ فيه.

[4]الورقة: سواد في غبرة. ـ

ترأّدا حين قاما ثمّت احتطبا # على نحائف منآد محانيها

ترأّدا: تثنّيا. و احتطبا: دنوا. و المنآد: المنعطف. و محانيها: حيث انحنت-

تكاد من لينها تنآد أسؤقها # تأوّد الرّبل[1]لم تعرم نواميها

-تعرم: تشتد. و نواميها: أعاليها-:

لا أشتكي نوشة[2]الأيّام من ورقي # إلاّ إلى من أن سوف يشكيها[3]

لدلهم مأثرات قد عددن له # إن المآثر معدود مساعيها

تنمي به في بني لأي دعائمها # و من جمانة لم نخضع سواريها

بنى له في بيوت المجد والده # و ليس من ليس يبنيها كبانيها

و أنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضّبعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشّيعي شيخنا رحمه/اللّه عن أخيه عن أبيّ محلم مثل رواية ثعلب و زاد فيها: قال أبو محلّم: جمانة ابن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهجيم، و هم أخوال[4]دلهم هذا الممدوح. و دلهم من بني لأي ثم من بني يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم، و كان أحد الشّجعان، و هو قتل الضحّاك[5]بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا[6].

صوت من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

أيّها القلب لا أراك تفيق # طالما قد تعلّقتك العلوق[7]

من يكن من هوى حبيب قريبا # فأنا النازح البعيد السّحيق

قدّر الحبّ بيننا فالتقينا # و كلانا إلى اللقاء مشوق

الشعر لعمر بن أبي ربيعة و قد مضت أخباره. و الغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ/خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لابن سريج ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه أيضا [1]الربل: ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها و أدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر.

[2]النوش: التناول.

[3]يشكيها: يريد ينصف منها و يزبل أسباب شكواها.

[4]كذا في جـ. و في سائر الأصول: «و هو أخ لدلهم» و هو تحريف، كما هو ظاهر من سياق نسب دلهم.

[5]هو الضحاك بن قيس الشيباني الحروري، خرج على مروان بن محمد سنة سبع و عشرين و مائة بالجزيرة و استولى على الموصل و كورها، فكتب إلى ابنه عبد اللّه و هو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير إليه، ثم سار إليه مروان و قتله. (انظر «الكامل» لأبي الأثير جـ 5 ص 254، 265-267) .

[6]كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة.

[7]العلوق: جمع علق، كأسود و أسد، و شجون و شجن، و العلق: الهوى و الحب. يريد طالما تعلقت بك هموم الحب و أشجانه.

لمخارق[1]خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ. و فيه لعلّويه رمل بالبنصر عنه[2]و عن الهشاميّ. و بابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء و لا الأكابر، و لا أعلم له خبرا فأذكره.

صوت من المائة المختارة

من لقلب أضحى بكم مستهاما # خائفا للوشاة يخفي الكلاما

إنّ طرفي رسول نفسي و نفسي # عن فؤادي تقرأ عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكر خبره. و الغناء لرياض جارية أبي حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى. و كان أبو حماد هذا أحد القوّاد الخراسانية و من أولاد الدّعاة، و كان يعاشر إسحاق و يبرّه و يهاديه، فأخذت رياض عنه غناء كثيرا؛ و كانت محسنة ضاربة كثيرة الرواية؛ و أحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها و يرفع من شأنها، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاء لحقّ مولاها. و ليس فيما قلته في هذا لأنّ الصوت غير مختار و لكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير و لم يذكره؛ و قد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه و يتعصّب له مثل متيّم و أبي دلف و غيرهم. و من يعلم هذه الصناعة يعرف صحّة ما قلناه. و ماتت رياض هذه مملوكة لمولاها لم تخرج من يده و لا شهرت و لا روي لها خبر.

صوت من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

راح صحبي و عاود القلب داء # من حبيب طلابه لي عناء

حسن الرأي و المواعيد لا يلـ # فى لشيء مما يقول وفاء

من تعزّى عمن يحبّ فإني # ليس لي ما حييت عنه عزاء

أمّ عثمان قد قتلت قتيلا # عمد عين قتلته لا خطاء

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره. و الغناء لنافع بن طنبورة، و لحنه المختار خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و في هذا الشعر لحن لعبد اللّه بن طاهر ثاني ثقيل/من جيّد صنعته، و كان نسبه إلى لميس جاريته، و له خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا. و كان نافع بن طنبورة يكنى أبا عبد اللّه، مغنّ[3]محسن من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقّب نقش الغضار لحسن وجهه. و جعلته جميلة في المرتبة، لمّا اجتمع المغنّون إليها، بعد نافع و بديح و قبل مالك بن أبي السّمح. و غنّاها يومئذ: يا طول ليلي و بتّ لم أنم # و سادي الهمّ مبطن سقمي

أن قمت يوما على البلاط و أبـ # صرت رقاشا فليت لم أقم[4]

[1]في الأصول: «لابن مخارق» و ظاهر أنه محرف عما أثبتناه.

[2]هذه الكلمة «عنه» وردت في جميع الأصول.

[3]في ب، س: «ابن معن» و هو تحريف.

[4]في ب، س: «أن نمت... فليت لم أنم» و هو تحريف.

فقالت جميلة: أحسنت و اللّه يا نقش الغضار و يا حلو اللسان و يا حسن البيان!. و لم يفارق/ابن طنبورة الحجاز و لا خدم الخلفاء و لا انتجعهم بصنعة فخمل ذكره.

صوت من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

عتق الفؤاد من الصّبا # و من السّفاهة و العلاق

و حططت رحلي عن قلو # ص الغيّ في قلص عتاق

و رفعت فضل إزاري الـ # مجرور عن قدمي و ساقي

و كففت غرب النفس حتّ # ى ما تتوق إلى متاق

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت. و الغناء لابن عبّاد الكاتب. و لحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل، و قيل: إنه لغيره.

8-أخبار سعيد بن عبد الرحمن

سعيد بن عبد الرحمن و منزلته في الشعر

:

و قد مضى نسبه في نسب جدّه حسّان بن ثابت متقدّما. و هو شاعر من شعراء الدولة الأمويّة، متوسّط في طبقته ليس معدودا في الفحول. و قد وفد إلى الخلفاء من بني أميّة فمدحهم و وصلوه. و لم تكن له نباهة أبيه و جدّه.

وفد على هشام فلم ينل منه و دعاه الوليد فأكرمه

:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني أبو عمرو الخصّاف عن العتبيّ قال: خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشأم في خلافة هشام بن عبد الملك، و سألهم معاونته، فلم يصادفوا من هشام له نشاطا. و كان الوليد بن يزيد قد طلّق امرأته العثمانيّة ليتزوّج أختها، فمنعه هشام عن ذلك و نهى أباها أن يزوّجه. فمرّ يوما بالوليد و قد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدعي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسّان؟قال: نعم أيها الأمير. فقال له: ما أقدمك؟قال: وفدت على أمير المؤمنين منتجعا و مادحا و مستشفعا بجماعة صحبتهم من أهله، فلم أنل منه خطوة و لا قبولا. قال: لكنك تجد عندي ما تحبّ، فأقم حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام و خرج من عنده؛ فنزل و دعا بسعيد، فدخل إليه، فأمر بتغيير هيئته و إصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشدني قصيدة بلغتني لك فشوّقتني إليك، و غنّيت في بعضها، فلم أزل أتمنّى لقاءك. فقال: أيّ قصيدة أيها الأمير؟قال قولك: أبائنة سعدى و لم توف بالعهد # و لم تشف قلبا تيّمته على عمد

/نعم أ فمود أنت إن شطّت النّوى # بسعدى و ما من فرقة الدهر من ردّ[1]

كأن قد رأيت البين لا شيء دونه # فم الآن أعلن ما تسرّ من الوجد

لعلك منها بعد أن تشحط النّوى # ملاق كما لاقى ابن عجلان[2]من هند

فويل ابن[3]سلمى خلّة غير أنها # تبلّغ منّي و هي مازحة جدّي

/و تدنو لنا في القول و هي بعيدة # فما إن بسلمى[4]من دنوّ و لا بعد

[1]في أ، م: «من بدّ» .

[2]هو عبد اللّه بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، جاهليّ يضرب به المثل في العشق. و هند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهدي، تتصل بعبد اللّه هذا في النسب. (انظر قصتهما مطوّلة في كتاب «تزيين الأسواق» جـ 1 ص 90، و «الأغاني» جـ 19 ص 102 طبع بلاق) .

[3]كذا في الأصول. و لعله «فويل أم سلمى إلخ» أو «فيا ويل سلمى» .

[4]كذا في جـ و في سائر الأصول. «فما أن تسلى» .

و مهما أكن جلدا عليه فإنّني # على هجرها غير الصّبور و لا الجلد
إذا سمت نفسي هجرها قطعت[1]به # فجانبته فيما أسرّ و ما أبدي
كأنّي أرى في هجرها، أيّ ساعة # هممت به، موتى و في وصلها خلدي
و من أجلها صافيت من لا تردّني # عليه له قربى و لا نعمة عندي
و أغضيت عيني من رجال على القذى # يقولون أقوالا أمضّوا بها جلدي
و أقصيت من قد كنت أدني مكانه # و أدنيت من قد كنت أقصيته جهدي
فإن يك أمسى وصل سلمى خلابة # فما أنا بالمفتون في مثلها وحدي
فأصبح ما منّتك دينا مسوّفا # لواه غريم ذو اعتلال و ذو جحد
تجود بتقريب الذي هو آجل # من الوعد ممطول و تبخل بالنّقد
و قد قلت إذ أهدت إلينا تحيّة # عليها سلام اللّه من نازح مهدي
سقي الغيث ذاك الغور ما سكنت به # و نجدا إذا صارت نواها إلى نجد

/قال: فجعل ينشدها و دموع الوليد تنحدر على خدّيه حتى فرغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رفد أحد و لا معونته ما بقيت، و أمر له بخمسمائة درهم، و قال: ابعث بها إلى أهلك و أقم عندي، فلن[2]تعدم ما تحبّه ما بقيت.

فلم يزل معه زمانا، ثم استأذنه و انصرف. و في بعض هذه الأبيات غناء نسبته:

صوت

أبائنة سعدى و لم توف بالعهد # و لم تشف قلبا أقصدته على عمد
و مهما أكن جلدا عليه فإنني # على هجرها غير الصبور و لا الجلد

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. من هذه القصيدة:

صوت

و أغضيت عيني من رجال على القذى # يقولون أقوالا أمضّوا بها جلدي
إذا سمت نفسي هجرها قطعت به # فجانبته فيما أسرّ و ما أبدي

الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى

:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي و محمد بن الضحّاك بن عثمان قالا[3]:

[1]أي كلت و أعيت.

[2]كذا في أ. و في سائر الأصول» : «فلم» و هو تحريف.

[3]في الأصول: «قال» .

وفد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك و كان حسن الوجه؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراده على نفسه، و كان لوطيّا زنديقا؛ فدخل سعيد على هشام مغضبا و هو يقول: إنه و اللّه لو لا أنت لم # ينج منّي سالما عبد الصّمد

/فقال له هشام: و لما ذا؟قال:

إنه قد رام منّي خطّة # لم يرمها قبله منّي أحد

/فقال: و ما هي؟قال:

رام جهلا بي و جهلا بأبي # يدخل الأفعى إلى خيس الأسد

قال: فضحك هشام و قال له: لو فعلت به شيئا لم أنكر عليك.

سأل أبا بكر بن محمد حاجة لدى سليمان بن عبد الملك فلم يقضها و قضاها غيره فهجاه

:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني عمر بن شبّة قال أخبرنا ابن عائشة[لا أعلمه[1]إلا عن أبيه] قال: سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقا له حاجة-و قال هشام بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجة-يكلّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له، ففزع فيها إلى غيره فقضاها؛ فقال: سئلت فلم تفعل و أدركت حاجتي # تولّى سواكم حمدها و اصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأي مقصّر # و نفس أضاق اللّه بالخير باعها

إذا ما أرادته على الخير مرّة # عصاها و إن همّت بشرّ أطاعها

قال ابن عمّار: و قد أنشدنا هذه الأبيات سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن و لم يذكر لها خبرا.

مدح عديّ بن الرقاع شعره

:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ عن ابن عائشة قال: قال رجل من الأنصار لعديّ بن الرّقاع: أكتبني[2]شيئا من

شعرك. قال: و من أيّ العرب أنت؟قال: أنا رجل من الأنصار. قال: و من منكم القائل: /

إنّ الحمام إلى الحجاز بهيج لي # طربا ترنّمه إذا يترنّم

و البرق حين أشيمه متيامنا # و جنائب الأرواح حين تنسّم

[1]كذا وردت هذه الجملة في الأصول.

[2]كذا في أ. و أكتبه شعره و غيره: أملاه عليه. و في سائر الأصول» : «اكتب لي... » .

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فاكتب شعره، فلست تحتاج معه إلى غيره.

و في أوّل هذه القصيدة غناء نسبته:

صوت

برح الخفاء فأيّ ما بك تكتم # و الشّوق[1]يظهر ما تسرّ فيعلم

و حملت سقما من علائق حبّها # و الحبّ يعلقه الصحيح فيسقم

الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ، و ذكره إبراهيم له و لم يجنّسه و في هذه القصيدة يقول: علويّة أمست و دون وصالها # مضمار مصر و عابد[2]و القلزم

خود تطيف بها نواعم كالدّمى # مما اصطفى ذو النّقية[3]المتوسّم

حلّين مرجان البحور و جوهرا # كالجمر فيه على النحور ينظّم

قالت و ماء العين يغسل كحلها # عند الفراق بمستهلّ يسجم

يا ليت أنك يا سعيد بأرضنا # تلقي المراسي ثاويا و تخيّم

فتصيب[4]لذّة عيشنا و رخاءه # فنكون أجوارا فما ذا تنقم

/لا ترجعنّ إلى الحجاز فإنه # بلد به عيش الكريم مذمّم

و هلمّ جاورنا فقلت لها اقصري # عيش بطيبة ويح غيرك أنعم

/أ يفارق الوطن الحبيب لمنزل # ناء و يشرى[5]بالحديث الأقدم

إنّ الحمام إلى الحجاز يهيج لي # طربا ترنّمه إذا يترنّم

و البرق حين أشيمه متيامنا # و جنائب الأرواح حين تنسّم

لو لجّ ذو قسم على أن لم يكن # في الناس مشبهها لبرّ المقسم

من أجلها تركي القرار و خفضه # و تجشّمي ما لم أكن أتجشّم

و لقد كتمت غداة بانت حاجة[6] # في الصدر لم يعلم بها متكلّم

تشفي برؤيتها السقيم و ترتمى # حبّ القلوب، رميّها لا يسلم

[1]كذا في «تجريد الأغاني» و في الأصول: «و لسوف» .

[2]كذا في «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على القلزم. و عابد: جبل بمصر، و قيل: موضع أو صقع بها. و في الأصول: «عائذ» و هو تصحيف.

و القلزم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور، إليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم.

[3]النيقة: اسم للتنوّق أي التخير.

[4]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «فنصيب» بالنون.

[5]يشرى هنا؛ يباع. يقال: شراه إذا باعه، و شراه إذا ملكه بالشراء، فهو من أفعال الأضداد.

[6]كذا في حـ و في سائر الأصول: «حاجتي» .

رقراقة في عنفوان شبابها # فيها عن الخلق الدّنيّ تكرّم

ضنّت على مغرى بطول سؤالها # صبّ كما يسل الغنيّ المعدم

سأل عنبسة بن سعيد أن يكلم له الخليفة فتأخر فسرق متاعه فقال شعر

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن الحرمازيّ قال: خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عنبسة بن سعيد بن العاصي، و كان أبوه صديقا لأبيه، فسأله أن يرفع أمره إلى الخليفة، فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلاّ يسيرا حتى طرقه لصّ فسرق متاعه و كلّ شيء كان معه؛ فأتى عنبسة فتنجّزه ما وعده؛ فاعتلّ عليه و دافعه؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل و قال: أ عنبس قد كنت لا تعتزي[1] # إلى عدّة منك كانت ضلالا

/وعدت عدات لو انجزتها # إذا لحمدت و لم ترز[2]مالا

و ما كان ضرّك لو قد شفعت # فأعطى الخليفة عفوا نوالا

و قد ينجز الحرّ موعوده # و يفعل ما كان بالأمس قالا

فيا ليتني و المنى كاسمها # و قد يصرف الدهر حالا فحالا

قعدت و لم ألتمس ما وعدت # و يا ليت وعدك كان اعتلالا

و كانت نعم منك مخزونة # و قلت من أوّل يوم ألالا

أرى كذب القول من شرّ ما # يعدّ إذا الناس عدوّا الخصالا

فأبقيت لي عنك مندوحة # و نفسا عزوفا تقلّ السؤالا

فإن عدت أرجوكم بعدها # فبدّلت بعد العلاء السّفالا

أ أرجوك من بعد ما قد عزفت[3] # لعمري لقد جئت شيئا عضالا

لقي الوليد لما حج فاستأنس به الوليد

:

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ يأثره عن أبيه قال:

كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان إذا وفد إلى الشأم نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نزله و أعطاه و كساه و شفع له. فلما حجّ الوليد لقيه سعيد بن عبد الرحمن في أوّل من لقيه، فسلّم عليه، فردّ الوليد عليه

السّلام و حيّاه و قرّبه و أمر بإنزاله معه و بسطه، و لم يأنس بأحد أنسه به. و أنشده سعيد قوله فيه: يا لقومي للهجر بعد التّصافي # و تنائى الجميع بعد ائتلاف

/ما شجا القلب بعد طول اندمال # غير هاب[4]كالفرخ بين أثافي

[1]تعتزي: تنتسب.

[2]ترز: أصلها «ترزأ» سهلت الهمزة ثم حذفت للجازم.

[3]كذا في ب، س: بالزاي المعجمة. و في سائر الأصول: «عرفت» بالراء المهملة.

[4]الهابي: الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجوّ كالهباء، و أنشد الأصمعيّ:

و نعيب الغراب في عرصة الدا # ر و نؤي تسقي عليه السّوافي

/و قد روى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال: رأى عليّ ابن عمر أوضاحا[1]فقال: ألقها عنك فقد كبرت.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة

ما جرت خطرة على القلب منّي # فيك إلاّ استترت[2]عن أصحابي

من دموع تجري فإن[3]كنت وحدي # خاليا أسعدت دموعي انتحابي

إنّ حبّي إيّاك قد سلّ جسمي # و رماني بالشيب قبل الشّباب

ارحمي[4]عاشقا لك اليوم صبّا # هائم العقل قد ثوى في التّراب

الشعر للسيّد الحميريّ، و الغناء لمحمد نعجة خفيف رمل أيضا. و لم أجد لهذا المغنّي خبرا و لا ذكرا في موضع من المواضع أذكره. و قد مضت أخبار السيّد متقدما.

صوت من المائة المختارة

أكرع الكرعة الرويّة منها # ثم أصحو و ما شفيت غليلي

كم أتى دون عهد أمّ جميل # من أنّي[5]حاجة و لبث طويل

و صياح الغراب أن سر فأسرع # سوف تحظى بنائل و قبول

الشعر للأحوص. و الغناء للبردان خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر.

وهاب كجثمان الحمامة أجفلت # به ريح ترج و الصبا كل مجفل

[1]الأوضاح: حلى من الفضة.

[2]كذا في «الأغاني» ج 7 ص 228 من هذه الطبعة. و في الأصول هنا: «إلاّ اشهرت من أصحابي» و هو تحريف.

[3]كذا في «الأغاني» في الموضع السابق. و في الأصول: «فأبكيت وحدي» و هو تحريف.

[4]ورد هذا الشطر فيما مرّ هكذا: «لو منحت اللقا شقى بك صبا» .

[5]إني حاجة: إدراكها و بلوغها. و الإنى: التأخير أيضا و هو المراد هنا.

9-أخبار البردان

كان متولي السوق بالمدينة و أخذ عن معبد و جميلة و عزة الميلاء

:

البردان لقب غلب عليه. و من الناس من يقول: بردان من أهل المدينة، و أخذ الغناء عن معبد و قبله عن جميلة و عزّة الميلاء. و كان معدّلا مقبول الشّهادة، و كان متولّي السّوق بالمدينة.

قال هارون بن الزيّات حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال: هو بردان بضم الباء و تسكين الراء.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر و حسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال قال إسحاق:

كان بردان متولّي السوق بالمدينة. فقدّم إليه رجل خصما يدّعي عليه حقّا؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل: أنت بغير هذا أعلم منك بهذا. فقال: ردّوه فردّ؛ فقال: لعلك تعني الغناء!إني و اللّه به لعارف؛ و لو سمعت شيئا جاء البارحة لازددت علما بأني عارف، و مهما جهلت فإني بوجوب الحقّ عليك عالم؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه.

رآه سياط بالمدينة و أخذ عنه أصواتا

:

قال و حدّثني أبو أيّوب عن حمّاد عن أبيه عن ابن جامع عن سياط قال:

رأيت البردان بالمدينة يتولّى سوقها و قد أسنّ؛ فقلت له: يا عمّ، إني/ رويت لك صوتا صنعته، و أحببت أن تصحّحه لي. فضحك ثم قال: نعم يا بنيّ و حبّا و كرامة. لعله:

كم أتى دون عهد أمّ جميل فقلت: قال: مل بنا إلى هاهنا؛ فمال بي إلى دار في السّوق، ثم قال: غنّه؛ فقلت: بل تتمّ إحسانك يا عمّ و تغنّيني به فإنه أطيب لنفسي؛ فإن سمعته كما أقول/غنّيته و أنا غير متهيّب، و إن كان فيه مستصلح استعدته[1]. فضحك ثم قال: أنت لست تريد أن تصحّح غنائك، إنما تريد أن تقول سمعتني و أنا شيخ و قد انقطعت و أنت شابّ. فقلت للجماعة[2]: إن رأيتم أن تسألوه أن يشفّعني فيما طلبت منه!فسألوه، فاندفع فغنّاه فأعاده ثلاث مرّات؛ فما رأيت أحسن من غنائه على كبر سنّه و

نقصان صوته. ثم قال: غنّه فغنّيته؛ فطرب الشيخ حتى بكى، و قال: اذهب يا بنيّ، [1]لعلها: استفدته» .

[2]لعله يعني جماعة كانوا في الدار التي مال به إليها.

فأنت أحسن الناس غناء، و لئن عشت ليكوننّ لك شأن. قال: و كان بردان خفيف الرّوح طيّب[1]الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقي الناس، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله و يسألني أن أغنّيه فأفعل؛ فإذا طابت نفسه سألته أن يطرح عليّ شيئا من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذت عنه عدّة أصوات.

صوت من المائة المختارة

لمن الدّيار بحائل[2]فوعال # درست و غيّرها سنون خوالي

درج البوارح[3]فوقها فتنكّرت # بعد الأنيس معارف الأطلال

/دمن تذعذعها[4]الرياح و تارة # تعفو بمرتجز السّحاب ثقال

فكأنما هي من تقادم عهدها # ورق نشرن من الكتاب بوالي

الشعر للأخطل، و الغناء لسائب خاثر، و لحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. و ذكر عمرو بن بانة أنّ في الثاني و الرابع من الأبيات للأبجر ثقيلا أوّل. و ذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلا أوّل بالوسطى و أنّه أحد السبعة[5]، و أن لإسحاق فيه ثاني ثقيل، و ذكر الهشاميّ أنّ لحن إسحاق خفيف ثقيل.

[1]في أ، م: «حسن الحديث» .

[2]حائل: موضع باليمامة. و وعال (كغراب) : جبل قيل إنه بسماوة كلب بين الكوفة و الشأم. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و «شرح ديوان الأخطل» ص 156 طبع الآباء اليسوعيين) .

[3]كذا في أ، م و «ديوانه» . و البوارح: الرياح الحارة الشديدة. أي جرت الرياح عليها جريانا شديدا فغيرت هيئتها حتى لم تعد تعرف.

و في سائر الأصول: «درج البواكر» .

[4]كذا في جـ و «ديوانه» . و تذعذعها: تحركها تحريكا شديدا و تفرقها و تبددها. و في سائر الأصول: «تزعزعها» بالزاي. و الزعزعة: التحريك.

[5]يريد سبعة أصوات معبد المعروفة بالمدن.

10-ذكر الأخطل و أخباره و نسبه

نسب الأخطل

:

هو غياث بن غوث بن الصّلت بن الطّارقة، و يقال ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب. و يكنى أبا مالك. و قال المدائنيّ: هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة، قال: و يقال لسلمة سلمة اللحّام[1]. قال: و بعث النّعمان بن المنذر بأربعة أرماح لفرسان العرب، فأخذ أبو براء عامر بن مالك رمحا، و سلمة بن طارقة اللحّام[2]رمحا و هو جدّ الأخطل، و أنس بن مدرك رمحا، و عمرو بن معد يكرب رمحا.

سبب تلقيبه بالأخطل و الهجاء بينه و بين كعب ابن جعيل

:

و الأخطل لقب غلب عليه. ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطّاح عن أبي عبيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه؛ فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبت عليه. و ذكر يعقوب بن السّكّيت أنّ عتبة بن الرّعل[9]بن عبد اللّه بن عمر بن عمرو بن حبيب/بن الهجرس[3]بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب حمل حمالة، فأتى قومه يسأل فيها؛ فجعل الأخطل يتكلّم و هو يومئذ غلام. فقال عتبة: من هذا الغلام الأخطل؟!فلقّب به.

قال يعقوب و قال غير أبي عبيدة: إنّ كعب بن جعيل كان شاعر تغلب، و كان لا يأتي منهم قوما إلا أكرموه و ضربوا له قبّة؛ حتى إنه كان تمدّ له حبال بين و تدين فتملأ له غنما. فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به؛ فجاء الأخطل و هو/غلام فأخرج الغنم و طردها؛ فسبّه عتبة و ردّ الغنم إلى مواضعها؛ فعاد و أخرجها و كعب ينظر إليه؛ فقال: إنّ غلامكم هذا لأخطل-و الأخطل: السفيه-فغلب عليه. و لجّ الهجاء بينهما؛ فقال الأخطل فيه:

سمّيت كعبا بشرّ العظام # [و كان[4]أبوك يسمّى الجعل

و إنّ محلّك من وائل # محلّ القراد من است الجمل]

فقال كعب: قد كنت أقول لا يقهرني إلاّ رجل له ذكر و نبأ، و لقد أعددت هذين البيتين لأن أهجى بهما منذ كذا و كذا، فغلب عليهما هذا الغلام.

[1]في جـ: «سلمة اللجام» بالجيم.

[2]في جـ: «ابن الزغل» بالزاي و الغين المعجمتين. و ورد في «الطبري» (ق 1 ص 2476 طبع أوروبا) : «عتبة بن الوعل أحد بني سعد بن جشم» .

[3]في جـ: «ابن الهجر» و في أ، م: «ابن البحر» .

[4]التكملة عن «ديوانه» .

و قال هارون بن الزيّات حدّثني قبيصة بن معاوية المهلّبيّ قال حدّثني عيسى بن إسماعيل قال حدّثني القحذميّ قال: وقع بين ابني جعيل و أمّهما ذرء[1]من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم؛ فقال الأخطل: لعمرك إنّني و ابني جعيل # و أمّهما لإستار[2]لئيم

فقال ابن جعيل: يا غلام، إنّ هذا لخطل من رأيك؛ و لو لا أنّ أمّي سميّة أمّك لتركت أمّك يحدو بها الرّكبان؛ فسمّي الأخطل بذلك. و كان اسم أمّهما و أمّ الأخطل ليلى.

و قال هارون حدّثني إسماعيل بن مجمّع عن ابن الكلبيّ عن قوم من تغلب في قصّة كعب بن جعيل و الأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عبيدة ممن لم يسمّه، و قال فيها: و كان الأخطل يومئذ يقرزم[3]-و القرزمة: الابتداء بقول/الشعر-فقال له أبوه: أ بقرزمتك تريد أن تقاوم ابن جعيل!و ضربه. قال: و جاء ابن جعيل على تفئة[4]ذلك فقال: من صاحب الكلام؟فقال أبوه: لا تحفل به فإنه غلام أخطل. فقال له كعب: شاهد هذا الوجه غبّ الحمّه فقال الأخطل:

فناك كعب بن جعيل أمّه فقال كعب: ما اسم أمّك؟قال: ليلى. قال: أردت أن تعيذها باسم أمّي. قال: لا أعاذها اللّه إذا. و كان اسم أمّ الأخطل[5]ليلى، و هي امرأة من إياد؛ فيسمّي الأخطل يومئذ، و قال: هجا الناس ليلى أمّ كعب فمزّقت # فلم يبق إلا نفنف[6]أنا رافعه

و قال فيه أيضا:

هجاني المنتنان ابنا جعيل # و أيّ الناس يقتله الهجاء

ولدتم بعد إخوتكم من است # فهلاّ جئتم من حيث جاءوا

فانصرف كعب، و لجّ الهجاء بينهما.

طبقته في الشعراء و الخلاف فيه و في جرير و الفرزدق
:

و كان نصرانيّا من أهل الجزيرة[7]. و محلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. و هو و جرير و الفرزدق [1]الذرء: الشيء اليسير من القول.

[2]إستار: أربعة.

[3]كذا في «معجمات اللغة» . و في الأصول: «يغرزم» بالغين المعجمة، و هو تصحيف.

[4]يقال: أتيته على تفئة ذلك أي على حينه و زمانه.

[5]كذا في الأصول، و الظاهر أن صواب العبارة: «و كان اسم أم كعب... إلخ» .

[6]النفنف: الهواء. يريد: لم يبق إلاّ شيء يسير.

[7]كذا في جـ. و الجزيرة: منازل تغلب قبيلة الأخطل. و في سائر الأصول: «من أهل الحيرة» .

طبقة واحدة، فجعلها ابن سلاّم أوّل طبقات الإسلام. و لم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، و لكل واحد منهم طبقة تفضّله عن[1]الجماعة.

/أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال: جاء رجل إلى يونس فقال له: من أشعر الثلاثة؟قال: الأخطل. /قلنا: من الثلاثة؟قال: أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عمّن تروي هذا؟قال: عن عيسى بن عمر و ابن أبي إسحاق الحضرميّ[2]و أبي عمرو بن العلاء و عنبسة الفيل و ميمون الأقرن الذين ماشوا[3]الكلام و طرقوه. أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس، فذكر مثله و زاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون و لا نحويّون. فقلت[4]للرجل: سله و بأيّ شيء فضّلوه؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سقط و لا فحش و أشدّهم تهذيبا للشعر. فقال أبو وهب الدقّاق: أما إنّ حمّاد[5]و جنّادا كانا لا يفضّلانه. فقال: و ما حمّاد و جنّاد!لا نحويّان و لا بدويّان و لا يبصران الكسور و لا يفصحان، و أنا أحدّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدّوا إلى أمثالهم ماشوا الكلام و طرقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تشذّ عنهم زنة كلمة، و ألحقوا السليم بالسليم و المضاعف بالمضاعف و المعتلّ بالمعتلّ و الأجوف بالأجوف و بنات الياء بالياء و بنات الواو بالواو، فلم تخف عليهم كلمة عربيّة، و ما علم حمّاد و جنّاد!.

/قال هارون حدّثني القاسم بن يوسف عن الأصمعيّ:

أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين فيطيّرها[6].

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال أخبرنا محمد بن سلاّم قال سمعت سلمة بن عيّاش و ذكر أهل المجلس جريرا و الفرزدق و الأخطل ففضّله سلمة عليهما. قال: و كان إذا ذكر الأخطل يقول: و من مثل الأخطل و له في كل[بيت]شعر بيتان!ثم ينشد قوله: و لقد علمت إذا العشار تروّحت # هدج الرّئال تكبّهنّ شمالا[7]

أنّا نعجّل بالعبيط[8]لضيفنا # قبل العيال و نضرب الأبطالا

[1]لعلها: «تفصله على الجماعة» .

[2]كذا في «طبقات ابن سلام» ص (6، 7، 8، 16) نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. و في الأصول: «الخضري» .

[3]ماش الكلام: خلطه. و يقال: طرق النجاد الصوف إذا ضربه بالمطرقة و ندفه. يريد أنهم يخلطون الكلام ثم يغر بلونه ليستخرجوا أحسنه. و في ب، س: «ماثوا» بالثاء المثلثة، و هو أيضا بمعنى خلط.

[4]كذا في جـ. و في سائر الأصول: «فقال للرجل» و هو تحريف.

[5]يعني حمادا الراوية المعروف. و جناد هو جناد بن واصل الكوفي مولى بني عاضدة، من رواة الأخبار و الأشعار لا علم له بالعربية، و كان يصحف و يكسر الشعر و لا يميز بين الأعاريض المختلفة فيخلط بعضها ببعض، و هو من علماء الكوفيين القدماء، و كان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية عن «معجم الأدباء» لياقوت ج 2 ص 425) .

[6]أي يذيعها.

[7]كذا في «ديوانه» ص 43. و العشار من الإبل:) التي أتت عليها عشرة أشهر من ملقحها. و تروّحت: ذهبت في الرواح. و الرئال: أولاد النعام. و الهدج: عدو متقارب. و قوله: تكبهن شمالا أي تكبهن الريح شمالا، يريد و هي هابة شمالا، و في ب، س: و لقد علمت إذا الرياح تناوحت # هوج الرئال تكبهن شمالا

و في سائر الأصول: «... الرياح تناوحت هدج الرئال... » .

[8]العبيط من اللحم: الطري (الطازج) غير النضيج.

ثم يقول و لو قال:

و لقد علمت إذا العشا # ر تروّحت هدج الرئال

كان شعرا، و إذا زدت فيه تكبهنّ شمالا، كان أيضا شعرا من رويّ آخر.

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال:

كعب بن جعيل لقّبه الأخطل، سمعه ينشد هجاء فقال: يا غلام إنك لأخطل اللّسان؛ فلزمته.

سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سعد قال:

/كنت مع نوح بن جرير في ظلّ شجرة، فقلت له: قبحك اللّه و قبح أباك!أمّا أبوك فأفنى عمره في مديح عبد ثقيف (يعني الحجّاج) . و أمّا أنت فامتدحت قثم بن العبّاس فلم تهتد لمناقبه و مناقب آبائه حتى امتدحته بقصر بناه.

فقال: و اللّه لئن سؤتني في هذا الموضع لقد سؤت فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوما و في فيه لقمة و في يده أخرى، فقلت: يا أبت، أنت أشعر أم الأخطل؟فجرض[1]باللّقمة التي في فيه و رمى بالتي في يده و قال: يا بنيّ، لقد سررتني و سؤتني. فأمّا سرورك إيّاي فلتعهّدك لي مثل هذا و سؤالك عنه. و أما ما سؤتني به فلذكرك رجلا قد مات.

يا بنيّ أدركت الأخطل و له ناب واحد، و لو أدركته و له ناب آخر لأكلني به، و لكني أعانتني عليه خصلتان: كبر سنّ، و خبث دين.

آراء الأئمة و الشعراء فيه

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد و قال:

سئل حمّاد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجل قد حبّب شعره إليّ/النّصرانية!.

قال إسحاق و حدّثني أبو عبيدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهليّة ما قدّمت عليه أحدا.

قال إسحاق و حدّثني الأصمعيّ أن أبا عمرو أنشد بيت شعر، فاستجاده و قال: لو كان للأخطل ما زاد.

و ذكر يعقوب بن السّكّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو:

أنّ جريرا سئل أيّ الثلاثة أشعر؟فقال: أمّا الفرزدق فتكلّف منّي ما لا يطيق. و أمّا الأخطل فأشدّنا اجتراء و أرمانا للفرائض. و أمّا أنا فمدينة الشعر.

/و قال ابن النطّاح حدّثني الأصمعيّ قال:

إنما أدرك جرير الأخطل و هو شيخ قد تحطّم. و كان الأخطل أسنّ من جرير، و كان جرير يقول: أدركته و له [1]جرض: غص.

ناب واحد، و لو أدركت له نابين لأكلني. قال: و كان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهليّة ما فضّلت عليه أحدا.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال:

قال العلاء بن جرير: إذا لم يجيء الأخطل سابقا فهو سكّيت، و الفرزدق لا يجيء سابقا[و لا سكّيتا، و جرير يجيى[1]سابقا]و مصلّيا و سكّيتا.

و قال يعقوب بن السّكّيت قال الأصمعيّ:

قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟قال: كان أشدّنا اجتزاء بالقليل و أنعتنا للحمر[2]و الخمر.

و روى إسماعيل عن عبيد اللّه عن مؤرّج عن شعبة عن سماك بن حرب: أنّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضوء بن اللّجلاج[3]؛ فقال له: من أمدح أهل الإسلام؟فقال له: و ما تريد إلى ذلك؟قال: تمارينا فيه. قال: الأخطل أمدح العرب.

و قال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مسلم عن حفص بن عمر قال: سمعت شيخا كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفص، فحدّثه أنه سأل جريرا عن الأخطل فقال: أمدح الناس لكريم و أوصفه للخمر. قال: و كان أبو عبيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. قال أبو عبيدة: و كان أبو عمرو يشبّه الأخطل بالنابغة لصحّة شعره.

/و قال ابن النطّاح حدّثني عبد اللّه بن رؤبة بن العجاج قال:

كان أبو عمرو يفضّل الأخطل.

و قال ابن النطّاح حدّثني عبد الرحمن بن برزج قال: كان حمّاد يفضّل الأخطل على جرير و الفرزدق. فقال له الفرزدق: إنما تفضّله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضّلته بالفسق لفضّلتك.

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مرّار الشّيبانيّ: الأخطل عندنا أشعر الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحهم! فقال: لا و اللّه!و لكن أهجاهم. من منهما يحسن أن يقول: و نحن رفعنا عن سلول رماحنا # و عمدا رغبنا عن دماء بني نصر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال الأخطل: أشعر الناس قبيلة بنو قيس بن

ثعلبة، و أشعر الناس بيتا آل أبي[4]سلمى و أشعر الناس رجل[5] في قميصي.

[1]التكملة عن «الأغاني» فيما تقدم في ترجمة جرير ص 6 من هذا الجزء.

[2]في «جـ: «اللحم» .

[3]كذا في «شرح القاموس» (مادة «ضوأ») . و في الأصول: «ضوء بن الجلاح» .

[4]يعني بيت زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الأشهر. و في ب، س، جـ: «سلمة» و هو تحريف.

[5]كذا في الأصول. و مقتضي السياق أن يكون: «و أشعر الناس رجلا في قميصي» على أن يكون «رجل» تمييزا، كما كانت «قبيلة» و «بيت» و أن يكون «في قميصي» خبرا.

أنشد عبد الملك بن مروان مدحه فيه فأجازه

:

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد قال حدّثني الخرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد-هكذا قال؛ و أظنه عليّ بن مجاهد-قال: قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيّام و قد أقمت في مدحتك: خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا /سنة فما بلغت كلّ ما أردت. فقال عبد الملك: فأسمعناها[1]يا أخطل؛ فأنشده إيّاها؛ فجعلت أرى عبد الملك يتطاول لها؛ ثم قال: ويحك/يا أخطل!أ تريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. و أمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم و ألقى عليه خلعا، و خرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

أنشد عبد الملك شعرا له وازنه بشعر لكثير

:

و قال ابن الزيّات حدّثني جعفر بن محمد بن عيينة بن المنهال عن هشام عن عوانة قال: أنشد عبد الملك قول كثيّر فيه:

فما تركوها عنوة عن مودّة # و لكن بحدّ المشرفيّ استقالها

فأعجب به. فقال له الأخطل: ما قلت لك و اللّه يا أمير المؤمنين أحسن منه. قال: و ما قلت؟قال قلت: أهلّوا[2]من الشهر الحرام فأصبحوا # موالي ملك لا طريف و لا غضب

جعلته لك حقّا و جعلك أخذته غصبا؛ قال: صدقت.

حلف باللات أنه أشعر من جرير و الفرزدق

:

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو دقاقة[3]الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال: رأيت الأخطل خارجا من عند عبد الملك؛ فلما انحدر دنوت منه فقلت: يا أبا مالك، من أشعر العرب؟قال: هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم. فقلت: فأين أنت منهما؟قال: أنا و اللاّت أشعر منهما. قال: فحلف باللاّت هزؤا و استخفافا بدينه.

/و روى هذا الخبر أبو أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن عاصم بن شبل الجرميّ أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوه، و قال: و اللّات و العزّى.

[1]في ب، س: «ما سمعناها» .

[2]أهلوا من الشهر الحرام: خرجوا في استهلاله. و موالي ملك أي يتولونه.

[3]في جـ: «أبو دفافة» بفاءين.

نصح له شيباني بألا يهجو جريرا

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال ذكر الحرمازيّ: أنّ رجلا من بني شيبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنّا، و إن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة و اتّصال الحرب و العداوة، تجمعنا ربيعة، و إنّ لك عندي نصحا. فقال: هاته، فما كذبت. فقلت: إنك قد هجوت جريرا و دخلت بينه و بين الفرزدق و أنت غنيّ عن ذلك و لا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك و يسبّ ربيعة سبّا لا تقدر على سبّ مضر بمثله و الملك فيهم و النبوّة قبله؛ فلو شئت أمسكت عن مشارّته و مهارّته. فقال: صدقت في نصحك و عرفت مرادك، و صلتك رحم!فو الصّليب و القربان لأتخلّصنّ إلى كليب خاصّة دون مضر بما يلبسهم خزيه و يشملهم عاره. ثم اعلم أنّ العالم بالشعر لا يبالي و حقّ الصليب إذا مرّ به البيت المعاير[1]السائر الجيّد، أ مسلم قاله أم نصراني.

أنشد عبد الملك من شعره و تخيله في حانوت بدمشق فبحث عنه فكان كما ظن

:

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن أبي الحسن المدائنيّ قال: أصبح عبد الملك يوما في غداة باردة، فتمثّل قول الأخطل: إذا اصطبح الفتى منها ثلاثا # بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشيّة لا شكّ فيها # و أرخى من مآزره الفضولا

ثم قال: كأنّي أنظر إليه الساعة مجلّل[2]الإزار مستقبل الشمس في حانوت من حوانيت دمشق؛ ثم بعث رجلا يطلبه فوجده كما ذكره.

قال أبو عمر لأبي حيّة و قد أنشده معجبا بنفسه: كأنك الأخطل

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني طائع عن الأصمعيّ قال: أنشد أبو حيّة النّميريّ يوما أبا عمرو: يا لمعدّ و يا للنّاس كلّهم # و يا لغائبهم يوما و من شهدا

/كأنه معجب بهذا البيت؛ فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لتعجب بنفسك كأنك الأخطل.

عرض عليه عبد الملك الإسلام و حواره معه في ذلك

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الغلابيّ عن عبد الرحمن التّيميّ عن هشام بن سليمان المخزوميّ: أن الأخطل قدم على عبد الملك، فنزل على ابن سرحون[3]كاتبه. فقال عبد الملك: على من نزلت؟قال: [1]المعاير: المتداول بين الناس. و في ب، س: «العائر» و هو أيضا السائر بين الناس.

[2]لعل صوابه «مجللا بالإزار» أي مغطى به.

[3]كذا في الأصول. و الذي في «العقد الفريد» (جـ 2 ص 317) : «و كان كاتبه-يعني عبد الملك-سرحون بن منصور الرومي» . و ذكره الطبري باسم «سرجون بن منصور الرومي» بالجيم، و ذكر أنه كان كاتبا لمعاوية بن أبي سفيان ثم لمعاوية بن يزيد بن معاوية.

على فلان. قال: قاتلك اللّه!ما أعلمك بصالح المنازل!فما تريد أن ينزلك[1]؟قال: درمك[2]من درمككم هذا و لحم و خمر من بيت رأس[3]. فضحك عبد الملك ثم قال له: ويلك!و على أيّ شيء اقتتلنا إلا على هذا!. ثم قال: أ لا تسلم فنفرض لك في الفيء[4]و نعطيك عشرة آلاف؟قال: فكيف بالخمر؟قال: و ما تصنع بها و إنّ أوّلها لمرّ و إن آخرها لسكر!فقال: أمّا إذا قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها إلاّ كعلقة ماء من الفرات بالإصبع.

فضحك ثم قال: ألاّ تزور الحجّاج!فإنه كتب يستزيرك. فقال: أ طائع أم كاره؟قال: بل طائع. قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك و لا قربه على قربك؛ إنني إذا لكما قال الشاعر: /

كمبتاع ليركبه حمارا # تخيّره[5]من الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم و أمره بمدح الحجّاج؛ فمدحه بقوله: صرمت حبالك زينب و رعوم[6] # و بدا المجمجم[7]منهما المكتوم

و وجّه بالقصيدة مع ابنه إليه و ليست من جيّد شعره.

حاج أبو غسان بن خاقان بيتين من شعره

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسّان قال: ذكروا الفرزدق و جريرا في حلقة المدائنيّ؛ فقلت لصباح بن خاقان: أنشدك بيتين للأخطل و تجيء لجرير و الفرزدق بمثلهما؟قال: هات؛ فأنشدته: أ لم يأتها أنّ الأراقم[8]فلّقت # جماجم قيس بين راذان و الحضر[9]

جماجم قوم لم يعافوا ظلامة # و لم يعرفوا أين الوفاء من الغدر

قال: فسكت.

حديث يونس النحوي عن الأخطل و سبقه جريرا و الفرزدق

:

قال إسحاق و حدّثني أبو عبيدة أن يونس سئل عن جرير و الفرزدق و الأخطل: أيهم أشعر؟قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سله و من هم؟فقال: من شئت، ابن أبي إسحاق و أبو عمرو بن العلاء

و عيسى بن عمر و عنبسة الفيل و ميمون الأقرن، هؤلاء طرقوا الكلام و ماشوه لا كمن تحكمون عنه لا بدويّين [1]أي يقدّم لك النزل، و هو ما يهيأ للضيف من طعام و غيره.

[2]الدرمك: دقيق الحواري.

[3]بيت رأس: اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة، تنسب إليهما الخمر.

[4]في جـ: «فنفرض لك في ألفين» .

[5]في ب، س: «عن» .

[6]كذا في «شعر الأخطل» ص 43 من النسخة التي نشرها أنطون صالحاني اليسوعي و محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 3937 أدب. و رعوم: اسم امرأة كما في «شرح القاموس» . في الأصول: «زعوم» بالزاي المعجمة.

[7]جمجم في صدره شيئا: أخفاه و لم يبده.

[8]الأراقم: هي من تغلب و هم جشم و بنو بكر و مالك و الحارث و معاوية.

[9]الحضر: اسم مدينة بإزاء تكريت بينها و بين الموصل و الفرات. و راذان: قرية بنواحي نسا (بلد من خراسان) .

و لا نحويّين. فقلت للرجل: سله: و بأيّ شيء فضّل على هؤلاء؟قال: بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحش و لا سقط. قال أبو عبيدة: /فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشرا بهذه الصفة و إلى جانبها عشرا إن لم تكن مثلها فليست بدونها؛ و وجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثا. قال إسحاق: فسألت أبا عبيدة عن العشر فقال:

عفا واسط[1]من آل رضوى[2]فنبتل[3] و تأبّد الرّبع من سلمى بأحفار[4] و خفّ القطين فراحوا منك و ابتكروا و كذبتك عينك أم رأيت بواسط و دع المعمّر لا تسأل بمصرعه و لمن الديار بحائل فوعال قال إسحاق: و لم أحفظ بقيّة العشر. قال: و قصائد جرير:

حيّ الهدملة من ذات المواعيس[5] و ألا طرقتك و أهلي هجود و أهوّى أراك برامتين وقودا قال و قال أبو عبيدة: /الأخطل أشبه بالجاهليّة و أشدّهم أسر شعر و أقلّهم سقطا و أخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شبّة عن أبي عبيدة مثله. و في بعض هذه القصائد التي ذكرت للأخطل أغان هذا موضع ذكرها.

/منها:

صوت

تأبّد الرّبع من سلمى بأحفار # و أقفرت من سليمى دمنة الدار

و قد تحلّ بها سلمى تجاذبني # تساقط الحلي حاجاتي و أسراري

غنّاه عمر الوادي هزجا بالسبّابة في مجرى الوسطى. و سنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حسّان لمّا هجاه الأخطل و هجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك.

و منها:

[1]واسط: في عدة مواضع، و منها واسط الجزيرة، و هي التي يعنيها الأخطل في شعره، لأن الجزيرة منازل تغلب قبيلة الأخطل.

[2]كذا في «شرح القاموس» في مادتي «وسط و رضى» و «معجم ما استعجم» للبكري في الكلام على نبتل و ياقوت في الكلام على واسط. و في جـ: «آل بنوى» . و في سائر الأصول: «آل بندى» . و رضوى: اسم امرأة، كما جاء في «القاموس» .

[3]نبتل: موضع بنجد، كذا في «معجم ما استعجم» ، و ساق البيت.

[4]أحفار: موضع في بلاد بني تغلب، كذا في «معجم ما استعجم» ، و استشهد بالبيت.

[5]انظر شرحه في ترجمة جرير ص 84 من هذا الجزء.

صوت

خفّ القطين فراحوا منك و ابتكروا # و أزعجتهم نوى في صرفها غير

كأنّني شارب يوم استبدّ بهم # من قهوة ضمّنتها حمص أو جدر[1]

جادت بها من ذوات القار مترعة # كلفاء[2]ينحتّ عن خرطومها المدر

غنّاه إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر. و لابن سريج فيه رمل بالوسطى عن عمرو. و فيه رمل آخر يقال: إنه لعلّوية، و يقال: إنه لإبراهيم. و فيه لعلّوية خفيف ثقيل آخر لا يشكّ فيه.

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني ابن النطّاح عن أبي عمرو الشّيبانيّ عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه:

أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس؛ قال: الذي كان إذا مدح رفع، و إذا هجا وضع. قال: و من هو؟قال: الأعشى. قال: ثم من؟قال: ابن العشرين (يعني طرفة) . قال: ثم من؟قال: أنا.

أخر الراعي في حضرة بشر بن مروان

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العليميّ قال حدّثنا أبو قحافة المرّيّ عن أبيه قال:

دخل الأخطل على بشر بن مروان و عنده الراعي؛ فقال له بشر: أنت أشعر أم هذا؟قال: أنا أشعر منه و أكرم.

فقال للراعي: ما تقول!قال: أمّا أشعر منّي فعسى، و أمّا أكرم فإن كان في أمّهاته من ولدت مثل الأمير فنعم. فلمّا خرج الأخطل قال له رجل: أ تقول لخال الأمير أنا أكرم منك!. قال: ويلك!إنّ أبا نسطوس وضع في رأسي أكؤسا ثلاثا، فو اللّه ما أعقل معها.

استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمرا ثم أنشده

:

قال: و دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فاستنشده؛ فقال: قد يبس حلقي، فمر من يسقيني. فقال:

اسقوه ماء. فقال: شراب الحمار، و هو عندنا كثير. قال: فاسقوه لبنا. قال: عن اللبن فطمت. قال: فاسقوه عسلا. قال: شراب المريض. قال: فتريد ما ذا؟قال: خمرا يا أمير المؤمنين. قال: أو عهدتني أسقي الخمر لا أمّ لك!لو لا حرمتك بنا لفعلت بك و فعلت!. فخرج فلقي فرّاشا لعبد الملك فقال: ويلك!إنّ أمير المؤمنين استنشدني و قد صحل[3]صوتي، فاسقني شربة خمر فسقاه؛ فقال: اعدله بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتهما يعتركان في بطني، اسقني ثالثا فسقاه ثالثا. فقال: تركتني أمشي على واحدة، اعدل ميلي برابع فسقاه رابعا؛ فدخل على عبد الملك فأنشده:

/

خفّ القطين فراحوا منك و ابتكروا # و أزعجتهم نوى في صرفها غير

[1]جدر. قرية بين حمص و سليمة، تنسب إليها الخمر.

[2]الكلف: حمرة كدرة. و ينحت عن خرطومها المدر أي يفض ختام الطين الذي على فيها.

[3]صحل صوته. بح.

فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام فأخرجه، ثم ألق[1]عليه من الخلع ما يغمره، و أحسن جائزته، و قال: إنّ لكل قوم شاعرا و إنّ شاعر بني أميّة الأخطل.

حوار بينه و بين ذهلي في شعره و شعر الفرزدق

:

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم قال قال أبان بن عثمان حدّثني سماك بن حرب عن ضوء بن[2] اللّجلاج قال: دخلت حمّاما بالكوفة و فيه الأخطل؛ قال فقال: ممّن الرجل؟قلت: من بني ذهل. قال: أ تروي للفرزدق شيئا؟قلت نعم. قال: ما أشعر خليلي!على أنه ما أسرع ما رجع في هبته. قلت: و ما ذاك؟قال قوله: أ بنى غدانة[3]إنّني حرّرتكم # فوهبتكم لعطيّة بن جعّال

لو لا عطيّة لاجتدعت أنوفكم # من بين ألام آنف و سبال[4]

وهبهم في الأول و رجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلّهم هذا ما كان ينبغي أن تنكره أنت. قال: كيف؟قلت: هجوت زفر[5]بن الحارث ثم خوّفت الخليفة منه فقلت:

بني أميّة إنّي ناصح لكم # فلا يبيتنّ فيكم آمنا زفر

مفترشا كافتراش اللّيث كلكله # لوقعة كائن فيها له جزر[6]

و مدحت عكرمة بن ربعيّ فقلت:

قد كنت أحسبه قينا و أخبره # فاليوم طيّر عن أثوابه الشّرر

/قال[7]: لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا. [فقال له الأخطل[8]]: و اللّه لو لا أنك من قوم سبق لي منهم ما سبق لهجوتك هجاء يدخل معك قبرك. ثم قال: ما كنت هاجي قوم بعد مدحهم # و لا تكدّر نعمى بعد ما تجب

أخرج عنّي.

[1]في ب، س، جـ: «ثم ألقى» بإثبات الياء على أن الفعل ماض. و السياق يحتمله.

[2]في الأصول هنا: «الجلاح بن ضوء» . (انظر الحاشية رقم 3 ص 286 من هذه الترجمة) .

[3]بنو غدانة: بطن من يربوع. و عطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم. (راجع الأغاني جـ 19 ص 50 طبع بلاق) .

[4]سبلة الرجل: الدائرة التي في وسط الشفة العليا، و قيل: السبلة: ما على الشارب من الشعر.

[5]هو زفر بن الحارث العامري الكلابي، خرج على مروان بن الحكم بمرج راهط مع الضحاك بن قيس. (انظر الطبري ق 2 ص 474) .

[6]جزر: قتلى.

[7]كذا في أ. م. و في سائر الأصول: «فقال» ، على أن سياق الكلام غير محتاج إلى هذه الكلمة.

[8]زيادة يقتضيها السياق.

هو و زفر بن الحارث في حضرة عبد الملك بن مروان

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني أحمد بن إسماعيل الفهريّ عن أحمد[1]بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن معن بن خلاد عن أبيه قال: لمّا استنزل عبد الملك زفر بن الحارث الكلابيّ من قرقيسيا[2]، أقعده معه على سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكلاع[3]. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يبكيك؟فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي و سيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك و خلافه عليك، ثم هو معك على السرير و أنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرم عليّ منك؛ و لكنّ لسانه لساني و حديثه يعجبني. فبلغت الأخطل و هو يشرب فقال: أما و اللّه لأقومنّ في ذلك مقاما لم يقمه ابن ذي الكلاع!ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينه منه قال: و كأس مثل عين الدّيك صرف # تنسّي الشاربين لها العقولا

إذا شرب الفتى منها ثلاثا # بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشيّة لا شكّ فيها # و أرخى من مآزره الفضولا

/فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطّة في رأسك. قال: أجل و اللّه يا أمير المؤمنين حين تجلس عدوّ اللّه هذا معك على السرير و هو القائل بالأمس: و قد ينبت المرعى على دمن الثّرى[4] # و تبقى حزازات النفوس كما هيا

/قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير و قال: أذهب اللّه حزازات تلك الصدور.

فقال: أنشدك اللّه يا أمير المؤمنين و العهد الذي أعطيتني!. فكان زفر يقول: ما أيقنت بالموت قطّ إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.

قال إني فضلت الشعراء و أنشد من عيون شعره

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مسلم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنظلة الشّيبانيّ قال: قال الأخطل: فضلت الشعراء في المديح و الهجاء و النّسيب بما لا يلحق بي فيه. فأمّا النّسيب فقولي: ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر # و إن كان حيّانا عدى[5]آخر الدّهر

[1]كذا ورد هذا الاسم في الأصول.

[2]قرقيسيا: بلد على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق.

[3]هو ابن ذي الكلاع الحميري، شهد صفين مع معاوية، و كان من رحالاته. (انظر «الطبري» ق 1 ص 3272، 3283، 3286 طبع أوروبا) .

[4]يقول: قد يبدو على وجه المرء البشر و في قلبه الحقد و العداوة، مثل نبات الدمن يبدو حسن المنظر و منبته خبيث وبيء.

[5]كذا في «ديوانه» طبع بيروت (ص 128) و «تجريد الأغاني» و نسخة الشنقيطي مصححة بقلمه. و في الأصول: «و إن كان حيّا قاعدا...

إلخ» و هو تحريف.

من الخفرات البيض أمّا وشاحها # فيجري و أمّا القلب[1]منها فلا يجري

تموت و تحيا بالضجيع و تلتوي # بمطّرد المتنين منبتر الخصر

و قولي في المديح:

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا # أبدى النّواجذ يوما عارم ذكر[2]

الخائض الغمرة الميمون طائره # خليفة اللّه يستسقى به المطر

/و قولي في الهجاء:

و كنت إذا لقيت عبيد تيم # و تيما قلت أيّهم العبيد

لئيم العالمين يسود تيما # و سيّدهم و إن كرهوا مسود

قال عبد الخالق: و صدق لعمري، لقد فضلهم.

تزوّج مطلقة أعرابي فتذكرته، و كان هو طلق زوجته و شعره في ذلك

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال: طلّق أعرابيّ امرأته فتزوّجها الأخطل؛ و كان الأخطل قد طلّق امرأته قبل ذلك. فبينا هي معه إذ ذكرت زوجها الأوّل فتنفّست؛ فقال الأخطل: كلانا على همّ يبيت كأنما # بجنبيه من مسّ الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح و إنني # على زوجتي الأخرى كذلك أنوح

حديثه مع عبد الملك بن المهلب

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خداش: أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المهلّب: ما نازعتني نفسي قطّ إلى مدح أحد ما نازعتني إلى مدحكم؛ فأعطني عطيّة تبسط بها لساني؛ فو اللّه لأردّينكم أردية لا يذهب صقالها إلى يوم القيامة. فقال: أعلم و اللّه يا أبا مالك أنك بذلك مليء، و لكني أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين أنّي أسأل في غرم و أعطى الشعراء فأهلك و يظنّ ذلك منّي حيلة.

فلما قدم على إخوته لاموه كل اللّوم فيما فعله. فقال: قد أخبرته بعذري.

حديث جرير عنه

:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال: /قلت لأبي: أنت أشعر أم الأخطل؟فنهرني و قال: بئس ما قلت!و ما أنت و ذاك لا أمّ لك!فقلت: و ما أنا و غيره!قال: لقد أعنت عليه بكفر و كبر سنّ، و ما رأيته إلاّ خشيت أن يبتلعني.

[1]القلب: السوار.

[2]العارم: الشديد الشرس.

حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل

:

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن دماذ عن أبي عبيدة قال:

قال رجل لأبي عمرو: يا عجبا للأخطل!نصرانيّ كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: /يا لكع!لقد كان الأخطل يجيء و عليه جبّة خزّ و حرز خزّ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمرا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن.

رأي أبي العسكر فيه و في جرير و الفرزدق

:

و قال هارون حدّثني أحمد بن إسماعيل الفهريّ عن أحمد بن عبد اللّه بن عليّ الدّوسيّ عن معقل بن فلان عن أبيه عن أبي العسكر قال:

كنّا بباب مسلمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أصحابي: حكّمناك و تراضينا بك. فقلت:

نعم، هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن في رهان، فأحدها سابق الدهر كلّه، و أحدها مصلّ، و أحدها يجيء أحيانا سابق الريح و أحيانا سكّيتا و أحيانا متخلّفا. فأمّا السابق في كل حالاته فالأخطل. و أمّا المصلّى في كل حالاته فالفرزدق. و أمّا الذي يسبق الريح أحيانا و يتخلّف أحيانا فجرير؛ ثم أنشد له:

سرى لهم ليل كأنّ نجومه # قناديل فيهنّ الذّبال المفتّل

و قال: أحسن في هذا و سبق. ثم أنشد:

التّغلبيّة مهرها فلسان # و التغلبيّ جنازة الشّيطان

و قال: تخلّف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

حديثه هو و الفرزدق مع فتى من أهل اليمامة

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني محمد بن عمرو الجرجانيّ عن أبيه:

أنّ الفرزدق و الأخطل؛ بيناهما يشربان و قد اجتمعا بالكوفة في إمارة بشر بن مروان إذ دخل عليهما فتى من أهل اليمامة؛ فقالا له: هل تروي لجرير شيئا؟فأنشدهما:

لو قد بعثت على الفرزدق ميسمي # و على البعيث لقد نكحت الأخطلا

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أ تراه إن و سمني يتورّكك على كبر سنّك!ففزع الفتى فقام و قال: أنا عائذ باللّه من شرّكما. فقالا: اجلس لا بأس عليك!و نادماه بقية يومهما.

الفرزدق في ضيافته

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو يعلى قال حدّثني عبد السلام بن حرب قال:

نزل الفرزدق على الأخطل ليلا و هو لا يعرفه، فجاءه بعشاء ثم قال له: إنّي نصرانيّ و أنت حنيف، فأيّ الشراب أحبّ إليك؟قال: شرابك. ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتا إلا أتمّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل

بي الليلة شرّ، من أنت؟قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجد لي و سجدت له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال:

كرهت أن يفضلني. فنادى الأخطل: يا بني تغلب هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلا كثيرة. فلما أصبح فرّقها ثم شخص.

كان خبيث الهجاء في عفة

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

كان ممّا يقدّم به الأخطل أنه كان أخبثهم هجاء في عفاف عن[1]الفحش. و قال الأخطل: ما هجوت أحدا قطّ بما تستحي العذراء أن تنشده أباها.

أجاز بيتا ليزيد بن معاوية

:

أخبرني أحمد و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا بن شبّة قال حدّثني محمد بن عبّاد الموصليّ قال:

خرج يزيد بن معاوية معه عام حجّ بالأخطل. فاشتاق يزيد أهله فقال:

بكى كلّ ذي شجو من الشأم شاقه # تهام فأنّى يلتقي الشّجيان

أجز يا أخطل، فقال:

/

يغور الذي بالشأم أو ينجد الذي # بغور تهامات فيلتقيان

مدح أبو العباس شعرا له في بني أمية

:

أخبرني أحمد و حبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين: إنّ رجلا شاعرا قد مدحك، فتسمع شعره؟قال: و ما عسى أن يقول فيّ بعد قول ابن النّصرانيّة في بني أميّة:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم # و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

أخبرني به وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ بمثله.

حادثة له مع أمه

:

قال هارون و حدّثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التّميميّ عن أبي بردة الفزاريّ عن رجل من تغلب قال:

لحظ الأخطل شكوة[2]لأمّه فيها لبن و جرابا فيه تمر و زبيب، و كان جائعا و كان يضيّق عليه؛ فقال لها: يا أمّه، آل فلان يزورونك و يقضون حقّك و أنت لا تأتينهم و عندهم عليل، فلو أتيتهم لكان أجمل و أولى بك. قالت: جزيت خيرا يا بنيّ!لقد نبهت على مكرمة. و قامت فلبست ثيابها و مضت إليهم. فمضى الأخطل إلى الشّكوة ففرّغ ما فيها [1]في الأصول: «في عفاف من الفحش» .

[2]الشكوة: وعاء من جلد للماء و اللبن.

و إلى الجراب فأكل التمر و الزّبيب كلّه. /و جاءت فلحّظت موضعها فرأته فارغا، فعلمت أنه قد دهاها، و عمدت إلى خشبة لتضربه بها؛ فهرب و قال:

ألمّ على عنبات العجوز # و شكوتها من غياث[1]لمم

فظلّت تنادي ألا ويلها # و تلعن و اللعن منها أمم[2]

و ذكر يعقوب بن السّكّيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع امرأة لأبيه لها منه بنون، فكانت تؤثرهم باللّبن و التمر و الزبيب و تبعث به يرعى أعنزا لها. و سائر القصة و الشعر متّفق. و قال في خبره: و هذا أوّل شعر قاله الأخطل.

نسب بأمامة و رعوم ابنتي سعيد بن إياس

:

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عليّ بن فيروز عن الأصمعيّ عن أمامة و رعوم اللّتين قال فيهما الأخطل:

صرمت أمامة حبلها و رعوم و رعوم و أمامة بنتا سعيد بن إياس بن هانئ بن قبيصة، و كان الأخطل نزل عليه فأطعمه و سقاه خمرا و خرجتا و هما جويريتان فخدمتاه. ثم نزل عليه ثانية و قد كبرتا فحجبتا عنه؛ فسأل عنهما و قال: فأين ابنتاي؟فأخبر بكبرهما، فنسب بهما. قال: و الرّعوم هي التي كانت عند قتيبة بن مسلم و كان يقال لها أمّ الأخماس، تزوّجت في أخماس[3] البصرة محمد بن المهلّب و عامر بن مسمع و عبّاد بن الحصين و قتيبة بن مسلم؛ و كان يقال لها الجارود.

كان حكم بكر بن وائل

:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال قال أبو عبد الملك:

كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت في شيء رضيت بالأخطل، و كان يدخل المسجد فيقدمون إليه. قال: فرأيته بالجزيرة و قد شكي إلى القسّ و قد أخذ بلحيته و ضربه بعصاه[4]و هو يصيء[5]كما يصيء الفرخ. فقلت له: أين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟فقال: يا ابن أخي، إذا جاء الدّين ذللنا.

استنشده داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشهر الناس فأجابه

:

و قال يعقوب بن السّكّيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد اللّه عن داود بن المساور قال:

دخلت إلى الأخطل فسلّمت عليه، فنسبني[6]فانتسبت، و استنشدته فقال: أنشدك حبّة قلبي، ثم أنشدني:

[1]غياث: اسم الأخطل، كما مر في أوّل الترجمة.

[2]أمم: قريب يسير.

[3]أخماس البصرة: خمسة، فالخمس الأوّل العالية، و الخمس الثاني بكر بن وائل، و الخمس الثالث تميم، و الخمس الرابع عبد القيس، و الخمس الخامس الأزد، و في ب، س، جـ: «الأحماس» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «و ضربه فعضله... » .

[5]يصيء: يصيح.

[6]نسبنى: سألني أن أنتسب.

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز # بسلهبة[1]الخدّين ضاوية القرب[2]

إليك أمير المؤمنين رحلتها # على[3]الطائر الميمون و المنزل الرّحب

فقلت: من أشعر الناس؟قال: الأعشى. قلت: ثمّ من؟قال: ثم أنا.

أعطاه هشام فاستقل عطاءه و فرّقه في الصبيان

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن أبي أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ قال: امتدح الأخطل هشاما فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضها و خرج فاشترى بها تفّاحا و فرّقه على الصّبيان. فبلغ ذلك هشاما فقال: قبحه اللّه!ما ضرّ إلاّ نفسه.

تمثل هشام بشطر بيت في ناقة، فأتمه جرير و الفرزدق و هو فأخذها

:

و قال يعقوب بن السّكّيت حدّثني سلمة النّميريّ-و توفّي و له مائة و أربعون سنة-أنه حضر هشاما و له يومئذ تسع عشرة سنة و حضر جرير و الفرزدق و الأخطل عنده؛ فأحضر هشام ناقة له فقال متمثّلا: أنيخها ما بدا لي ثم أرحلها ثم قال: أيّكم أتمّ البيت كما أريد فهي له. فقال جرير: كأنّها نقنق[4]يعدو بصحراء فقال: لم تصنع شيئا. فقال الفرزدق: كأنّها كاسر[5]بالدّوّ فتخاء فقال: لم تغن شيئا. فقال الأخطل: ترخي المشافر و اللّحيين إرخاء فقال: اركبها لا حملك اللّه!

هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني الخرّاز عن المدائنيّ قال:

هجت الأخطل جارية من قومه؛ فقال لأبيها: يا أبا الدّلماء، إنّ ابنتك تعرّضت لي فاكففها. فقال له: هي امرأة مالكة لأمرها. فقال الأخطل.

ألا أبلغ أبا الدّلماء عنّي # بأن سنان شاعركم قصير

[1]سلهبة الخدين: طويلتهما.

[2]القرب: الخاصرة.

[3]كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «عن الطائر... » و هو تحريف.

[4]النقنق: الظليم و هو ذكر النعام.

[5]الدّوّ: الفلاة الواسعة. و الكاسر: العقاب. و الفتخاء: اللينة الجناح لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها و غمزتهما.

فإن يطعن فليس بذي غناء # و إن يطعن فمطعنه يسير

متى ما ألقه و معي سلاحي # يخرّ على قفاه فلا يحير[1]

فمشى[2]أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه؛ فقال: أمّا ما مضى فقد مضى و لا أزيد.

وصيته عند موته

:

أخبرنا أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم قال:

لمّا حضرت الأخطل الوفاة قيل له: يا أبا مالك، أ لا توصي؟فقال: أوصي الفرزدق عند الممات # بأمّ جرير و أعيارها

و زار القبور أبو مالك # برغم العداة و أوتارها

رأي ابن سلام في شعر له و شعر لجرير

:

أخبرنا أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أيّ البيتين عندك أجود: قول جرير: أ لستم خير من ركب المطايا # و أندى العالمين بطون راح

أم قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستفاد لهم # و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقلت: بيت جرير أحلى و أسير، و بيت الأخطل أجزل و أرزن. فقال: صدقت، و هكذا كانا في أنفسهما عند الخاصّة و العامّة.

رأي حماد الراوية في شعره

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الحلبيّ و جعفر بن سعيد أنّ رجلا سأل حمّادا الراوية عن الأخطل فقال: ويحكم!ما أقول في شعر رجل قد و اللّه حبّب[3]إليّ شعره النّصرانية!.

فضله كثير من العلماء على صاحبيه

:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال/حدّثنا أبو عثمان الأشنانديّ[4]عن أبي عبيدة قال: كان يونس بن حبيب و عيسى بن عمر و أبو عمرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة[5].

[1]في «شعر الأخطل» ص 118: «يخر على القفا و له نخير» .

[2]في ب، س: «فمضى» .

[3]في ب، س: «قد و اللّه حبب إليّ شعر النصرانية» .

[4]في أ، م: «و الاشنانادانى» .

[5]لعل صوابها: «من الثلاثة» أو «على الاثنين» .

فضله عمر بن عبد العزيز على جرير

:

و قال هارون بن الزيّات حدّثني أبو عثمان المازنيّ عن العتبيّ عن أبيه:

أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز: أ جرير أشعر أم الأخطل؟فقال له: أعفني. قال: لا و اللّه لا أعفيك. قال: إنّ الأخطل ضيّق عليه كفره القول، و إنّ جريرا وسّع عليه إسلامه قوله؛ و قد بلغ الأخطل منه حيث رأيت. فقال له سليمان: فضّلت و اللّه الأخطل.

أثنى عليه الفرزدق

:

قال هارون و حدّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كلثوم قال:

قال عبد الملك للفرزدق: من أشعر الناس في الإسلام؟قال: كفاك بابن النّصرانيّة إذا مدح.

مهاجاته جريرا في حضرة عبد الملك و قصة أبي سواج

:

أخبرنا أحمد و حبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

حدّثت أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفدا إلى عبد الملك و فيهم جرير. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدعي له؛ فلما دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سبّك-يعني جريرا-و جرير جالس-فأقبل عليه جرير فقال: أين تركت خنازير أمّك؟!قال: راعية مع أعيار أمّك[1]؛ و إن أتيتنا قريناك منها. فأقبل جرير على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ رائحة الخمر لتفوح منه. قال: صدق يا أمير المؤمنين، و ما اعتذاري من ذلك!.

تعيب الخمر و هي شراب كسرى # و يشرب قومك العجب العجيبا

منيّ العبد عبد أبي سواج # أحقّ من المدامة أن تعيبا

فقال عبد الملك: دعوا هذا، و أنشدني يا جرير، فأنشده ثلاث قصائد كلّها في الحجّاج يمدحه بها، فأحفظ عبد الملك، و قال له: يا جرير، إنّ اللّه لم ينصر الحجّاج و إنما نصر خليفته و دينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

/

شمس العداوة حتى يستقاد لهم # و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقال عبد الملك: هذه المزمّرة؛ و اللّه لو وضعت على زبر[2]الحديد لأذابتها. ثم أمر له بخلع فخلعت عليه حتى غاب فيها، و جعل يقول: إنّ لكل قوم شاعرا، و إنّ الأخطل شاعر بني أميّة.

فأمّا قول الأخطل:

منيّ العبد عبد أبي سواج

فأخبرني بخبر أبي سواج عليّ بن سليمان الأخفش و محمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب و أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى أنّ أبا سواج و هو عبّاد بن خلف الضّبّيّ [1]في «تجريد الأغاني و طبقات ابن سلام» : «مع أعيار أبيك» .

[2]الزبرة: القطعة الضخمة من الحديد. ـ

436

جاور بني يربوع، و كانت له فرس يقال لها بذوة[1]، و كان لصرد بن جمرة اليربوعيّ فرس يقال لها القضيب، فتراهنا عشرين بعشرين، فسبقت بذوة فظلمه ابن جمرة حقّه و منعه سبقه[2]، و جعل يفجر بامرأته. ثم إنّ أبا سواج ذهب إلى البحرين يمتار؛ فلما أقبل راجعا، و كان رجلا شديدا معجبا بنفسه، جعل يقول و هو يحدو: يا ليت شعري هل بغت من بعدي

فسمع قائلا يقول من خلفه:

نعم بمكويّ قفاه جعدي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. و قدم إلى منزله فأقام به مدّة، فتغاضب صرد على امرأة أبي سواج و قال: لا أرضى أو تقدّي من است أبي سواج سيرا. فأخبرت/زوجها بذلك فقام إلى نعجة له فذبحها و قد من باطن أليتيها سيرا فدفعه إليها؛ فجعله/صرد بن جمرة في نعله، فقال لقومه: إذا أقبلت و فيكم أبو سواج فسلوني من أين أقبلت ففعلوا، فقال: من ذي بليّان[3]و أريد ذابليّان، و في نعلي شراكان، من است إنسان. فقام أبو سواج: فطرح ثوبه و قال: أنشدكم اللّه!هل ترون بأسا؟ثم أمر أبو سواج غلامين له راعيين أن يأخذا أمة له فيتراوحاها؛ و دفع إليهما عسّا و قال: لئن قطرت منكما قطرة في غير العسّ لأقتلنّكما. فباتا يتراوحانها و يصبّان ما جاء منهما في العسّ، و أمرهما أن يحلبا عليه فحلبا حتى ملآه؛ ثم قال لامرأته: و اللّه لتسقينّه صرد أو لأقتلنّك: و اختبأ و قال: ابعثي إليه حتى يأتيك ففعلت. و أتاها لعادتها كما كان يأتيها، فرحّبت به و استبطأته ثم قامت إلى العسّ فناولته إيّاه. فلما ذاقه رأى طعما خبيثا و جعل يتمطّق[4]من اللّبن الذي يشرب و قال: إني أرى لبنكم خاثرا، أحسب إبلكم رعت السّعدان.

فقالت: إنّ هذا من طول مكثه في الإناء، أقسمت عليك إلاّ شربته. فلما وقع في بطنه وجد الموت، فخرج إلى أهله و لا يعلم أصحابه بشيء من أمره. فلما جنّ على أبي سواج اللّيل أتى أهله و غلمانه فانصرفوا إلى قومه و خلّف الفرس و كلبه في الدار؛ فجعل الكلب ينبح و الفرس يصهل؛ و ذلك ليظنّ القوم أنّه لم يرتحل. فساروا ليلتهم و الدار ليس فيها غيره و كلبه و فرسه و عسّه. فلما أصبح ركب فرسه و أخذ العسّ فأتى مجلس بني يربوع فقال: جزاكم اللّه من جيران خيرا!فقد أحسنتم الجوار، و فعلتم ما كنتم له أهلا. فقالوا له: يا أبا سواج، ما بدا لك في الانصراف عنّا؟ قال: إنّ صرد بن جمرة لم يكن فيما بيني و بينه محسنا، و قد قلت في ذلك: /

إنّ المنيّ إذا سرى # في العبد أصبح مسمغدّا[5]

أ تنال سلمى باطلا # و خلقت يوم خلقت جلدا

صرد بن جمرة هل لقيـ # ت رثيئة لبنا و عصدا[6]

[1]كذا في «تجريد الأغاني و شرح القاموس» مادة «سوج» و في الأصول ندوة» .

[2]السبق بفتح الباء الخطى الذي يوضع بين أهل السباق.

[3]ذو يليان: موضع وراء اليمن، و قال أبو نصر: أقصى الأرض، و قال غيره: ذو بليان من أعمال هجر. كذا في «معجم ما استعجم للبكري» و قد جاء في «معجم البلدان» لياقوت: ذو بليان موضع في قصة أبي سواج الضبيّ.

[4]يتمطق: يتذوّق.

[5]كذا في «تجريد الأغاني» . و المسمغد: المرتوي من اللبن. و في ب، س «مصمغدا» . و في حـ: «مسعدا» بالسّين. و في سائر الأصول «مصعدا» بالصاد، و كله تحريف.

[6]الرثيئة: اللبن الحامض. و العصد: تحريك العصيدة بالمسواط فتنقلب فلا يبقى في الإناء منها شيء إلاّ انقلب.

و اعلموا أنّ هذا القدح قد أحبل منكم رجلا و هو صرد بن جمرة. ثم رمى بالعسّ على صخرة فانكسر و ركض فرسه.

و تنادوا: عليكم الرجل، فأعجزهم و لحق بقومه. و قال في ذلك عمر بن لجأ التّيميّ:

تمسّح يربوع سبالا لئيمة # بها من منيّ العبد رطب و يابس

و إيّاه عنى الأخطل بقوله:

و يشرب قومك العجب العجيبا

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمي

:

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال زعم محمد بن حفص بن عائشة التّيميّ عن إسحاق بن عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب قال:

قدمت الشام و أنا شابّ مع أبي، فكنت أطوف في كنائسها و مساجدها؛ فدخلت كنيسة دمشق، و إذا الأخطل فيها محبوس، فجعلت أنظر إليه. فسأل عنّي فأخبر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لرجل شريف، و إنى أسألك حاجة.

فقلت: حاجتك مقضيّة. قال إنّ القسّ حبسني هاهنا فتكلّمه ليخلّي عنّي. فأتيت القسّ فانتسبت له، فرحّب و عظّم، قلت: إنّ لي إليك حاجة. قال: ما حاجتك؟قلت: /الأخطل تخلّي عنه. قال: أعيذك باللّه من هذا!مثلك لا يتكلّم فيه، فاسق يشتم أعراض الناس و يهجوهم!فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معي متّكئا على عصاه، فوقف عليه /و رفع عصاه و قال: يا عدوّ اللّه!أ تعود تشتم الناس و تهجوهم و تقذف المحصنات!و هو يقول: لست بعائد و لا أفعل، و يستخذي له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناس يهابونك و الخليفة يكرمك و قدرك في الناس قدرك، و أنت تخضع لهذا هذا الخضوع و تستخذي له!. قال: فجعل يقول لي: إنّه الدّين!إنه الدّين!.

مر به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به

:

أخبرنا اليزيديّ عن عمه عبيد اللّه عن ابن حبيب عن الهيثم بن عديّ قال:

كانت امرأة الأخطل حاملا، و كان متمسّكا بدينه. فمرّ به الأسقفّ يوما. فقال لها: الحقيه فتمسّحي به؛ فعدت فلم تلحق إلاّ ذنب حماره فتمسّحت به و رجعت. فقال لها: هو و ذنب حماره سواء.

هنأه هشام بالإسلام فأجابه

:

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا ابن سلاّم قال حدّثني يونس قال قال أبو الغرّاف. سمع هشام بن عبد الملك الأخطل و هو يقول:

و إذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد # ذخرا يكون كصالح الأعمال

فقال: هنيئا لك أبا مالك هذا الإسلام!. فقال له: يا أمير المؤمنين[1]، ما زلت مسلما في ديني.

[1]ورد في ترجمته في «ذيل ديوانه» طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت أن الأخطل توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة 710 ميلادية. و هشام بن عبد الملك ولي الخلافة بعد ذلك. و قد ورد هذا الخبر في «طبقات الشعراء» لابن سلام (ص 115 طبعة أوروبا) و ليس فيه كلمة «يا أمير المؤمنين» .

وفد على الغضبان بن القبعثري في حمالة فخيره في عطاءين، و قصة ذلك

:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا ابن سلاّم قال حدّثني يونس و عبد الملك و أبو الغرّاف فألّفت ما قالوا، قالوا: أتى الأخطل الكوفة، فأتى الغضبان بن القبعثري[1]الشيباني فسأله في حمالة، فقال: إن شئت أعطيتك ألفين، و إن شئت أعطيتك درهمين. قال: و ما بال الألفين/و ما بال الدرهمين؟قال: إن أعطيتك ألفين لم يعطكها إلاّ قليل، و إن أعطيتك درهمين لم يبق في الكوفة بكريّ إلاّ أعطاك درهمين؛ و كتبنا إلى إخواننا بالبصرة فلم يبق بكريّ بها إلاّ أعطاك درهمين، فخفّت عليهم المئونة و كثر لك النّيل. فقال: فهذه إذا. فقال: نقسمها لك على أن ترد علينا. فكتب بالبصرة إلى سويد بن منجوف[2]السّدوسيّ فقدم البصرة-فقال يونس في حديثه-فنزل على آل الصّلت بن حريث الحنفي فأخبر من سمعه يقول[3]: و اللّه لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأوّل: فأتى سويدا فأخبره بحاجته. فقال نعم!و أقبل على قومه فقال: هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، و هو الذي يقول: إذا ما قلت قد صالحت بكرا # أبى البغضاء و النّسب البعيد

و أيّام لنا و لهم طوال # يعضّ الهام فيهنّ الحديد

و مهراق الدماء بواردات[4] # تبيد المخزيات و لا تبيد

هما أخوان يصطليان نارا # رداء الحرب بينهما جديد

فقالوا: فلا و اللّه لا نعطيه شيئا. فقال الأخطل:

فإن تبخل سدوس بدرهميها # فإنّ الرّيح طيّبة قبول[5]

تواكلني[6]بنو العلاّت[7]منهم # و غالت مالكا و يزيد غول[8]

/صريعا[9]وائل هلكا جميعا # كأنّ الأرض بعدهما محول[10]

و قال في سويد بن منجوف-و كان رجلا ليس بذي منظر-:

/

و ما جذع سوء خرّب السّوس أصله # لما حمّلته وائل بمطيق

[1]الغضبان بن القبعثري من أشراف العراق، و كان من دعاة المروانية أيام حرب عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير. (انظر «الطبري» جـ 2 ص 804 من القسم) .

[2]سويد بن منجوف: من أشراف البصرة. (انظر الكلام عليه في «الطبري» ق 2 ص 443، 779) .

[3]في ب، س: «... سمعه بأنه يقول... » .

[4]يريد يوم واردات و هو يوم كان بين بكر و تغلب في حروبهما (انظر الكلام مفصلا عليه في جـ 5 ص 53 من «الأغاني» من هذه الطبعة) .

[5]القبول: هي ريح الصبا.

[6]تواكل القوم: إذا اتكل بعضهم على بعض في الأمر.

[7]يقال: هم بنو العلات: إذا كان الأب واحدا و الأمهات شتى.

[8]يريد مالك بن شيبان الجحدري من قيس بن ثعلبة، و يزيد بن الحارث بن زيد بن رويم الشيباني صاحب شرطة الحجاج.

[9]في «ديوانه» (طبع بيروت ص 125) : «قريعا وائل» و يعني بهما بكرا و تغلب.

[10]كذا في «ديوانه» و في الأصول «سحول» و هو تحريف.

كان مع مهارته و شعره يسقط أحيانا

:

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلاّم:

كان الأخطل مع مهارته و شعره يسقط أحيانا: كان مدح سماكا الأسديّ، و هو سماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد، و بنو عمرو يلقّبون القيون، و مسجد سماك بالكوفة معروف، و كان من أهلها؛ فخرج أيام عليّ هاربا فلحق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال: نعم المجير سماك من بني أسد # بالقاع إذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قينا و أخبره # فاليوم طيّر عن أثوابه الشّرر

إنّ سماكا بني مجدا لأسرته # حتى الممات و فعل الخير يبتدر

فقال سماك: يا أخطل: أردت مدحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولا فحقّقته. فلما هجا سويدا قال له سويد: و اللّه يا أبا مالك، ما تحسن تهجو و لا تمدح[1]؛ لقد أردت مدح الأسديّ فهجوته-يعني قوله: قد كنت أحسبه قينا و أنبؤه # فاليوم طيّر عن أثوابه الشّرر

إنّ سماكا بني مجدا لأسرته # حتى الممات و فعل الخير يبتدر

-و أردت هجائي فمدحتني، جعلت وائلا حمّلتني أمورها، و ما طمعت في بني تغلب فضلا عن بكر.

أبى الصّلاة في مسجد بني رؤاس و هجاهم

:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبان البجليّ قال:

مرّ الأخطل بالكوفة في بني رؤاس[2]و مؤذّنهم ينادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: أ لا تدخل يا أبا مالك فتصلّي؟فقال: أصلّي حيث تدركني صلاتي # و ليس البرّ عند بني رؤاس

خلا في نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه

:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو الحصين الأمويّ قال: بينا الأخطل قد خلا بخميرة له في نزهة مع صاحب له، و طرأ عليهما

طارئ لا يعرفانه و لا يستخفّانه، فشرب شرابهما و ثقيل عليهما. فقال الأخطل في ذلك:

صوت

و ليس القذى بالعود يسقط في الإنا # و لا بذباب خطبه أيسر الأمر

و لكنّ شخصا لا نسرّ بقربه # رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري

[1]المعنى على تقدير «أن» أي ما تحسن أنّ تهجو و لا أن تمدح.

[2]بنو رؤاس: حي من بني عامر بن صعصعة، و هو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

و يروى:

و لكن قذاها زائر لا نحبّه

و هو الجيّد. الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. و قد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العمريّ قال حدّثنا الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال: بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه، و كان أهل البدو إذ ذاك يتحدّث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأسا، و بين يديه باطية شراب و المرأة تحدّثه و هو يشرب، إذ دخل رجل فجلس، فثقل على الأخطل و كره أن يقول له قم استحياء منه. و أطال الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذّباب في شرابك. فقال: /

و ليس القذى بالعود يسقط في الخمر # و لا بذباب نزعه أيسر الأمر

و لكن قذاها زائر لا نحبّه # رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري

قال: فقام الرجل فانصرف.

و أخبرني عمّي رحمه اللّه بهذا الحديث عن الكرانيّ عن الزّياديّ عن عليّ بن الحفّار أخي أبي الحجّاج[1]: أنّ الأخطل جاء إلى معبد في قدمة قدمها إلى الشأم. فقال له معبد: إنّي أحبّ محادثتك. فقال له: و أنا أحبّ ذلك. و قاما يتصبّحان[2]الغدران حتى وقفا على غدير فنزلا و أكلا؛ فتبعهما[3]أعرابيّ فجلس معهما. و ذكر الخبر مثل الذي قبله.

لبى دعوة شاب من أهل الكوفة و شعره في ذلك

:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال قال أبان بن عثمان حدّثني أبي قال: دعا الأخطل شابّ من شباب أهل الكوفة إلى منزله. فقال له: يا ابن أخي، أنت لا تحتمل المئونة و ليس عندك معتمد؛ فلم يزل به حتى انتجعه، فأتى الباب فقال: يا شقراء، فخرجت إليه امرأة، فقال لأمّه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعت غزلا لها و اشترت له لحما و نبيذا و ريحانا. فدخل خصّا لها فأكل معه و شرب، و قال في ذلك: و بيت كظهر الفيل جلّ متاعه # أباريقه و الشارب المتقطر[4]

ترى فيه أثلام الأصيص[5]كأنها # إذا بال فيها الشيخ جفر[6]معوّر

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة # من الدهر إلاّ يوم شقراء أقصر

[1]في جـ: «عن علي بن علي الحفار أخي أبي العجاج» .

[2]يتصبحان الغدران: يأتيانها صباحا.

[3]في الأصول «فتبعهم» و هو تحريف.

[4]كذا في أكثر الأصول و شعر الأخطل. و المتقطر: المصروع. و في ب، س: «الشادن المتعطر» .

[5]الأصيص: أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه.

[6]الجفر: البئر الواسعة. و المعور: المكبوس بالتراب. و في ب، س: «حير مقور» و هو تحريف.

/و ذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنه كان نازلا على عكرمة الفيّاض و أنه خرج من عنده يوما، فمرّ بفتيان يشربون و معهم قينة يقال لها شقراء. و ذكر الخبر مثل ما قبله، و زاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيّام. و ظنّ عكرمة أنه غضب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث إلى الفتيان بألف درهم و أعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم و قال: استعينوا بهذه على أمركم. و لم يزل ينادمهم حتى رحل.

حكم بين جرير و الفرزدق بأمر بشر بن مروان

:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال: اجتمع الفرزدق و جرير و الأخطل عند بشر بن مروان، و كان بشر يغري بين الشعراء. فقال للأخطل: احكم بين الفرزدق و جرير. فقال: أعفني أيها الأمير. قال: احكم بينهما، فاستعفاه بجهده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكم مشئوم؛ ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر، و جرير يغرف من بحر. فلم يرض بذلك جرير، و كان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حكومته: يا ذا الغباوة[1]إنّ بشرا قد قضى # ألاّ تجوز حكومة النّشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها # إنّ الحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكم[2]بلقحة جارهم # يا خزر تغلب لستم بهجان

فقال الأخطل يردّ على جرير: و لقد تناسبتم[3]إلى أحسابكم # و جعلتم حكما من السّلطان

/فإذا كليب لا تساوي دارما # حتى يساوي حزرم[4]بأبان

/و إذا جعلت أباك في ميزانهم # رجحوا و شال أبوك في الميزان

و إذا وردت الماء كان لدارم # عفواته[5]و سهولة الأعطان

ثم استطارا في الهجاء.

مناقضة بينه و بين جرير

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا أبو الغراف قال: لما قال جرير:

إذا أخذت قيس عليك و خندف # بأقطارها لم تدر من أين تسرح

[1]في جـ: «يا ذا العباءة» .

[2]يشير إلى حادثة كليب و جساس بن مرة الشهيرة. و اللقحة: الناقة الحلوب.

[3]في «ديوانه» ص (274) : «و لقد تجاربتم على أحسابكم» .

[4]حزوم: جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد. (عن «شرح القاموس» مادة حزرم) . و أبان: جبل شرقي الحاجز فيه نخل و ماء، و يعرف بالأبيض، و هو أيضا جبل لبني فزارة و هو المعروف بالأسود، و بينهما ميلان و قيل فيهما غير ذلك. (انظر «معجم البلدان» لياقوت و «شرح القاموس» مادة أبن) .

[5]عفوة كل شيء : صفوته و كثرته. و العطن: مناخ الإبل حول الورد.

قال الأخطل[1]. لا أين!سد و اللّه عليّ الدنيا. فلما أنشد قوله:

فما لك في نجد حصاة تعدّها # و ما لك من غوري تهامة أبطح

قال الأخطل: لا أبالي و اللّه ألاّ يكون فتح لي و الصّليب القول؛ ثم قال:

و لكن لنا برّ العراق و بحره # و حيث ترى القرقور[2]في الماء يسبح

استشهد تغلبي بشعر لجرير في محاورة بينه و بين تميمي

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني محمد بن الحجّاج الأسيّديّ قال: خرجت إلى الصائفة[3]فنزلت منزلا ببني تغلب فلم أجد به طعاما و لا شرابا و لا علفا لدوابّي شرى و لا قرى و لم أجد ظلاّ؛ فقتل لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد/يستظلّ فيه؟فقال: ممّن أنت؟قلت: من بني تميم.

قال: ما كنت أرى عمّك جريرا إلاّ قد أخبرك حين قال:

فينا المساجد و الإمام و لا ترى # في آل تغلب مسجدا معمورا

لقيه جرير حين خرج إلى الشام فتناشدا و تعارفا

أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سلاّم قال حدّثني شيخ من ضبيعة قال: خرج جرير إلى الشام فنزل منزلا ببني تغلب فخرج متلثّما عليه ثياب سفره، فلقيه رجل لا يعرفه. فقال: ممّن الرجل؟قال: من بني تميم. قال: أ ما سمعت ما قلت لغاوي بني تميم؟!فأنشده مما قال لجرير. فقال: أ ما سمعت ما قال لك غاوي بني تميم؟!فأنشده. ثم عاد الأخطل و عاد جرير في نقضه حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغلبيّ: من أنت؟لا حيّاك اللّه!و اللّه لكأنك جرير. قال: فأنا جرير. قال: و أنا الأخطل.

دخل على عبد الملك و هو سكران فخلط في كلامه و أنشده

أخبرني عمّي قال أنبأنا الكرانيّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنيّ قال: دخل الأخطل على عبد الملك و قد شرب، فكلّمه فخلّط في كلامه. فقال له: ما هذا؟فقال: إذا شرب الفتى منها ثلاثا # بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشيّة لا عيب فيها # و أرخى من مآزره الفضولا

نزل به الفرزدق ضيفا في طريقه إلى الشام فتناشدا و تعارفا

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيديّ قال أخبرني أبو محمد اليزيديّ

قال: خرج الفرزدق يؤمّ بعض الملوك من بني أميّة، فرفع له في طريقه بيت أحمر من أدم، فدنا منه و سأل فقيل [1]في جـ، م، أ: «ظما أنشدها الأخطل قال... » .

[2]القرقور: السفينة العظيمة.

[3]في أ، م: «الطائف» و الصائفة: الغزو في الصيف.

له: [بيت][1]الأخطل. فأتاه فقال: انزل. فلمّا نزل قام/إليه الأخطل و هو لا يعرفه إلا أنه ضيف؛ فقعدا يتحدّثان.

فقال له الأخطل: ممّن الرجل؟قال: من بني تميم. قال: فإنك إذا من رهط أخي الفرزدق. فقال: تحفظ من شعره شيئا؟قال: نعم كثيرا. فما زالا يتناشدان و يتعجّب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب، و قد كان الأخطل قال له قبل ذلك: أنتم معشر/الحنفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خفّض قليلا و هات من شرابك فاسقنا. فلمّا عملت الرّاح في أبي فراس قال: أنا و اللّه الذي أقول في جرير فأنشده. فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه و قال: لا جزاك اللّه عنّي خيرا! لم كتمتني نفسك منذ اليوم!و أخذا في شرابهما و تناشدهما، إلى أن قال له الأخطل: و اللّه إنك و إيّاي لأشعر منه و لكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته؛ قلت أنا بيتا ما أعلم أنّ أحدا قال أهجى منه، قلت: قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم # قالوا لأمّهم بولي على النار

فلم يروه إلاّ حكماء أهل الشعر. و قال هو:

و التغلبيّ إذا تنحنح للقرى # حكّ استه و تمثّل الأمثالا

فلم تبق سقاة و لا أمثالها إلا رووه. فقضيا له أنه أسير شعرا منهما.

كان له دار ضيافة فمر به عكرمة الفياض و هو لا يعرفه فأكرمه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال المدائنيّ: كان للأخطل الشاعر دار ضيافة، فمرّ به عكرمة الفيّاض و هو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا.

فلمّا أمسى بعث إليه فتعشّى معه، ثم قال له: أ تصيب من الشراب شيئا؟قال: نعم. قال: أيه؟قال: كلّه إلاّ شرابك. فدعا له بشراب يوافقه، و إذا عنده قينتان هما خلفه و بينه و بينهما ستر، و إذا الأخطل أشهب اللّحية له ضفيرتان؛ فغمز الستر بقضيب في يده و قال: غنيّاني بأردية الشعر، فغنّتاه بقول عمرو بن شأس: /

و بيض تطلّى بالعبير كأنما # يطأن و إن أعنقن[2]في جدد وحلا

لهونا بها يوما و يوما بشارب # إذا قلت مغلوبا وجدت له عقلا

السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفياض

فأما السبب في مدح الأخطل عكرمة بن ربعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: قدم الأخطل الكوفة فأتى حوشب بن رويم الشّيبانيّ، فقال: إني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي فنهره، فأتى سيّار بن البزيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عكرمة الفيّاض، و كان كاتبا لبشر بن مروان، فسأله و أخبره بما ردّ عليه الرجلان؛ فقال: أمّا إني لا أنهرك و لا أعتذر إليك، و لكني أعطيك إحداهما عينا و الأخرى عرضا. قال: و حدث أمر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردت أن تكافىء عكرمة يوما فاليوم. فلبس جبّة خزّ و ركب فرسا و تقلّد صليبا من ذهب و أتى باب المسجد و نزل عن فرسه. فلما رآه حوشب و سيّار نفسا عليه ذلك، [1]زيادة يقتضيها السياق.

[2]الإعناق: سير فسيح سريع. و الجدد: الطرق.

و قال له عكرمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف و ابتدأ ينشد قصيدته[1]: لمن الدّيار بحائل فوعال

حتى انتهى إلى قوله:

إنّ ابن ربعيّ كفاني سيبه # ضغن العدوّ و غدرة المحتال[2]

أغليت حين تواكلتني وائل # إنّ المكارم عند ذاك غوال

و لقد مننت على ربيعة كلّها # و كفيت كلّ مواكل خذال

كابن البزيعة أو كآخر مثله # أولى[3]لك ابن مسيمة الأجمال

/إنّ اللّئيم إذا سألت بهرته # و ترى الكريم يراح[4]كالمختال

/و إذا عدلت به رجالا لم تجد # فيض الفرات كراشح الأوشال

قال: فجعل عكرمة يبتهج و يقول: هذه و اللّه أحبّ إليّ من حمر النّعم.

و مما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

صوت من المائة المختارة

أراعك بالخابور[5]نوق[6]و أجمال # و دار عفتها الرّيح بعدي بأذيال

و مبنى قباب المالكيّة حولنا # و جرد تغادى بين سهل و أجبال

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. و الغناء لابن محرز، و لحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكيّ إلى ابن محرز، و ذكر الهشاميّ أنه منحول. و فيه لحنين الحيريّ ثقيل أوّل عن الهشاميّ.

[1]عبارة «تجريد الأغاني» : «فلما رآه حوشب و سيّار نكسا رأسيهما، فقال له عكرمة الفياض: إلينا يا أبا مالك، فابتدأ ينشده قصيدته» .

[2]وردت هذه الأبيات في «ديوانه» ص 159 باختلاف يسير عما هنا.

[3]أولى لك: ويل لك فهي كلمة تقال في مقام التهديد و الوعيد و قال الأصمعي معناه: قاربك ما تكره أي نزل و حاق بك.

[4]راح الإنسان إلى الشي : إذا نشط له و سرّ به.

[5]الخابور: نهر بين رأس عين و الفرات، و هو أيضا واد بالجزيرة.

[6]في جـ: «برق» .

11-ذكر سائب خاثر و نسبه

نسب سائب خاثر

كان سائب خاثر مولى بني ليث. و أصله من فيء كسرى، و اشترى عبد اللّه بن جعفر ولاءه من مواليه، و قيل:

بل اشتراه فأعتقه، و قيل: بل كان على ولائه لبني ليث، و إنما انقطع إلى عبد اللّه بن جعفر فلزمه و عرف به. و كان يبيع الطعام بالمدينة. و اسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث «يشا» [1].

هو أوّل من عمل العود بالمدينة و غنى به و أخذ عنه المغنون الأولون

قال ابن الكلبيّ و أبو غسّان و غيرهما: هو أوّل من عمل العود بالمدينة و غنّى به. و قال ابن خرداذبه: كان عبد اللّه بن عامر اشترى إماء صنّاجات[2]و أتى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يوم في الجمعة يلعبن فيه، و سمع الناس منهنّ، فأخذ عنهنّ. ثم قدم رجل فارسيّ يسمّى بنشيط، فغنّى فأعجب عبد اللّه بن جعفر به. فقال له سائب خاثر:

أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسيّ بالعربيّة، ثم غدا على عبد اللّه بن جعفر و قد صنع:

لمن الدّيار رسومها قفر

قال ابن الكلبيّ: و هو أوّل صوت غنّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المتقن الصنعة. قال: ثم اشترى عبد اللّه بن جعفر نشيطا بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ و أخذ عنه ابن سريج و جميلة و عزّة الميلاء و غيرهم.

قتل يوم الحرة

:

قال ابن الكلبيّ و حدّثني أبو مسكين قال:

كان سائب خاثر يكنى أبا جعفر، و لم يكن يضرب بالعود إنما كان يقرع بقضيب و يغنّي مرتجلا، و لم يزل يغنّي. و قتل يوم الحرّة. و مرّ به بعض القرشيّين و هو قتيل، فضربه برجله و قال: إنّ هاهنا لحنجرة حسنة. و كان سائب من ساكني المدينة.

قال ابن الكلبيّ: و كان سائب تاجرا موسرا يبيع الطعام، و كان تحته أربع نسوة، و كان انقطاعه إلى عبد اللّه بن جعفر، و كان مع ذلك يخالط

سروات الناس و أشرافهم لظرفه و حلاوته و حسن صوته. و كان قد آلى ألا يغنّي أحدا سوى عبد اللّه بن جعفر، إلا أن يكون خليفة أو وليّ عهد أو ابن خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قتل. قال: و أخذ [1]في جـ: «بشا» بالباء الموحدة. و في «تجريد الأغاني» : «يسار» .

[2]كذا في «نهاية الأرب» (جـ 2 ص 237 من الطبعة الأولى) . و الصناجات: اللاعبات بالصنج و هو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، و هو أيضا شيء ذو أوتار تختص به العجم. و في الأصول: «نائحات» .

معبد عنه غناء كثيرا فنحل الناس بعضه إليه[1]، و أهل العلم بالغناء يعرفون ذلك. و زعم ابن خرداذبه أنّ أمّ محمد /ابن عمرو الواقديّ القاضي المحدّث بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل

:

و قال ابن الكلبيّ: سائب خاثر أوّل من غنّى بالعربيّة الغناء الثقيل؛ و أوّل لحن صنعه منه: لمن الدّيار رسومها قفر

قال: فألفت هذا الصوت الفروح.

قال و حدّثني محمد بن يزيد أنّ أوّل صوت صنعه في شعر امرئ القيس: أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل

و أنّ معبدا أخذ لحنه فيه فغنّى عليه: أ من آل ليلى باللّوى متربّع

وفد على معاوية مع عبد اللّه بن جعفر فسمع منه و أجازه

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن لقيط قال: وفد عبد اللّه بن جعفر على معاوية و معه سائب خاثر فوقّع له في حوائجه، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر؛ فقال معاوية: من سائب خاثر؟ قال: رجل من أهل المدينة ليثيّ يروي الشعر. قال: أو كلّ من روى الشعر أراد أن نصله!قال: إنه حسّنه. قال: و إن حسّنه!قال: أ فأدخله إليك يا أمير المؤمنين؟قال نعم. قال: فألبسته ممصّرتين[2] إزارا و رداء. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى: لمن الديار رسومها قفر

فالتفت معاوية إلى عبد اللّه بن جعفر فقال: أشهد لقد حسّنه!فقضى حوائجه و أحسن إليه.

نسبة هذا الصوت

لمن الديار رسومها قفر # لعبت بها الأرواح و القطر

و خلالها من بعد ساكنها # حجج مضين ثمان أو عشر

و الزّعفران على ترائبها # شرق[3]به اللّبّات و النّحر

الشعر ينسب إلى أبي بكر[4]بن المسور بن مخرمة الزّهريّ، و إلى الحارث بن خالد المخزوميّ، و إلى بعض [1]الذي في أمهات «كتب اللغة» : نحلة القول ينحله نحلا شبه إليه و نحلته القول أنحله نحلا بالفتح إذا أضفت إليه قولا قاله غيره و ادّعيته عليه.

[2]كذا في «تجريد الأغاني» . و الممصر من الثياب: الذي فيه صفرة خفيفة. و في الأصول: «مخصرتين» بالخاء المعجمة و هو تحريف.

[3]شرق الجسد بالطيب: امتلأ.

[4]كذا في جـ: و «كتاب المعارف» لابن قتيبة ص 218، و في سائر الأصول: «أبي ذكر» و هو تحريف. و قد ورد البيت الأخير في «لسان العرب» و «شرح القاموس» (مادة شرق) منسوبا للخيل.

القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. و الغناء[1]لسائب خاثر ثقيل أوّل بالسبّابة عن الكلبيّ و حبش، و ذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيل/أوّل بالوسطى، و وافق إسحاق في ذلك، و ذكر أنّ الثقيل الأوّل لنشيط. و ذكر يونس أن فيه لحنا لمعبد و لم يجنّسه، و ذكر الهشاميّ أن لحن معبد خفيف ثقيل، و أنّ فيه لابن سريج خفيف رمل.

سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه و أمر يزيد بصلته

:

أخبرنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و إسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني قبيصة بن عمرو قال حدّثنا محمد بن المنهال عن رجل حدّثه، و ذكر ذلك أيضا ابن الكلبيّ عن لقيط قال:

أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلا على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتا أعجبه، و استخفّه السماع فاستمع قائما حتى ملّ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه، و اشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى ملّ. فلما أصبح غدا عليه يزيد.

فقال له: يا بنيّ!من كان جليسك البارحة؟قال: أيّ جليس يا أمير المؤمنين؟و استعجم عليه. قال: عرّفني فإنه لم يخف عليّ شيء من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأخثر[2]له يا بنيّ من برّك وصلتك، فما رأيت بمجالسته بأسا.

سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به

:

قال ابن الكلبيّ: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: و أين الناس؟قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجّه إليهم. فلما جلس قال بعض القرشيّين/لسائب خاثر: مطرفي هذا لك-و كان من خزّ-إن أنت اندفعت تغنّي و مشيت بين السّماطين و أنت تغنّي. فقام و مشى بين السماطين و غنّى:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى # و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية و طرب و أصغى إليه حتى سكت و هو مستحسن لذلك، ثم قام و انصرف إلى منزله. و أخذ سائب خاثر المطرف.

قتله يوم الحرة و كلام يزيد فيه

:

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الزّبيريّ، و أخبرني أبو بكر بن أبي شيبة البزّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

قتل سائب خاثر يوم الحرّة، و كان خشي على نفسه من أهل الشأم فخرج إليهم و جعل يحدّثهم و يقول: أنا مغنّ، و من حالي و قصّتي كيت و كيت؛ و قد خدمت أمير المؤمنين يزيد و أباه قبله. قالوا: فغنّ لنا، فجعل يغنّي؛ فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت و اللّه!ثم ضربه بالسيف فقتله. و بلغ يزيد خبره و مرّ به اسمه في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه و قال: من سائب خاثر هذا؟فقيل له: هو سائب خاثر المغنّي. فعرفه فقال: ويله!!ما له و لنا!أ لم [1]هذه الألحان رويت هكذا في أكثر الأصول و في أ، م: «و الغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالوسطى و وافق إسحاق في ذلك و ذكر أن الثقيل الأول للنشيط... إلخ» . و في كلتا الروايتين اضطراب لا يخفى.

[2]أخثر: أكثر.

نحسن إليه و نصله و نخلطه بأنفسنا!فما الذي حمله على عداوتنا!لا جرم أن بغيه صرعه. و قال المدائنيّ في خبره: فقال إنّ اللّه!أو بلغ القتل إلى سائب خاثر و طبقته!ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد. ثم قال: قبحكم اللّه يأهل الشام! تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستترا منهم فقتلوه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبّة قال حدّثني قبيصة بن عمرو قال حدّثني حاتم بن قبيصة قال حدّثني ابن جعدبة قال حدّثني مويلك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يوم الحرّة: هل سمعت شيئا صنعته؟فغنّاني صوتا:

صوت

لمن طلل بين الكراع[1]إلى القصر # يغيّب عنا آيه سبل القطر

إلى خالدات ما تريم و هامد # و أشعث[2]ترسيه[3]الوليدة بالفهر[4]

/قال: فسمعت عجبا معجبا، ثم ذكر أهله و ولده فبكى. فقلت له: و ما يمنعك منهم؟فقال: أمّا بعد شيء سمعته و رأيته من يزيد بن معاوية فلا!ثم تقدّم حتى قتل.

صوت من المائة المختارة

أقفر من أهله مصيف # فبطن[5]نخلة فالعريف[6]

هل تبلغنّي ديار قومي # مهريّة[7]سيرها زفيف

يا أمّ نعمان نوّلينا # قد ينفع النائل الطّفيف

أعمامها الصّيد من لؤيّ # حقّا و أخوالها ثقيف

الشعر لأبي فرعة الكنانيّ، و الغناء لجرادتي عبد اللّه بن جدعان، و لحنه من خفيف الثقيل. و فيه في الثالث و الرابع ثقيل أوّل مطلق.

[1]كراع الأرض: ناحيتها و هو أيضا ما سال من أنف الجبل أو الحرة. و كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة و المدينة و هو واد أمام عسفان بثمانية أميال.

[2]الأشعث: الوتد.

[3]كذا في أ، م. و أرسى الشي : ثبته. و في سائر الأصول «ترميه» بالميم و هو تحريف.

[4]الفهر: حجر يملأ الكف. و قد ورد هذا البيت في «اللسان» مادة «رسا» منسوبا للأحوص.

[5]بطن نخلة: موضع بين مكة و الطائف.

[6]ظاهر أن مصيف و العريف: اسمان لموضعين. و لم نقف عليهما في «كتب البلدان» التي بين أيدينا.

[7]إبل مهرية: منسوبة إلى مهرة بن حيدان أبى قبيلة. و زفيف: سريع.

12-ذكر جرادتي عبد اللّه بن جدعان و خبرهما و شيء من أخبار ابن جدعان

نسب عبد اللّه بن جدعان

:

هو عبد اللّه بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيّم بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب.

كان جوادا فوهب لأميّة بن أبي الصلت أميّة الجرادتين

:

قال ابن الكلبيّ: كانت لابن جدعان أمتان تسمّيان الجرادتين تتغنّيان في الجاهليّة، سمّاهما[1]بجرادتي عاد.

و وهبهما عبد اللّه بن جدعان لأميّة بن أبي الصّلت الثّقفيّ، و قد كان امتدحه. و كان ابن جدعان سيّدا جوادا، فرأى أميّة ينظر إليهما هو عنده فأعطاه إيّاهما.

سؤال عائشة للنبي صلّى اللّه عليه و سلّم عنه

:

و أخبرني أبو اللّيث نصر بن القاسم الفرائضيّ قال حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدّثنا حفص بن غياث عن داود عن الشّعبيّ عن مسروق عن عائشة قالت:

قلت: يا رسول/اللّه إن ابن جدعان كان في الجاهليّة يصل الرّحم و يطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟قال:

«لا لم يقل يوما اغفر لي خطيئتي يوم الدّين» .

قدم عليه أمية و هو عليل فضمنه قضاء دينه، فمدحه

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين قال حدّثني إبراهيم بن أحمد قال:

قدم أميّة بن أبي الصّلت على عبد اللّه بن جدعان؛ فلما دخل عليه قال له عبد اللّه: أمر ما أتى بك!فقال أميّة:

كلاب غرماء نبحتني و نهشتني. فقال له عبد اللّه: قدمت عليّ و أنا عليل من حقوق لزمتني و نهشتني، فأنظرني قليلا، ما في يدي[2]، و قد

ضمنتك قضاء دينك و لا أسأل عن مبلغه. قال: فأقام أميّة أيّاما، فأتاه فقال:

/

أ أذكر حاجتي أم قد كفاني # حياؤك إن شيمتك الحياء

و علمك بالأمور و أنت قرم # لك الحسب المهذّب و السّناء

كريم لا يغيّره صباح # عن الخلق السّنيّ و لا مساء

[1]في أ، م: «يسميهما» .

[2]الطاهر أنه يريد: «ما في يدي شيء » .

تباري الرّيح مكرمة و جودا[1] # إذا ما الكلب أحجره الشتاء

إذا أثنى عليك المرء يوما # كفاه من تعرّضه الثناء

إذا خلّفت عبد اللّه فاعلم # بأن القوم ليس لهم جزاء

فأرضك كلّ مكرمة بناها # بنو تيم و أنت لهم سماء

فأبرز فضله حقّا عليهم # كما برزت لناظرها السماء

فهل تخفى السماء على بصير # و هل بالشمس طالعة خفاء

فلما أنشده أميّة هذا الشعر كانت عنده قينتان فقال: خذ أيّتهما شئت؛ فأخذ إحداهما و انصرف. فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها و قالوا له: لقد لقيته عليلا، فلو رددتها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده و أكثر من كل حقّ ضمنه لك، فوقع الكلام من أميّة موقعا و ندم، و رجع إليه ليردّها عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جدعان: لعلك إنّما رددتها لأن قريشا لاموك على أخذها و قالوا كذا و كذا، فوصف لأميّة ما قال له القوم. فقال أميّة: و اللّه ما أخطأت يا أبا زهير. فقال عبد اللّه بن جدعان: فما الذي قلت في ذلك: فقال أميّة:

صوت

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته # ببذل و ما كلّ العطاء يزين

و ليس بشين لامرئ بذل وجهه # إليك كما بعض السؤال يشين

/غنّت فيه جرادتا عبد اللّه بن جدعان-فقال عبد اللّه لأميّة: خذ الأخرى؛ فأخذهما جميعا و خرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول-و قد أنشدنا هذه الأبيات أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شبّة و فيها زيادة-: و ما لي لا أحيّيه و عندي # مواهب يطّلعن من النّجاد

لأبيض من بني تيم بن كعب # و هم كالمشرفيّات الحداد

/لكل قبيلة هاد[2]و رأس # و أنت الرأس تقدم كلّ هادي

له بالخيف قد علمت معدّ # و إن البيت يرفع بالعماد

له داع بمكّة مشمعلّ[3] # و آخر فوق دارته ينادي

إلى ردح[4]من الشّيزي ملاء # لباب البرّ يلبك بالشّهاد

و قال فيه أيضا:

ذكر ابن جدعان بخيـ # ر كلّما ذكر الكرام

[1]كذا في جـ و في سائر الأصول: «و مجدا» .

[2]الهادي: العنق لأنها تتقدّم على البدن و لأنها تهدي الجسد و كل متقدم هاد.

[3]اشمعل القوم في الطلب إذا بادروا فيه و تفرقوا.

[4]ردح: جمع رداح و هي الجفنة العظيمة. و الشيزي: خشب أسود تتخذ منه القصاع.

من لا يخون و لا يعقّ # و لا تغيّره اللئام

نجب[1]النّجيبة و النجيـ # ب له الرّحالة و الزّمام

وفد على كسرى و أكل عنده الفالوذ فصنعه بمكة و دعا الناس إليه

:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق البغويّ قال حدّثنا الأثرم عن أبي عبيدة قال: كان ابن جدعان سيّدا من قريش؛ فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ، فسأل عنه فقيل له: هذا الفالوذ. قال: و ما الفالوذ؟قالوا[2]: لباب البرّ يلبك مع عسل/النحل. قال: ابغوني غلاما يصنعه؛ فأتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة معه، ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد، ثم نادى مناديه: ألا من أراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس؛ فكان فيمن حضر أميّة بن أبي الصّلت؛ فقال فيه: و ما لي لا أحيّيه و عندي # مواهب يطّلعن من النّجاد

إليّ و إنّه للناس نهي[3] # و لا يعتلّ بالكلم الصّوادي[4]

و ذكر باقي الأبيات التي مضت متقدّما.

استشهاد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأمية فيه

:

حدّثنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن عمران الجرجانيّ-و ليس بصاحب إسحاق الموصليّ؛ قال: و هو شيخ لقيته بجرجان-قال حدّثنا الحسين بن الحسن المروزيّ قال: سألت سفيان بن عيينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسير قول النبي صلّى اللّه عليه و سلّم: «كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير» و إنما هو ذكر و ليس فيه من الدعاء شيء؟ فقال لي: أعرفت حديث مالك بن الحارث: يقول اللّه جلّ ثناؤه: «إذا شغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» ؟قلت: نعم!أنت حدّثتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أ ما علمت ما قال أميّة بن أبي الصّلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله و فضله. قلت: لا أدري؟قال قال: /

أ أذكر حاجتي أم قد كفاني # حياؤك إنّ شيمتك الحياء

ثم قال سفيان: فهذا مخلوق ينسب إلى الجود فقيل له: يكفينا من مسألتك أن نثني عليك و نسكت حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق!.

[1]النجب: السخيّ الكريم كالنجيب.

[2]كذا في «تجريد الأغاني» و في الأصول «قال» و هو تحريف.

[3]النهي: الغدير، و هو أيضا كل موضع يجتمع فيه الماء.

[4]الصوادي: العطاش. يريد أنه لا يلجأ إلى الكلم التي لا تجدي.

زاره أمية في احتضاره و قال فيه شعرا

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا حميد بن حميد قال حدّثني جبّار ابن جابر قال: دخل أميّة بن أبي الصّلت على عبد اللّه بن جدعان و هو يجود بنفسه؛ فقال له أميّة: كيف تجدك أبا زهير؟قال: إني لمدابر (أي/ ذاهب) . فقال أميّة:

علم ابن جدعان بن عمـ # رو أنّه يوما مدابر

و مسافر سفرا بعيـ # دا لا يئوب به المسافر

فقدوره بفنائه # للضيف مترعة زواخر

تبدو الكسور[1]من انضرا[2] # ج الغلي فيها و الكراكر

فكأنهنّ بما حميـ # ن و ما شحنّ[3]بها ضرائر

بذّ المعاشر كلّها # بالفضل قد علم المعاشر

و علا علوّ الشمس حتّى # ما يفاخره مفاخر

دانت له أبناء فهـ # ر من بني كعب و عامر

أنت الجواد ابن الجوا # د بكم ينافر من ينافر

ترك الخمر قبل موته و ذمها بشعر

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغلابيّ عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد قال: ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهليّة إلاّ ترك الخمر استحياء ممّا فيها من الدّنس؛ و لقد عابها ابن جدعان قبل موته فقال: شربت الخمر حتى قال قومي # أ لست عن السّفاة بمستفيق

و حتى ما أوسّد في مبيت # أنام به سوى التّرب السّحيق

و حتى أغلق[4]الحانوت رهني # و آنست الهوان من الصديق

قال: و كان سبب تركه الخمر أن أميّة بن أبي الصّلت شرب معه فأصبحت عين أميّة مخضّرة يخاف عليها الذّهاب.

فقال له: ما بال عينك؟فسكت. فلما ألحّ عليه قال له: أنت صاحبها أصبتها البارحة. فقال: أو بلغ منّي الشّراب [1]الكسور: جمع كسر و هو

نصف العظم بما عليه من اللحم.

[2]الانضراج: الانفراج. يريد أن القدر إذا غلت و اضطرب ماؤها بان اللحم الموضوع فيها. و الكركرة: كالقهقهة و يعني بها صوت الماء في غليانه.

[3]كذا في أ، م و «شعراء النصرانية» . و في سائر الأصول: «و ما شحين» .

[4]أغلق الرهن: أستحقه. و الحانوت: الخمار، و الحانوت أيضا: دكان الخمار.

الذي[1]أبلغ معه من جليسي هذا!لا جرم لأدينّها لك ديتين؛ فأعطاه عشرة آلاف درهم، و قال: الخمر عليّ حرام أن أذوقها أبدا، و تركها من يومئذ.

صوت من المائة المختارة

قد لعمري بتّ ليلي # كأخي الداء الوجيع

و نجيّ الهمّ منّي # بات أدنى من ضجيعي

كلما أبصرت ربعا # خاليا فاضت دموعي

/لا تلمنا إن خشعنا # أو هممنا بالخشوع

إذا فقدنا سيّدا كا # ن لنا غير مضيع

الشعر للأحوص. و الغناء لسلاّمة القسّ. و لحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها.

و قد قيل: إن الشعر و الغناء جميعا لها، و قد قيل: إن الغناء لمعبد و إنها أخذته عنه.

[1]يريد أو بلغ مني الشراب هذا الحد الذي يجري فيه لجليسي ذلك!.

13-ذكر سلاّمة القسّ و خبرها

نشأة سلامة القس و من أخذت عنه الغناء، و سبب تسميتها بذلك

:

كانت سلاّمة مولّدة من مولّدات المدينة و بها نشأت. و أخذت الغناء عن معبد و ابن عائشة و جميلة و مالك بن أبي السّمح و ذويهم فمهرت. و إنما سمّيت سلاّمة القسّ لأن رجلا يعرف بعبد الرحمن بن أبي عمّار الجشميّ من قرّاء أهل مكة، و كان يلقّب بالقسّ لعبادته، شغف بها و شهر، فغلب عليها لقبه. و اشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان، و عاشت بعده، و كانت إحدى من اتّهم به الوليد من جواري أبيه حين قال له قتلته: ننقم عليك أنك تطأ جواري أبيك. و قد ذكرنا ذلك في خبر مقتله.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

كانت حبابة و سلاّمة القسّ من قيان أهل المدينة، و كانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين و كانت سلاّمة أحسنهما غناء، و حبابة أحسنهما وجها، و كانت سلاّمة تقول الشعر، و كانت حبابة تتعاطاه فلا تحسن. و أخبرني بذلك المدائنيّ عن جرير.

و حدّثني الزّبيريّ قال حدّثني من رأى سلاّمة قال: ما رأيت من قيان المدينة فتاة و لا عجوزا أحسن غناء من سلاّمة. و عن جميلة أخذت الغناء.

كانت لسهيل بن عبد الرحمن، و شعر ابن قيس الرقيات فيها

:

حدّثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و إسماعيل بن يونس قالا حدّثنا أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثني المدائنيّ قال: كانت حبابة و سلاّمة قينتين بالمدينة؛ أمّا سلاّمة فكانت لسهيل بن عبد الرحمن، و لها يقول ابن قيس الرّقيّات: /

لقد فتنت ريّا و سلاّمة القسّا # فلم تتركا للقسّ عقلا و لا نفسا

فتاتان أمّا منهما فشبيهة الـ # هلال و أخرى منهما تشبه الشمسا

و غنّاه مالك بن أبي السّمح. و فيها يقول ابن قيس الرّقيّات: أختان إحداهما كالشمس طالعة # في يوم دجن و أخرى تشبه القمرا

قال: و فتن القسّ بسلاّمة، و فيها يقول:

أهابك أن أقول بذلت نفسي # و لو أنّي أطيع القلب قالا

حياء منك حتى سلّ جسمي # و شقّ عليّ كتماني و طالا

سبب افتتان عبد الرحمن بن أبي عمار القس بها و شعره فيها :

قال: و القسّ هو عبد الرحمن بن أبي عمّار من بني جشم بن معاوية، و كان منزله بمكة. و كان سبب افتتانه بها فيما حدّثني خلاّد الأرقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القسّ من أعبد أهل مكة، و كان يشبّه بعطاء بن أبي رباح، و أنّه سمع غناء سلاّمة القسّ على غير تعمّد منه لذلك. فبلغ غناؤها منه كلّ مبلغ؛ فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع!فأبى. فقال مولاها: أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها و لا تراها فأبى؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناءها فأعجبه. فقال له: هل لك في أن أخرجها إليك؟فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنّت فشغف بها و شغفت به، و عرف ذلك أهل مكة. فقالت له يوما: أنا و اللّه أحبّك.

قال: و أنا و اللّه أحبّك. قالت: و أحبّ أن أضع فمي على فمك. قال: و أنا و اللّه أحبّ ذاك. قالت: فما يمنعك!فو اللّه إنّ الموضع لخال. قال: إنّي سمعت/اللّه عزّ و جلّ يقول: **اَلْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ اَلْمُتَّقِينَ** [1]و أنا أكره أن تكون خلّة ما بيني و بينك تؤول إلى عداوة. ثم قام و انصرف و عاد إلى ما كان عليه من النّسك؛ و قال من فوره[1]فيها: /

إنّ التي طرقتك بين ركائب # تمشي بمزهرها و أنت حرام

لتصيد قلبك أو جزاء مودّة # إنّ الرفيق له عليك ذمام

باتت تعلّلنا و تحسب أنّنا # في ذاك أيقاظ و نحن نيام

حتى إذا سطع الضّياء لناظر # فإذا و ذلك بيننا أحلام

قد كنت أعذل في السّفاهة أهلها # فاعجب لما تأتى به الأيّام

فاليوم أعذرهم و أعلم أنما # سبل الضّلالة و الهدى أقسام

و من قوله فيها:

أ لم ترها لا يبعد اللّه دارها # إذا رجّعت في صوتها كيف تصنع

تمدّ نظام القول ثم تردّه # إلى صلصل[2]في صوتها يترجّع

و فيها يقول:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر # و هل أنت عن سلاّمة اليوم مقصر

ألا ليت أنّي حين صارت بها النّوى # جليس لسلمى كلّما عجّ[3]مزهر

و قال في قصيدة له:

سلاّم ويحك هل تحيين من ماتا # أو ترجعين على المحزون ما فاتا

و قال أيضا:

[1]عبارة أ، م: «... من النسك من فوره و فيها يقول» .

[2]الصلصلة: ترجيع الصوت.

[3]عج: رفع صوته و صاح.

سلاّم هل لي منكم ناصر # أم هل لقلبي عنكم زاجر

قد سمع الناس بوجدي بكم # فمنهم اللاّئم و العاذر

في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

غنت هي و أختها ريا في شعر لابن قيس الرقيات و للأحوص و أجادتا في شعر الأحوص فحسده ابن قيس

:

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني الجمحيّ قال: كانت سلاّمة و ريّا أختين، و كانتا من أجمل النساء و أحسنهن غناء. فاجتمع الأحوص و ابن قيس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات: إنّي أريد أن أمدحكما بأبيات و أصدق فيها و لا أكذب؛ فإن أنتما غنّيتماني بذلك و إلاّ هجوتكما و لا أقربكما. قالتا: فما قلت؟قال قلت: لقد فتنت ريّا و سلاّمة القسّا # فلم تتركا للقسّ عقلا و لا نفسا

فتاتان أمّا منهما فشبيهة الـ # هلال و أخرى منهما تشبه الشمسا

تكنّان أبشارا رقاقا و أوجها # عتاقا[1]و أطرافا مخضّبة ملسا

فغنّته سلاّمة و استحسنتاه. و قالتا للأحوص: ما قلت يا أخا الأنصار؟قال قلت:

صوت

أ سلام هل لمتيّم تنويل # أم هل صرمت و غال ودّك غول

لا تصرفي عنّي دلالك إنّه # حسن لديّ و إن بخلت جميل

/أ زعمت أنّ صبابتي أكذوبة # يوما و أنّ زيارتي تعليل

-الغناء لسلامة القسّ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ و حمّاد. و فيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق و عمرو، و الآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشاميّ-فغنّت الأبيات. فقال ابن قيس الرّقيّات: يا سلاّمة!أحسنت و اللّه!و أظنّك عاشقة لهذا الحلقيّ[2]! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك[3]إلى هذا؟ قال: حسن غنائها بشعرك، فلو لا أنّ لك في قلبها محبّة مفرطة ما جاءها هكذا حسنا على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قدر حسن شعري على شعرك هكذا حسن الغناء به، /و ما هذا منك ألاّ حسد، و نبيّن لك الآن ما حسدت عليه. فقالت سلاّمة: لو لا أنّ الدخول بينكما يوجب بغضة لحكمت بينكما حكومة لا يردّها أحد. قال

الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال ابن قيس الرقيّات: كلاّ!قد أمنت أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرأيك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم عليه أنت؛ و تفرّقا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرع بابه، فأذن له و سلّم عليه و اعتذر.

و مما قاله الأحوص في سلاّمة القسّ و غنّي به: [1]العتق: الجمال و الكرم.

[2]كذا في جـ يقال: أتان حلقية (بالتحريك) إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها. و المراد هنا واضح.

[3]في حـ: «ما الذي أحوجك» .

صوت

أ سلام إنك قد ملكت فأسجحي # قد يملك الحرّ الكريم فيسجح

منّي على عان أطلت عناءه # في الغلّ عندك و العناة تسرّح

إنّي لأنصحكم و أعلم أنّه # سيّان عندك من يغشّ و ينصح

و إذا شكوت إلى سلامة حبّها # قالت أجدّ منك ذا أم تمزح

الشعر للأحوص. و الغناء لابن مسجح في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و لدحمان في الأربعة الأبيات ثقيل أوّل بالبنصر فيه استهلال. و فيه خفيف ثقيل يقال: إنه لمالك؛ و يقال: إنه لسلاّمة القسّ.

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عباية:

كان عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي عمّار من بني جشم بن معاوية، و كان فقيها عابدا من عبّاد مكة، يسمّى القسّ لعبادته؛ و كانت سلاّمة بمكة لسهيل، و كان يدخل عليها الشعراء فينشدونها و تنشدهم و تغنّي من أحبّ الغناء؛ ففتن بها عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي عمّار القسّ؛ فشاع ذاك و ظهر، فسمّيت سلاّمة القسّ بذلك.

سألها القس أن تغنيه بشعر له

:

قال إسحاق و حدّثني أيوب بن عباية قال: سألها عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي عمّار القسّ أن تغنّيه بشعر مدحها به ففعلت، و هو: ما بال قلبك لا يزال يهيمه # ذكر عواقب غيّهنّ سقام

إنّ التي طرقتك بين ركائب # تمشي بمزهرها و أنت حرام

لتصيد قلبك أو جزاء مودّة # إنّ الرفيق له عليك ذمام

باتت تعلّلنا و تحسب أننا # في ذاك أيقاظ و نحن نيام

/حتى إذا سطع الصباح لناظر # فإذا و ذلك بيننا أحلام

قد كنت أعذل في السّفاهة أهلها # فاعجب لما تأتي به الأيّام

فاليوم أعذرهم و أعلم أنما # سبل الغواية و الهدى أقسام

أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكة فأمرها أن تغني

:

قال إسحاق و حدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال:

لمّا قدم يزيد بن عبد الملك مكة و أراد شراء سلاّمة القسّ و عرضت عليه، أمرها أن تغنّيه، فكان أوّل صوت غنّته: إنّ الّتي طرقتك بين ركائب # تمشي بمزهرها و أنت حرام

و البيض تمشي كالبدور و الدّمى # و نواغم يمشين في الأرقام[1]

[1]الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود. و هذا البيت غير موجود في أ، م و فيه إقواء.

لتصيد قلبك أو جزاء مودّة # إنّ الرفيق له عليك ذمام

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أوّل صوت غنّته لمّا اشتراها: ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر # و هل أنت عن سلاّمة اليوم مقصر

ألا ليت أنّي حين صار بها النّوى # جليس لسلمى حيث ما عجّ مزهر

/و إنّي إذا ما الموت زال[1]بنفسها # يزال بنفسي قبلها حين تقبر

إذا أخذت في الصوت كاد جليسها # يطير إليها قلبه حين ينظر

كأنّ حماما راعبيّا[2]مؤدّيا # إذا نطقت من صدرها يتغشمر[3]

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، من قائل هذا الشعر؟فقصّت عليه القصّة، فرقّ له و قال: أحسن و أحسنت!.

قال الأحوص شعرا و بعث به إليها حين رحل بها يزيد فغنت به يزيد

:

قال إسحاق و حدّثني المدائنيّ قال:

لمّا اشترى يزيد بن عبد الملك سلاّمة، و كان الأحوص معجبا بها و بحسن غنائها و بكثرة مجالستها؛ فلما أراد يزيد الرّحلة، قال أبياتا و بعث بها إلى سلاّمة. فلما جاءها الشعر غنّت به يزيد و أخبرته الخبر، و هو:

صوت

عاود القلب من سلامة نصب[4] # فلعينيّ من جوى الحبّ غرب

و لقد قلت أيها القلب ذو الشو # ق، الّذي لا يحبّ حبّك حبّ

إنه قد دنا فراق سليمى # و غدا[5]مطلب عن الوصل صعب

غنّاه ابن محرز ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. و فيه لابن عبّاد و علّويه رملان. و فيه لدحمان خفيف رمل. هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ. و ذكر حبش أنّ لسلاّمة القسّ فيه ثاني ثقيل بالوسطى.

عاتبت حبابة حين استخفت بها لأثرتها عند يزيد

:

قال إسحاق و حدّثني أيّوب بن عباية قال: كانت سلاّمة و ريّا لرجل واحد، و كانت حبابة لرجل، و كانت المقدّمة منهنّ سلاّمة، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، فكانت حبابة تنظر إلى سلاّمة بتلك العين الجليلة المتقدّمة و تعرف فضلها عليها. فلمّا رأت أثرتها عند يزيد و محبّة يزيد لها استخفّت بها. فقالت لها سلاّمة!أي [1]زال: ذهب.

[2]الراعبي: جنس من الحمام، و حمامة راعبية: ترعب في صوتها ترعيبا و هو شدّة الصوت، جاء على لفظ النسب و ليس به، و قيل: هو نسب إلى موضع لا أعرف صيغة اسمه. (عن «لسان العرب» مادة رعب) .

[3]يتغشمر: يصوّت.

[4]النصب: الداء و البلاء. و الغرب: الدمع.

[5]غدا هنا تامة يستغنى عن منصوبها.

أخيّة!نسيت لي فضلي عليك!ويلك!أين تأديب الغناء و أين حقّ التعليم! أنسيت قول جميلة يوما[و هي][1] تطارحنا و هي تقول لك: خذي إحكام ما أطارحك من أختك سلاّمة، و لن تزالي بخير ما بقيت لك و كان/أمركما مؤتلفا!. قالت: صدقت خليلتي!و اللّه لا عدت إلى شيء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. و ماتت حبابة و عاشت سلاّمة بعدها دهرا.

احتال ابن أبي عتيق على والي المدينة حتى جعله يسمع منها و يعدل عن إبعاد المغنين من المدينة

:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب عن عبد الرحمن بن المغيرة الحزاميّ الأكبر قال:

لمّا قدم عثمان بن حيّان المرّيّ المدينة واليا عليها، قال له قوم من وجوه الناس: إنّك قد وليت على كثرة من الفساد؛ فإن كنت تريد أن تصلح فطهّرها من الغناء و الزّنا. فصاح في ذلك و أجلّ أهلها ثلاثا يخرجون فيها من المدينة. و كان ابن أبي عتيق غائبا، و كان من أهل الفضل و العفاف و الصلاح. فلما كان آخر ليلة من الأجل قدم فقال: لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلاّمة القسّ. فدخل عليها فقال: ما دخلت منزلي حتّى جئتكم أسلّم عليكم. قالوا: ما أغفلك عن أمرنا!و أخبروه الخبر. فقال: اصبروا عليّ[2]الليلة. فقالوا: نخاف ألاّ يمكنك شيء و ننكظ[3]. /قال: إن خفتم شيئا فاخرجوا في السّحر. ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيّان فأذن له، فسلّم عليه و ذكر له غيبته و أنه جاءه ليقضي حقّه، ثم جزاه خيرا على ما فعل من إخراج أهل الغناء و الزّنا، و قال: أرجو ألاّ تكون عملت عملا هو خير لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلت ذلك و أشار به عليّ أصحابك. فقال: قد أصبت، و لكن ما تقول-أمتع اللّه بك-في امرأة كانت هذه صناعتها و كانت تكره على ذلك ثم تركته و أقبلت على الصّلاة و الصيام و الخير، و أتى رسولها إليك تقول: أتوجّه إليك و أعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و مسجده؟ قال: فإنّي أدعها لك و لكلامك. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، و لكن تأتيك و تسمع من كلامها و تنظر إليها، فإن رأيت أنّ مثلها ينبغي أن يترك تركتها؛ قال نعم. فجاءه بها و قال لها: اجعلي[4]معك سبحة و تخشعي ففعلت.

فلمّا دخل على عثمان حدّثته، و إذا هي من أعلم الناس بالناس و أعجب بها، و حدّثته عن آبائه و أمورهم ففكه لذلك. فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي للأمير فقرأت له؛ فقال لها احدي له ففعلت، فكثر تعجّبه. فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها!فلم يزل ينزله شيئا شيئا حتى أمرها بالغناء. فقال لها ابن أبي عتيق: غنّي، فغنّت:

سددن خصاص[5]الخيم لمّا دخلنه # بكلّ لبان[6]واضح و جبين

فغنّته؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال: لا و اللّه ما مثل هذه تخرج!. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقرّ سلاّمة و أخرج غيرها. قال: فدعوهم جميعا؛ فتركوهم جميعا.

[1]زيادة عن حـ.

[2]كذا في «نهاية الأرب» (حـ 5 ص 54 طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى) . و في الأصول: «إلى الليلة» .

[3]كذا في حـ. يقال: أنكظه إذا أعجله عن حاجته. و في سائر الأصول: «و تنكص» .

[4]رواية، «أ، م» : «احملي» .

[5]الخصاص: الخروق.

لما اشتراها رسل يزيد و رحلوا بها غنت مشيعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك

:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي فروة قال: قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشتروا سلاّمة المغنّية من آل رمّانة بعشرين ألف دينار. فلما خرجت من ملك أهلها طلبوا إلى الرّسل أن يتركوها عندهم أيّاما ليجهّزوها بما يشبهها من حليّ و ثياب و طيب و صبغ. فقالت لهم الرسل: هذا كلّه معنا لا حاجة بنا إلى شيء منه، و أمروها بالرّحيل. فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك و شيّعها الخلق من أهل المدينة، فلما بلغوا السّقاية قالت للرسل: قوم كانوا يغشونني/و يسلّمون عليّ، و لا بدّ لي من وداعهم و السلام عليهم، فأذن للناس عليها فانقضّوا حتى ملئوا رحبة القصر[1]و وراء ذلك؛ فوقفت بينهم[2]و معها العود، فغنّتهم: فارقوني و قد علمت يقينا # ما لمن ذلق ميتة من إياب

إنّ أهل الحصاب قد تركوني # مولعا موزعا بأهل الحصاب

أهل بيت تتايعوا[3]للمنايا # ما على الدهر بعدهم من عتاب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو # سى إلى النخل من صفيّ السّباب[4]

كم بذاك الحجون[5]من حيّ صدق # و كهول أعفّة و شباب

قال عيسى[6]: و كنت في الناس، فلم تزل تردّد هذا الصوت حتى راحت؛ و انتحب الناس بالبكاء عند ركوبها، فما شئت أن أرى باكيا إلاّ رأيته.

كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه إلى دمشق

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

وجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القدوم عليه، و كان الغريض معه، فقال له: اخرج معي حتى آخذ لك جائزة أمير المؤمنين و تغنّيه؛ فإنّي لا أحمل إليه شيئا هو أحبّ إليه منك، فخرجا. فلمّا قدم الأحوص على يزيد جلس له و دعا به. فأنشده مدائح فاستحسنها، و خرج من عنده؛ فبعثت إليه سلاّمة جارية يزيد بلطف. فأرسل إليها: إن الغريض عندي قدمت به هديّة إليك. فلمّا جاءها الجواب اشتاقت إلى الغريض و إلى الاستماع منه. فلمّا

دعاها أمير المؤمنين تمارضت و بعثت إلى الأحوص: إذا دعاك أمير المؤمنين فاحتل له في أن تذكر له الغريض. فلما دعا يزيد الأحوص قال له يزيد: ويحك يا أحوص!هل سمعت شيئا في طريقك تطرفنا به؟قال: نعم يا أمير المؤمنين، [1]لعله يريد قصر سعيد بن العاص و هو بجوار المدينة. (انظر الكلام عليه في «الأغاني» جـ 1 من هذه الطبعة في الكلام على أبي قطيفة) .

[2]في «أ، م» : «فوقفت فيهم» .

[3]تتابعوا: تهافتوا. (انظر الحاشية رقم 8 ص 321 جـ 1 من هذه الطبعة) .

[4]صفيّ السباب: موضع بمكة. (انظر الحاشية رقم 3 ص 322) .

[5]الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

[6]كذا في الأصول. و لم يتقدّم لعيسى ذكر في هذا الخبر.

مررت في بعض الطريق فسمعت صوتا أعجبني حسنه و جودة شعره؛ فوقفت حتى استقصيت خبره، فإذا هو الغريض، و إذا هو يغنّي بأحسن صوت و أشجاه: ألا هاج التذكّر لي سقاما # و نكس الداء و الوجع الغراما[1]

سلامة إنها[2]همّي و دائي # و شرّ الداء ما بطن العظاما

فقلت له و دمع العين يجري # على الخدّين أربعة سجاما[3]

عليك لها السلام فمن لصبّ # يبيت الليل يهذي مستهاما

قال يزيد: ويلك يا أحوص!أنا ذاك في هوى خليلتي؛ و ما كنت أحسب مثل هذا يتّفق، و إنّ ذاك لمما يزيد لها في قلبي. فلما صنعت يا أحوص حين/سمعت ذاك؟قال: سمعت ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه، فما صبرت حتى أخرجت الغريض معي و أخفيت أمره، و علمت أنّ أمير المؤمنين يسألني عما رأيت في طريقي. فقال له يزيد: ائتني بالغريض ليلا و أخف أمره. فرجع الأحوص إلى منزله و بعث إلى سلاّمة بالخبر. فقالت للرسول: قل له جزيت خيرا، قد انتهى إليّ كلّ ما قلت، و قد تلطّفت و أحسنت. فلمّا وارى الليل أهله بعث إلى الأحوص أن عجّل المجيء إليّ مع ضيفك. فجاء الأحوص مع الغريض فدخلا عليه. فقال غنّني الصوت الذي أخبرني الأحوص أنه سمعه منك-و كان الأحوص قد أخبر الغريض الخبر؛ /و إنما ذلك شعر قاله الأحوص يريد يحرّكه به على سلاّمة و يحتال للغريض في الدخول عليه-فقال: غنّني الصوت الذي أخبرني الأحوص. فلما غنّاه الغريض دمعت عين يزيد ثم قال: ويحك!. هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلت. فقيل ليزيد: قد جاءت؛ فضرب لها حجاب فجلست، و أعاد عليه[4]الغريض الصوت؛ فقالت: أحسن و اللّه يا أمير المؤمنين، فاسمعه منّي؛ فأخذت العود فضربته و غنّت الصوت، فكاد يزيد أن يطير فرحا و سرورا، و قال: يا أحوص، إنّك لمبارك!يا غريض غنّني في ليلتي هذا الصوت؛ فلم يزل يغنّيه حتى قام يزيد و أمر لهما بمال، و قال: لا يصبح الغريض في شيء من دمشق. فارتحل الغريض من ليلته، و أقام الأحوص بعده أيّاما ثم لحق به؛ و بعثت سلاّمة إليهما بكسوة و لطف كثير.

رثت يزيد و ناحت عليه حين مات

:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال حدّثني رجل من أهلي من بني نوفل قال: قدمت في جماعة من قريش

على يزيد بن عبد الملك، فألفيناه في علّته التي مات فيها بعد وفاة حبابة، فنزلنا منزلا لاصقا بقصر يزيد، فكنّا إذا أصبحنا بعثنا بمولى لنا يأتينا بخبره، و ربما أتينا الباب فسألنا، فكان يثقل في كلّ يوم. فإنّا لفي منزلنا ليلة إذ سمعنا همسا من بكاء ثم يزيد ذلك، ثم سمعنا صوت سلاّمة القسّ و هي رافعة صوتها تنوح و تقول: [1]الغرام: الملازم الشديد.

[2]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «إنما همي... » .

[3]أربعة سجام: يريد بها اللحاظين و الموقين للعينين، فإن الدمع يجري من الموقين، فإذا غلب و كثر جرى من اللحاظين أيضا.

[4]كذا في جـ. و في سائر الأصول: «عليها» .

لا تلمنا إن خشعنا # أو هممنا بخشوع

قد لعمري بتّ ليلي # كأخي الداء الوجيع

كلّما أبصرت ربعا # خاليا فاضت دموعي

قد خلا من سيّد كا # ن لنا غير مضيع

ثم صاحت وا أمير المؤمنين!فعلمنا وفاته، فأصبحنا فغدونا في جنازته.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال: قال يزيد بن عبد الملك ما يقرّ عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى أشتري سلاّمة جارية مصعب بن سهيل الزّهريّ و حبابة جارية آل لاحق المكيّة؛ فأرسل فاشتريتا له. فلمّا اجتمعتا عنده قال: أنا الآن كما قال الشاعر: فألقت عصاها و استقرّ بها النّوى # كما قرّ عينا بالإياب المسافر

فلمّا توفّي يزيد رثته سلاّمة فقالت و هي تنوح عليه هذا الشعر: لا تلمنا إن خشعنا # أو هممنا بخشوع

إذ فقدنا سيّدا كا # ن لنا غير مضيع

و هو كاللّيث إذا ما # عدّ أصحاب الدروع

يقنص الأبطال ضربا # في مضيّ و رجوع

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدّثنا الزّبير و المدائنيّ أن سلاّمة كانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فاشتراها يزيد بن عبد الملك، و كانت مغنّية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر، فما رأيت خصالا أربعا[1]اجتمعن في امرأة مثلها: حسن وجهها و حسن غنائها و حسن شعرها. قال: و الشعر الذي كانت تغنّي به: /

لا تلمنا إن خشعنا # أو هممنا بخشوع

للّذي حلّ بنا اليو # م من الأمر الفظيع

و ذكر باقي الأبيات مثل ما ذكره غيره.

قال إسحاق و حدّثني الجمحيّ قال حدّثنا من رأى سلاّمة تندب يزيد بن عبد الملك بمرثية رثته بها، فما سمع السامعون بشيء أحسن من ذلك و لا أشجى؛ و لقد أبكت العيون و أحرقت القلوب و أفتنت[2]الأسماع، و هي: يا صاحب القبر الغريب # بالشأم في طرف الكثيب

بالشأم بين صفائح # صمّ ترصّف بالجبوب[3]

[1]لم يرد في الأصول إلاّ ثلاث خصال.

[2]هكذا في الأصول بالهمز، و هي لغة أهل نجد، و أهل الحجاز يقولون فتنته المرأة و قد جاء باللغتين قول الشاعر: لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت # سعيدا فأمسى قد قلى كل مسلم

[3]كذا في م و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و الجبوب: المدر المفتت. و في ب، س، أ: «بالجنوب» . و في جـ: «بالجيوب» و كلاهما تصحيف.

لمّا سمعت أنينه # و بكاءه عند المغيب

أقبلت أطلب طبّه # و الداء يعضل بالطبيب

/الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشأم بسبب امرأة هويها و خاف أن يفسد بحبّها، فلما فقدها مرض بالشأم و ضني فمات و دفن بها. كذا ذكر ابن الكلبيّ، و خبره يكتب عقب أخبار سلاّمة القسّ. و الغناء لسلاّمة ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش. و فيه لحكم رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لحن لابن غزوان الدّمشقيّ من كتاب ابن خرداذبه غير مجنّس.

سألها الوليد بن يزيد أن تغنيه فيما رثت به أباه

:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني الجمحيّ قال: حدّثني من حضر الوليد بن يزيد و هو يسأل سلاّمة أن تغنّيه شعرها في يزيد و هي تتنغّص من ذلك و تدمع عيناها؛ فأقسم عليها فغنّته؛ فما سمعت شيئا أحسن من ذلك. فقال لها الوليد: رحم اللّه أبي و أطال عمري و أمتعني بحسن غنائك يا سلاّمة!. بم كان أبي يقدّم عليك حبابة؟ قالت: لا أدري و اللّه!. قال لها، لكنّني و اللّه أدري!ذلك بما قسم اللّه لها. قالت: يا سيّدي أجل.

انتحل إسحاق الموصلي ما ناحت به على يزيد حين كلفته أم جعفر أن يصوغ لحنا تنوح به على الرشيد

:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عبد اللّه بن عبد الملك الهداديّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: سمعت نائحة مدنيّة تنوح بهذا الشعر:

قد لعمري بتّ ليلي # كأخي الداء الوجيع

و نجيّ الهمّ منّي # بات أدنى من ضلوعي

كلّما أبصرت ربعا # دارسا فاضت دموعي

مقفرا من سيّد كا # ن لنا غير مضيع

و الشعر للأحوص. و النّوح لمعبد؛ و كان صنعه لسلاّمة و ناحت به سلاّمة على يزيد. فلما سمعته منها استحسنته و اشتهيته و لهجت به، فكنت

أترنّم به كثيرا. فسمع ذلك/منّي أبي فقال: ما تصنع بهذا؟قلت: شعر قاله الأحوص و صنعه معبد لسلاّمة و ناحت به سلاّمة على يزيد. ثم ضرب الدهر؛ فلما مات الرشيد إذا رسول أمّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسرت إليها؛ فبعثت إليّ: إني قد جمعت بنات الخلفاء و بنات هاشم لننوح[1]على الرشيد في ليلتنا هذه؛ فقل الساعة أبياتا رقيقة و اصنعهن صنعة حسنة حتى أنوح بهن. فأردت نفسي على أن أقول شيئا فما حضرني و جعلت ترسل إليّ تحثّني، فذكرت هذا النّوح فأريت/أنّي أصنع شيئا، ثم قلت: قد حضرني القول و قد صنعت فيه ما أمرت؛ فبعثت إليّ بكنيزة و قالت: طارحها حتى تطارحنيه. فأخذت كنيزة العود و ردّدته عليها حتى أخذته، ثم دخلت فطارحته أمّ جعفر؛ فبعثت إليّ بمائة ألف درهم و مائة ثوب.

[1]في الأصول: «لتنوح» بالتاء، و سياق الكلام يقتضي أن تكون بالنون، كما أثبتناها.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

لقد فتنت ريّا و سلاّمة القسّا # فلم تتركا للقسّ عقلا و لا نفسا

فتاتان أمّا منهما فشبيهة الـ # هلال و أخرى منهما تشبه الشمسا

الشعر لعبد اللّه بن قيس الرّقيّات. و الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لابن سريج ثقيل أوّل عن الهشاميّ. و زعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحنين الحيري. و قيل: إنّ الثقيل الأوّل لدحمان.

و منها الشعر الذي أوّله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

صوت

أ أثلة جرّ[1]جيرتك الرّيالا[2] # و عاد ضمير ودّكم خبالا

فإنّي مستقيلك أثل لبّي # و لبّ المرء أفضل ما استقالا

أهابك أن أقول بذلت نفسي # و لو أنّي أطيع القلب قالا

حياء منك حتى سلّ جسمي # و شقّ عليّ كتماني و طالا

الشعر للقسّ. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و فيه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى، أوّله: أهابك أن أقول بذلت نفسي

كيف تعلق القس بها و قصة لها معه

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا بكّار بن رباح قال: كان عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي عمّار من بني جشم بن معاوية، و قد كانت أصابت جدّه منّة من صفوان بن أميّة، و كان ينزل مكة، و كان من عبّاد أهلها، فسمّي القسّ من عبادته. فمرّ ذات يوم بسلاّمة و هي تغنّي فوقف فتسمّع[3]غناءها. فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخله إليها فيسمع منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أقعدك في مكان تسمع منها و لا تراها. فقال: أمّا هذا فنعم. فأدخله داره و أجلسه حيث يسمع غناءها؛ ثم أمرها فخرجت إليه. فلمّا رآها علقت بقلبه فهام بها، و اشتهر و شاع خبره بالمدينة. قال: و جعل يتردّد

إلى منزل مولاها مدّة طويلة. ثم إنّ /مولاها خرج يوما لبعض شأنه و خلّفه مقيما عندها؛ فقالت له: أنا و اللّه أحبّك!فقال لها: و أنا و اللّه الذي لا إله إلا [1]جر جيرتك الزيالا أي سببوه و في جـ، م: «جد» بالدال المهملة و المستعمل متعديا في هذه المادة هو «أجد» و أما «جد» الثلاثي فيستعمل لازما.

[2]الزيال: الفراق. و في ب، س: «الذيال» بالذال المعجمة، و هو تحريف.

[3]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «فسمع» .

هو. قالت: و أنا و اللّه أشتهي أن أعانقك و أقبّلك!قال: و أنا و اللّه. قالت: و أشتهي و اللّه أن أضاجعك و أجعل بطني على بطنك و صدري على صدرك!قال: و أنا و اللّه. قالت: فما يمنعك من ذلك؟فو اللّه إنّ المكان لخال!. قال: يمنعني منه قول اللّه عزّ و جل: **اَلْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ اَلْمُتَّقِينَ** فأكره أن تحول مودّتي لك عداوة يوم القيامة. ثم خرج من عندها و هو يبكي؛ فما عاد إليها بعد ذلك.

لما ملكها يزيد و ملك حبابة صار لا يبالي بعدهما شيئا

:

و أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن المدائنيّ قال: لما ملك يزيد بن عبد الملك حبابة و سلاّمة القسّ تمثّل: /

فألقت عصاها و استقرّ بها النّوى # كما قرّ عينا بالإياب المسافر

ثم قال: ما شاء بعد من أمر الدنيا فليفتني.

صوت من المائة المختارة

و إنّي ليرضيني قليل نوالكم # و إن كنت لا أرضى لكم بقليل

بحرمة ما قد كان بيني و بينكم # من الوصل إلاّ عدتم بجميل

الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء لسليمان الفزاريّ. و لحنه المختار من الرّمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه خفيف رمل أوّله الثاني ثم الأوّل، ينسب إلى حكم الواديّ و إلى سليمان أيضا. و فيه لحن من الثقيل الأوّل يقال: إنه لمخارق، ذكر حبش أنّ لحن مخارق ثاني ثقيل.

14-أخبار العباس بن الأحنف و نسبه

نسب العباس بن الأحنف

:

هو-فيما ذكر ابن النطّاح-العبّاس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة ابن جدّان[1]بن كلدة[2]من بني عديّ بن حنيفة.

و أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول:

العبّاس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هميان من بني هفان بن الحارث بن الذّهل بن الدّول[3]بن حنيفة.

قال: و كان حاجب بن قدامة عمّ العبّاس من رجال الدّولة.

قال محمد بن يحيى و حدّثني أبو عبد اللّه الكنديّ قال حدّثني محمد بن بكر الحنفيّ الشاعر قال حدّثني أبي قال:

سمعت العبّاس بن الأحنف يذكر أنّ هوذة بن عليّ الحنفيّ قد ولده من قبل بعض أمهاته.

هو شاعر غزل عفيف لم يهج و لم يمدح

:

و كان العبّاس شاعرا غزلا ظريفا[4]مطبوعا، من شعراء الدّولة العبّاسيّة، و له مذهب حسن، و لديباجة شعره رونق، و لمعانيه عذوبة و لطف. و لم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح و لا هجاء، و لا يتصرّف في شيء من هذه المعاني. و قدّمه أبو العباس المبرّد في كتّاب الرّوضة على نظرائه، و أطنب في وصفه، و قال: رأيت جماعة من /الرّواة للشعر يقدّمونه. قال: و كان العبّاس من الظّرفاء، و لم يكن من الخلعاء[5]، و كان غزلا و لم يكن فاسقا، و كان ظاهر النّعمة ملوكيّ المذهب شديد التّترّف[6]، و ذلك بيّن في شعره. و كان قصده الغزل و شغله النسيب، و كان حلوا مقبولا غزلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرّف في الغزل وحده، و لم يكن هجّاء و لا مدّاحا.

كان حلو الحديث

:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذكوان قال:

[1]في ابن خلكان (ج 1 ص 346) : «حردان» .

[2]كذا في «تجريد الأغاني» و ابن خلكان. و في ب، س، جـ: «صلدة» . و في أ، م: «طرة» .

[3]في الأصول: «الديل بن حنيفة» و هو تحريف. (راجع «القاموس و شرحه» مادة دول و «لسان العرب» و كتاب «المعارف» لابن قتيبة ص 47 طبعة أوروبا) .

[4]في ب، س، جـ: «شريفا» .

[5]كذا في «تجريد الأغاني» و في ب، س: «الحلفاء» . و في سائر الأصول: «الخلفاء» و كلاهما تصحيف.

[6]كذا في «تجريد الأغاني» . و التترف: التنعم. و في ب، س: «التزيف» . و في جـ: «التتريف» . و في أ، م: «التزايف» و كله تحريف.

سمعت إبراهيم بن العباس يصف العبّاس بن الأحنف، فقال: كان و اللّه ممّن إذا تكلّم لم يحبّ سامعه أن يسكت، و كان فصيحا جميلا ظريف اللّسان، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر قال: رأيت نسخا من شعر العبّاس بن الأحنف بخراسان، و كان عليها مكتوب: «شعر الأمير أبي الفضل العبّاس» .

هو من عرب خراسان و منشؤه بغداد

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثني صالح بن عبد الوهاب: أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عرب خراسان، و منشؤه ببغداد، و لم تزل العلماء/تقدّمه على كثير من المحدثين، و لا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين.

/أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا يموت بن المزرّع قال.

سمعت خالي (يعني الجاحظ) يقول: لو لا أنّ العبّاس بن الأحنف أحذق الناس و أشعرهم و أوسعهم كلاما و خاطرا ما قدّر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه، لأنه لا يهجو و لا يمدح و لا يتكسّب و لا يتصرّف، و ما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه و أكثر.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن القاسم بن خلاّد قال: أنشد الحرمازيّ أبو عليّ و أنا حاضر للعبّاس بن الأحنف:

صوت

لا جزى اللّه دمع عيني خيرا # و جزى اللّه كلّ خير لساني

نمّ دمعي فليس يكتم شيئا # و رأيت اللّسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طيّ # فاستدلّوا عليه بالعنوان

-الغناء لعريب رمل-ثم قال الحرمازيّ: هذا و اللّه طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه.

لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه

:

أخبرني محمد قال حدّثني حسين بن فهم قال سمعت العطويّ يقول:

كان العبّاس بن الأحنف شاعرا مجيدا غزلا، و كان أبو الهذيل العلاّف يبغضه و يلعنه لقوله: إذا أردت سلوا كان ناصركم # قلبي، و ما أنا من قلبي بمنتصر

فأكثروا أو أقلّوا من إساءتكم # فكلّ ذلك محمول على القدر

قال: فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا و يقول: يعقد الكفر و الفجور في شعره.

/قال محمد بن يحيى: و أنشدني محمد بن العباس اليزيديّ شعرا للعباس أظنّه يهجو به أبا الهذيل-و ما سمعت للعبّاس هجاء غيره-:

يا من يكذّب أخبار الرسول لقد # أخطأت في كلّ ما تأتي و ما تذر

كذّبت بالقدر الجاري عليك فقد # أتاك منّي بما لا تشتهي القدر

سئل الأصمعي عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره :

حدثني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن سعيد عن الرياشيّ قال: قيل للأصمعيّ-أو قلت له-ما أحسن ما تحفظ للمحدثين؟قال: قول العبّاس بن الأحنف:

صوت

لو كنت عاتبة لسكّن روعتي # أملي رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة # صدّ الملول خلاف صدّ العاتب

الغناء للعبّاس أخي بحر رمل.

معاتبته الأصمعي في مجلس الرشيد :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ و محمد بن العبّاس اليزيديّ قالا، و اللفظ لهاشم، قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: دخل عمّي على الرشيد و العبّاس بن الأحنف عنده، فقال العبّاسي للرشيد: دعني أعبث بالأصمعيّ. قال له الرشيد: إنه ليس ممن يحتمل العبث. فقال: لست أعبث به عبثا يشقّ عليه. قال: أنت أعلم. فلما دخل عمّي قال له: يا أبا سعيد، من الذي يقول:

إذا أحببت أن تصنـ # ع شيئا يعجب الناسا

فصوّر هاهنا فوزا # و صوّر ثمّ عبّاسا

فإن لم يدنوا حتّى # ترى رأسيهما راسا

فكذّبها بما قاست # و كذّبه بما قاسى

/فقال له عمّي يعرّض بأنه نبطيّ: قاله الذي يقول:

إذا أحببت أن تبصـ # ر شيئا يعجب الخلقا

فصوّر هاهنا دورا # و صوّر هاهنا فلقا[1]

فإن لم يدنوا حتّى # ترى خلقيهما خلقا

فكذّبها بما لاقت # و كذّبه بما يلقى

قال: فخجل العبّاس، و قال له الرشيد: قد نهيتك فلم تقبل.

[1]الظاهر من السياق أن «دورا» و «فلقا» اسمان من الأسماء النبطية.

حديث إبراهيم بن العباس مع ابن مهرويه عن شعره
:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن العبّاسي للعبّاس بن الأحنف:

صوت

قالت ظلوم سميّة الظّلم # ما لي رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبي فاقصده # أنت العليم بموضع السّهم

فقلت له: إن أبا حاتم السّجستانيّ حكى عن الأصمعيّ أنه أنشد للعبّاس بن الأحنف:

صوت

أ تأذنون لصبّ في زيارتكم # فعندكم شهوات السمع و البصر

لا يضمر السّوء إن طال الجلوس به # عفّ الضمير و لكن فاسق النظر

فقال الأصمعيّ: ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئا، حتى أدخلها فأخرج هذا، و من أدمن طلب شيء ظفر ببعضه. فقال إبراهيم بن العبّاس: أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ، و لكن أنشدك للعبّاس ما لا تدفع أنت و لا غيرك فضله، ثم أنشدني قوله: /

و اللّه لو أنّ القلوب كقلبها # ما رقّ للولد الضعيف الوالد

و قوله:

لكن مللت فلم تكن لي حيلة # صدّ الملول خلاف صدّ العاتب

و قوله:

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى # جاءت أمور لا تطاق كبار

ثم قال: هذا و اللّه ما لا يقدر أحد على أن يقول مثله أبدا.

طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنيه بشعر فتندرت عليه
:

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال: كنّا عند الحسن بن وهب فقال لبنان: غنّيني: أ تأذنون لصبّ في زيارتكم # فعندكم شهوات السّمع و البصر

قال: فضحكت ثم قالت: فأيّ خير فيه إن كان كذا أو أيّ معنى!فخجل الحسن من نادرتها[1]عليه، و عجبنا من حدّة جوابها و فطنتها.

[1]في ب، س: «بادرتها» .

مدح سعيد بن جنيد شعره في إخفاء أمره

:

حدّثني الصّوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النّصيبيني قال سمعت سعيد بن جنيد[1]يقول: ما أعرف أحسن من شعر العبّاس في إخفاء أمره حيث يقول:

/

أريدك بالسلام فاتّقيهم # فأعمد بالسلام إلى سواك

و أكثر فيهم ضحكي ليخفى # فسنّي ضاحك و القلب باك

تمثل الواثق بشعره إذا كان غضبان على بعض جواريه

:

حدّثني الصّولي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي أحمد بن حمدون قال:

كان بين الواثق و بين بعض جواريه شرّ فخرج كسلان، فلم أزل أنا و الفتح بن خاقان نحتال لنشاطه، فرآني أضاحك الفتح فقال: قاتل اللّه ابن الأحنف حيث يقول:

/

عدل من اللّه أبكاني و أضحكها # فالحمد للّه عدل كلّ ما صنعا

اليوم أبكي على قلبي و أندبه # قلب ألحّ عليه الحبّ فانصدعا

فقال الفتح: أنت و اللّه يا أمير المؤمنين في وضع التّمثّل موضعه أشعر منه و أعلم و أظرف.

تمثل بشعره في عتاب جارية له

:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال:

قالت للواثق جارية له كان يهواها و قد جرى بينهما عتب: إن كنت تستطيل بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعزّ الحبّ.

أتراك لم تسمع بخليفة عشق قبلك قطّ فاستوفى من معشوقه حقّه؛ و لكنّي لا أرى لي نظيرا في طاعتك. فقال الواثق:

‟

للّه درّ ابن الأحنف حيث يقول:

أ ما تحسبيني أرى للعاشقين # بلى، ثم لست أرى لي نظيرا

لعلّ الذي بيديه الأمور # سيجعل في الكره خيرا كثيرا

مدح الزبير بن بكار شعره

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلّبيّ قال: سمعت الزبير يقول: ابن الأحنف أشعر الناس في قوله:

تعتلّ بالشّغل عنّا ما تكلّمنا # الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

و يقول: لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها و شرّها إلا و هو يصلح أن يتمثّل فيه بهذا النصف الأخير.

استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظرف ابن الأحنف في قوله يصف طول عهده بالنّوم:

[1]في جـ: «حنيذ» .

قفا خبّراني أيّها الرجلان # عن النوم إنّ الهجر عنه نهاني

و كيف يكون النوم أم كيف طعمه # صفا النّوم لي إن كنتما تصفان

قال: على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

كان سلمة بن عاصم معجبا بشعره حتى كان يحمله معه :

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون بن مخلد قال حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيت سلمة بن عاصم و معه شعر العباس بن الأحنف، فعجبت منه و قلت: مثلك-أعزّك اللّه-يحمل هذا!فقال: أ لا أحمل شعر من يقول:

صوت

أسأت أن أحسنت ظنّي بكم # و الحزم سوء الظنّ بالنّاس

يقلقني الشوق فآتيكم # و القلب مملوء من الياس

غنّى هذين البيتين حسين بن محرز خفيف رمل بالوسطى. و أوّل الصوت: يا فوز يا منية[1]عبّاس # وا حربا من قلبك القاسي

أعجب أعرابي بشعره :

و روى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعرابيّ فصيح ظريف، فجعلت أكتب عنه أشياء/حسانا؛ ثم قال: أنشدني لأصحابكم الحضريّين. فأنشدته للعبّاس بن الأحنف:

ذكرتك بالتّفّاح لمّا شممته # و بالرّاح لما قابلت أوجه الشّرب

تذكّرت بالتفّاح منك سوالفا # و بالرّاح طعما من مقبّلك العذب

فقال: هذا عندك و أنت تكتب عنّي!لا أنشدك حرفا بعد هذا.

فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق:

و حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد اللّه بن العبّاس بن الفضل يقول: ما

أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف :

سبحان ربّ العلا ما كان أغفلني # عما رمتني به الأيام و الزمن

من لم يذق فرقة الأحباب ثم يرى # آثارهم بعدهم لم يدر ما الحرن

قال أبو بكر: و قد غنّى عبد اللّه بن العبّاس فيه صوتا خفيف رمل.

[1]كذا في «ديوانه» طبع مطبعة الجوائب ص 91، و قد ورد فيه هذا البيت هكذا: يا فوز يا منية عباس # قلبي يفدّى قلبك القاسي

و في الأصول: «يا هيبة عباس» و هو تحريف.

مدح حسين بن الضحاك شعره و استجاده

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: سمعت حسين بن الضّحّاك يقول: لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعذر، و هو قوله: لعمرك ما يستريح المحبّ # حتى يبوح بأسراره

فقد يكتم المرء أسراره # فتظهر في بعض أشعاره

ثم قال: أمّا قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحد فهو: الحبّ أملك للفؤاد بقهره # من أن يرى للسّتر فيه نصيب

و إذا بدا سرّ اللبيب فإنّه # لم يبد إلاّ و الفتى مغلوب

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال قال أبو العتاهية: ما حسدت أحدا إلا العبّاس بن الأحنف في قوله: إذا امتنع القريب فلم تنله # على قرب فذاك هو البعيد

فإني كنت أولى به منه و هو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يشبه شعرك.

استجاد الكندي ضروب شعره

:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعت الكنديّ يقول: العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزل في شعره، و كان قليلا ما يرضيني الشعر. فكان ينشد له كثيرا:

صوت

أ لا تعجبون كما أعجب # حبيب يسيء و لا يعتب

و أبغي رضاه على سخطه # فيأبى عليّ و يستصعب

فيا ليت حظّي إذا ما أسأ # ت أنّك ترضى و لا تغضب

/كان إبراهيم الموصلي مشغوفا بشعره كثير الغناء فيه:

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا محمد بن الفضل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: كان جدّي إبراهيم مشغوفا بشعر العبّاس، فتغنّى في كثير من شعره، فذكر أشعارا كثيرة حفظت منها:

صوت

و قد ملئت ماء الشّباب كأنّها # قضيب من الرّيحان ريّان أخضر

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا # و قالوا اتّعدنا للرّواح و بكّروا

/ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعلّوية رمل، و في كتاب ابن المكيّ أنه لابن سريج، و هو غلط.

كلمة المأمون لما أنشد بيتا له

:

و قد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال: أنشد المأمون قول عبّاس بن الأحنف:

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا # و قالوا اتّعدنا للرّواح و بكّروا

فقال المأمون: سخروا بأبي الفضل.

قال: و حفظت منها:

صوت

تمنّى رجال ما أحبّوا و إنما # تمنّيت أن أشكو إليك و تسمعا

أرى كلّ معشوقين[1]غيري و غيرها # قد استعذبا طول الهوى و تمتّعا

الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر. و فيه ثقيل أوّل بالوسطى ينسب إلى يزيد حوراء و إلى سليم بن سلّام.

/قال و حفظت منها:

بكت عيني لأنواع # من الحزن و أوجاع

و أني كلّ يوم عنـ # دكم يحظى بي السّاعي

أعيش الدّهر إن عشت # بقلب منك مرتاع

و إن حلّ بي البعد # سينعاني لك النّاعي

الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. و في كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيم بن المهديّ فيه لحنين: ثقيلا أوّل و ماخوريا. و فيه هزج محدث.

غنى إبراهيم الموصلي في شعره و شعر ذي الرمة أكثر ما غنى في شعر غيرهما

:

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا أصحابنا عن محمد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال: ما غنّى جدّي في شعر أحد من الشعراء أكثر ممّا غنّى في شعر ذي الرّمّة و عبّاس بن الأحنف.

مدح ابن الأعرابي شعرا له غنى له في حضرة أحد أولاد الرشيد

:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه التّميميّ قال: كنا في مجلس ابن الأعرابيّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابن الأعرابيّ، و كان يحبّه و يأنس به، فقال له: ما أخّرك عنّي؟فاعتذر بأشياء ثم قال: كنت مع مخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به، فاستكثر ذلك ابن الأعرابيّ و استهاله و عجب منه، و قال: ما هو؟قال: غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف: [1]في جـ: «كل مشغوفين» .

بكت عيني لأنواع # من الحزن و أوجاع

و أني كل يوم عنـ # دكم يحظى بي السّاعي

فقال ابن الأعرابيّ: أمّا الغناء فما أدري ما هو، و لكن هذا و اللّه كلام قريب مليح.

نوّه الواثق بشعره

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن الهيثم قال حدّثني محمد بن عمرو الرّوميّ[1]قال: كنّا عند الواثق فقال: أريد أن أصنع لحنا في شعر معناه أنّ الإنسان كائنا من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوّه، فهل تعرفون في هذا شيئا؟فأنشدنا ضروبا من الأشعار؛ فقال: ما جئتم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف: قلبي إلى ما ضرّني داعي # يكثر أسقامي و أوجاعي

كيف احتراسي من عدوّي إذا # كان عدوّي بين أضلاعي

/أسلمني للحبّ أشياعي # لمّا سعى بي عندها السّاعي

لقلّما أبقى على كلّ ذا # يوشك أن ينعاني النّاعي

قال: فعمل فيه الواثق لحنه الثقيل الأوّل، النّشيد[2]بالوسطى.

قصة للمتوكل و عليّ بن الجهم في صدد شعره

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى أو حدّثت به عنه عن عليّ بن الجهم قال: انصرفت ليلة من عند المتوكل، فلما دخلت منزلي جاءني رسوله يطلبني، فراعني ذلك و قلت: بلاء تتبّعت به بعد انصرافي، فرجعت إليه وجلا، فأدخلت عليه و هو في مرقده. فلما رآني ضحك، فأيقنت بالسلامة؛ فقال: يا عليّ، أنا مذ فارقتك ساهر؛ خطر[3]على قلبي هذا الشعر الذي يغنّي فيه أخي، قول الشاعر: قلبي إلى ما ضرّني داعي الأبيات. فحرصت أن أعمل مثل هذا فلم يجئني، أو أن أعمل مثل اللّحن فما أمكنني؛ فوجدت في نفسي نقصا، فقلت: يا سيّدي، كان أخوك خليفة يغنّي و أنت خليفة لا تغنّى؛ فقال: قد و اللّه أهديت إلى عيني نوما، أعطوه ألف دينار، فأخذتها و انصرفت.

أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال: إنه قاله في طباخة

:

وجدت في كتاب الشّاهيني بغير إسناد:

أنشد أبو الحارث جمّيز[4]قول العباس بن الأحنف.

قلبي إلى ما ضرّني داعي

[1]كذا في جـ: «عمرو الدوري» .

[2]كذا في أكثر الأصول. و في حـ: الثقيل النشيد بالوسطى» . و لعل الصواب: «الثقيل الأوّل بالوسطى» .

[3]في ب، س: «فخطر» بزيادة الفاء.

[4]كذا في «شرح القاموس و الأغاني (ج 1 ص 83 من هذه الطبعة) » و قد ورد فيهما خلاف و تصويب فيه فانظره. و في أ، ء، م: «حمين» . و في ب، س: «حميد» بالحاء المهملة. و كلاهما تحريف. ـ

الأبيات. فبكى ثم قال: هذا شعر رجل جائع في جارية طبّاخة مليحة، فقلت له: من أين قلت ذاك؟قال: لأنه بدأ فقال: قلبي إلى ما ضرّني داعي

و كذلك الإنسان يدعوه قلبه و شهوته إلى ما يضرّه من الطّعام و الشّراب فيأكله، فتكثر علله و أوجاعه، و هذا تعريض، ثم صرّح فقال: كيف احتراسي من عدوّي إذا # كان عدوّي بين أضلاعي

و ليس للإنسان عدوّ بين أضلاعه إلاّ معدته، فهي تتلف ماله، و هي سبب أسقامه، و هي مفتاح كلّ بلاء عليه، ثم قال: إن دام لي هجرك يا مالكي # أوشك أن ينعاني النّاعي

فعلمت أنّ الطبّاخة كانت صديقته، و أنها هجرته ففقدها و فقد الطّعام، فلو دام ذلك عليه لمات جوعا و نعاه النّاعي.

تمثل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان :

و حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عيسى قال:

جاء عبد اللّه بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب، و عنده بنان جارية محمد بن حمّاد، و هي نائمة سكرى و هو يبكي عندها. فقال له: مالك؟قال: قد كنت نائما فجاءتني فأنبهتني و قالت: اجلس حتى تشرب فجلست، فو اللّه ما غنّت/عشرة أصوات حتى نامت و ما شربت إلاّ قليلا، فذكرت قول أشعر الناس و أظرفهم، العبّاس بن الأحنف.

صوت

أبكى الذين أذاقوني مودّتهم # حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

فأنا أبكي و أنشد هذا البيت.

كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له و بلاغته و إنشاده له :

و حدّثني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال:

سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول: ما رأيت كلاما محدثا أجزل في رقّة، و لا أصعب في سهولة، و لا أبلغ في إيجاز، من قول العباس بن الأحنف: تعالي تجدّد دارس العهد بيننا # كلانا على طول الجفاء ملوم

قال الصّوليّ: و وجدت بخطّ عبد اللّه بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مخلد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف:

صوت

إن قال لم يفعل و إن سيل لم # يبذل و إن عوتب لم يعتب

صبّ بعصياني و لو قال لي # لا تشرب[1]البارد لم أشرب

إليك أشكو ربّ ما حلّ بي # من صدّ هذا المذنب المغضب

غنّى في هذه الأبيات أحمد بن صدقة هزجا بالوسطى. و فيها لحن آخر لغيره-قال الحسن بن مخلد[2]: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا و اللّه الكلام الحسن المعنى، السهل المورد، القريب المتناول، المليح اللفظ، العذب المستمع.

مدح علي بن يحيى شعره و قال على رويه شعرا

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: سمعت عليّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق[3]من المغنّين خاصّة[شعر[4]]العباس بن الأحنف، و خاصّة قوله: نام من أهدى لي الأرقا # مستريحا سامني قلقا

فإنه غنّى فيه جماعة من المغنّين، منهم إبراهيم الموصليّ و ابنه إسحاق و غيرهما. قال: و كان يستحسن هذا الشعر، و أظن استحسانه إيّاه حمله على أن قال في رويّه و قافيته: بأبي و اللّه من طرقا # كابتسام البرق إذ خفقا

و عمل فيه لحنا من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى. هكذا رواه الصّوليّ: و أخبرني جحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال: قال أبي: هذا الصوت: نام من أهدى لي الأرقا

مدح إسحاق شعره و قال إنه محظوظ من المغنين

:

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصّنعة و اشتراك المغنين في ألحانه. و ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون[5]أنّه قال ذلك و لم يذكره عن إسحاق.

نسبة هذين الصوتين منهما
صوت

نام من أهدى لي الأرقا # مستريحا زادني قلقا

لو يبيت الناس كلّهم # بسهادي بيّض الحدقا

/كان لي قلب أعيش به # فاصطلى بالحبّ فاحترقا

[1]في الأصول: «لم تشرب... » . و التصويب عن الديوان.

[2]في الأصول هنا: «الحسن بن خالد» .

[3]في ب، س، م: «الموزون» و هو تحريف.

[4]تكملة يقتضيها سياق الكلام. و عبارة «تجريد الأغاني» «و من رقيق شعر العباس المحظوظ في الغناء قوله... إلخ» .

[5]في الأصول: «ابن حمدون» . و هو تحريف. (راجع «الاستدراك» الأول ص 537 ج 5 من هذه الطبعة) .

أنا لم أرزق مودّتكم # إنما للعبد ما رزقا

لإسحاق في هذا الشعر خفيف بالوسطى في مجراها. و لأبيه إبراهيم أيضا فيه خفيف ثقيل آخر. و لابن جامع فيه لحنان: رمل مطلق في مجرى الوسطى في الأوّل و الثالث، و خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى أيضا في الأبيات كلها. و فيه لسليم هزج، و فيه لعلوية ثقيل أوّل.

نسبة صوت علي بن يحيى صوت

/

بأبي و اللّه من طرقا # كابتسام البرق إذ خفقا

زادني شوقا بزورته # و ملا قلبي به حرقا

من لقلب هائم دنف # كلّما سلّيته قلقا

زارني طيف الحبيب فما # زاد أن أغرى بي الأرقا

الشعر لعليّ بن يحيى، و ذكر الصّوليّ أن الغناء له خفيف ثقيل أوّل بالوسطى.

و ذكر أبو العبيس بن حمدون أنّ هذا الخفيف الثقيل من صنعته. و فيه لعريب ثاني ثقيل بالوسطى أيضا.

مدح عبد اللّه بن المعتز شعره

:

حدّثني الصّوليّ قال: سمعت عبد اللّه بن المعتزّ يقول: لو قيل: ما أحسن شيء تعرفه؟قلت: شعر العبّاس بن الأحنف:

صوت

قد سحّب الناس أذيال الظنون بنا # و فرّق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمي بالحبّ غيركم # و صادق ليس يدري أنّه صدقا

/قال: و للمسدود[1]في هذا الشعر لحن. قال: و لم يغنّ المسدود أحسن من غنائه في شعر العبّاس بن الأحنف. هكذا ذكر الصّوليّ، و لم يأت بغير هذا. و لإسحاق في هذين البيتين ثقيل أوّل بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية. و لابن جامع ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. و ليزيد حوراء خفيف ثقيل عنه. و للمسدود رمل.

و لعبد اللّه بن العباس الرّبيعيّ خفيف رمل.

شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصلي فأحاله على شعره

:

و أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غضب الفضل بن الربيع على جارية له كانت أحبّ الناس إليه، فتأخّرت عن استرضائه، فغمّه ذلك، فوجّه إلى [1]كذا في «الأغاني» في ترجمته (ج 21 ص 256) و اسمه الحسن، و كنيته أبو علي، و كان أبوه قصابا، و كان هو مسدود فرد منخر و مفتوح الآخر، و كان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائي أهل الحلوم و ذوي الألباب. و في الأصول هنا في كل المرات التي ذكر فيها: «المشدود» بالشين المعجمة، و هو تصحيف.

أبي يعلمه و يشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العزّة و الشرف، و لأعدائك الذّل و الرّغم. و استعمل قول العباس بن الأحنف: تحمّل عظيم الذنب ممّن تحبّه # و إن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

فإنك إلاّ تغفر الذنب في الهوى # يفارقك من تهوى و أنفك راغم

فقال: صدقت، و بعث إليها فترضّاها.

دافع مصعب الزبيري عن شعره

:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو بكر بن أبي خيثمة قال: قيل لمصعب الزّبيري: إن الناس يستبردون شعر العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أ ليس الذي يقول:

صوت

قالت ظلوم سميّة الظّلم # ما لي رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبي فاقصده # أنت العليم بموقع السّهم

الغناء لأبي العبيس أو ابنه إبراهيم، ماخوريّ.

قال شعرا في البكاء فأجازته أم جعفر

:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني أبو عبد اللّه الهشاميّ الحسن بن أحمد[1]قال حدّثنا عمرو بن بانة قال: كنّا في دار أمّ جعفر جماعة من الشعراء و المغنّين، فخرجت جارية لها و كمّها مملوء دراهم، فقالت: أيّكم القائل: /

من ذا يعيرك عينة تبكي بها # أ رأيت عينا للبكاء تعار

فأومئ إلى العباس بن الأحنف، فنثرت الدراهم في حجره فنفضها فلقطها الفرّاشون، ثم دخلت و معها ثلاثة نفر من الفرّاشين على عنق كلّ فرّاش بدرة فيها دراهم، فمضوا بها إلى منزل العبّاس بن الأحنف:

أنشد الرشيد شعره في البكاء فدعا عليه و سخط

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال: أنشد الرشيد قول العبّاس بن الأحنف:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها

فقال: من لا صحبه اللّه و لا حاطه.

[1]في الأصول: أبو عبد اللّه الهشامي أحمد بن الحسين» . و هو تحريف. (راجع الجزء السابع من هذه الطبعة ص 293) .

سرق مخلد الموصلي من شعره فكشفه عبد اللّه بن ربيعة الرقي

:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني عون بن محمّد الكنديّ قال:

/كنّا مع مخلد الموصليّ في مجلس و كان معنا عبد اللّه بن ربيعة الرّقّيّ؛ فأنشد مخلد الموصلي قصيدة له يقول فيها: كلّ شيء أقوى عليه و لكن # ليس لي بالفراق منك يدان

فجعل يستحسنه و يردّده، فقال له عبد اللّه: أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول: سلبتني من السّرور ثيابا # و كستني من الهموم ثيابا

كلما أغلقت من الوصل بابا # فتحت لي إلى المنيّة بابا

عذّبيني بكلّ شيء سوى الصـ # ـدّ فما ذقت كالصدود عذابا

قال: فضحك الموصليّ. و الشعر للعباس بن الأحنف.

مدح الرياشي شعره

:

و أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو الحسن الأسديّ قال:

سمع الرّياشيّ يقول، و قد ذكر عنده العباس بن الأحنف: و اللّه لو لم يقلّ من الشعر إلا هذين البيتين لكفيا:

صوت

أحرم منكم بما أقول و قد # نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأني ذبالة نصبت # تضيء للنّاس و هي تحترق

و في هذين البيتين لحن لعبد اللّه بن العبّاس من الثقيل الثاني بالبنصر. و فيه لخزرج رمل أوّل عن عبد اللّه بن العبّاس: أنت لا تعلمين ما الهمّ و الحز # ن و لا تعلمين ما الأرق[1]

اختلف الرشيد و إسحاق الموصلي في مدحه و مدح أبي العتاهية

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض مشايخ الأزد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: كان الرشيد يقدّم أبا العتاهية حتى يجوز الحدّ في تقديمه، و كنت أقدّم العبّاس بن الأحنف؛ فاغتابني بعض الناس عند الرشيد و عابني عنده، و قال عقب ذلك: و بحسبك يا أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه و قلّة حذقه و تجريبه، و يقدّمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه. و بلغني الخبر فدخلت على الرّشيد؛ [1]ورد هذا البيت في الأصول مفردا، و هو و إن كان على رويّ البيتين السابقين إلاّ أنه لم يمهد له فالظاهر أن في الأصول نقصا.

فقال لي ابتداء: أيما أشعر عندك: العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمت الذي يريد، فأطرقت كأني مستثبت ثم قلت: أبو العتاهية أشعر. قال: أنشدني لهذا و لهذا؛ قلت: فبأيّهما أبدأ؟قال: بالعباس. قال: فأنشدته أجود/ما أرويه للعبّاس، و هو قوله: أحرم منكم بما أقول و قد # نال به العاشقون من عشقوا

فقال لي: أحسن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدته أضعف ما أقدر عليه، و هو قوله: كأنّ عتّابة من حسنها # دمية قسّ فتنت قسّها

يا ربّ لو أنسيتنيها بما # في جنّة الفردوس لم أنسها

إني إذا مثل التي لم تزل # دائبة في طحنها كدسها[1]

حتى إذا لم يبق منها سوى # حفنة برّ قتلت نفسها

قال: أ تعيّره[2]هذا!فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمد و لم يدر ما بي # أ تحبّ الغداة عتبة حقّا

فتنفّست ثم قلت نعم حبّ # ا جرى في العروق عرقا فعرقا

/ويحك!أ تعرف لأحد مثل هذا، أو تعرف أحدا سبقه إلى قوله: «فتنفّست ثم قلت كذا و كذا» !اذهب ويحك فاحفظها؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، و لو كنت سمعت بها لحفظتها. قال إسحاق: و ما أشكّ إني كنت أحفظ لها حينئذ من أبي العتاهية، و لكنّي إنما أنشدت ما أنشدت تعصّبا.

صحب الرشيد إلى خراسان و عرّض للرجوع بشعر فاذن له :

قال محمد بن يزيد:

و حدّثت من غير وجه أنّ الرشيد ألف العباس بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خراسان طال مقامه بها، ثم خرج إلى أرمينية و العباس معه ماشيا إلى بغداد، فعارضه في طريقه فأنشده: قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا # ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ما أقدر اللّه أن يدني على شحط # سكان دجلة من سكّان جيحان[3]

متى الذي كنت أرجوه و آمله # أمّا الذي كنت أخشاه فقد كانا

عين الزمان أصابتنا فلا نظرت # و عذّبت بصنوف الهجر ألوانا

-في هذين البيتين الأخيرين رمل بالوسطى ينسب إلى مخارق و إلى غيره-قال فقال له الرشيد: قد اشتقت يا عبّاس و أذنت لك خاصة، و أمر له بثلاثين ألف درهم.

[1]التكدس: العرمة من الطعام و التمر و الدراهم و نحو ذلك.

[2]في الأصول «أ تعيره بهذا» . و هي لغة رديئة.

[3]جيحان: اسم نهر.

481

لم يبتذل هو لا العراف شعرهما في رغبة و لا رهبة

:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال: سمعت مصعبا الزّبيريّ يقول: العباس بن الأحنف و عمرو العرّاف[1]ما ابتدلا شعرهما في رغبة و لا رهبة، و لكن فيما أحبّاه، فلزما فنّا واحدا لو لزمه غيرهما ممّن يكثر إكثارهما لضعف فيه.

[1]كذا في أكثر الأصول. و في جـ: «العراق» . و الظاهر أنه تحريف عن «الوراق» ، فقد كان عمرو الوراق شاعرا غزلا ظريفا معاصرا للعباس بن الأحنف.

ذكر الأصوات التي تجمع النّغم العشر

منها:

صوت

توهّمت بالخيف رسما محيلا # لعزّة تعرف منه الطّلولا

تبدّل بالحيّ صوت الصّدى # و نوح الحمامة تدعو هديلا

عروضه من المتقارب. الخيف الذي عناه كثيّر ليس بخيف منّي، بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة.

و الطّلول: جمع طلل، و هو ما كان[1]له شخص و جسم عال من آثار الدّيار. و الرّسم/ما لم يكن له شخص [و جسم][2]. و الصّدى هاهنا: طائر، و في موضع آخر: العطش. و يزعم أهل الجاهليّة أن الصّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح[اسقوني][2]حتى يدرك بثأره. قال طرفة: كريم يروّي نفسه في حياته # ستعلم إن متنا صدى أيّنا الصّدي[3]

و الحمام: القماريّ و نحوها من الطير. و الهديل: أصواتها.

الشعر لكثيّر و الغناء لعبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر، و نسبه إلى جاريته و كنى عنها، فذكر أن الصّنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء و عظم علمه و أتعب نفسه حتى جمع النّغم العشر في هذا الصوت، و ذكر أن طريقته من الثقيل الأوّل، و أنّه ليس يجوز أن ينسبه إلى موضع إصبع مفردة؛ لأن ابتداءه على المثنى مطلقا، ثم بسبّابة المثنى، ثم وسطى المثنى، ثم بنصر المثنى، ثم خنصر المثنى، ثم سبّابة الزّير، ثم وسطاه، ثم بنصره، ثم خنصره، ثم النّغمة الحادّة، و هي العاشرة. و فيه لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر. و فيه لابن الهربذ رمل بالوسطى عن عمرو، و هذا الصوت من الثقيل/الثاني، و هو الذي ذكر إسحاق في كتاب النّغم و عللها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانيا من النغم العشر، و أنه لا يعرف صوتا[4]يجمعها غيره، و أنه يمكن من كان له علم ثاقب بالصناعة أن يأتي في صوت واحد بالنّغم العشر، بعد تعب طويل و معاناة شديدة. و ذكر عبيد اللّه أن صانع هذا الصوت الذي كنى عنه فعل ذلك و تلطّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متوالية من أوّلها إلى آخرها، و أتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقة على غير توال إلاّ أنها كلّها فيه، و ذكر أن ذلك الصوت أحسن مسموعا و أحلى. و حكى ذلك أيضا عنه [1]في حـ «ما بان» .

[2]زيادة عن حـ.

[3]الصدى: العطشان.

[4]في الأصول: «و أنه لا يعرف صوتا إلى عشرة يجمعها... إلخ» . و الظاهر أن كلمة «إلى عشرة» مقحمة.

يحيى بن عليّ بن يحيى في «كتاب النّغم» . و إذ فرغت من حكاية ما ذكره و حكاه عبيد اللّه في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي ألاّ أجرى الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره و حكاه. و الذي وصفه من جهة النغم العشر متوالية في صوت واحد محال لا حقيقة له، و لا يمكن أحدا بتّة[1]أن يفعله. و أنا أبيّن العلّة في ذلك على تقريب، إذ كان استقصاء شرحها طويلا. و قد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم، و شرحت هناك العلّة في أن قسّم الغناء قسمين و جعل على مجريين: الوسطى و البنصر دون غيرهما، حتى لا يدخل[2]واحدة منهما على صاحبتها في مجراها قرب مخرج الصوت، إذا كان على الوسطى منه[أو][3]إذا كان على البنصر و شبهه به. فإذا أراد مريد إلحاق هذا بهذا لم يمكنه بتّة على وجه و لا سبب؛ و لا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. و إذا أتبعت[4]إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تفصّلت إحداهما/من الأخرى. و إنما قلّت النغم في غناء الأوائل لأنهم قسّموها قسمين بين هاتين الإصبعين، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يفصل بينهما بنغم أخرى للسبّابة و الخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما، ثم لا يكون لذلك الغناء ملاحة و لا طيب للمضادّة في المجريين، فتركوه و لم يستعملوه؛ فإن كان صحّ لعبيد اللّه عمل في النغم العشر في صوت، /فلعلّه صحّ له في الصوت الذي ذكر أنه فرّقها فيه؛ فأما المتوالية-على ما ذكره هاهنا-فمحال، و لست أقدر في هذا الموضع على شرح أكثر من هذا، و هو في الرسالة التي ذكرتها مشروح.

*** انتهى الجزء الثامن من كتاب الأغاني و يليه الجزء التاسع و أوّله نسب كثير و أخباره [1]المشهور في هذه الكلمة أنها لا تنكر. قال ابن بري: مذهب سيبويه و أصحابه، أن البتة لا تكون إلاّ معرفة لا غير، و إنما أجاز تنكيرها الفراء وحده، و هو كوفي.

[2]في الأصول: «لا تدخل» بالتاء المثناة الفوقية.

[3]زيادة يقتضيها السياق.

[4]في الأصول: «و لا إذا اتبعت... إلخ» . و الظاهر إنها محرفة عما أثبتناه.

<كتاب الأغاني> تأليف أبي الفرج الأصفهاني ترجمة حارثة بن بدر
لحق بالجزء الثامن من طبعة دار الكتب بتحقيق إبراهيم الأبياري

487

<تقديم> (1) هذه الترجمة، من تراجم الجزء الحادي و العشرين. و تقع فيه بعد ترجمة «أم جعفر» و قبل ترجمة «خالد الكاتب» ، و قد رمزنا إلى هذا الجزء الحادي و العشرين بالحرف «س» .

(2) لم يورد ابن واصل هذه الترجمة، و هو الذي أورد في كتابه «تجريد الأغاني» جميع التراجم المزيدة التي انفرد بها الجزء الحادي و العشرون.

(3) ذكر أبو الفرج حديثه عن «الصوت من المائة المختارة» هناك (7: 148 طبعة بلاق-8: 235 طبعة دار الكتب) ، و هو يقدم لعنترة، ثم كرره هنا بنصه-مع خلاف يسير-و هو يترجم لحارثة بن بدر.

(4) قوبلت هذه الترجمة على مخطوطتين من مخطوطات «الأغاني» المحفوظة في دار الكتب:

(أ) الأولى من هاتين المخطوطتين قطعة قديمة كانت من بين مخطوطات مكتبة «الظافر» الخليفة الفاطمي.

و تقع هذه المخطوطة في مائة و خمس و سبعين ورقة، و أخبار حارثة تشغل الثماني عشرة ورقة الأخيرة منها؛ و هذه النسخة تحمل رقم 427 أدب، و قد رمزنا إليها أثناء المقابلة بحرف «أ» .

(ب) و ثانية المخطوطتين، مصوّرة مأخوذة عن نسخة مكتبة «فيض اللّه» بتركيا، و يرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع أو العاشر الهجري، و تضم مائة لوحة؛ تقع أخبار «حارثة» في اللوحات من 80 إلى 89. و هذه النسخة تحمل رقم 19020 ز. و قد رمزنا إليها بحرف «ب» .

(5) تتفق المخطوطتان على إيراد أخبار «حارثة بن بدر» قبل أخبار «أبي دلف» ، و بعد أخبار «جميلة» .

صوت[1] من المائة المختارة

يا دار عبلة من مشارق مأسل # درس الشّئون و عهدها لم ينجل[2]

و استبدلت عفر الظّباء كأنما # أبعارها في الصّيف حبّ الفلفل

ذكر يحيى بن عليّ أن الشعر لعنترة بن شدّاد، و ليس ذلك بصحيح. و ذكر غيره من الرّواة أنه لعبد قيس بن خفاف البرجمي، و ليس ذلك بصحيح أيضا، و الشعر لحارثة بن بدر الغداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها و يذكر سالف أيامه. و قد ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة و بعد انقضائها. و الغناء المختار لأبي دلف العجلي، و لحنه في المختار[ثقيل أول، و فيه ألحان كثيرة[3]].

[1]جاء هذا الصوت من المائة المختارة (7: 148 طبعة بلاق-8: 235 طبعة دار الكتب) لعقب أخبار جميلة و قبل أخبار عنترة. و قد أضاف أبو الفرج هناك إلى هذين البيتين بيتين آخرين و هما: تمشي النعام به خلاء حوله # مشى النصارى حول بيت الهيكل

احذر محل السوء لا تحلل به # و إذا نبا بك منزل فتحوّل

ثم عقب أبو الفرج على الأبيات الأربعة بقوله: «الشعر فيما ذكر يحيى بن على عن إسحاق، لعنترة بن شداد العبسي. و ما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، و لعله من رواية لم تقع إلينا، فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمي، إلّا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه. و الغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي. و لحنه المختار على ما ذكره أبو أحمد من الثقيل الأوّل» . ثم مضى أبو الفرج يذكر ألحانا أخرى مختلفة.

[2]دارة مأسل: من ديار بني عقيل. («معجم البلدان» في رسم: دارة مأسل) .

[3]تكملة من: ب.

15-نسب حارثة بن بدر و أخباره[1]

نسبه

:

حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة بن يربوع.

و قال خالد بن حبل:

حارثة بن بدر بن مالك بن كليب[2]بن غدانة بن يربوع[3].

نسب أمه

:

و أم حارثة بن بدر امرأة من بني صريم بن الحارث، يقال لها: الصّدوف، بنت صدى[4].

رأي ابن الأهتم فيه و في الأحنف و ابن جبلة

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني العلاء بن الفضل بن[عبد الملك بن[5]] أبي سويّة المنقري، قال:

مرّ عمرو بن الأهتم بحارثة بن بدر، و الأحنف بن قيس، و زيد بن جبلة، و هم مجتمعون، فسلّم عليهم، ثم بقي مفكرا، فقالوا: مالك؟فقال: ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم، حيث جاءوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم! فضحكوا منه.

أمه و أما الأحنف و ابن جبلة

:

قال:

و أم الأحنف: الزّافرية، و اسمها حبّي، من باهلة، و أم زيد بن جبلة: عمرة بنت حذلم، من بني الشّعيراء. و أم حارثة: الصّدوف بنت صدى[4]، من بني صريم بن الحارث.

و قد مضى نسب بني يربوع في نسب جرير و غيره[من عشيرته[6]]من هذا الكتاب.

[1]ترجم له ابن عساكر في كتابه «تاريخ دمشق» (8: 133-142 تاريخ تيمور 1041) معتمدا فيما ترجم على كتاب «الأغاني» في الكثير مما نقل.

[2]أ، ب: «كلب» .

[3]سياق النسب في الجمهرة لابن الكلبي (226) : «حارثة ابن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع» .

[4]أ، ب: «الصدى» .

[5]التكملة من «تهذيب التهذيب» .

[6]تكملة من أ، ب.

شعر الفرزدق في بني غدانة و حديث هذا

:

و في بني غدانة يقول الفرزدق:

أ بني غدانة إنّني حرّرتكم # فوهبتكم[1]لعطيّة بن جعال

لو لا عطيّة لاجتدعت أنوفكم # من بين ألأم أعين و سبال[2]

و كان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر كان بينه و بينهم، و كان عطية سيّدا من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: و اللّه لقد امتن عليّ أبو فراس بهذه الهبة و ما[3]تممها حتى ارتجعها، و وصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

عطية و شعر جرير فيه

:

قال:

و كان عطية هذا جوادا، و فيه يقول جرير[4]:

إن الجواد على المواطن كلها # و ابن الجواد عطية بن جعال

يهب النجائب لا يملّ عطاءها # و المقربات كأنهن سعالى[5]

شيء عن حارثة

:

و حارثة بن بدر من فرسان بني تميم و وجوهها و ساداتها[و جودائها[6]]، و أحسب أنه قد أدرك النبي صلّى اللّه عليه و سلّم في حال صباه و حداثته. و هو من ولد[7]بني الأحنف بن قيس، و ليس بمعدود في فحول الشعراء، و لكنه كان يعارض نظراءه الشّعر، و له من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين في الشعر و المتصرفين في فنونه.

هو و ابن زياد و قد عاتبه على الشراب

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز[الجوهري[8]]، قال: أنبأنا عمر بن شبّة، قال: أنبأنا المدائني، قال:

كان زياد مكرما لحارثة بن بدر، قابلا لرأيه، محتملا لما يعلمه من تناوله الشراب. [فلما ولي عبيد اللّه بن زياد أخّر حارثة بعض التأخير، فعاتبه على ذلك. فقال له عبيد اللّه: إنك تتناول الشراب[9]]. فقال له: قد كان أبوك يعلم [1]في «الديوان (726) » : «و وهبتكم» .

[2]السبال: جمع سبلة، بالتحريك، و هو الشارب.

[3]أ، ب: تمها» .

[4]أ، ب: «و فيه يقول الشاعر و هو جرير» . و لم يرد الشعر في «ديوان» جرير.

[5]النجائب: جمع نجيبة، و هي الكريمة العتيقة، من النوق و الأفراس. و المقربات: جمع مقربة، و هي الفرس يقرب مربطها و معلفها لكرامتها و السعال: جمع سعلاة، و هي الغول.

[6]التكملة من أ، ب: «و يقال في جمع الجواد من الرجال: جود، و أجواد، و أجاود، و جوداء.

[7]أ، ب: «من لدات» . و اللدات: جمع لدة، و هو من يولد معك.

[8]تكملة من أ، ب.

[9]التكملة من س.

هذا منّي، و يقربني[1]و يكرمني. فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القالة في تقريبك ما أخاف، و إنّ اللسان إليّ فيك لأسرع منه إلى أبي. فقال حارثة: و كم من أمير قد تجبّر بعد ما # مريت له الدنيا بسيفي فدرّت[2]

إذا ما هي احلولت نفى حق مقسمي # و يقسم لي منها إذا ما أمرّت[3]

إذا زبنته عن فواق يريده # دعيت و لا أدعى إذا ما أقرّت[4]

شعره لابن زياد و قد شاوره

:

و قال حارثة بن بدر أيضا، و[قد[5]]شاوره عبيد اللّه في بعض الأمر: أهان و أقصى ثم ينتصحونني # و من ذا الذي يعطى نصيحته قسرا

رأيت أكفّ المصلتين عليكم # ملاء و كفّي من عطاياكم صفرا

متى تسألوني ما عليّ و تمنعوا # الذي لي لم أسطع على ذلكم صبرا[6]

فقال له عبيد اللّه: فإني معوّضك و مولّيك، فولاّه.

هجاء رجل من بني كليب له حين حوّل زياد دعوته في قريش

:

أخبرني يحيى بن علي[7]إجازة، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ، قال: قال لي أبو اليقظان: حوّل زياد دعوة حارثة بن بدر و «ديوانه» في قريش، لمكانه منه، فقال[8][فيه]رجل من بني كليب يهجوه بذلك: شهدت بأن حارثة بن بدر # غدانيّ اللّهازم و الكلام[9]

سجاح في كتاب اللّه أدنى # له من نوفل و بني هشام

يعني: سجاح، التي ادّعت النبوة، و هي امرأة من بني تميم.

شعره في احتراق داره

:

قال أحمد بن يحيى: و قال المدائني:

احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، أحرقها بعض أعدائه من بني عمه، فقال في ذلك: [1]أ، ب: «و هو يقريني» .

[2]مريت له الدنيا: ذللتها لتعطي، و أصله من مري الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر.

[3]احلولت: صارت حلوة. و في أ، ب: «احولت» .

[4]الفواق، بالضم: اللبن يجتمع بين الحلبتين في الضرع. و زبنته: دفعته، و أصله في الناقة: إذا ضربت برجلها عند الحلب.

[5]التكملة من ب.

[6]أ، ب: «لا أستطيع لذلكم صبرا» .

[7]ب «يحيى بن علي بن يحيى» .

[8]التكملة من أ، ب.

[9]اللهازم: جمع لهزمه، بكسر اللام، و هي ما نتأ تحت الأذنين. و غدانيها: أي يشبه غدانة فيها، و هي قبيلة، كما يشبهها في الكلام.

رأيت المنايا بادئات و عوّدا # إلى دارنا سهلا إليها طريقها[1]

لها نبعة[2]كانت تقينا فروعها # فقد تلفت إلاّ قليلا عروقها

احتراق أخيه

:

قال:

و كان لحارثة أخ يقال له: دارع[3]، فأحرق مع ابن الحضرمي بالبصرة.

هجاؤه لبني سليط و سبب ذلك

:

و قال أحمد يحيى أيضا:

كان عطية بن جعال يهاجي حارثة بن بدر، ثم اصطلحا. و كان أيضا يهاجيه من قومه العكمص، و كانت بنو سليط تروي هجاءه لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم: /

أ راوية عليّ بنو سليط # هجاء الناس يا لبني سليط

فما لحمي لتأكله سليط # شبيها بالذكيّ و لا العبيط[4]

هو و ابن زنيم و ابن زياد

:

أخبرنا أحمد بن محمد[بن عبد اللّه[5]]بن صالح بن سمح بن عمرة[6]الأسدي أبو الحسن، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال: روح بن السّكن: كان أنس بن زنيم الليثي صديقا لعبيد اللّه بن زياد، فرأى منه جفوة و أثرة لحارثة بن بدر الغداني، فقال: أهان[7]و أقصى ثم ترجى نصيحتي # و أيّ امرئ يعطي نصيحته قسرا

رأيت أكفّ المصلتين عليكم # ملاء و كفّي من عطاياكم صفرا

فإن تسألوني ما عليّ و تمنعوا الّ # ذي لي لم أسطع على ذلكم صبرا

رأيتكم تعطون من ترهبونه # زربية قد و شحّت[8]حلقا[9]صفرا

و إنّي مع الساعي عليكم بسيفه[10] # إذا عظمكم يوما رأيت به كسرا

[1]العوّد: العائدات. و الذي في أ، ب: «سهلا إلينا طريقها» .

[2]س: «سعة» .

[3]س: «دراع» .

[4]الذكي: ما ذبح تذكية. و العبيط: لحم الذبيحة السمينة الفتية تنحر من غير داء.

[5]التكملة من س.

[6]أ: «شيخ بن عمرة» . و في ب: «شيخ بن عميرة» .

[7]مرت الأبيات الثلاثة الأولى (ص 379) منسوبة لحارثة.

[8]الزربية: الطنفسة. و وشحت: غشيت. و قبل هذا البيت في أ، ب بيت آخر، هو: فعمدا صدقت الناس عما يريبكم # و لو شئت أغليت في حربكم قدرا

[9]س: «خلعا» .

[10]س: «بسلعة» .

فقال عبيد اللّه بن زياد لحارثة بن بدر: أجبه. فاستعفاه[1]المودة كانت بينهما، فأكرمه على ذلك و أقسم عليه [ليجيبنّه[2]]، فقال: /

تبدلت من أنس إنّه # كذوب المودّة خوّانها

أراه بصيرا بضرّ الخليل # و خير[3]الأخلاّء عورانها[4]

فأجابه أنس فقال:

إن الخيانة شرّ الخليل # و الكفر عندك ديوانها

بصرت به في قديم الزمان # كما بصر[5]العين إنسانها

فأجابه حارثة بن بدر فقال: ألكنى[6]إلى أنس إنّه # عظيم الحواشة[7]عندي مهيب

فما أبتغي عثرات الخليل # و لا أبغين[8]عليه الوثوب[9]

و ما إن أرى ماله مغنما # من الدهر إن أعوزتني الكسوب[10]

فقال أنس:

أ حار بن بدر و أنت امرؤ # لعمري المتاع إليّ الحبيب[11]

متى كان مالك لي مغنما # من الدهر إن أعوزتني الكسوب[12]

و شرّ الأخلاّء عند البلاء # و عند الرزيّة خلّ[13]كذوب

/قال: فتهادى أنس و حارثة الشعر عند عبيد اللّه زمانا، و وقع بينهما شرّ حتى قدم سلّم بن زياد من عند يزيد بن معاوية عاملا على خراسان و سجستان، فجعل ينتخب ناسا من أهل البصرة و الكوفة، و كان الذي بين عبيد اللّه و بين سلم شيئا[14]، فأرسل سلّم إلى أنس يعرض عليه صحبته و جعل له أن يستعمله على كورة، فقال له أنس: أمهلني حتى أنظر في أمري، و كتب إلى عبيد اللّه بن زياد.

[1]س: فأجابه و استعفاه» .

[2]التكملة من أ، ب.

[3]س: «و شر» .

[4]عوران: من جموع أعور. يريد الذين لا تقع عيونهم على الضر.

[5]س: «تبصر» .

[6]الكنى إلى أنس: كن رسول إليه.

[7]أ، ب: «القرابة» و هما بمعنى. تقول: لي في بني فلان حواشة، أي من ينصرني من قرابة أو ذي مودة.

[8]س: «و لا ابتغى» .

[9]أ، ب: «عليه الذنوب» .

[10]أ، ب: «من الدهر نائبات الخطوب» .

[11]أ، ب: «إليه حبيب» .

[12]أ: «الخطوب» . ب: «كسوب» .

[13]أ، ب: «خب» . و الخب، بالفتح و الكسر: الخداع الخبيث.

[14]س: «سبيبي» .

أ لم ترني خيّرت و الأمر واقع[1] # فما كنت لما قلت بالمتخيّر

رضاك على شيء سواه و من يكن # إذا اختار ذا حزم من الأمر[2]يظفر

فعدت لترضى عن جهاد و صاحب # شفيق قديم الودّ كان موقّري[3]

على أحد الثّغرين ثم تركته # و قد كنت في تأميره غير ممتري

فأمسكت عن سلم عناني[4]و صحبتي # ليعرف وجه العذر قبل التعذر

فإن كنت لما تدر ما هي شيمتي # فسل بي أكفائي و سل بي معشري

أ لست مع الإحسان و الجود ذا غنى # و بأس إذا ما كفّروا في التّستّر[5]

و رأي[6]و قد أعصى الهوى خشية الرّدى # و أعرف غبّ الأمر قبل التّدبّر

و ما كنت لو لا ذاك ترتدّ بغبتي # عليّ ارتداد المظلم المتجبّر

قال: و دفعها إلى عبيد اللّه[بن[7]زياد]في صحيفة، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، و قال له: اردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها[8]. فقال حارثة: /ألكني إلى من قال هذا و قل له # كذبت فما إن أنت بالمتخيّر

و إنك لو صاحبت سلما وجدته # كعهدك عهد السّوء لم يتغيّر

أ تنصح لي يوما و لست بناصح # لنفسك فاغشش ما بدا لك أو ذر

كذبت و لكن أنت رهن بخزية[9] # و يوم كأيام عبوس مذكّر[10]

كأشقر أضحى بين رمحين إن مضى # على الرّمح ينحر أو تأخّر يعقر

(قال) : و أعجبت[11]عبيد اللّه، و قال: لعمري لقد أجبته. على إرادتي و أمسك عبيد اللّه في يده الصحيفة، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيد اللّه: لقد ردّ عليّ من لا أستطيع جوابه. و ظنّ أن عبيد اللّه قالها[12]، و خرج أنس و الصحيفة في يده، فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعر حارثة بن بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت و اللّه، ثم قال لحارثة: عجبت لهرج[13]من زمان مضلّل # و رأي لألباب الرجال مغيّر

و من حقبة عوجاء[14]غول تلبست # على الناس جلد الأربد المتنمّر

فلا يعرف المعروف فيه لأهله # و إن قيل فيه منكر لم ينكّر

[1]أ، ب: «و الحزم» .

[2]أ، ب: «القوم» .

[3]أ، س: «مؤمري» .

[4]ب: «لساني» .

[5]أ، ب: «بالتستر» .

[6]س: «ورائي» .

[7]التكملة من أ، ب.

[8]أ، ب: «نصيحته فلا حاجة لي فيها» .

[9]أ، ب: «لخزية» .

[10]مذكر: شديد صعب.

[11]أ، ب: «فأعجبت» .

[12]أ، ب: «قائلها» .

[13]كذا في أ، ب. و الهرج: الكذب و الخداع. و الذي في س. «هوج» .

[14]كذا في أ، ب. و الذي في س: «عقبة عرجاء» .

لحارثة الهدي الخنى لي ظالما # و لم أر مثل مدّر صيد مدّري[1]

لحار[2]بن بدر قد أتتني[3]مقالة # فما بال نكر منك من غير منكر[4]

/أ يروي عليك الناس ما لا تقوله # فتعذر أم أنت امرؤ غير معذر

فإن يك حقا ما يقال فلا يكن # دبيبا و جاهرني فما من تستّر

أقلّدك[5]إن كنت امرأ خان عرضه # قوافي من باقي الكلام المشهّر

و قد كنت قبل اليوم جرّبت أنني # أشقّ على ذي الشّعر و المتشعّر[6]

و أن لساني بالقصائد ماهر # تعنّ له غرّ[7]القوافي و تنبري

أصادفها حينا يسيرا و أبتغي # لها مرّة شزرا إذا لم تيسّر[8]

تناولني بالشتم في غير كنهه # فمهلا[9]أبا الخيماء[10]و ابن المعذّر

هجوت[11]و قد ساماك في الشعر خطّة الـ # ذّليل و لم يفعل[12]كأفعال منكر

قال: و قال أنس بن زنيم لعبيد اللّه بن زياد، و فيه غناء: سل أميري ما الذي غيّره # عن وصالي اليوم حتى ودّعه[13]

لا تهنّي بعد إكرامك[14]لي # فشديد عادة منتزعه

لا يكن وعدك برقا خلّبا # إنّ خير البرق ما الغيث معه

بينه و بين ابن ظبيان في شرب الخمر

:

أخبرني محمد بن مزيد[بن أبي الأزهر[15]]، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: [1]المدّري: الذي يختل الصيد ليصيده. يريد: لم ير مثل صائد هو صيد لصائد.

[2]أ، ب: «أحار» .

[3]أ: «أئتنا» .

[4]أ، ب: ... «نكر قبل في غير منكر» .

[5]سكنت الدال في جواب «إن» .

[6]البيت ساقط من أ.

[7]الأصول: «عن» . و ظاهر أنه محرف عما أثبتنا.

[8]الشزر من الفتل: ما كان عن العسراء، أي اليسار، و هو أن يبدأ الفاتل من خارج و يرده إلى بطنه. و أمر الحبل شزرا: إذا فعل به ذلك، و أمره يسرا: إذا كان عن اليسراء، أي عن اليمين. يقول: حاوله عن اليسار فإن استعصى فعن اليمين، كما يفعل بالحبل عند فتله. و المعنى أنه يأتي الشعر من أي جانب شاء لا يستعصى عليه.

[9]أ، ب: «فهلا» .

[10]أ: «ابن الخيماء» ، ب: «أبا الخثماء» .

[11]من: «هجرت» .

[12]أ، ب: «تفعل» .

[13]أ، ب: «وزعه» .

[14]أ: «بعد أن أكرمتني» .

[15]التكملة من أ، ب.

زعم عاصم بن الحدثان[1]أنّ حارثة بن بدر قال لعبيد اللّه بن ظبيان، و كانا في عرس لابن مسمع: هل لك في شراب؟قال: نعم، فأتيا بنبيذ من زبيب و عسل، فأخذ ابن ظبيان العسّ فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه[2]، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة: [يا بن ظبيان]، إنك لطب بحسوها[3]. فقال: أجل، و اللّه إنّي لأشربها حلالا و أجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام. فقال له حارثة: من غيرك هذا؟قال: سائلي عن هذا الأمر. فقال حارثة: إذا كنت ندماني فخذها و سقّني[4] # ودع عنك من رآك تكرع في الخمر

فإنّي امرؤ و لا أشرب الخمر في الدّجا # و لكنني أحسو النبيذ من التمر

حيا و تقا للّه و اللّه عالم # بكل الذي نأتيه في السّر و الجهر[5]

و مثلك قد جرّبته و خبرته # أبا مطر[6]و الحين[7]أسبابه تجري

حساها كمستدمى الغزال عتيقة # إذا شعشعت بالماء طيّبة النّشر[8]

أقام عليها دهره كل ليلة # يشافهها حتى يرى وضح الفجر

/فأصبح ميتا ميتة الكلب ضحكة # لأصحابه حتى يدهده في القبر[9]

فما إن بكاه غير دنّ و مزهر # و غانية كالبدر واضحة الثّغر

و باطية كانت له خدن زنية[10] # يعاقرها[11]و اللّيل معتكر السّتر

شعره في الرد على الأحنف و قد عاتبه على شربه الخمر :

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانيّ، قال: حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان، قال: عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاقرة الشّراب و قال له: قد فضحت نفسك و أسقطت قدرك، و أوجعه عتابا. فقال له: إني سأعتبك[12]. فانصرف[13]الأحنف طامعا في صلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحر[14]ما قلت لك. فقال: هات، فأنشده: [1]س: «الحارث» .

[2]أ، ب: «على آخره» .

[3]التكملة من أ، ب. و الطب، بفتح الطاء و تشديد الباء: الحاذق الماهر.

[4]س: «و اسقني» .

[5]البيت ساقط من أ، ب.

[6]أبا مطر: كنية ابن ظبيان.

[7]في أ، ب: «و الخير» .

[8]مستدمى الغزال: دمه.

[9]الضحكة: بضم فسكون: من يضحك عليه. و يدهده في القبر: يدحرج إليه.

[10]الباطية: ناجود الخمر. و خدن زينة، أي رفيق غيّ.

[11]س: «يعاهرها» .

[12]سأعتبك: سأقبل عتبك.

[13]أ، ب: «فأمسك و انصرف الأحنف» .

[14]أبو بحر: كنية الأحنف.

يذمّ أبو بحر أمورا يريدها # و يكرهها للأريحيّ المسوّد

فإن كنت عيّابا[1]فقل ما تريده # ودع عنك شربي لست فيه بأوحد[2]

سأشربها صهباء كالمسك ريحها # و أشربها في كل ناد و مشهد

فنفسك فانصح يا بن قيس و خلّني # و رأيي فما رأيي برأي مفنّد[3]

و قائلة يا حار هل أنت ممسك # عليك من التبذير قلت لها اقصدي

و لا تأمريني بالسّداد فإنني # رأيت الكثير المال غير مخلّد

و لا عيب لي إلاّ اصطباحي قهوة # متى يمتزجها[4]الماء في الكأس تزبد

معتّقة صهباء كالمسك ريحها # إذا هي فاحت[5]أذهبت غلّة الصّدي/

ألا إنما الرّشد المبين طريقه # خلاف الذي قد قلت إذ أنت مرشدي

سأشربها ما حجّ للّه راكب # مجاهرة وحدي و مع كل مسعد

و أسعد ندماني و أتبع شهوتي # و أبذل عفوا كلّ ما ملكت يدي

كذا العيش لا عيش ابن قيس و صحبه # من الشّرب للماء القراح المصرّد[6]

فقال له الأحنف: حسبك، فإني أراك غير مقلع عن غيّك، و لن أعاتبك بعدها أبدا.

قال عاصم: ثم كان بعد ذلك بن الأحنف و حارثة كلام و خصومة، فافترقا عن مجلسهما متغاضبين، فبلغ حارثة أن الأحنف قال: أما و اللّه لو لا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله. فقال حارثة: و هل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب و حبّي له؟و ذلك أمر لست أعتذر منه إلى أحد، ثم قال في ذلك: و كم لائم لي في الشراب زجرته # فقلت له دعني و ما «أنا شارب

فلست عن الصهباء ما عشت مقصرا # و إن لا مني فيها اللئام الأشائب[7]

أ أترك لذّاتي و آتي هواكم # ألا ليس مثلي يا بن قيس يخالب[8]

أنا الليث معدوّا عليه و عاديا # إذا سلّت البيض الرّقاق القواضب

فأنت[9]حليم تزجر الناس عن هوى # نفوسهم جهلا و حلمك عازب

[1]أ: «عيارا» .

[2]أ، ب: «لست في ذا بأوحد» .

[3]المفند: المكذب.

[4]أ، ب: «المرء» .

[5]ب: «هاجت» . و البيت ساقط من أ.
[6]القراح: الخالص لا يخالطه شيء. و المصرد: القليل دون الري.
[7]الأشائب: جمع أشابه، و هم الأخلاط غير الصرحاء.
[8]يخالب: يخدع.
[9]أ، ب: «و أنت» .

فحلمك صنه لا تذله[1]و خلّني # و شأني و أركب كلّ ما أنت راكب

/فإنّي امرؤ عوّدت نفسي عادة # و كل امرئ لا شك ما اعتاد طالب[2]

أجود بمالي ما حييت سماحة # و أنت بخيل يجتويك[3]المصاحب

فما أنت أو ما غيّ من كان غاويا # إذا أنت لم تسدد عليك المذاهب

زيادة الوليد له في عطائه و قصة ذلك

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليل بن أسد، قال: أنبأنا العمري عن العتبي، قال: أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل و عنده حارثة بن بدر الغداني، و هو حينئذ في ألف و ستمائة من العطاء، فسبق الوليد، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهنّاه و دعا له، ثم قال: إلى الألفين[4]مطّلع قريب # زيادة أربع لي قد بقينا

فإن أهلك فهنّ لكم و إلا # فهنّ من المتاع لكم[5]سنينا

فقال له الوليد: فتشاطرني ذلك: لك مائتان و لي مائتان. فصيّر عطاءه ألفا و ثمانمائة. ثم أجرى الوليد الخيل[6]، فسبق أيضا، فقال حارثة: هذه فرصة[أخرى[7]]. فقام فهنأه و دعا له، ثم قال: و ما احتجب الألفان إلاّ بهيّن # هما الآن أدنى منهما قبل ذالكا

فجد بهما تفديك نفسي فإنني # معلّق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليد له بالمائتين، فانصرف و عطاؤه ألفان.

شهادة زياد له بالبيان

:

أخبرني[8]محمد بن يحيى، أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن شبيب بن شيبة، عن أبيه، قال: قال زياد يوما لحارثة بن بدر: من أخطب الناس، أنا أو أنت؟فقال: الأمير أخطب مني إذا توعّد و وعد، و أعطى و منع، و برق و رعد، و أنا أخطب منه في الوفادة و في الثناء و التّحبير، و أنا أكذب إذا خطبت، فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهيّة، و الأمير يقصد إلى الحقّ و ميزان العدل و لا يزيد فيه شعيرة و لا ينقص منه. فقال له زياد: قاتلك [1]لا تذله: لا تبتذله.

[2]ب: «و كل امرئ ما اعتاد لا شك طالب» . و البيت ساقط من أ.

[3]يجتويك : يكرهك.

[4]أ، ب: «إلى ألفين» .

[5]أ، ب: «لنا» .

[6]أ، ب: «القرح» .

[7]التكملة من أ، ب.

[8]الكلام من هنا إلى قوله «أخبرني محمد بن يحيى» (ص 395) ساقط من أ، ب.

اللّه!فلقد أجدت تخليص صفتك و صفتي، من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلّها و أرضيتني و تخلّصت. ثم التفت إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيان الصريح.

هو و زياد في شربه الخمر صرفا

:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحرمازيّ، قال: شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصّبح فأكثر، و صرف[1]و مزجوا، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة، ففطن له زياد، فقال: مالك يا حارثة؟فقال: أكلت البارحة رمّانا فأكثرت. قال: قد عرفت مع من أكلته، و لكنهم قشّروه و أكلته بقشره فأصارك إلى ما ترى.

رثاؤه زيادا

:

قال الحرمازي:

قال بعض أهل العلم: إنّ زيادا استعمل حارثة على سرّق[2]. فمات زياد و هو بها، ثم إنه بلغه موته، فقال حارثة يرثيه: /

إن الرزيّة في قبر بمنزلة # تجري عليها بظهر الكوفة المور[3]

أدّت إليه قريش نعش سيدها # ففيه ضافي النّدى و الحزم مقبور

أبا المغيرة و الدنيا مغيّرة # و إنّ من غرّ بالدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة # و كان عندك للنّكراء تنكير

و كنت تؤتي فتعطي الخير عن سعة # فاليوم بابك دون الهجر مهجور

و لا تلين إذا عوسرت مقتسرا[4] # و كلّ أمرك ما يوسرت ميسور

قال: و كان الذي أتاه بنعيه مسعود بن عمرو الأزديّ، فقال حارثة: لقد جاء مسعود أخو الأزد غدوة # بداهية غرّاء باد حجولها[5]

من الشر ظلّ الناس فيها كأنهم # و قد جاء بالأخبار من لا يحيلها

بينه و بين سعد الرابية في مجلس ابن زياد

:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا العمري عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرّج السّدوسي، قال: دخل حارثة بن بدر على عبيد اللّه بن

زياد و عنده سعد الرّابية أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة، و كان شريرا يضحك ابن زياد و يلهيه، و له يقول الفرزدق: [1]صرف: أي شرب الشراب غير ممزوج.

[2]سرق، كسكر: كورة بالأهواز.

[3]المور: الريح المثيرة للتراب.

[4]مقتسرا: مكرها.

[5]حجولها: جمع حجل، بالكسر، و هو الخلخال، و لا يكون ذلك إلاّ مع الشديد من الدواهي. ـ

إني لأبغض سعدا أن أجاوره # و لا أحبّ بني عمرو بن يربوع

قوم إذا حاربوا لم يخشهم أحد # و الجار فيهم ذليل غير ممنوع[1]

/فلما جلس حارثة قال له سعد: يا حارثة، أينع الكرم؟قال: نعم، و استودع ماءه الأصيص[2]، فمه؟قال: إني لم أرد بأسا. قال: أجل!و لست من أهل البأس: و لكن هل لك علم بالأتان إذا اعتاص رحمها[3]، كيف يسطى عليها، أ كما يسطى على الفرس، أم كيف؟قال: واحدة بواحدة، و البادي أظلم، سألتني عما لا علم لي به، و سألتك عما تعلم. قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، و لكن من شاء جهّل نفسه و أنكر ما يعرف. و قال حارثة يهجو سعدا: لا ترج مني يا بن سعد هوادة # و لا صحبة ما أرزمت أمّ حائل[4]

أ عند الأمير ابن الأمير تعيبني # و أنت ابن عمرو مضحك في القبائل

و لو غيرنا يا سعد رمت حريمه # بخسف لقد غودرت لحما لآكل

فشالت بك العنقاء أو صرت لحمة # لأغبس عوّاء العشيّات عاسل[5]

هو و ابن مسمع حين أراد أن يعرض به

:

أخبرني هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرّياشي عن الأصمعي و أبي عبيدة، قالا: كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسمع فإذا جاء وقت يشرب فيه قام، فأراد مالك أن يعلم من حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا العنبس؟قال، أجيء بعبّاد بن الحصين يفقأ عينك الأخرى-و قال الأصمعيّ: «أمضي فأفقأ عين عبّاد بن الحصين لآخذ لك بثأرك-و كان عباد فقأ عين مالك يوم المربد[6].

شعره في فتنة مسعود

:

قال:

و ذكر المدائنيّ أن حارثة بن بدر كان يومئذ-و هو يوم فتنة مسعود-على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل، فجعل عبس بن مطلق بن ربيعة الضّريمي على الخيل بحيال الأزد، و معه سعد و الربّاب و الأساورة، و قال حارثة بن بدر: سيكفيك عبس أخو كهمس # مقارعة الأزد بالمربد[7]

[1] «الديوان» (527-528 طبعة الصاوي) .

[2]الأصيص: الباطية، و الدن المقطوع الرأس.

[3]اعتاص: التأث.

[4]أم حائل: كنية الناقة. و أرزمت. حنت إلى ولدها.

[5]الأغبس: الذئب، من الغبسة، و هي لونه التي هي بياض مع كدرة. و العاسل: الذي يضطرب في عدوه و يهز رأسه من مضائه، و هي مشية الذئب و الفرس.

[6]حديث هذا كان يوم الجفرة و كان بين عبد الملك بن مروان و مصعب (ابن الأثير في حوادث سنة سبعين) .

[7]في الشعر إقواء، و هو اختلاف اعراب القوافي.

و يكفيك عمرو و أشياعه # لكيز بن أفصى و ما عدّدوا

و أكفيك بكرّا إذا أقبلت # بطعن يشيب له الأمرد

فلما اصطف الناس، أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحبّ، فقال له حارثة: إنه و اللّه ما أرسل إليك نظرا لك و لا إبقاء عليك، و لكنه أراد أن يغري بينك و بين سعد. فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها و حمل على مالك فهزمه، و فقئت عينه يومئذ.

هو و مسجد الأحامرة

:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام، عن أبي اليقظان قال: مرّ حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له «مسجد الأحامرة» بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحنّاء فقال: ما هذه الأحامرة؟فالمسجد الآن يلقّب «مسجد الأحامرة» منذ يوم قال حارثة هذا القول.

شعره في رجل من الخلج

:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن القحذمي، قال: عرض لحارثة بن بدر رجل من الخلج[1]في أمر كرهه عند زياد، فقال فيه حارثة: /

لقد عجبت و كم للدهر من عجب # مما تزيّد في أنسابها الخلج

كانوا خسّا أو زكّا من دون أربعة # لم يخلقوا و جدود الناس تعتلج[2]

الخسا: الفرد، و الزّكا: الزوج.

أنشد الشعبي من شعره عبد اللّه بن جعفر فأجازه

:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن عمر بن زياد الكندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كنت عند عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب فأنشدته لحارثة بن بدر: و كان لنا نبع تقينا عروقه # فقد بلغت إلا قليلا حلوقها[3]

و شيّب رأسي و استخفّ حلومنا # رعود المنايا فوقنا و بروقها

و إنّا لتستحلي[4]المنايا نفوسنا # و نترك أخرى مرّة ما تذوقها

رأيت المنايا بادئات و عودا # إلى دارنا سهلا إليها طريقها

فقد قسّمت نفسي فريقين منهما # فريق مع الموتى و عندي فريقها

[1]الخلج: أولاد الحارث بن فهر. («جمهرة أنساب العرب» 176-177) .

[2]أنشد ابن منظور البيت (خسا) منسوبا إلى الدبيرية.

[3]مرّ هذا البيت برواية أخرى (ص 380) .

قال الشّعبي: فقال لي ابن جعفر: نحن كنا أحقّ بهذا الشعر. و جاءه غلامه بدراهم في منديل، فقال له: هذه غلّة أرضك بمكان كذا و كذا. فقال: ألقها في حجر الشّعبي. فألقاها في حجري.

شعر علقمة المازني في ولاية حارثة كوار

:

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب:

أن زيادا استعمل حارثة بن بدر على كوار[1]، و هو إذ ذاك عامل عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه على فارس، و كان حارثة بن بدر صاحب شراب، فكتب زياد إلى حارثة يحثّه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمة بن معبد المازني:

/

أ لم تر أنّ حارثة بن بدر # يصلّي و هو أكفر من حمار[2]

و أن المال يعرف من حواه # و يعرف بالرّواني و العقار[3]

شعره في بغلة مرت به و كان زياد أهداها له

:

و قال المدائني في خبره هذا:

حمل زياد بن أبيه حارثة بن بدر على بغلة يقال لها «أطلال» كان خرزاذ بن الهربد ابتاعها بأربعة آلاف درهم و أهداها له، فركبها حارثة، و كان فيها نفار، فصرعته عن ظهرها، فقام فركبها، و قال:

ما هاج أطلال بجنبي حرمه # تحمل وضّاحا رفيع الحكمه[4]

قرما إذا زاحم قرما زحمه

بينه و بين سليمان بن عمرو و قد قراه

:

أخبرني[5]محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكرياء، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر عن أبي عبيدة و عبد اللّه بن محمد، قالا:

مرّ سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر و هو بفارس يريد خراسان، فأنزله و قراه و قرى أصحابه، و حملهم و إياه، فلما ركبوا للمسير قال سليمان[6]:

[1]كوار: من نواحي فارس. (معجم البلدان) .

[2]قال الميداني في كتابه «مجمع الأمثال» : «أكفر من حمار» هو رجل من عاد يقال له: حمار ابن مويلع-و قال الشرقي: هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي-كان مسلما، و كان له واد طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، فيه من كل الثمار، فخرج بنوه يتصدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر و قال: لا أعبد من فعل هذا ببنيّ. و دعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله، فأهلكه اللّه تعالى و أخرب واديه، فضربت به العرب المثل في الكفر و أنشد البيت» .

[3]العقار، بالضم: الخمر.

[4]حرمه، بالفتح ثم السكون: موضع في جانب حمى ضربة. «معجم البلدان» .

[5]أ، ب: «أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال» :

[6]أ، ب: مر سليمان بن عمرو بن مرثد و هو يريد خراسان بحارثة بن بدر الغداني و هو بالأهواز و معه أصحاب له، فنزلوا به فقراهم حارثة بن بدر و سقاهم و كساهم و حملهم، فقال سليمان يمدحه» .

قريت فأحسنت القرى و سقيتنا # معتّقة صهباء كالعنبر الرّطب

و واسيتنا[1]فيما ملكت تبرّعا # و كنت ابن بدر نعم ذو منزل الرّكب

و أنت لعمري في تميم عمادها[2] # إذا ما تداعت للعلى موضع القطب

و فارسها في كل يوم كريهة # و ملجؤها[3]إن حلّ خطب من الخطب

و عندكم نال الغنى[4]من أراده # إذا ما خطرتم كالضّراغمة الغلب

يرى الحلق الماذيّ[5]فوق حمامتهم[6] # إذا الحرب شبّت بالمهنّدة القضب[7]

و عند الرّخا و الأمن غيث و رحمة # لمن يعتريهم خائفا صولة الحرب

وجدتهم جودا صباحا وجوههم # كراما على العلاّت في فادح الخطب[8]

كأن دنانيرا على قسماتهم # إذا جئتهم قد خفت نكبا من النّكب

فمن مبلغ عنّي تميما فخيركم # غدانة حقّا قاله غير ذي لعب

فقال حارثة يجيبه:

و أسحم ملآن جررت لفتية # كرام أبوهم خير بكر بن وائل[9]

و أطولهم كفّا و أصدقهم حيا # و أكرمهم عند اختلاف المناصل

من المرثديّين الذين إذا انتدوا # رأيت نديّا جدّه غير[10]خامل

فعالهم زين لهم و وجوههم # تزين الذي يأتونه في المحافل

فسقيا و رعيا لابن عمرو بن مرثد # سليمان ذي المجد التليد الحلاحل[11]

/فتى لم يزل يسمو إلى كل نجدة # فيدرك ما أعيت[12]يد المتناول

فحسبك بي علما به و بفضله # إذا ذكر الأقوام أهل الفضائل

[1]أ، ب: «و آسيتنا» .

[2]أ، ب: «و إنك قرم من تميم عماده» .

[3]أ، ب: «و فارسهم... و ملجؤهم» .

[4]أ، ب: «المنى» .

[5]الحلق: الدروع. و الماذيّ: ما كان من حديد.

[6]أ، ب: «كماتهم» .

[7]أ، ب: «الشهب» .

[8]هذا البيت ساقط من أ، ب.

[9]الأسحم: زق الخمر.

[10]أ، ب: «جدّهم» .

[11]الحلاحل، بضم الحاء: السيد الشجاع الكثير المروءة.

[12]أ، ب: «ما أعيا» .

بينه و بين أنس بن زنيم في حضرة ابن زياد

:

أخبرني[1]عمي، قال: أنبأنا الكراني، قال: أنبأنا العمري، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال: دخل أنس بن زنيم على عبيد اللّه بن زياد، و عنده حارثة بن بدر، و كان بينهما تعارض و مقارضة قبل ذلك، فلما خرج أنس قال عبيد اللّه لحارثة: أيّ رجل هو أنس عندك؟قال: هو عندي-أصلح اللّه الأمير-كما قلت فيه: يبيت بطينا من لحوم صديقه # خميصا من التّقوى و من طلب الحمد

ينام إذا ما الليل جنّ ظلامه # و يسري إلى حاجاته نومة الفهد[2]

يراعي عذارى قومه كلما دجا # له الليل و السو كالأسد الورد

جريئا على أكل الحرام و فعله # جبانا عن الأقران معترم الكرد[3]

فلما كان من الغد، دخل أنس على عبيد اللّه، فقال له عبيد اللّه، بحضرة حارثة: إني سألت هذا عنك فأخبرني بما كرهته لك، و لم أكن إخالك كما نعتّ لي-فقال: أصلح اللّه الأمير، إن يكن قال خيرا فأنا أهله، و إن قال غير ذلك فلم يعد ما هو أولى به منّي، أما و اللّه لو كان-أصلح اللّه الأمير-حقّا، لحفظ غيبتي، فلقد أوليته حسن الثّناء بما ليس أهله، و اللّه يعلم أني كنت كاذبا، و ما إخال ما قاله فيّ إلاّ عقوبة، فإن عقوبة الكذب حاضرة، و ثمرة الكذب الندامة، فقد لعمري أجنيتها بكذبي و قولي فيه ما ليس فيه. و هو عندي كما أقول-أصلح اللّه الأمير-و أنشد: /

يحلى لي الطرف ابن بدر و إنني # لأعرف في وجه ابن بدر لي البغضا

رآني شجّا في حلقه ما يسيغه # فما إن يزال الدهر يجرض بي جرضا[4]

و ما لي من ذنب إليه علمته # سوى أن رآني في عشيرته محضا

و إنّ ابن بدر في تميم مكركس # إذا سيم خسفا أو مشنّعة أغضى[5]

فعش يا بن بدر ما بقيت كما أرى # كثير الخنا لا تسأم الذلّ و الغضّا

تعيب الرجال الصالحين و فعلهم # و تبذل بخلا دون ما نلته العرضا

و ترضى بما لا يرتضي الحرّ مثله # و ذو الحلم بالتّخييس و الذّلّ لا يرضى[6]

قال: و قال أنس في حارثة بن بدر ينسبه إلى الخمر و الفجور: أ حار بن بدر باكر الراح إنها # تنسّيك ما قدّمت في سالف الدّهر

[1]هذا الخبر ساقط من أ، ب.

[2]الفهد: حيوان معروف، و به يضرب المثل في كثرة النوم.
[3]الكرد، بالفتح: العنق، أو أصله. و معترمه: صلبه شديده.
[4]يجرض: خفص.
[5]المكركس، بفتح الكافين بينهما سكون: من ولدته الإماء.
[6]التخييس: الإذلال.

تنسّيك أسبابا عظاما ركبتها # و أنت على عمياء في سنن تجري
أتذكر ما أسديت و اخترت فعله # و جئت من المكروه و الشّر و النّكر
إذا قلت مهلا نلت عرضي فما الذي # تعيب على مثلي هبلت أبا عمرو
أ ليس عظيما أن تكايد حرة # مهفهفة الكشحين طيبة النّشر
فإن كنت قد أزمعت بشرك بالذي # عرفت به إذ أنت تخزي و لا تدري
فدع عنك شرب الخمر و ارجع إلى التي # بها يرتضي أهل النباهة و الذّكر
عليك نبيذ التمر إن كنت شاربا # فإن نبيذ التمر خير من الخمر
ألا إنّ شرب الخمر يزري بذي الحجى # و يذهب بالمال التّلاد و بالوفر
/فصبرا عن الصّهباء و اعلم بأنني # نصيح و أنّي قد كبرت عن الزّجر
و أنك إن كفكفتني عن نصيحة # تركتك يا حار بن بدر إلى الحشر
أ أبذل نصحي ثمّ تعصي نصيحتي # و تهجرني عنها هبلت أبا بدر

بينه و بين أبي الأسود حين ولي سرق

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عبد اللّه بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: [لما[1]]ولي حارثة بن بدر سرّق[2]خرج معه المشيّعون من البصرة و فيهم أبو الأسود الدّؤلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال[له[3]]:
أ حار بن بدر قد وليت إمارة # فكن جرذا فيها تخون و تسرق[4]
و لا تحقرن يا حار شيئا تصيبه # فحظّك من ملك العراقين سرّق
فإن جميع الناس إما مكذّب # يقول بما يهوى و إما مصدّق
يقولون أقوالا بظنّ و شبهة # فإن قيل هاتوا حقّقوا لم يحقّقوا
فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب # و ما كل من يدعى إلى الرّزق يرزق[5]
و كاثر تميما[6]بالغنى إن للغنى # لسانا به يسطو العييّ و ينطق[7]

[1]التكملة من س.

[2]سرق: من كور الأهواز. «معجم البلدان» .

[3]تكملة من أ، ب.

[4]أ حار، أي حارثة، منادى مرخم.

[5]أ، ب:

و لا تعجزن فالعجز أبطأ مركب # و ما كل مدفوع إلى الرزق يرزق

[6]ب: «وبار» .

[7]ب

لسانا به المرء الهيوبة ينطق

.

فقال له حارثة:

جزاك مليك الناس خير جزائه # فقد قلت معروفا و أوصيت كافيا

أمرت بحزم لو أمرت بغيره # لألفيتني فيه لرأيك عاصيا

ستلقى أخا يصفيك بالود حاضرا # و يوليك حفظ الغيب إن كنت نائيا

نشيطة أصحابه بدولاب و هجاء غوث له

:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لما ندب حارثة بن بدر لقتال الأزارقة بدولاب لقيهم، فلما حميت الحرب بينهم و اشتدّت، قال حارثة لأصحابه: كرنبوا و دولبوا # و حيث شئتم فاذهبوا[1]

ثم انهزم، فقال غوث بن الحباب يهجوه و يعيّره[2]بالفرار، و يعيره بشرب الخمر[و معاقرتها[3]].

أ حار بن بدر دونك الكأس إنها # بمثلك أولى من قراع الكتائب

عليك بها صهباء كالمسك ريحها # يظلّ أخوها للعدا غير هائب

فدع عنك أقواما وليت قتالهم # فلست صبورا عند وقع القواضب

و خذها كعين الدّيك تشفي من الجوى # و تترك ذا الهمّات[4]حصر المذاهب[5]

إذا شعشعت بالماء خلت حبابها # نظائم درّ أو عيون الجنادب

كأنك إذ تحسو ثلاثة أكؤس # من التّيه قرم من قروم المرازب[6]

ودع عنك أبناء الحروب و شدّهم # إذا خطروا مثل الجمال المصاعب

حمله حمالتين عن قومه

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية، قال: حدّثني أبي، قال: /كانت في تميم حمالتان[7]، فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان، فقال لهم الأحنف: لا تعجلوا حتى يحضر [1]كرنبوا: خذوا طريق كرنبى، و كرنبى، بالفتح: موضع في نواحي الأهواز، و دولبوا خذوا طريق دولاب، و دولاب: قرية قريبة من الأهواز.

[2]أ، ب: «و يعيبه» .

[3]التكملة من س.
[4]س: «التهمام» .
[5]حصر المذاهب، أي مسدودة عليه مذاهبه فهو كالمحبوس.
[6]المرازب: جمع مرزبان، بفتح فسكون فضم: الرئيس من الفرس.
[7]الحمالة: الكفالة.

سيّدكم. فقالوا: من[1]سيدنا غيرك؟قال: حارثة بن بدر. قال: و قدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الأحنف، فقال: اغرمنيها و اللّه ابن الزّافريّة!ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا، [فقال فيم اجتمعتم؟فأخبروه].

فقال[2]: لا تلقوا فيهما أحدا[فهما عليّ[2]]، ثم أتى منزله فقال:

خلت الديار فسدت غير مسوّد # و من الشّقاء[3]تفرّدي بالسّودد

تمثل سفيان بن عيينة ببيت له

:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمار، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، قال:

خرج أصحاب الحديث[4]إلى سفيان بن عيينة فازدحموا، فقال: لقد هممت ألا أحدثكم شهرا. فقام إليه شاب من أهل العراق، فقال له: يا أبا محمد، ألن جانبك، و حسّن قولك، و تأسّ بصالحي سلفك، و أجمل مجالسة جلسائك، فقد أصبحت بقية الناس، و أمينا للّه و رسوله على العلم، و اللّه إن الرجل ليريد الحجّ فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم، فيكون لقاؤه إياك و طمعه فيك أكثر[5]ما يحرّكه عليه. قال: فخضع سفيان[و تواضع[2]]و رقّ و بكى، ثم تمثّل بقول[6]حارثة:

خلت الديار فسدت غير مسوّد # و من الشقاء[7]تفرّدي بالسّودد

ثم حدّثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا.

مدحه سعيد ابن قيس لإجارته حين أهدر على دمه

:

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ و محمد بن الحسين الكندي، قالا: حدثنا الخليل بن أسد، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عديّ، عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة[8]:

أن حارثة بن بدر الغداني كان سعى في الأرض فسادا، فأهدر[9]عليّ ابن أبي طالب عليه السّلام دمه، فهرب فاستجار[10]بأشراف الناس، فلم يجره أحد، فقيل له: عليك بسعيد بن قيس الهمدانيّ فلعله[أن[11]]يجيرك. فطلب سعيدا فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه فقال[12]: أجرني أجارك اللّه، قال: ويحك، مالك؟ قال: أهدر[13]أمير

المؤمنين دمي. قال: و فيم[ذاك[14]]؟قال: سعيت في الأرض فسادا. قال: و من أنت؟قال:

حارثة بن بدر الغداني. قال: أقم. و انصرف إلى عليّ عليه السّلام فوجده قائما على المنبر يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الّذين يحاربون اللّه و رسوله و يسعون في الأرض فسادا؟قال: أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. قال: يا أمير المؤمنين، إلاّ من؟قال: إلاّ من تاب. قال: فهذا حارثة بن [1]أ، ب: «قالوا: و من سيدنا» .

[2]التكملة من أ، ب.

[3]أ، ب: «و من البلاء» .

[4]أ، ب: «على» .

[5]أ، ب: «أكبر» .

[6]أ، ب: «ثم تمثل قول» .

[7]أ، ب: «و من البلاء» .

[8]ب: «عتبة» .

[9]أ، ب: «فنذر» .

[10]أ، ب: «و استجار» .

[11]التكملة من أ، ب.

[12]أ، ب: «و قال» .

[13]أ، ب: «نذر» .

[14]تكملة من ب.

بدر قد جاء تائبا، و قد أجرته. قال: أنت رجل من المسلمين و قد أجرنا من أجرت. ثم قال[1]عليّ عليه السّلام و هو على المنبر: أيها الناس[2]، إني كنت/نذرت دم حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يعرض[3]له. فانصرف إليه سعيد بن قيس فأعلمه و حمله و كساه[9]، و أجازه[بجائزة سنية[4]]، فقال فيه حارثة: اللّه يجزي سعيد الخير نافلة # أعني سعيد بن قيس قرم همدان

أنقدني من شفا غبراء مظلمة # لو لا شفاعته ألبست أكفاني

قالت تميم بن مرّ لا نخاطبه # و قد أبت ذلكم قيس بن عيلان

قال الهيثم:

لم يكن الحسن بن عمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات، و أخذت الشعر كلّه من حماد الرّاوية، فقلت له: ممّن أخذته قال: من سمّاك ابن حرب. و هو: أساغ في الحلق ريقا كان يجرضني[5] # و أظهر اللّه سرّي بعد كتمان

إني تداركني عفّ شمائله # آباؤه حين ينمى خير قحطان

ينميه قيس و زيد و الفتى كرب # و ذو جبائر من أولاد عثمان

و ذو رعين و سيف و ابن ذي يزن # و علقم قبلهم أعني ابن نبهان[6]

قال[7]: فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيّعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين[8]في ألف راكب، و حمله و جهزه، فقال حارثة: /

لقد سررت غداة النهر إذ برزت # أشياخ همدان فيها المجد و الخير

يقودهم ملك جزل مواهبه # واري الزّناد لدى الخيرات مذكور

أعني سعيد بن قيس خير ذي يزن[9] # سامي العماد[10]لدى السّلطان محبور

ما إن يلين إذا ما سيم منقصة[11] # لكن له غضب فيها و تنكير[12]

أغرّ أبلج يستسقى الغمام به # جنابه الدهر يضحي و هو ممطور[13]

[1]أ، ب: «... و قد أجرناه. قال عليّ» .

[2]أ، ب: «يا أيها الناس» .

[3]أ، ب: «فلا يعرضنّ له» .

[4]أ، ب: «و كساه و حمله» .

[5]التكملة من س.

[6]أ، ب: «كنت أجرضه» . و يجرضني: يغصني.

[7]أ، ب: «أعني ابن قيقان» .

[8]تكملة من أ، ب.

[9]س: «النصرين» .

[10]أ، ب: «خير ذي يمن» .

[11]أ: «جمّ الفضال» ب: «حامي الديار» .

[12]أ: «منقبة» . و في ب: «مندية» .

[13]أ، ب: «و تدكير» .

[14]البيت ساقط من ب.

أنس ابن زياد به و قصة ذلك

:

أخبرني[1]محمد بن يحيى، قال: حدّثنا محمد بن زكريا، قال: حدّثنا محمد ابن معاوية الزيادي، عن القحذمي، قال:

كان حارثة بن بدر فصيحا بليغا عارفا بأخبار الناس و أيامهم، حلوا شاعرا ذا فكاهة، فكان زياد يأنس به طول حياته، فلما مات و ولي عبيد اللّه ابنه، كان يجفوه، فدخل إليه في جمهور الناس، فجلس متواريا منه حتى خفّ الناس، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد و أنسه به. فقال له: ما أعرفني بما قلت!غير أنّ أبي كان قد عرفه الناس و عرفوا سيرته، فلم يكن يلصق به من أهل الرّيبة مثل ما يلحقني، مع الشباب و قرب العهد بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي إن شئت ليلا و إن شئت نهارا. فقال: الليل أحبّ إليّ. فكان يدعوه ليلا فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليله و نهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره، فجاءه ليلة و بوجهه آثار، فقال له: ما هذا يا حار؟قال: /ركبت فرسي الأشقر[2]فلجّج بي مضيقا[3]فسحجني. قال: لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يصبك شيء من هذا. يعني: اللبن و الماء[3].

طلاقه لزوجته و حسرته عليها

:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا محمد ابن معاوية الزيادي، عن القحذمي، عن عمه، قال:

خرج حارثة بن بدر إلى سلّم بن زياد بخراسان فأوصى رجلا من غدانة أن يتعاهد امرأته الشّماء و يقوم بأمرها، فكان الغدانيّ يأتيها فيتحدث عندها و يطيل، حتى أحبّها و صبا بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فسدت عليه و تغيّرت، و يشير عليه بفراقها، و يقول له: إنها قد فضحتك من تلعّب الرجال بها. فكتب إليها بطلاقها، و كتب في آخر كتابه:

أ لا آذنا شمّاء بالبين إنه # أبى أود الشمّاء أن يتقوّما

قال: فلما طلّقها و قضت عدّتها، خطبها الغدانيّ فتزوجها، و كان حارثة شديد الحبّ لها، و بلغه ذلك، و ما صنعت، فقال:

لعمرك ما فارقت شمّاء عن قلى # و لكن أطلت النّأي عنها فملّت

مقيما بمرورّوذ لا أنا قافل # إليها و لا تدنو إذا هي حلّت

رثاء زوجته له

:

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان، قال:

[1]هذا الخبر و الأخبار الثلاثة بعده ساقطة من أ، ب.

[2]يعني: الخمر.

[3]لجج: إذا خاض لجة. ـ

تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر، و كانت تذكر بجمال و عقل و لسان، فلما هلك حارثة تزوّجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده، فقالت ترثي حارثة: /

بدّلت بشرا شقاء أو معاقبة # من فارس كان قدما غير خوّار

يا ليتني قبل بشر كان عاجلني # داع من اللّه أو داع من النّار

و قالت أيضا فيه:

ما خار لي ذو العرش لمّا استخرته # و عذّبني أن صرت لابن شعاف

فما كان لي بعلا و ما كان مثله # يكون حليفا أو ينال إلا في

فيا ربّ قد أوقعتني في بليّة # فكن لي حصنا منه ربّ و كاف[1]

و نحّ إلهي ربقتي من يد امرى ء # شتيم محيّاه لكل مصافي[2]

هو السّوأة السّواء لا خير عنده # لطالب خير أو أحدّ قوافي[3]

يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه # و ما تلك زلفى يال عبد مناف

و إن حادث عضّ الشّعافيّ لم يكن # صليبا و لا ذا تدرأ و قذاف[4]

بينه و بين ابن زنيم

:

أخبرني محمد بن مزيد[5]، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لقي أنس بن زنيم الدّئلي حارثة بن بدر فقال له: يا حارثة، قد قلت لك أبياتا فاسمعها. فقال: هاتها، فأنشده: فحتّى متى أنت ابن بدر مخيّم # و صحبك يحسون الحليب من الكرم

فإن كان شرّا فاله عنه و خلّه # لغيرك من أهل التّخبّط و الظّلم

/و إن كان غنما يا بن بدر فقد أرى # سئمت من الإكثار من ذلك الغنم

و إن كنت ذا علم بها و احتسائها[6] # فما لك تأتي ما يشينك عن علم

تق اللّه و أقبل يا بن بدر نصيحتي # و دعها لمن أمسى بعيدا من الحزم

فلو أنها كانت شرابا محلّلا # و قلت لي اتركها لأوضعت[7]في الحكم[8]

و أيقنت أن القول[9]ما قلت فانتفع # بقولي و لا تجعل كلامي من الجرم

[1]الوجه: «و كافيا» ، فعدل عنها للقافية، و هذه من أقبح الضرورات.

[2]الربقة، بكسر الراء و سكون الباء: العقدة. و شتيم المحيا: كريهه.

[3]الأحذ: الذي لا يتعلق به شيء لجودته.

[4]الشعافي، هو بشر بن شعاف، المذكور قبل. و ذو تدرأ: ذو عزة و منعة. و القذاف: الرمي.

[5]ب: «يزيد» .

[6]أ، ب: «بما في احتسائها» .

[7]أوضعت: أسرعت.

[8]أ، ب: «في الحلم» .

[9]أ، ب: «الحلم» .

فربّ نصيح الجيب ردّ انتصاحه # عليه بلا ذنب و عوجل بالشّتم[1]

فقال له حارثة: لقد قلت فأحسنت، و نصحت فبالغت[2]، جزيت الخير أبا زنيم[3]. فلما رجع إلى منزله، أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابن زنيم، فقالوا: و اللّه ما نرى ذلك إلا حسدا[4]. ثم قال حارثة بن بدر لابن زنيم:

يعيب عليّ الرّاح من لو يذوقها # لجنّ بها حتى يغيّب في القبر

فدعها[5]أو امدحها فإنّا نحبّها # صراحا كما أغراك ربّك بالهجر[6]

علام تذمّ الرّاح و الرّاح كاسمها # تريح الفتى من همّه آخر الدّهر

فلمني فإن اللّوم فيها يزيدني # غراما بها إن الملامة قد تغرى

و باللّه أولي صادقا لو شربتها # لأقصرت عن عذلي و ملت إلى عذري[7]

/و إن شئت[8]جرّبها و ذقها عتيقة # لها أرج كالمسك محمودة الخبر

فإن أنت لم تخلع عذارك فالحني # و قل لي لحاك اللّه من عاجز غمر

و قبلك ما قد لامني في اصطباحها # و في شربها[9]بدر فأعرضت عن بدر

و حاسيتها قوما[10]كأنّ وجوههم # دنانير في اللأواء و الزّمن النّكر

فدعني من التّعذل فيها فإنني # خلقت أبيّا لا ألين على القسر

أجود و أعطي المنفسات تبرّعا # و أغلي بها عند اليسارة و العسر

و أشربها حتى أخّر مجدّلا # معتّقة صهباء طيّبة النّشر

و لو لا النّهى لم أصح ما عشت ساعة # و لكنني نهنهت نفسي عن الهجر

فقصّرت عنها بعد طول لجاجة # و حبّ لها في سرّ أمري و في الهجر[11]

و حقّ لمثلي أن يكفّ عن الخنى # و يقصر عن بعض الغواية و النّكر[12]

هو و ابن زياد في خراج نيسابور

:

أخبرني الحسين[13]بن يحيى، عن حمّاد عن أبيه، عن أبي عبيدة: أن عبيد اللّه بن زياد استعمل حارثة بن بدر على نيسابور[14]فغاب عنه أشهرا، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك و لم أكتب إليك؟قال: استنظفت خراجك[15]و جئت به و ليس لي[بها][16]عمل، فما مقامي؟قال: أو بذلك

[1]نصيح الجيب: أمين.

[2]س: «فما بلغت» .

[3]أ: «يا زنيم» .

[4]أ، ب: «فقالوا: ما أراد إلاّ تبكيتك. قال: و أنا و اللّه أرى ذلك» .

[5]أ، ب: «فعبها» .

[6]صراح، بضم الصاد: صرفة غير ممزوجة.

[7]أولى صادقا: أحلف صادقا.

[8]أ، ب: «فإن شئت» .

[9]أ، ب: «و في إدمانها» .

[10]و حاسيتها قوما: شربتها معهم.

[11]أ: «في سر أمري و الجهر» .

[12]أ، ب: «و السكر» .

[13]ب: «الحسن» .

[14]ب: «هل جند نيسابور» .

[15]استنطفت خراجك: استوفيته.

[16]تكملة من أ، ب.

أمرتك؟ارجع فاردد عليهم الخراج و خذه منهم نجوما حتى تنقضي السنة و قد فرغت من/ذلك[1]، فإنه أرفق بالرعيّة و بك، و احذر أن تحملهم على بيع غلاّتهم و مواشيهم و لا التّعنيف عليهم[2]. فرجع فردّ الخراج عليهم، و أقام يستخرجه منهم نجوما حتى مضت السنة.

شهادة الأحنف له

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعي، قال: قال الأحنف بن قيس: ما غبت عن أمر قطّ فحضره حارثة بن بدر إلا وثقت بإحكامه إيّاه و جودة عقده له، و كان حارثة بن بدر من الدّهاة.

عوتب زياد على تقريبه إياه فأجاب

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابيّ، قال: كان حارثة بن بدر يصيب من الشراب، و كان حظيّا عند زياد، فعوتب زياد على رأيه فيه. فقال: أ تلومونني على حارثة؟فو اللّه ما تفل في مجلسي قطّ، و لا حكّ ركابه ركابي، و لا سار معي في علاوة الريح[3]فغبّر عليّ، و لا دعوته قطّ فاحتجت إلى تجشّم الالتفات إليه حتى يوازيني، و لا شاورته في شيء إلا نصحني، و لا سألته عن شيء من أمر العرب و أخبارها إلا وجدته به بصيرا.

موقفه يوم دولاب

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز[الجوهري][4]و أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال:

/لما كان يوم دولاب و أفضت الحرب إلى حارثة بن بدر صاح: من جاءنا من الموالي فله فريضة العرب، و من جاءنا من الأعراب فله فريضة المهاجر[5]. فلما رأى ما يلقى أصحابه من الأزارقة قال: أير الحمار فريضة لشبابكم # و الخصيتان فريضة الأعراب

عضّ الموالي جلد أير أبيهم # إن الموالي معشر الخيّاب

ثم قال:

كرنبوا و دولبوا # و شرّقوا و غرّبوا

و حيث شئتم فاذهبوا

يعني بقوله «كرنبوا» أي خذوا طريق كرنبى، و «دولبوا» : خذوا طريق دولاب[6].

[1]أ، ب: «و قد فرغت من خراجك» .

[2]أ، ب: «و لا التغير عليها» .

[3]علاوة الريح: أن تكون في مهبها.

[4]تكملة من أ، ب.

[5]ب: «العرب» .

[6]مر بعض هذا الخبر (ص 400) .

سؤال ابن زياد له و للأحنف عن الشراب

:

أخبرني محمد بن زكريا الصحّاف، قال: حدّثنا قعنب بن محرز، قال: حدثنا الهيثم بن عديّ، عن ابن عيّاش[1]، عن المغيرة بن المنتشر، قال:

إنّا عند[2]عبيد اللّه بن زياد، و عنده الأحنف[بن قيس][3]و حارثة بن بدر، و كان حارثة يتّهم بالشراب. فقال له عبيد اللّه: يا حارثة، أيّ الشراب أطيب؟قال: برّة طبريّة[4]؛ بأقطة عنزيّة، بسمنة عربيّة، بسكرة سوسيّة[5]. فتبسّم عبيد اللّه، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أيّ الشّراب أطيب؟قال: الخمر. فقال له عبيد اللّه: و ما يدريك و لست[6]من أهلها؟ قال: من يستحلّها لا يعدوها إلى غيرها، و من يحرّمها يتأوّل فيها حتى يشربها. قال: فضحك عبيد اللّه.

هو و رجل أجاز له بيتا

:

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي[7]و عمرو بن عبد اللّه العتكي، قالا: حدّثنا الرياشيّ. و قال العتكي في خبره: «عن أبي عبيدة» ، و لم يقله الأسديّ و لا تجاوز الرياشيّ به:

إن حارثة كان بكوار[8]من أردشير[9]خره[يتنزه][10]فقال:

أ لم تر أن حارثة بن بدر # أقام بدير أبلق[11]من كوارا

ثم قال لجند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حكمه. فقال له رجل منهم: أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك، و تجعلني رسولك إلى البصرة، و تطلب لي القفل[12]من الأمير. قال: ذلك لك. قال: ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل:

مقيما يشرب الصّهباء صرفا # إذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة: لك شرطك، و لو كنت قلت لنا شيئا يسرنا لسررناك.

طلب منه الأبيرد ثوبين فأعطاه ما لم يرضه فهجاه

:

كتب إليّ أبو خليفة الفضل بن الحباب، أخبرنا محمد بن سلاّم، قال: قدم الأبيرد الرّياحيّ على حارثة بن بدر [1]س: «أبي عياش» ، تحريف.

[2]أ، ب: «كنا عند» .

[3]تكملة من أ، ب.

[4]س: «طيسارية» .

[5] «سوسية» : نسبة إلى سوس. كورة بالأهواز.

[6]أ، ب: «و ما يدريك من أهلها» .

[7]أ: «أخبرني محمد أبو الحسن الأسدي» . س: «أخبرني محمد بن محمد الحسن الأسدي» .

[8]كوار، بالضم و تخفيف الواو: بلدة بينها و بين شيراز عشرة فراسخ.

[9]أردشير خره: كورة بفارس، منها شيراز و كوار.

[10]تكملة من أ، ب.

[11]ذكر ياقوت هذا الدير في «دير الأبلق» و قال: «بكوار من ناحية أردشير حره» ثم أورد البيتين، هذا البيت و الذي بعده منسوبين لحارثة.

[12]القفل، بالفتح: الرجوع، كالقفول.

فقال له: اكسني ثوبين أدخل بهما[1]على الأمير. فكساه ثوبين لم يرضهما، فقال فيه: /

أ حارث أمسك فضل برديك إنما # أجاع و أعرى اللّه من كنت كاسيا

و كنت إذا استمطرت منك سحابة # لتمطرني عادت عجاجا و سافيا[2]

أ حارث عاود شربك الخمر إنني # رأيت زيادا عنك أصبح لاهيا[3]

فبلغت زيادا، و بلغت حارثة، فقال: قبحه اللّه!لقد شهد[عليّ[4]]بما لم يعلم، و لم أدع[5]جوابه إلاّ لما يعلم.

مجاهرة الحكم ابن المنذر بالشراب لأبيات لحارثة

:

أخبرني محمد بن مزيد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقيل له في ذلك و عوتب، و عرف أن الصّلتان العبدي هجاه فقال فيه: ترك الأشياء طرّا و انحنى[6] # يشرب الصّهباء من ماء العنب

لا يخاف الناس قد أدمنها # و هي تزري باللّئيم المؤتشب[7]

و هي بالأشراف أزرى و إلى # غاية التّأنيب تدعو ذا الحسب

فدع الخمر أبا حرب و سد[8] # قومك الأدنين من بين العرب

فقال: لعنه اللّه!و اللّه ما ترك للصلح موضعا، و لقد صدق، و لو لا الشرب[9]لكنت الرجل الكامل، و ما يخفي عليّ قبيحه[10]و سوء القالة فيه، و لكني سمعت حارثة بن بدر الغداني أنشد أبياتا يوما فحملتني على المجاهرة الشراب، و إن كان ذلك إليّ بغيضا. قيل له: و ما الأبيات؟قال: سمعته ينشد: /

أذهب عني الغمّ و الهمّ و الذي # به تطرد[11]الأحداث شرب المروّق

فو اللّه ما أنفكّ[12]بالرّاح مهترا[13] # و لو لا لام فيها كلّ حرّ موفّق

[1]أ، ب: «فيهما» .

[2]العجاج: الغبار. و السافي: التراب المتبدد.

[3]أ، ب: أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا.

[4]تكملة من أ، ب.

[5]أ، ب: «و ما أدع» .

[6]س: «و الخنى» .

[7]المؤتشب: الذي جمع ماله من الأشابات، و هي الأخلاط فيها الحرام.

[8]أ، ب: «تسد» .

[9]أ، ب: «الشراب» .

[10]أ، ب: «قبحه» .

[11]أ، ب: «تطرق» .

[12]أ، ب: «و لا أنفك» .

[13]المهتر: ؟؟؟

فما لائمي فيها و إن كان ناصحا # بأعلم منّي بالرّحيق المعتق

و لكنّ قلبي مستهام بحبها # و حبّ القيان رأي كلّ محمّق

أحبّ التي لا أملك الدّهر بغضها # و ذلك فعل معجب كلّ أخرق

سأشربها صرفا و أسقي صحابتي # و أطلب غرّات الغزال المنطّق[1]

هو و نديم له من قريش

:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: كان لحارثة بن بدر نديم من قريش يصيب معه الشراب، و لا يفارقه إذا شرب، و قال فيه.

و أبيض من أولاد سعد بن مالك # سقيت من الصّهباء حتى تقطّرا[2]

و حتى رأى الشّخص القريب بسكره # شخوصا فنادى يال سعد و كبّرا

فقلت أ سكران؟فقال مكابرا[3] # أبى اللّه لي أن أستخفّ و أسكرا

فقلت له اشرب هذه بابليّة # تخال بها مسكا ذكيا و عنبرا[4]

فلما حساها هرّها[5]ثمّ إنّه # تماسك شيئا واجما متفكّرا

/و قال أعدها قلت صبرا سويعة # فهوّم شيئا ثم قام فبربرا[6]

فقلت له نم ساعة علّ ما أرى[7] # من السّكر يبدي منك صرما مذكّرا[8]

قال إسحاق: قال عاصم بن الحدثان:

هو و مخارق بن صخر و قد دخل عليه و هو مصطبح

:

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعرا، و هو خال أبي حزانة، أو خال أبي جميعة[9]، و كان صديقا لحارثة بن بدر، فدخل عليه يوما. و هو مصطبح، فعاتبه[حارثة بن بدر[10]]و قال[11][له]: قد أسقطت [1]المنطق: لابس المنطقة.

[2]تقطر: ألقى على قطره، أي ظهره.

[3]أ، س: «مكابر» .

[4]أ، ب: «مخالطة مسكا ذكيا و عنبرا» .

[5]كذا في أ، ب. و هرها: أطلقها من بطنه. و في س: «هدها» .

[6]هوّم: هز رأسه من النعاس. و بربر: خلط في كلامه هاذيا.

[7]أ، ب: «عل ما ترى» .

[8]الصرم: الهجر. و مذكر: قاطع حاسم. يريد إقلاعا عن شرب الخمر لا رجعة بعده.

[9]أ، ب: «حنيفة» .

[10]التكملة من أ.

[11]تكملة من أ، ب.

الخمر قدرك و مروءتك. قال له: دع عنك هذا الجنون و هلمّ نتساعد و اسمع ما قلت.

قال: هاته، فأنشده:

غدا ناصحا لم يأل جهدا مخارق # يلوم على شرب السّلاف المعتق

فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا # و دونكها صهباء ذات تألّق

تراها إذا ما الماء خالط جسمها # تخايل في كفّ الوصيف المنطّق[1]

لها أرج كالمسك تذهب ريحها # عماية حاسيها بحسن ترفّق

و كم لائم فيها بصير بفضلها # رمته بسهم صائب متزلّق[2]

فظلّ لريّاها يعضّ ندامة # يديه و أرغى بعد طول تمطّق[3]

و قال لك العذر ابن بدر على التي # تسلّي هموم المستهام المشوّق

فلست ابن صخر تاركا شرب قهوة # لقول لئيم جاهل[4]متحذلق/

يعيب عليّ الشّرب و الشرب همّه # ليحسب ذا رأي أصيل مصدّق

فما أنا بالغرّ ابن صخر و لا الذي # يصمّم في شيء من الأمر موبق[5]

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناس قد كثّروا[6]فيك، و رأيت النصيحة للّه واجبة عليّ، و كرهت[7]أن تضع لذّتك قدرك، فإن أطعتني في تركها و إلاّ فلا تجاهر بها، فإنك قادر[على[8]]أن تبلغ حاجتك في ستر. فقال حارثة: ما عندي غير ما سمعت، فتركه و انصرف.

هو و أبو الأسود و قيل مولى زياد

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنبأنا الرياشيّ عن محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب، قال: لما بنى قيل مولى زياد داره[9]بالسّبابجة[10]، صنع طعاما و دعا أصحاب زياد، فدخلوا الحمام المعروف [1]أ، ب: «فكم لائم... بسهم صائب لم يذلق» .

[2]متزلق: محدد.

[3]التمطق: التصويت باللسان و الغار الأعلى، و ذلك عند استطابة الشيء.

[4]أ، ب: «عاجز» .

[5]موبق: مهلك.

[6]أ، ب: «قد أكثروا» .

[7]أ، ب: «و رأيت النصيحة لك واجبة، فكرهت أن» .

[8]تكملة من أ، ب.

[9]أ: «لما بنى فيل مولى داره بالسبابجة» . «س» : «لما بنى داره فيل مولى زياد بالسبابجة» .

[10]السبابجة: قوم من السند، كانوا نواب البصرة جلاوزة و حراس السجن، يريد الحي الذي كانوا ينزلونه.

بحمّام[1]فيل، و خرجوا[2]فتغدّوا عنده، و ركب فيل و أصحابه الهماليج و المقاريف[3]و البغال، و اجتاز بهم معه[4] على حارثة بن بدر و أبي الأسود الدّؤليّ و هما جالسان، فقال أبو الأسود: /

لعمر أبيك ما حمّام كسرى # على الثّلثين من حمّام فيل

فقال له حارثة:

و ما إيجافنا خلف الموالي # بسنّتنا على عهد الرّسول

تعقب الأحنف له في قول بلغه عنه بمحضر ابن زياد

:

أخبرني محمد بن مزيد، قال: أنبأنا حماد عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: حدثني عمي عن الحارث الهجيمي، قال: ذكر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد اللّه بن زياد و عنده حارثة بن بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيد اللّه: أيها الأمير[5]، ما يبلغ حلم من لا قدرة له و لا يملك لعدوّه ضرّا و لا لصديقه نفعا. و إنما يتكلّف الدخول فيما لا يعنيه؟فبلغ ذلك من قوله. الأحنف فقال: أهون بحارثة و كلامه؟و ما حارثة و مقداره؟أ ليس الذي يقول-قبح اللّه رأيه-في قوله: إذا ما شربت الراح أبدت مكارمي # وجدت بما حازت يداي من الوفر

و إن سبّني جهلا نديمي لم أزد # على اشرب سقاك اللّه طيّبة النّشر

أرى ذاك حقّا واجبا لمنادمي # إذا قال لي غير الجميل من النّكر

هو و جاريته ميسة

:

أخبرني عمّي، قال: أنبأنا الكرانيّ، قال: أنبأنا الرياشيّ عن الأصمعي[6]، قال: كان لحارثة بن بدر جارية يقال لها «ميسة» و كان بها مشغوفا، فلما مات تزوجت بعده بشر بن شغاف. فهؤلاء الشّغافيون[7]من ولدها، و فيها يقول حارثة: /

خليليّ لو لا حبّ ميسة لم أبل # أ في اليوم لاقيت المنيّة أم غدا

خليليّ إن أفشيت سرّي إليكما # فلا تجعلا سرّي حديثا مبدّدا[8]

[1]حمام فيل: بالبصرة. و كان أهل البصرة يضربون المثل به. «معجم البلدان» .

[2]أ، ب: «ثم خرجوا» .

[3]الهماليج: البراذين، جمع هملاج، بكسر الهاء. و المقاريف: الخيل غير الأصيلة، واحدها مقرف، بضم فسكون فكسر.

[4]أ: «و اجتازوهم معه» . و في ب: «و اجتازوا و هم معه» .

[5]أ، ب: «و ما يبلغ... » .

[6]أ، ب: «العتبي» .

[7]س: «الشعافيون» تصحيف. «الاشتقاق» لابن دريد ص 277) .

[8]هذا البيت ساقط من ب.

و إن أنتما أفشيتماه فلا رأت # عيونكما يوم الحساب محمّدا

و لا زلتما في شقوة ما بقيتما # تذوقان عيشا سيّئ الحال[1]أنكدا

هو و مولاه في تسويد قومه له

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: أنبأنا الحسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة، قال:

اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلس من مجالس قومه[من[2]]بني تميم و معه كعب مولاه، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه و قالوا: مرحبا بسيدنا، فلما ولّى قال له كعب: ما سمعت كلاما قطّ أقرّ لعيني و لا ألذّ بسمعي[3]من هذا الكلام الذي سمعته اليوم. فقال له حارثة: لكني لم أسمع كلاما قطّ أكره لنفسي و أبغض إليّ مما سمعته. قال:

و لم!قال: ويحك يا كعب!إنما سوّدني قومي حين[4]ذهب خيارهم و أماثلهم، فاحفظ عني هذا البيت:

خلت الدّيار فسدت غير مسوّد # و من الشّقاء[5]تفرّدي بالسّودد

مطلبه في وفاته

:

قال:

و اشتكى حارثة[بن بدر]و أشرف[6]على الموت، فجعل قومه يعودونه[7]فقالوا له[8]: هل لك من حاجة أو شيء تريده؟قال: نعم، اكسروا رجل مولاي كعب لئلا يبرح من عندي فإنه يؤنسني. ففعلوا، و أنشأ[9]يقول:

/

يا كعب مهلا فلا تجزع على أحد # يا كعب لم يبق منّا غير أجساد

يا كعب ما راح من قوم و لا بكروا[10] # إلا و للموت في آثارهم حادي

يا كعب ما طلعت شمس و لا غربت # إلاّ تقرّب آجالا[11]لميعاد

يا كعب كم من حمى قوم نزلت به[12] # على صواعق من زجر و إبعاد

[1]ب: «البال» .

[2]تكملة من أ، ب.

[3]أ، ب: «السمعي» .

[4]أ، ب: «حيت» .

[5]أ، ب: «و من البلاء» .

[6]التكملة من أ، ب.

[7]أ، ب: «و دخل عليه قومه يعودونه» .

[8]تكملة من س.

[9]أ، ب: «فأنشأ» .

[10]أ، ب: «و لا ابتكروا» .

[11]س: «آجال» .

[12]أ، ب: «بهم» .

فإن لقيت بواد حيّة ذكرا # فاذهب و دعني[1]أمارس حيّة الوادي[2]

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي و العشرين:

صوت

عش فحبّيك سريعا قاتلي # و الضّنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الشّوق بقلب دنف # فيك و السّقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب و ضنى # تركاني كالقضيب الذّابل

الشعر لخالد الكاتب، و الغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى. و ذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، و أنه أول صوت سمعه فكتبه.

*ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب.

[1]أ: «و ذرني» «ب» : «فامرر و ذرني فإني حية الوادي» .

[2]حية الوادي: من هو نهاية في الداء و الخبث و العقل.

فهرس التراجم التي في الجزء الثامن

الموضوع الصفحة
جرير 229
جميل 288
يزيد بن الطئرية 332
جميلة 353
عنترة 386
عبد قيس بن خفاف البرجمي 392
أبو دلف 394
سعيد بن عبد الرحمن 409
البردان 415
الأخطل 417
سائب خاثر 445
جرادتا عبد اللّه بن جدعان 449
سلامة القس 454
العباس بن الأحنف 466
ترجمة حارثة بن بدر 485
نسبه و أخباره 489
فهرس التراجم التي في الجزء الثامن 521